

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للجخطا

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي شتات

كاتب أسرار مجلس النواب

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.



LE LIVRE DE LA COURONNE.

(Kitab el Tadj.)

كتاب التاج

في

أَخْلَافُ الْمُلُوكِ

للجخطا

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكي شتات

كاتب أسرار مجلس النواب

فذلكة المضامين

١ - فهرس التصدير

لأحمد زكي باشا محقق هذا الكتاب

(أرقام هذا الفهرس موضوعة في أسفل الصفحات)

صفحة	
٢٣	نظرة عامة في الكتاب ومؤلفه
٢٦	النسخة المخطوطة الأولى لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٢٩	تحقيق بشأن هذا الكتاب
٣٠	ما أسم هذا الكتاب
٣١	تحقيق في أسم "التاج"
٣١	النسخة المخطوطة الثانية لهذا الكتاب (وصفها والتعريف بها)
٣٢	عود إلى التحقيق في أسم "التاج"
٣٤	عود الكلام على أسم "التاج" والكتب المسماة بهذا الأسم
٣٧	من هو المؤلف لهذا الكتاب
٣٧	نظرة في أسلوب الكتاب من حيث الإنشاء
٤١	الناقلون السارقون
٤٢	مراجعة العيون التاريخية
٤٢	إستفتاء ابن النديم، وتحقيق بشأن المطبوع من كتابه
٤٦	إستفتاء أبي حيان التوحيدي
٤٧	بحث عن الكتب المسماة "أخلاق الملوك"
٤٧	التعريف بالفتح بن خاقان

فهرس التصدير

صفحة	
٥٠	كلام عن محمد بن الحارث ...
٥٢	إستفتاء الكتاب نفسه لمعرفة مؤلفه ...
٥٢	أسلوب الجاحظ ...
٥٣	أمثلة من صياغته ...
٥٧	بعض مصادره ...
٥٧	تكرار الجاحظ وترداده ...
٥٨	إشارته إلى كنيه المتقدمة ...
٥٩	تصريحه بكتاب معين له ...
٥٩	تأكيد هذا التصريح ...
٥٩	النتيجة والحكم ...

٦١	بعد التحرير (تعريف بنسخة ثالثة من "التاج" مكتوبة في حلب) ...
٦٧	صورة كتاب من الأستاذ كروتشوفسكى، المستشرق الروسى ...
٦٩	جدول ببيان بعض المؤلفات التى نقلت عن "التاج" ...
٧٠	بيان الرموز المستعملة فى هذه الطبعة ...
٧٣ - ٨٣	روايز لتمثيل بعض الصفحات المنقولة عن الثلاث النسخ الأصلية ...

(يليه فهرس كتاب "التاج")

٢ — فهرس كتاب "التاج"

للجاحظ

صفحة

١

المقدمة

إهداء الكتاب إلى الأمير الفتح بن خاقان الوزير العباسي ٤

٥ الفاتحة

٧ باب في الدخول على الملوك

٧ فيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

٧ الأشراف وسلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٧ الأوساط : سلامهم وقعودهم وأنصرافهم

٨ استقبال الملك للساوئين له وتشجيعه أيامهم

٩ مقدار الإقامة بحضرة الملك

باب في مطاعمة الملوك

١١ تخفيف الأكل بحضرة الملك

١٢ ما فعله حاجب المنصور العباسي مع الفتي الهاشمي ، لتأديبه

١٣ تخفيف الندماء والخوارج على مائدة الأكابر

١٣ عقوبة الشر عند الفرس

١٤ مباسطة الملك لمواكله

١٤ بين معاوية والحسن بن علي ، بشأن دجاجة

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٥	ضيافات معارية في عاصمته وسائر قواعد مملكته
١٥	إختبار ساويرلرجيل ، رُحْمَه لقضاء القضاة
١٦	عدم النظر للملك عند مؤاكلته
١٦	التسوية بين الملك وبين مدعوّيه
١٧	غسل اليد بحضرة الملك
١٧	إيناس الملك لمدعوّيه
١٧	مباينة الملوك لمن سواهم
١٧	قيام الملك عن الطعام
١٧	منديل الغمر [أى منشفة الذّفر]
١٨	حديث الملك ومحدثته على المائدة
١٨	زمزمة القُرْس على الطعام، وأمتناعهم عن مطلق الكلام
٢٠	ما كان يفعله عبد الأعلى القرشيّ لإكرام ضيوفه

باب في المنادمة

٢١	مراتب الندماء، واحتياج الملوك لجميع الطبقات
٢٢	آداب الخروج من حضرة الملك، والرجوع إليها
٢٢	كبيّة الشرب وكيفيته موكولتان للملك، وعليه العدل بين الندماء
٢٢	طبقات الندماء والمغنيين عند القُرْس، وفي الإسلام
٢٥	أقسام الناس عند القُرْس أربعة
٢٥	مقابلة كلّ طبقة من الندماء بمثلها
٢٦	إحتفاظ القُرْس بهذا الترتيب
٢٧	معاينة أردشير لنفسه ، لمخالفته هذا القانون
٢٨	إختلال هذا النظام أيام بهرام جور، وإعادة أنوشروان له

فهرس كتاب "التساج"

صفحة	
٢٨	احتجاب ملوك الفرس عن الندماء، مقدار المسافة بين الطبقات
٣٠	التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك الأموي
٣٠	أول خليفة سُتيم في وجهه، هنزلاً
٣١	أحوال الأمويين في الشرب واللهو
٣٢	معاوية، ومروان، وعبد الملك، والوليد، وسليمان، وهشام، ومروان الجعدي ...
٣٢	يزيد بن عبد الملك، والوليد بن يزيد
٣٣	عمر بن عبد العزيز
٣٣	أحوال الخلفاء العباسيين في الشرب واللهو
٣٣	السُّفاح
٣٤	المنصور
٣٤	(كلمة المنصور في الشكر والصنعة والمودة وقضاء الحاجة)
٣٤	المهدي
٣٥	المهدي
٣٧	الرشيد
٤٢	الأمين
٤٣	المأمون
٤٥	مباشرة الملك لندمائه
٤٥	حد الإغضاء عن الزلات
٤٥	مواطن المعاقبة عليها
٤٦	الاقتصاد في العقوبة
٤٦	تفرد الملك بالتطيب والتجمل ونحوهما
٤٧	سنة ملوك الفرس في ذلك
٤٧	سنة سادات العرب والخلفاء في ذلك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
٤٩	عذل الملك في مجلس الشراب
٤٩	مكاملة الندماء للولك
٥٠	من الملوك بنعمهم عند الضرورة فقط
٥١	عدم المعاقبة في حال الغضب
٥٢	آداب البطانة عند قيام الملك
٥٢	عدم الدق من الملك، إلا بشروط
٥٣	الاستماع لحديث الملك
٥٣	(كلمة لعروين العاص عن جليسه وثوبه رداً بته)
٥٤	(كلمة لشعبي عن قوم يتناقدون ويتفاهمون)
٥٤	كلمة المأمون لسعيد بن سلم الباهلي عن حسن إقناعه وحسن فهمه
٥٤	ماحصل لرجل كان أنوشيروان يسايره
٥٥	مارقع لأبن شجرة الزهاوي حينما حادثه معارية
٥٨	مارقع لأبن بكر الهذلي حينما حادثه السقاح
٥٩	(كلمة آبن عياش المتوفى في آداب المحادثة)
٦٠	(كلمة روف بن زنباع في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة أسماء بن خارجة الفزارى في هذا الموضوع)
٦٠	(كلمة معارية في هذا الموضوع)
٦١	آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة مع الملك
٦١	تنكر أخلاق الملوك
٦١	صبر الملوك على مفض الحقد حتى تحين الفرصة للانتقام
٦٢	معاقبة أنوشيروان لمن خانته في حريمه
٦٥	نكية عبد الملك بن مروان بمن فازعه الملك
٦٦	نكية الرشيد بالبرامكة

فهرس قّاب "التّاج"

صفحة	
٦٦	مراعاة حرم الملك
٦٨	إغضاء البصر بمحضرة الملك
٦٩	غضُّ الصوت بمحضرة الملك
٦٩	تأديب الله للصّحابة في هذا المعنى
٦٩	حرمة مجلس الملك في غيَّبه
٧٠	الرُّقاء على مجالس ملوك العجم عند شياهم
٧٠	مواطن المكافآت
٧٠	بيان المكافآت، وخصوصها وعمومها

باب في صفة ندماء الملك

٧١	صفة خُلُق النديم
٧١	آداب النديم في المزاملة، وعلومه
٧٢	عُدّة الملك في خروجه لسفر أو نزهة
٧٢	خلال الندماء
٧٢	مساواة الملك لمُلاعبه
٧٢	حقُّ الملاعب على الملك
٧٣	ملاعبة سابورلنديمه على أمرٍ مجهول
٧٣	آداب الملاعبة بالكُرّة وغيرها
٧٤	لُعبة الشُّطرنج بمحضرة عبد الله بن طاهر
٧٥	آداب الندماء، إذا أخذت المَلِكَ سِنَةً من النّوم
٧٦	إمامة الملك للصلاة
٧٧	آداب مساورة الملك
٧٧	سُنّة أكابر العجم عند تهيئهم للسّاية

فهرس كتاب "الناسج"

صفحة	
٧٨	ماحصل للوبذ أثناء مسيرته أقباذ
٧٩	ماحصله لشرحيل أثناء مسيرته لماوية
٨٠	تحذير لمن يسير الملوك
٨٠	نظير العجم من مسيرة الملك المتصلة
٨٠	ماحصل من صاحب الشرطة وهو يسير بين يدي الخليفة الهادي
٨١	ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٢	ما قاله الهاشمي لأبي مسلم الخراساني عند ما فرطت منه بادرة أثناء المسيرة
٨٣	عدم تسمية الملك أو تكتيته
٨٧	الأدب في حالة مشابهة الاسم لإحدى صفات الملك أو لاسمه
٨٩	الأمور التي يتفرد بها الملك في عاصمته
٩٠	الحمامة - الفصد - شرب الدواء
٩٠	عدم تسميت الملك، وعدم التأمين على دعائه
٩١	عدم تعزية الملك
٩١	سرعة الغضب وبطء الرضا
٩٢	غضب السفاح على أحد رجاله
٩٢	غضب الرشيد على أحد قواده
٩٤	كتم الملك أسرارَه
٩٤	إمتحان أبرر رجاله في حفظ السر
٩٥	إمتحانه رجاله في حفظ الحرم
٩٨	إمتحانه من يطمعن في المملكة
٩٩	تغافل الملك عن الصغائر
١٠٠	منازل يرام جور عن سرقة البجام المجل بالذهب
١٠١	تغافل أنوشروان عن سرقة جام من الذهب

فہرس کتاب "التاج"

١٠١	تغافل معاوية عن كيس الدناير
١٠٢	الرد على قولهم : "المغبون لا محمود ولا مأجور"
١٠٣	كلمة معاوية في هذا المعنى
١٠٣	كلمة الحسن بن علي بن أبي طالب في المعنى أيضا
١٠٣	سليمان بن عبد الملك والأعرابي الذي أخذ رداه
١٠٤	جعفر بن سليمان وسارق الدرّة الرائعة
١٠٤	أكرام أهل الوفاء وشكرهم ...
١٠٥	قُهاذ ومادح الجاني على الملكة
١٠٦	وفاء سعيد بن عمرو المخزومي في مجلس السفاح لمروان بن محمد الجمعدى ، بعد قتله
١٠٩	كتاب قيس بن سعد بن عبادة وإلى مصر إلى معاوية
١٠٩	الإسكندر والأسورة المتقرّبون إليه بقتل ملكهم
١٠٩	شبرويه ومادحه على قتل أيّه أبرويز
١١٠	المنصور العباسي والضارب رأس ابن عمه الخارج عليه ، بعد قتله
١١١	المنصور العباسي ومادح هشام الأموي
١١٢	الأدب عند ما يتكلّم الملك ...
١١٢	الأدب في تحديث الملك ...
١١٣	عدم الضحك من حديث الملك ...
١١٣	عدم إعادة الحديث مرتّين على الملك ...
١١٣	كلمة روح بن زئباع في المعنى
١١٤	كلمة الشعبي في المعنى
١١٤	كلمة السّفاح في المعنى ..
١١٤	طلبه ابن عيّاش المتوفى في المعنى
١١٥	مواطن إعادة الحديث على الملوك

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١١٧	(عود إلى) الأدب في تحديث الملك ...
١١٨	أمارات الملوك للجلساء بالأنصراف ...
١٢٠	عدم ذكر أحدٍ بالعيب في حضرة الملك ...
١٢٠	تحريض الملك بين رجاله ...
١٢١	آداب السفير ...
١٢٢	سنة ملوك العجم في اختبار السفير ...
١٢٢	كلمة أردشير في حق السفير ...
١٢٢	كلمة ثانية له في المعنى ...
١٢٣	ما فعله الإسكندر بسفير كذب عليه ...
١٢٤	إحتياط الملك في منامه ومقيله ...
١٢٤	سنة ملوك الفرس في النوم ...
١٢٤	السنة النبوية في النوم ...
١٢٥	إطلاع الوالدين فقط على منام الملك ...
١٢٥	معاملة الآمن للملك ...
١٢٥	ما فعله يزدجرد مع آبنه بهرام ، وما فعله الحاجب مع بهرام أيضا ...
١٢٦	ما فعله معاوية مع آبنه يزيد ...
١٢٦	ما فعله المهدي مع آبنه الهادي ...
١٢٦	ما فعله الحاجب بولد المأمون ...
١٢٧	ما فعله الحاجب بولد المعتصم ...
١٢٧	واجبات آبن الملك ...
١٢٩	شهوة الاستبدال عند الملوك ...
١٢٩	الحيلة في معالجتها ...

فهرس كتاب "التاج"

صفحة	
١٢٩	ما صنعه ما زيار المضحك مع أحد ملوك العجم
١٣٠	ما صنعه رّوح بن زنباع لإضحاك عبد الملك بن مروان واستعادة رضاه عليه ...
١٣٢	ما فعله جرير الشاعر مع عبد الملك للتخلص من غضبه ولأخذ جائزته
١٣٤	ما فعله عبد الملك بن مهمل الحمداني لاسترضاء سليمان بن أبي جعفر المنصور في أيام الهادي
١٣٥	تلون أخلاق الملوك
١٣٦	ثمرات التأديب بالحفوة
١٣٧	صفات المقترين
١٣٨	كلمة أنوشروان ، وأمثولة "كلىة ردينة"
١٣٩	سخاء الملك ورحمته
١٤٠	الردّ على من وصف المنصور بالبخل
١٤٣	الأدب في اعتلال الملك ؛ ونظام التشریفات
١٤٤	جوائز البطانة وصلاحهم
١٤٥	سنة ملوك ساسان في الجوائز
١٤٦	هدايا المهرجان والنيروز ، من الملك وله
١٥٠	أمير مسلم اقتدى بالفرس في تفريق كسوته
١٥٠	هوى الملوك
١٥٠	ترك الإدمان في الملاذ
١٥١	سيرة الملوك والخلفاء في الشرب
١٥٣	لبس الملوك
١٥٥	تعطيب الملوك
١٥٦	زيارة الملوك تكريماً لرجالهم ، وأنواعها
١٥٩	استقبال الناس في الأعياد
١٦٠	التظلم من الملك إلى القاضي

فهرس کتاب "التاج"

٦٣	العقوبة الربانية للملك الظالم
٦٤	ما صنعه بهرام بجور لأخذ ملك أبيه
٦٧	استقصاء الملك لأحوال رعيته
٦٧	الملوك والخلفاء الذين أشتهروا بذلك
٧١	التمييز بين الأولياء والأعداء
٧٢	بماذا تطول مدة الملك
٧٣	واجبات الملوك عند الأحداث الخطيرة
٧٣	سنة الأطاغم إذا دمتهم الكوارث والعفائم
٧٥	ما فعله معارية أيام صيفين
٧٥	ما فعله عبد الملك بن مروان عند خروج ابن الأشعث عليه
٧٥	ما فعله مروان بن محمد عند ظهور العباسيين
٧٧	مكايدة الملوك في الحروب
٧٧	خدعة بهرام للعدو الذي قصد دار ملكه
١٨٠	مكايد أبرويز (ملك الفرس) في حرب الروم، قبيل الإسلام

خاتمة الكتاب

التنويه بالأمر الفتح بن خاقان ، الوزير العباسي ١٨٦

٣ — ملحقات الكتاب

صفحة	تكيل للروايات والملحوظات الانتقادية	١٨٩
٢١٢	تصحیحات لأغلاط مطبعية	...
	استدراك للهم من الاختلاف في رواية النسخة الحلية، وخصوصا الزيادات	...
٢١٣	التي أفردت بها	...
٢٢١	التعريف بكتاب "تنبيه الملوك والمكايد" المنسوب غلطا للمحافظ	...
٢٢٧	التعريف بكتاب "محاسن الملوك" لبعض الفضلاء	...

٤ — الفهارس الأبجدية لكتاب "التاج"

	الفهرس الأبجدي الأول بأسماء الكتب المستخدمة للراجعة وتحرير الحواشي	
٢٣٥	والتكيل	...
	الفهرس الأبجدي الثاني بأسماء المصنفات المذكورة في الكتاب وحواشيه	
٢٤١	وتكيله	...
٢٤٣	الفهرس الأبجدي الثالث بأسماء الرجال المذكورين في الكتاب وحواشيه وتكيله	
٢٥٩	الرابع بأسماء الأئم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها	»
	الخامس [وهو الأخير] بأسماء البلاد والمدن والمواضع	»
٢٦٣	والأماكن ونحوها	...

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

كتاب "التاج"

—••••—

بقلم محققه

الأستاذ أحمد زكي باشا

"واجبٌ على كل ذي مقالة أن يبتدئ بالحمد قبل أسـفـتـاحـها، كما بـدئـ^(١)
بالنعمـة قبل أسـتـحـقـاقـها".

وبعد، فهذا الكتاب، كتاب "التاج"، وهو المشهور أيضاً بكتاب "أخلاق الملوك"،
نظرة عامة
في الكتاب، ولفه.

هذا الكتاب : وضعه الجاحظ أيام كانت بغداد دار السلام، وقبة الإسلام،
ومركز الخلافة، وجمة الأرض، وقطب العالم، ومعدن الطرائف، ومنشأ أرباب
الغايات، أيام كان العراق بستاناً زاهراً بأنوار المعارف والمعالى، وكانت أمصاره وقراه
مناهل عذبة يزدحم عليها طلاب العلوم والآداب .

هذا الكتاب : قد ضمنه الجاحظ طائفة كبيرة من نظمات الدولة العباسية على عهده،
مما تقراه هو بنفسه أو كان متعارفاً في عصره . ولقد أودعه ما وصل إليه علمه مما يندمج
تحت هذا الباب من الرسوم والأصطلاحات التي كانت فاشية بين العرب أو شائعة
في صدر دولتهم، على ما بلغ المؤلف بالسند المتصل عن الحجة الصادق والثقة الأمين .

(١) هكذا صـدـر سـهـل بن هـارون أحد كتبه ، وكان معاصراً للجاحظ . أنظر "البيان والتبيين"
(ج ١ ص ١٨٨) .

هذا الكتاب : قد جعله الجاحظ مِرْآةً تُعْجَلُ فيها مشاهد الخلفاء والأكابر في حفلاتهم الرسمية وحشودهم العامة ، إلى ما هنالك من طرائق ملوكية وترتيبات سياسية آتتس العرب بعضها من الفُرس حينما دالت الدولة إلى الإسلام ، واجتمعت الكلمة في العرب الكرام : لا سيما بعد ما سادت المسوَّدة من آل عباس ، وخفقت على رؤوسهم البنود والأعلام ، وجلس على سرير الخلافة سابعهم ، الميمون النقيبة ، المبارك الناصية ، وأعنى به المأمون بن هارون . وكان ذلك بفضل أشياعه وأوليائه من أهل خراسان وما والاها ، على ما هو معلوم .

هذا الكتاب : تتعرف به مقدار التأثير الكبير الذي كان للحضارة الفارسية في الحضارة الإسلامية على عهد العباسيين ، حتى لقد ينسب الجاحظ خُطته ومنهاجه في سرد بعض عادات الفُرس ورسومهم القديمة ، كأنها مألوفة في تلك الأيام ، وهي مما لا يمكن أن يكون تحت حكم الإسلام^(٣) .

(١) هذه النسبة قد استعملها كثير من لغول البلاغ . قال الجاحظ : " ولو شئنا أن نقول إن سهره بالليل ونومه بالنهار خصلة ملوكية ، لقنا . ولو كان خلاف ذلك ألد ، لكات الملوك بذلك أولى " . أنظر كتاب الحيوان ، (ج ١ ص ١٣٧) . وقال الهندي في " صفة جزيرة العرب " : " وبها آلة الحرير النفيسة الملوكية (ص ٢٠٢) - ومعلوم أن الإمام أن جنى ألف كتابا سماه " التصريف الملوكي " .

(٢) كان السواد شعاراً لبني العباس ، وكان أشياعهم يرتدون به . ولذلك سماهم التاريخ " المسوَّدة " [تكسر الواو المشددة] . أما بنو أمية فكان شعارهم البياض ، وذوهم والمتصرون لهم يسمون " الميضة " [بكسر اليا ، المشددة] . وقد أمدح الكتاب والمؤرخون على أن يقولوا : " سود أهل المدينة الفلانية " أو " بيضوا " دليلاً على أنفوائهم تحت لواء العباسيين أو أنفوائهم إلى بني أمية .

(٣) أنظر حاشيتي (رقم ٥٤٤ من ص ١٤٦) ، ثم (س ١١ من ص ١٦٠) من كتاب " التاج " . وفي مواضع أخرى كثيرة من هذا القليل .

هذا الكتاب : شرح لنا فيه الجاحظ أحوال أمراء المؤمنين، وسادات المسلمين في أخوتيتهم^(١) الخصوصية، وفي أنديةهم العمومية، ووقفنا فيه على سمرهم في سهرهم، وقصصهم في ليالي أنسهم، إلى ما كانوا يصنعون في مجالى حظهم، ومسارح لهوهم، ومراتع طربهم . وناهيك بمجالسهم في الأغاني والمنادمة، ومجامعهم في الملاعبة والمداعبة، ومشاهدهم في المسيرة والمباشطة !

هذا الكتاب : فيه تبصرة لنا بأساليب القوم في اللبس والطيب وغير ذلك من الرسوم والآداب التي كانت معتبرة لدى السراة والأماثل في أيام العرب، وفيما بعد الإسلام .

هذا الكتاب : تدلنا عباراته على أن الجاحظ استخدم بعض التصانيف التي وضعها الفرس في هذا المعنى^(٢) . بل زاده قد آتساق بعامل الاستمرار في النقل عنها إلى ما يراد بعض السنن التي قلنا إنها لم يبق لها مجال بعد ظهور الإسلام . لذلك يغلب على^(٣) ظني أن المؤلف استعان بالكتب التي نقلها المترجمون من الفارسية إلى العربية في أيام

(١) مفردة "جِوَاء" وزان كتاب . وهي جمادة البيوت المتدانية . وقد استعمل الجاحظ "الأخوية والأندية" في كتاب "البعلاء" (ص ٢٣٥) ، فقال : "إن صاحب المأذبة وولي الدعوة إذا جاء رسوله . والقوم في أخوتيتهم وأنديتهم . فقال : أجبوا إلى طعام فلان . لجعلهم جفلة واحدة . وهي الجفالة . ذلك هو المحمود . وإذا أنتقر ، فقال : قم أنت ، يا فلان ، وقم أنت ، يا فلان . فدعا بعضا وترك بعضا ، فقد أنتقر" . [والقري هي المذمومة] . وقد ورد في طبعة العلامة فان فلوطن "أخوتيتهم" بالخاء المعجمة . ولا رجة للاعجام في هذا المقام ، والإهمال هو المتعين في هذه الحال .

(٢) أنظر (ص ١٩ و ٢٣) من كتاب التاج .

(٣) نقل الجاحظ صفحات كاملة من آيين الفرس وقوانينهم . [أنظر (ص ١٤٥ - ١٥٠) من كتاب التاج ، وأنظر أيضا (ص ١٥٨ و ١٥٩ - ١٦٣ ثم ص ١٧٣)] . فقد توسل بهذين الاستطرادين الطويلين العربيتين لإيراد ثلاثة سطور ثم سطرين .

كتاب التاج

أبي جعفر المنصور، ومن كان قبله من بني مروان، ومن أتى بعده من سلالة هاشم .
ولعله يكون قد اعتمد أيضا على كتاب "التاج" المصنف بأسم كسرى أنوشروان ،
ذلك الكتاب الذي فسره ابن المقفع، وهو لا يزال إلى الآن سراً مكتوما في ضمير
الزمان .

هذا الكتاب : يتضمن من أساليب التعبير والتفكير مالا يكاد يجرى به قلم غير قلم
الملاحظ، أو يرتع فيه رجل سوى شيخ الأدب، أو يتجسس فيه غير ذلك العميد لكل
مفيد ومستفيد .



ظفرتُ بنسخة مخطوطة منه في خزانة طوب قبو بمدينة القسطنطينية في مجلدة
- هي لعمري ! - من أنفس النخائر التي خلفها الأوائل للأواخر. ذلك بأنها تحوى
ثلاثة كتب قيمة :

النسخة الأولى
هذا الكتاب

- ١ - كتاب الآداب^(١) ، لابن المقفع ؛
- ٢ - الأدب الصغير^(٢) ، له أيضا ؛
- ٣ - التاج ، للملاحظ .

(١) تحت (رقم ٢٤١٧ ورقم ١٣٣ أدب) .
(٢) وقد حققنا أنه "الأدب الكبير" بعينه ، كما أشرنا إليه في طبعتنا الأولى وكما بيناه في التصدير الذي
وضعناه في مقدمة طبعتنا الثانية التي شرعت جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية في إصدارها في هذه السنة (١٩١٤) .
(٣) وفي آخر صفحة منه ما نصه : "يتلوه كتاب "التاج" للإمام أبي عثمان عمرو بن بحر الملاحظ .
رحمه الله ورسم جميع المسلمين !"

فَسَرَّانَ مَا تَجَزَّدْتُ لِنَقْلِ هَذِهِ الْمَجْلَدَةِ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالتَّصْوِيرِ الشَّمْسِيِّ! وَقَدْ أَحْضَرْتُهَا مَعِيَ - إِلَى مَقَرِّهَا الْأَصِيلِ عَلَى ضِفَافِ النِّيلِ - فِي جَمَلَةٍ مَا تَصِيدُ تُهً مِنْ مَفَاخِرِ الْعَرَبِ وَكُنُوزِ الْإِسْلَامِ : مِنْ غُرَرِ التَّصَانِيفِ وَرَوَائِعِ الْأَسْفَارِ .

غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ الْمَجْلَدَةَ لَا تَحْتَوِي - لَا فِي أَوَّلِهَا وَلَا فِي آخِرِهَا - عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْبَيِّنَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الَّتِي تَوْجَدُ عَادَةً فِي الْكُتُبِ الْمَخْطُوطَةِ ، فَهِيَ خَلُوهٌ مِنْ كُلِّ أَثَرٍ لِلْعُلُومَاتِ الَّتِي تَدُلُّ الْبَاحِثَ عَلَى أَسْمِ الْخِزَانَةِ الَّتِي كُتِبَتْ بِرِسْمِهَا ، أَوْ عَلَى أَسْمِ مَالِكِ هَذِهِ النُّسخَةِ ، أَوْ عَلَى الَّذِينَ آتَتْ لِيهِمْ ، أَوْ عَلَى كَاتِبِهَا ، أَوْ عَلَى سَنَةِ نَسْخِهَا وَمَوْضِعِ كِتَابَتِهَا ، أَوْ عَلَى مَقَابِلَتِهَا بِنُسخَةٍ أُخْرَى ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ التَّفَاصِيلِ الْخِزْيِيَّةِ أَوِ الْعَرْضِيَّةِ الَّتِي قَدْ يَكُونُ مِنْ وِرَائِهَا فَائِدَةٌ كَلِيَّةٌ أَوْ جَوْهَرِيَّةٌ فِي مَعْرِفَةِ تَارِيخِ الْكِتَابِ وَهَوِيَّتِهِ وَمَاهِيَّتِهِ .

وَعَايَةً مَا يَوْجَدُ فِيهَا مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ تَعْلِيْقَةٌ مَكْتُوبَةٌ فِي أَسْفَلِ طَرَفِ الْمَجْمُوعَةِ ، تَفِيدُ أَنَّ رَجُلًا أَسَمَهُ "يُوسُفُ الْحَلْبِي" قَرَأَهَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا ، وَأَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي سَنَةِ ٨٩٤ هـ . فَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ النُّسخَةُ مَكْتُوبَةٌ فِي حَلَبِ نَفْسِهَا أَوْ فِي الْقَاهِرَةِ .

وَهَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ مُشْكُولَةٌ مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا بِالْحَرَكَاتِ ، عَلَى أَنَّ هَذَا الضَّبْطَ مِمَّا لَا يَصِحُّ الْأَعْتِدَادُ بِهِ أَوِ الْأَعْتِمَادُ عَلَيْهِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ ، إِنْ لَمْ نَقْلُ فِي أَغْلِبِ الْأَحْوَالِ . وَلَكِنَّا - مَهْمَا كَانَ الْأَمْرُ - مِنْ ذَخَائِرِ مِصْرَ - إِذْ أَنْ حَلَبَ كَانَتْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ عُيَالَةً تَابِعَةً لِسُلْطَانِ مِصْرَ (وَهُوَ السُّلْطَانُ قَايْتَبَايَ الْمُحْمَدِيُّ الْمَشْهُورُ) . وَبَقِيَتْ فِي حَوْزَةِ خُلَفَائِهِ إِلَى أَنْ أَتَتْهَا السُّلْطَانُ سَلِيمُ الْعُثْمَانِي مِنَ السُّلْطَانِ قَانَصُوهُ الْغُورِيِّ فِي سَنَةِ ٩٢٢ هـ لِلْهِجْرَةِ . فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ قَدْ وَصَلَتْ إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ

كتاب التاج

في ضمن الفنائم التي آستولى عليها السلطان العثماني ، فإنه نقل خزائن الكتب في ^(١) جملة ما نقل إلى ضفاف البوسفور من ذخائر وطننا وتحفه وطرائفه .

فأما "الأدبَان" لأبن المقفع ، فقد أكلت طبعهما على ما يليق بمكاتهما في عالم الأدب والتصنيف ، وبمقام مؤلفهما المنقطع النظير ^(٢) . وكان ذلك بالإسكندرية : مدينتي التي بها درجت ، وفيها ترعرعت ، وإليها انتسبت . قدمتها هدية لجمعية "العروة الوثقى" القائمة بنشر العلم والتهديب في أرض أحن إليها وأحنو عليها .

أما "التاج" وهو هذا ، فإنه يقع في ١٥٨ صفحة بخط نسخي من النوع المصري الذي كان مستعملا في القرن التاسع للهجرة . وكل صفحة منه تتألف من ١٥ سطرا . وليس على طرته أو على خاتمته بيان من البيانات التي توجد عادة في أوائل المخطوطات وأواخرها سوى ما على طرة المجلدة التي هو في ضمنها مما يدل على قراءة هذا الكتاب في سنة ٨٩٤ وأن القارئ له هو "يوسف الحلبي" الذي سبق لنا الكلام عليه .

اعتمدت هذه النسخة وأنقطعت إلى تحقيقها حولين كاملين حتى وصلت بها إلى الغاية التي جعلتها نصب عيني بما انتهى إليه وسعى وبلغه مدى جهدي . ويعلم الله - ويشهد الكثير من أخصائي الذين كانوا يترددون على بمصيفي برمل الإسكندرية

(١) أنظر مقالنا باللغة الفرنسية على الفنون الإسلامية والسبيل إلى إحيائها على ضفاف النيل :

Le Passé et l'Avenir de l'Art Musulman en Egypte, (Mémoire sur la genèse et la floraison de l'art musulman et sur les moyens propres à le faire revivre en Egypte), par Ahmed Zéki Pacha.

Le Caire 1913, p. 15.

(٢) وقد قررت نظارة المعارف العمومية استعمالها في مدارسها ، ونالا من فضل الشيوخ والأنشاده

خليق بفضل مؤلفهما القدير .

أو "بجزائى الزكية" فى القاهرة - أننى راجعتُ فى هذه السبيل أكثر من خمسمائة ديوان فى اللغة والأدب والتاريخ، وأننى كنتُ فى بعض الأحوال أفوز بنيل الأمل^(١)، ولكننى فى أكثر الأحيان كنتُ أَرْضَى "من الغنيمة بعد الكد بالقفل!".



تحقيق بشأن
هذا الكتاب

المحافظ هو صاحب تلك البدائع الرائع التى يتطلع إليها أهل الأدب من العرب ومن غير العرب . ولقد آمننا هذا النابغة بمزية لم يَشْرِكْهُ فيها إلى اليوم أحدٌ غيره من المتقدمين والمتأخرين : بين الشرقيين أو الغربيين . تلك الميزة - ولا أدرى أهذه التسمية مطابقة لمرادى أم لا - هى أن نَفَثَاتِ صدره ونَفَحَاتِ قلمه ماعَتَمَتُ أَنَّ أصبحت متاعاً مُشاعاً ونَهَباً مُقَسَّماً بين فُرسان الكتابة وقُرصان الأدب . فقد يما سطا عليها المتقدمون من أرباب الأقلام ، ثم هذه بقاياها التى وصلت إلينا : لا تزال ملكاً مُباحاً لكل مَنْ يتعاطون الإنشاء ، يرونها طُرفة لكل خاطف ، وثمرة لكل قاطف .

قاعدة قزرها القاضى الفاضل ، وناهيك بمكانته التى لم يصل إليها أحد من بعده ! ألفا تراه قد سَجَلْ اعترافه على نفسه ، وشرَعَ هذا المورد لمن آقَدَى به أو حاول الجرى على سَنَنِهِ ، منذ قال كلمته الماثورة : "وأما المحافظ ، فما منا معاشر الكُتَّاب إلا مَنْ دخل داره ، أو شَنَّ على كلامه الغارة ، وخرج وعلى كتفه منه الكاره"^(٢) ؟

(١) لذلك أفنصرتُ فى الفهرس الأبجدى الأتزل من الفهارس الملاحقة بهذا الكتاب على سرد المصنفات التى أنفَعْتُ بها أو نقلتُ عنها أو أشرتُ إليها فى الحواشى وفى تكميل الروايات .

(٢) روى هذه الكلمة ابن فضل الله العبرى صاحب "مسالك الأبصار" والصفدى صاحب "الوافى بالوفيات" وابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" فى ترجمتهم للمحافظ . [والكارة ما يحمله الرجل على ظهوره من الثياب . وهى تقارب التى نُسبها الآن فى مصر "بُقَّة" . كلمة تركية ، وعربيتها الفصحى "بُكَّة"] .

كتاب التاج

حُكِّمَ اعتمدته الجماعة، وقابلته بالسمع والطاعة، وما زالت تدأبُ في تنفيذه إلى هذه الساعة ! حتى إن المتصفح لدواوين الأدب ليرى كثيرا من المتقدمين والمتأخرين ينقلون عبارة الجاحظ برمتها فينسخونها نسخا، وآخرون يبترونها بقرا أو يمسخونها مسخا . وكأني بهم قد تماثلوا كلهم على عدم الإشارة إليه ، اللهم إلا في النادر .

أمرُ يراه الناظر في تضاعيف هذا الكتاب وأعطافه ، وفيما علقته عليه من الحواشي والشروح ، وفيما أضفته إليه في "تكميل الروايات" (١) .



لكن العجب العجيب ، أنه مع كثرة الناقلين عن هذا الكتاب ، لم يُشر إليه واحدٌ منهم على الإطلاق ! بل إنني لم أعث على اسمه في كل ما وقفتُ عليه من أسفار المتقدمين والمتأخرين ، مع شدة التنقيب والبحث ، وهداومة التقلب والحرج .

زد على ذلك أن التاريخيين الذين كتبوا لنا سيرة الجاحظ ، وأن الأخباريين الذين أفادونا بعض ما له من الكتب والرسائل ، لم يشيروا قط إلى هذا الكتاب باسم "كتاب التاج" (٢) .

من أين هذا
والكتاب ؟

(١) وأنظر أيضا الجدول المتضمن للكتب الالفة عن "التاج" في ص ٦٩ التالية .
(٢) في "أساس البلاغة" : "حرث القرآن : أطلت دراسته وتدبره" . وفي "تاج العروس" : "الحرث تفنيس الكتاب وتدبره . . . وفي حديث عبد الله : أحرثوا هذا القرآن ، أي قدشوه وتؤروه" . ومثل هذا في لغة الفرنسيين لحرث الأرض ولحرث العلم ، فيقولون : Cultiver une science و Cultiver une terre .
(٣) مع أنه هو المكتوب على ملرة النسخة المحفوظة بمخزاة طوب قبر ، كما تراه في أحد الروايات الفتحرافية التالية لهذا التصدير (ص ٧٣) . ومع أنه مكتوب أيضا بطريق العرض على نسخة آيا صوفيا كما تراه في الرموز المطبوع (ص ٧٥) التالية . [وهو مكتوب أيضا في آخر نسخة "الأدب الصغير" الموجودة في ضمن المجموعة المحفوظة بطوب قبر] .

فكان من الواجب أن أتوفر على تحقيق هذه النقطة لإظهار غامضها وإيضاح مشكلها .



فَزِعْتُ حينئذ إلى الجاهظ نفسه . فقد توه ببعض مصنفاته في مقدمة مصحفها الكبير المعروف بكتاب "الحيوان" وفي تضاعيفه أيضا ؛ وكذلك فعل في "البيان والتبيين" . ثم رجعت إلى ثبوت مصنفاته في "معجم الأدباء" لياقوت الحموي^(٢) ، وراجعت ما كتب عنه الصفدي^(٣) في "الوافي بالوفيات" ، وما أورده ابن شاكر صاحب "عيون التواريخ" . ونظرت فيما أورده كاتب جلي صاحب "كشف الظنون" .

فلم أَر في كل ذلك أثرًا لكتاب اسمه "كتاب التاج" منسوبًا إلى الجاهظ . ولكنني وجدت ياقوت والصفدي وابن شاكر وكاتب جلي يذكرون كلهم لصاحبنا كتابًا عنوانه "أخلاق الملوك" . فتحيلت أن الكتاب واحد ، وله اسمان .

أؤكد ذلك الظن عندى وجعله عين اليقين أن النسخة المخطوطة الدانية الباقية من هذا الكتاب لا تزال محفوظة في خزانة آياصوفيا بالقسطنطينية ، وعنوانها "كتاب أخلاق الملوك" .

(١) طبع بالقاهرة . وله نسخة مخطوطة في مجموعة الإمام الشيخ محمد محمود الشقيطى بدار الكتب الخديوية . قلب الصفحة على الجزء الأول منها ، وأما الثاني فشأنه كالنسخة المطبوعة .

(٢) في الجزء السادس الذى تم طبعه أخيرا بالقاهرة بعناية صديق الأستاذ مر جوليوت ، المستشرق الإنكليزى

(٣) وقد استحضرت القطعة المتعاقبة بترجمة الجاهظ من نسخة "الوافي بالوفيات" من مجموعة كتب الطلي-

الذكر العلامة جيانجوس Gayangos . وهذه المجموعة النفيسة موجودة الآن (تحت رقم ٩٢) بجزارة

جمعية التارخج الملوكية بمدريد عاصمة إسبانيا . نقلها لى بالفتوغرافية صديق الشيخ فرنسكو قُدار

D. Francisco Codera المستشرق الإسباني الشهير . فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

(٤) في حوادث سنة ٢٤٠ هجرية . وقد تفصل الأب شابو (Im'ulibé Chabot) المستشرة

الفرنسى ، فأتخفى بصورة دوغرافية منقولة عن النسخة المحفوظة بمكتبة باريس الأهلية (تحت رقم ١٥٨٨) فله مزيد الشكر على هذه المعونة الأدبية .

كتاب التاج

وقد وضع بمضهم في طزتها فوق حرف الباء من لفظة "كتاب" كلمة "التاج" مكتوبة بخط غير الخط الأصلي؛ وكذلك تحت كلمة "كتاب" وضع قوله "في أمور الرياسة" .

وقد حصّلت ، بحمد الله ، على صورتها الفتوغرافية في الوقت المناسب . وهي التي رمزت لها بحرف (سـ) وتمكنتُ من استخدامها بكل دقة في تحقيق هذه الطبعة ، على ما يراه الناظر في كل صفحة .

وهذه النسخة تقع في ١٦٦ صفحة ، وكل صفحة تحتوى على ١٣ سطرا . وهي مجزأة من البيانات التاريخية التي قد تكون لها علاقة بأصلها وما هيته . وغاية ما فيها أن ناسخها وضع في آخرها حاشية مختصرة لما نصها : "وكان في المنقول عنها سقامة" .

فلا غرو أن جاءت السقامة فيها مزدوجة .

والراجح عندي أن أسم "التاج" قد صار لإطلاقه على هذا الكتاب بعد وفاة مؤلفه بزمان ، أعنى فيما وراء القرن الثامن للهجرة ، أي بعد عصر ياقوت والصفدي وآبن شاكر الكتبي . على أنني لا يتسنى لي أن أعين - ولو بطريق التقريب أو التخمين - الوقت الذي أطلقوا فيه أسم "التاج" على كتاب "أخلاق الملوك" .

عريد إل التحقيقي
في أسم "التاج"

هذا . وأنا أستبعد كل البعد أن يكون ذلك المجهول الذي كتب لفظة "التاج" على طزة النسخة الموجودة في آيا صوفيا قد آستمة ذلك من النسخة الموجودة في خزانة طوب قبو . فإن هذه الخزانة كانت لا تزال موصدة الأبواب إلى سنة ١٩٠٨ للميلاد .

(١) أنظر هذا العنوان في الرموز الثاني من الرموز الفتوغرافية (Fac-simile) التالية لهذا التصدير

(ص ٧٥) .

وفوق ذلك، فهذا فهرسها خُلق من العناوين: "التاج" و"أخلاق الملوك". بل يسوغ لي أن أحكم بأن واضح ذلك الفهرس لم يعرف عن كل من العناوين شيئاً على الإطلاق. لأن القرائن كلها - فيما يتعلق بهذا الكتاب وبغيره - تدلنا على أن واضح ذلك الفهرس إنما اكتفى بأخذ العنوان الموجود في الورقة الأولى من كل مجلد، دون أن يتصفح المجلد بأكمله، ليرى ما إذا كان في ضاعيفه وثناياه كتب أخرى: كما هي العادة في كثير من كتب المشاركة، وكما هو حاصل بالفعل في تلك الخزنة نفسها.

لذلك أجزم أن واضح الفهرس الخاص بطوب قيو، قد اقتصر على ما رآه في صدر الورقة الأولى، وقد فعل.

وكيف لا، ونحن إنما نرى في الفهرس قوله: "كتاب الآداب للشيخ الإمام العالم العلامة عبد الله بن المقفع رحمه الله عليه" دون أن تكون هناك أدنى إشارة إلى "الأدب الصغير" أو إلى "كتاب التاج"، مع أن الثلاثة موجودة بين الدفتين.

لا يصح القول بأن ذلك العنوان جامعٌ يشمل الكتب الثلاثة معاً. وذلك لأنه لم يرد في طرة الكتاب الأول وهو "الأدب الكبير" عنوانٌ خاصٌ له، وذلك بخلاف ما حصل في طرة الكتاب الثاني حيث أورد عنوانه هكذا "آداب عبد الله بن المقفع الصغرى" وكما حصل في الكتاب الثالث حيث أورد عنوانه هكذا: "كتاب التاج تأليف الشيخ الإمام العالم العلامة أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، رحمه الله عليه".

فيكون من الصعب - والحالة هذه - أن يطالع على كتاب "التاج" إنسان آخر، اللهم إلا أن يكون قد صادف ما وفقني الله إليه من تقرى الكتب التاريخية والأدبية كلها في طوب قيو، واحداً واحداً، كما أتيج لي منذ بضع سنين. وذلك أمرٌ تحققت من رب الدار أنه ما كان.

كتاب التاج

عود الكلام على
أسم التاج
والكتب المائة
بهذا الاسم



وهناك باب للتظني. ذلك أن المتقدمين كثيرا ما يسمون كتبهم بأسماء متعددة .^(١)
وها هي كتب الجاحظ نفسه ، نرى لبعضها عناوين مختلفة . بل هو نفسه يسميها
بأسماء ، بعضها مختصر وبعضها فيه شيء من التطويل .^(٢)

وبعد ، فنحن نعلم أن الجاحظ كان مؤلفا بأبن المقفع ، ومُعجبا به وبآثاره .
أفلا يصح القول بأنه اختار في بعض الأحيان اسم "التاج" متابعة لذلك الكاتب
العظيم ، صاحب كتاب "التاج في سيرة كسرى أنوشروان" ؟^(٣)
ومن جهة أخرى نرى هذا العنوان "التاج" قد استُهم به كثير من أكابر المصنفين .
فاختاره نفرٌ من صدور الصدر الأول ، وعنونوا به بعض كتبهم ، مجازاة لما وصلهم
عن أهل فارس الذين سبقوا العرب بتأليف "كتاب التاج" وما تفاعلت به ملوكهم .
وهو الذي ذكره ابن النديم في ضمن الكتب التي "أنتمها الفرس في السير والأسمار
الصحيحة التي للملوكهم" .^(٤)

(١) نكتني بذكر "معجم الأدباء" لياقوت . فإنه مشهور أيضا باسم "إرشاد الأريب" ، وباسم "طبقات
الأدباء" . ومثل ذلك كتاب المقرئ ، فإن اسمه "المواعظ والاعتبار" ، وهو مشهور باسم "الخطوط" .
أوليس القليلون هم الذين يعرفون العنوان الأصلي لتاريخ ابن خلدون ؟ وأشياء ذلك كثيرة جدًا يعرفها الذين
يعانون هذا النوع من الأبحاث ، أو كما يقول الجاحظ : "كل من كان كلما بتعريفها وكان له في العلم أصل وكان
بينه وبين التبيين نصيب" . أنظر كتاب الحيوان (ح ٣ ص ٧٣) .

(٢) وأنظر الرسالة التي كتبها بعنوان : "من هو الجاحظ ، وما هي مصنفاته" ؟ وسأشرها فيما بعد .
(٣) من مؤلفات ابن المقفع أو من ترجمته عن الفارسية . وذكره صاحب كتاب الفهرست . وعليه بحث
مفيد وضعه باللغة الروسية الأستاذ إينوسترانسف C. Inostrancew في كتاب "المباحث الساسانية"
المطبوع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (ص ٢٨ - ٣٢) .
(٤) كتاب الفهرست (ص ٣٠٥) .

فما ظهر من المصنفات فى اللغة العربىة بهذا العنوان، مرتباً على حسب تواريخ وفيات المؤلفين :

١ - كتاب التاج^(١) فى سيرة أنوشروان ، لعبد الله بن المقفع (وهو أزل كتاب صدر بالعربية بهذا العنوان) .

٢ - كتاب التاج^(٢) لأبى عبيدة، المتوفى فيما بين سنتى ٢٠٧ و ٢١٣ للهجرة .

(١) كتاب المهرست (ص ١١٨) . [ولعله هو الذى نقل عنه صاحب العقد الفريد - لأننى لم أجد فى كتاب الجاحظ الذى أقدمه اليوم للقراء ما أورده ابن عبد ربه عن كتاب "التاج" - فى الجزء الأزل من العقد الفريد (ج ١ ص ٢٦٠، ١١ وغيرهما) ، ولا ما أورده ابن نثبة فى كتاب "عيون الأخبار"] .

(٢) ذكر القفطى فى كتاب "إسراء الرواء على أنباء النعاه" كتابين لأبى عبيدة أحدهما باسم "التاج" والثانى باسم "الديباج" (أنظر السعة المقولة بالفتوغرافية الموجودة بدار الكتب الخديوية) . كذلك فعل ابن خلكان، فى ترجمة أبى عبيدة (أنظر طبع بولاق وطابع باريس والترجمة الانكليزية) . ولم يذكر هذين الكتابين ابن الأنبارى فى "نزهة الألباء" ولا السيوطى فى "بهاية الوعاة" . وقد نقل ابن عبد ربه فى العقد الفريد عن "كتاب التاج" الذى لأبى عبيدة (أنظر ج ٢ ص ٥٣ و ٥٥ و ٦٩) . ولكن ابن النديم (ص ٥٢) وابن خير الأندلسى (ص ٣٦١) وصاحب "تاج العروس" فى مادة (ح م ر) لم يذكرأ له غير كتاب الديباج . وما ينبى النبى إليه أن العبارة التى نقاها صاحب "تاج العروس" عن جمرات العرب (وقال إنها عن أبى عبيدة فى كتاب الديباج) راها واردة بنصها تقريباً عن "كتاب الديباج" أيضاً فى كتاب "الكامل" للرد (ص ٣٧٢ من طبعة ليسك و ص ١١ من ج ٢ طبعة القاهرة) . وهى واردة أيضاً مع زيادة وتقص طفيفين فى الألفاظ فى العقد الفريد (ج ٢ ص ٦٩) وصاحبه يقول بأنه نقاها عن كتاب "التاج" لأبى عبيدة . نعم إن التحريف كثير فى العقد الفريد المطبوع فى بولاق ، ولكنه ذكر هذا "التاج" ثلاث مرات وقد شهد القفطى وابن خلكان بأن لأبى عبيدة هذا كتابين أحدهما "التاج" والثايمها "الديباج" . فهل هما كتاب واحد ؟ ربما يكون ذلك كان . ولعل الرجل سى كتابه بالديباج ثم لقبه هو أو غيره بالتاج . وذلك لأن النقول التى أوردها صاحب العقد الفريد تدل على أنه موضوع فى بيان مفاخر العرب وبيوتاتها ، وذلك مما يحمل على الظن بأن صاحبه أراد أن يضاهى به كتاب التاج الذى ألفه الفرس . على أن المعلوم أن أبا عبيدة كان من الشعوبية وكان يكره العرب ، وقد ألف كثيراً فى مثالبهم .

كتاب التاج

- ٣ - كتاب التاج، لأبن الراوندى، المتوفى سنة ٣٠١. [رفضه أبو سهل إسماعيل النوبختي في كتاب سبأه "السبك" (٢)].
- ٤ - كتاب التاج، للصابي، المتوفى سنة ٣٨٤. ويسمى "التاجي" ويسمى "المتوجج في العدل والسياسة" (٤).
- ٥ - كتاب التاج، لأبن فارس، صاحب "مجل اللغة"، المتوفى سنة ٣٩٥.
- ٦ - التاج في زوائد الروضة على المنهاج، في الفقه، لأحد علماء القرن التاسع. هذه هي بعض الكتب التي عرفناها بهذا الاسم، فيما قبل الجاحظ وبعده، مما قد بلغنا خبره وإن لم يصلنا أثره (٧).

- (١) ذكره في كشف الظنون، ولم يعرفنا بموضوعه.
- (٢) أنظر كتاب "الفهرست" (ص ١٧٧).
- (٣) ذكره في كتاب "المهرست"، ونقل عنه البيروني في الآثار الباقية (ص ٣٨).
- (٤) ذكره في كتاب الفهرست (ص ١٣٤)، وذكره ابن خلكان في ترجمة الصابي.
- (٥) عرفنا به ابن خير الأندلسي في جملة الكتب التي رواها عن أشياخه بالسند المتصل إلى مؤلفها، في كتابه المطبوع بمدينة سرقسطة Saragossa من أعمال إسبانيا سنة ١٨٩٥ (ص ٣٧٤).
- (٦) ذكره صاحب "كشف الفنون" في حرف التاء ثم في حرف الراء والميم (وأنظر أعداد ٢٠٦٠، ٦٦٦٦، ١٣٢٤٢٦ من طبعة العلامة فلوجل).
- (٧) ثم إن العرب أضافوا هذا الاسم إلى غيره. فالفوا: تاج الأسماء، تاج الأنساب، تاج التراجم في طبقات الحنفية، تاج الحرة للعري، تاج السلاطين في معرفة الأباليس والشیاطين، تاج العارفين، تاج العروس في الزهد، تاج المداخل، تاج المذكرين، تاج المصادر، تاج المعاني، تاج المعلل، تاج المفرق، تاج النسرین. [ذكرها كلها صاحب كشف الظنون. وقد أهملت مما أورده ما هو بالتركية أو الفارسية]. ثم تاج الحلبة ذكره ابن خير الأندلسي، التاج في كيمية العلاج، تاج المجاميع، التاج المرصع في شرح رجز أبي مرقع، تاج المعارف وتاريخ الخلائف، تاج المفرق في تحلیس علماء المشرق، وهذه الكتب موجودة بمخزاة باريس الأهلية. ثم تاج العروس في شرح القاموس للزبيدي، آتخ آتخ.

إلى هنا آتينا من أنه لا مانع أن يكون الكتاب الذى بين أيدينا قد سماه صاحبه
أو الذين جاؤوا من بعده بأسم "التاج" . ولا شك عندنا ولا عند غيرنا فى أنه هو
كتاب "أخلاق الملوك" .

ولكن ...



بقى علينا أمر آخر، وهو من الجلالة بمكان .

من هو المؤلف لهذا
الكتاب ؟

فمن هو المؤلف لهذا الكتاب ؟ ... الجاحظ أم غيره ؟

إن الجاحظ ترك نحوًا من ٣٦٠ مؤلفًا، رآها سبط ابن الجوزى كلها تقريبًا فى مشهد
أبى حنيفة النعمان ببغداد، وإن كان لم يذكر لنا شيئًا من أسمائها فى "مرآة الزمان".

ولما كان الجاحظ لم يُشر فى مقدمة كتاب "الحيوان" إلا لشيء يسير جدًا من
تأليفه (وليس فيها كتاب "التاج" ولا كتاب "أخلاق الملوك") وكذلك الحال فيما
وقفنا عليه من أسفاره الأخرى، فقد بقينا من ذلك الأمر فى شك مُريب .

نظرة فى أسلوب
الكتاب من
حيث الإنشاء

ويزداد هذا الشك متى قلنا بأن أسلوب الكتاب فى مجوعه قد لا يوافق ما هو معهود
من كتابة الجاحظ وظرافته ومجانتته، أو ما هو معروف عنه من التمسك بأوهى الأسباب
للتلاعب بالألحان .

ذلك لأننا نراه قد خالف هنا عادته فى الاستطراد والاسترسال، والتنقل من حال
إلى حال، اللهم إلا فيما لا يؤبّه به ولا يمكن اتخاذه حجة فيما نحن بصددده من الأبحاث .
لكننا إذا قررنا أن هذا الكتاب سفرٌ آداب وأخلاق لا دفتر تبيين وبيان، وأنه
خاصٌ بموضع معين محصور فى أمر واحد معلوم، فقد يزول ذلك الارتياب الذى
ربما يعلق ببعض الأذهان .

كتاب التاج

نعم ، فلقد كانت وظيفة الجاحظ في هذا الكتاب أن ينقل مآراقه من الآداب التي دونها الفرس في آيينهم وقوانينهم^(١) ، وأن يسطر ما تلقاه عن شيوخه أو سمعه من أقرانه أو تلقفه عن صحابته مما يتعلق بأحوال الخلفاء والسادات . فكان عمله قاصرا على ربط الأفكار بعضها ببعض ، ولم يكن له مجال يتبسط فيه ويسرح ، أو ميدان يتنشط فيه ويمرح . كذلك كان شأنه في طائفة من مقالاته التي قصر فيها الكلام على موضوع واحد ، كما فعل في "مقالة الشيعة" وفي غيرها من رسائله العديدة وفصوله الكثيرة التي وصلتنا .

على أننا مع ذلك نراه في "التاج" - كما تراءت له سائحة أو هزته نشوة - قد يغلبه طبعه فيستطرد ويستدرك ثم يعود أدراجه ، ولكن في المعنى الواحد وفي البسابة الواحدة .

(١) أنظر شرح هذه الكلمة في كتاب التاج ، في حاشية (ص ١٩) .

(٢) البابة معناها : الحذاء ، الوجه ، الخصلة ، الشرط ، القليل ، النوع . وأستعملنا لها هنا هو بالمعنيين الأخيرين . قال الجاحظ في الحيوان (ج ٢ ص ٤٥) : " فليس الديك من بابة الكلب ، لأنه إن ساوره قتله قتلا ذريعا " . وقال أيضا (ج ٧ ص ٤٣) : " وقد أيقنا أنهما ليسا من بابه " . ثم روى أيضا (ج ٧ ص ٣٦) أبياتا تميم بن مقبل ، هذا محل الشاهد منها :

بنى عامر ، ما تأمر وتبشاعر * تخير بابات الكتاب هجائيا ؟ ...

نعم إن طابع "الحيوان" مصنف الكلبيين الأولين من الشطار الثاني من البيت الأول (كما مصنف وحرف ومسوخ وشوه في كثير من المواضع التي لا تمتد ولا تنحصر) فأوردتها هكذا "يجبر بآيات" ولكن الصحيح ما أوردته هنا . ويؤيد ذلك أن صاحب تاج العروس رد على البيت الأتزل في مادة (ب وب) مثل ورايق وقد فسره بقوله : معناه تخير هجائي من بابات الكتاب .

وقال الجاحظ أيضا في كتاب البغلاء : "أنت من ذى البابة ... ؛ وأما سائر حديث هذا الرجل فهو من هذه البابة" (ص ٤٥ ، ٤٣) =

للبحاظر

وإذا نظرنا بعد ذلك إلى ما تضمنه "التاج" من بعض العبارات، نرى أسلوبه يتجلى فيها على أحسن مثال. فبينما هو ينقل عن آداب الفرس وأحوال ملوكهم، إذا به قد أخذته النعرة العربية فعقب بما يماثل هذه الأحوال أو ما يحاكيها مما كان قد وقع للعرب قبل الإسلام أو بعد الإسلام. وذلك كله على سبيل الاستطراد والاسترسال، اللذين هما من أخص سمجايه .

= ومثل ذلك (في فتح الطيب، ج ١ ص ٥٥٩ طبعة لندن ١٩٠٤ ج ١ ص ٣٩٨ طبعة بولاق سنة ١٢٧٩ هـ) قول القاضي محمد بن بشير الأندلسي :

إنما أزدى بقدرى أننى « لست من "بابة" أهل البلد ...

وفي "تاج العروس" ما خلاه : "هذا بابته أى شرطه ؛ وإذا ذال الناس : من باقى، فعناء من الوجه الذى أريده ويصلح

والبابة فى الحساس والحدود ونحوه الغاية" .

وقال البيرونى فى كتاب "تحقيق ما للهند" : وبسببه أقول فيها هو ما بقى منهم ... (ص ١٢) .

وفي "شفاء الغليل" أنهم يقولون للعب خيال الظل بابة [أى لكل نوع وقسم من أنواع التمثيل وأقسامه التى نسميها الآن فصول الرواية = Scène] فيقولون بابات خيال الظل . وقد أورد الخفاجى هناك تفصيلا لطيفا وتوريقا بديعا فى أشعار راقية . فانظرها .

وعلى ذلك قول ابن إياس المؤرخ المصرى : "فكانوا مثل بابات خيال الظل : نثى . يحمى . وشى . يروح" (بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج ١ ص ٣٤٧) .

(١) أنظر ص ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤، ١٥٤٥، ١٥٤٦، ١٥٤٧، ١٥٤٨، ١٥٤٩، ١٥٥٠، ١٥٥١، ١٥٥٢، ١٥٥٣، ١٥٥٤، ١٥٥٥، ١٥٥٦، ١٥٥٧، ١٥٥٨، ١٥٥٩، ١٥٦٠، ١٥٦١، ١٥٦٢، ١٥٦٣، ١٥٦٤، ١٥٦٥، ١٥٦٦، ١٥٦٧، ١٥٦٨، ١٥٦٩، ١٥٧٠، ١٥٧١، ١٥٧٢، ١٥٧٣، ١٥٧٤، ١٥٧٥، ١٥٧٦، ١٥٧٧، ١٥٧٨، ١٥٧٩، ١٥٨٠، ١٥٨١، ١٥٨٢، ١٥٨٣، ١٥٨٤، ١٥٨٥، ١٥٨٦، ١٥٨٧، ١٥٨٨، ١٥٨٩، ١٥٩٠، ١٥٩١، ١٥٩٢، ١٥٩٣، ١٥٩٤، ١٥٩٥، ١٥٩٦، ١٥٩٧، ١٥٩٨، ١٥٩٩، ١٦٠٠، ١٦٠١، ١٦٠٢، ١٦٠٣، ١٦٠٤، ١٦٠٥، ١٦٠٦، ١٦٠٧، ١٦٠٨، ١٦٠٩، ١٦١٠، ١٦١١، ١٦١٢، ١٦١٣، ١٦١٤، ١٦١٥، ١٦١٦، ١٦١٧، ١٦١٨، ١٦١٩، ١٦٢٠، ١٦٢١، ١٦٢٢، ١٦٢٣، ١٦٢٤، ١٦٢٥، ١٦٢٦، ١٦٢٧، ١٦٢٨، ١٦٢٩، ١٦٣٠، ١٦٣١، ١٦٣٢، ١٦٣٣، ١٦٣٤، ١٦٣٥، ١٦٣٦، ١٦٣٧، ١٦٣٨، ١٦٣٩، ١٦٤٠، ١٦٤١، ١٦٤٢، ١٦٤٣، ١٦٤٤، ١٦٤٥، ١٦٤٦، ١٦٤٧، ١٦٤٨، ١٦٤٩، ١٦٥٠، ١٦٥١، ١٦٥٢، ١٦٥٣، ١٦٥٤، ١٦٥٥، ١٦٥٦، ١٦٥٧، ١٦٥٨، ١٦٥٩، ١٦٦٠، ١٦٦١، ١٦٦٢، ١٦٦٣، ١٦٦٤، ١٦٦٥، ١٦٦٦، ١٦٦٧، ١٦٦٨، ١٦٦٩، ١٦٧٠، ١٦٧١، ١٦٧٢، ١٦٧٣، ١٦٧٤، ١٦٧٥، ١٦٧٦، ١٦٧٧، ١٦٧٨، ١٦٧٩، ١٦٨٠، ١٦٨١، ١٦٨٢، ١٦٨٣، ١٦٨٤، ١٦٨٥، ١٦٨٦، ١٦٨٧، ١٦٨٨، ١٦٨٩، ١٦٩٠، ١٦٩١، ١٦٩٢، ١٦٩٣، ١٦٩٤، ١٦٩٥، ١٦٩٦، ١٦٩٧، ١٦٩٨، ١٦٩٩، ١٧٠٠، ١٧٠١، ١٧٠٢، ١٧٠٣، ١٧٠٤، ١٧٠٥، ١٧٠٦، ١٧٠٧، ١٧٠٨، ١٧٠

كتاب التاج

ولنا دليل آخر ، وهو أننا نرى الكتاب ينمُّ على مؤلفه . ذلك لأن الجاحظ مشهور بالتكرار والترداد والتكثير حتى لقد عابه النقاد من أهل زمانه ، بل أشار هو في مقدمة كتاب الحيوان^(١) إلى تلك الزرابة على طبعه ونَجيرته .

ولكنه مع هذا التكرار الذي نراه فاشيا في كتبه ، ومع هذا الانتقاد الذي عابه به قوم من أهل زمانه ، لم يرجع عن دينه ودينه وعادته في نفس كتاب "الحيوان" ثم في كتاب "البيان والتبيين" . فقد نراه في تضاعيفهما يذكر الحكمة التي تدعوه إلى ذلك ، وقد يكرر فصولا من الكلام ومقطعات من الأشعار ، كلها حانت له نُهْزة أو تجددت لديه الفرصة ، بل كلها تراعى له شق ضئيل يفضي به إلى ميدان فسيح يسمح له بالتوسع في التعبير .

ثم هو فوق ذلك ينقل في بعض كتبه ما قد تقدم له في بعضها الآخر . فإذا علمنا ذلك كله ، فلننظر في كتابه هذا لتبين منه أهذه السليقة موجودة فيه أم لا . نحن نجد ذلك ، بله نجد ما هو أبلغ .

أفأ تراه ينقل في "التاج" شيئا كثيرا مما أورده في "البيان والتبيين"^(٢) ؟ وهذا أيضا كتاب "الحيوان" قد نقل عنه في "التاج"^(٣) في موضع واحد . ومثلهما كتاب "البخلاء"^(٤) في موضع واحد أيضا .

(١) أنظر مقدمة "الحيوان" (ص ٣ س ٤) .

(٢) أنظر (ج ٣ ص ١٢ ج ٣ ص ٥١ ج ٤ ص ٦٩ ج ٤ ص ٣ ص ١٠٩) . وأنظر ما أورده في تكميل الروايات في (ص ١٩٢ عن ص ٢٠) و (ص ١٩٦ عن ح ٤ ص ٤٧) وفي (ص ١٩٧ من ص ٥٣ ، ٥٤) و (ص ٢٠٣ عن ح ٤ ص ٨١) .

(٣) أنظر في تكميل الروايات في (ص ٢٠٣ عن ح ١ ص ٨٩) .

(٤) فإن الحكاية التي أوردها في "التاج" (ص ٢٠) من الجارود بن أبي سبرة وتب الأهل ، نراها بنصها وحرفها تقريبا في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣) . وقد رواها في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٢) .

فلو كان المؤلف رجلاً غير الجاحظ، لكان قد أشار - ولو عرضاً أو مرّة واحدة - إلى المنقول عنه بطريقة التصريح أو التلميح، أو كان آستعمل عبارة مبهمّة تفيد النقل على أى وجه كان .

وإذا نظرنا الآن من جهة أخرى، رأينا أن جماعة من المؤلفين قد سطوا على هذا الكتاب ، كما أغار غيرهم على كثير من بقیة الآثار التي ديجها بنان الجاحظ . وقد أشرت إلى شيء كثير من هذا القليل في الحواشي التي حلت بها صفحات هذه الطبعة ، ولكنني رأيت - لزيادة الفائدة ولتمحيص الحقيقة - أن أجمع ذلك كله في جدول خاص في آخر هذا التصدير .^(١)

فعلينا أن نبحث فيما إذا كان القلم قد خان بعض الناقلين فتركوا أثراً محسوساً ملموساً نستدل به تصريحاً أو تلميحاً على أن كتابنا هذا إنما هو من نفثات يراع الجاحظ . فهذا المسعودی، قد آستحوذ على حديث يزيد بن شجرة مع معاوية . ولما أضطرت لنقل حُكم الجاحظ، حاسب ذمته وراجع ضميره فلم ينسبه لنفسه بل آكتفى بقوله : "قال بعض أهل المعرفة والأدب ممن صنف الكتب في هذا المعنى وغيره"^(٢) .

وهذا البيهقي، هذا حذو المسعودی . ولكنه تحبّط عند ما نقل حُكم الجاحظ والحديث الذي يرويه عن ألقاه إليه^(٣) .

(١) في (ص ٦٩) التالية .

(٢) أنظر (ص ٥٧) من التاج و (ح ٤) فيها .

(٣) أنظر (ص ١٧٠) من التاج و (ح ٣ و ٤) فيها، وأنظر أيضاً (ص ١٧١) و (حواشي ٢ و ٣ و ٤) فيها .

كتاب التاج

وهذا صاحب "محاسن الملوك". سطا على "التاج" فنقله كله تقريبا: تارة بالحرف وغالبا بالاختصار. وكأنه قد عاهد نفسه أن لا يترك الجاحظ قط، غير أنه سها في آخر الأمر فذكره وسماه باسمه مرتين وأورد ألفاظه بمعناها^(١).

على أن هذه الشواهد - وإن كان التدليل بها، كما يقول الجاحظ، قائما في العقل مُطَرِّدا في الرأي غير مستحيل في النظر^(٢) - فإنها، والحق يقال، لم تصل بنا إلى حد اليقين الذي يحسن التسليم به والسكوت عنده، لأنها لا تتضمن القول بالمنع ولا الدليل الذي تثلج به الصدور. ونحن إنما نتلمس البرهانات النيرة الناصعة، والجميع الظاهرة الساطعة، والشهادات القائمة اللامعة، التي ينتهى إليها العلم، ويقف عندها البيان.



وحينئذ فلا سبيل لإزالة الإبهام واستجلاء الحقيقة بطريقة حاسمة إلا إذا أسففتنا رجلين هما عمدة التحقيق في هذا الباب، لأن قولهما هو الفصل الذي لا نقض فيه ولا إبرام. أعني بهما: محمد بن إسحاق النديم، وأبا حيان التوحيدى الكاتب الشهير. فكان حقا علينا أن نسألهم، فعمد جهينة الخبر اليقين.

مراجعة الديون
التاريخية

١ - إن "كتاب الفهرست" الذي ألفه العلامة آبن النديم، قد طبعه الأستاذ فلوجل (Flügel) سنة ١٨٧١ في ليبسك، مدينة العلم بألمانيا. ولكننا لا نرى فيه شيئا عن الجاحظ، إلا من طريق العرض ومن باب الاستطراد.

استغناء آبن النديم،
وتحقيق بشأن
المطبوع من كتابه

(١) أنظر (ص ١٤٠) من التاج و (ح ٢) فيها.

(٢) كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٧).

فهل يُعقل أن ذلك العلامة الاختصاصي^(١)، الواسع الاطلاع، المنقطع لمثل هذا الشأن، يهمل رجلا كالباحظ ؟

آلهم لا ! وكيف وقد ذكر كثيرا من العلماء والمصنفين الذين هم أقل من صاحبنا بدرجات كثيرة !

بيد أن الحق الصراح هو أن النسخة المطبوعة مبهتورة . وقد ثبت ذلك مثل وضح النهار، بأمر ثلاثة :

أولها ... أن ياقوت يذكر في "معجم الأدباء" أسماء كثير من العلماء ، ويورد عنهم تفصيلات متعددة ، ويذكر لهم تصانيف متنوعة ، ثم يصرح بنقله عن كتاب الفهرست لابن النديم^(٢) . فإذا ما رجعنا إلى النسخة المطبوعة (أو إلى تلك الفصول التي عثر عليها الأستاذ هوتسما كما سيجيء قريبا) لا نجد لذلك أثرا على الإطلاق . ومعلوم أن ياقوت حجة في النقل وأهل للتصديق فيما يتعلق بالكتب والتعريف بها .

(١) ولا أقول الإخصائي . لما في هذه اللفظة من الخلط الذي يتبادر إلى الأذهان ، ولأنها غير واردة بالنص . وكان حقا على الذين اختاروها أن يقولوا "أخصي" وينظروا بعد ذلك إن كانوا يريدون الإصرار على اسم الفاعل ، وهو كما يرون . فغاية ما في شرح القاموس أنهم يقولون : "أخصي الرجل تعلم علما واحدا . نقله الصاغاني . وهو مجاز" . ولكننا نحن نريد بالاختصاصي الذي يبرع في الاختصاص والأفراد بعلم واحد ويكون مع ذلك قد شدا بعضا من المعارف المتعلقة به . هذا فضلا عن أننا نريد الحقيقة لا المجاز . ولذلك ننسبه إلى كلمة الاختصاص ، ويكون اللفظ بالمعنى الشائع في هذه الأيام من المولدات . وقد قال في تاج العروس : "إختص فلان بالأمر وتخصص له إذا أقرد" . فإن كان أخصاء الإخصاء يريدون النسبة إلى المصدر ، فقد جاريناهم ؛ ولكننا دفعنا اللبس العالق بأختيارهم .

(٢) أنظر (ج ١) حواشي (ص ٤٦ و ١٢٧ و ١٤١ و ١٤٣ و ١٥٣) ثم (ج ٢) حواشي (ص ٨ و ١٧ و ٣٧ و ٤٧ و ١٣١ و ٢٢٢ و ٢٢٦ و ٢٣٥ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٣٥٠ و ٣٨٨ و ٣٩٦ و ٤٠٠ و ٤١٩ و ٥٢٥) ثم (ج ٣) حواشي (ص ١٣ و ٨٦ و ١٤٠) ثم (ج ٥) حواشي (ص ٥٦ و ٢٢١ و ٢٧٠ و ٣٧٦ و ٤٣٢ و ٤٣٥) ثم (ج ٦) حواشي (ص ٤٩ و ١٤١ و ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٤) .

كتاب التاج

ثانيها - أن الأستاذ هوتسما Houtsma ذكر على جملة تراجم مما كتبه ابن النديم^(١) (وهي غير ماردة في النسخة المطبوعة) فنشرها في المجلة النمساوية للعلوم الشرقية بنصها العربي^(٢)، مع خلاصة عليها باللغة الألمانية. وكل ما جاء فيها عن الجاحظ لا يزيد على أحد عشر سطرا، مبتورة من الأول ومن الوسط ومن الآخر. وما هي إلا تُففة من رسالته إلى محمد بن عبد الملك الزيات، الوزير العباسي المشهور. ولا مُشاحة في أنها كانت مبنوثة في فصل كبير طويل.

ثالثها - (وهو أبلغها) أن ياقوت قد أورد ترجمة الجاحظ في الجزء السادس من "معجم الأدباء"، ونقل فيها عن كتاب الفهرست أن صاحبه يقول إنه رأى كتابين من كتب الجاحظ بخط ورّاقه^(٣). ونحن نبحت على غير طائل عن هذه العبارة في النسخة المطبوعة من كتاب ابن النديم!

فلم يبقَ بعد ذلك أدنى ريب في أن ابن النديم ترجم للجاحظ، وعرف به تعريفا وافيا، وأفاض في سرد أسماء كتبه، وشرح أحوالها كلها أو بعضها.

لذلك تعلقت همتي بمواصلة البحث وأستقصائه فيما أعلمه من النسخ المخطوطة التي لا تزال محفوظة ببعض الخزائن المعروفة لنا.

(١) عن : واصل بن عطاء، العلاف، النظام، ثمامة بن أمّرس، الجاحظ، ابن دؤاد، ابن الراوندي، الناشي، أبوعل الجبائي، الرّمانى، ابن زبر، هشام بن الحكم، شيطان الطاق.

(٢) راجع (ص ٢١٨ - ٢٣٥ من ج ٢) ن المجلة المذكورة (WZKM) الصادر في سنة ١٨٨٩.

(٣) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٧٥)، وهذا نصه : قال ابن النديم : "ورأيتُ أنا هذين الكتابين بخط ذكرى بن يحيى، ويكنى أبا يحيى، رزاق الجاحظ".

فكان أول ما باشرتُ البحث فيه (بالواسطة) هو النسخة الباقية من ذلك الكتاب النفيس بمكتبة المرحوم عارف حكمت بالمدينة المنورة . ولكنني تحققت أنها لا تتضمن الضالة المنشودة .

كذلك كان الشأن في النسخ الثلاث الباقية بالقسطنطينية ، والأولى منها محفوظة بخزانة يكي جامع ، والثانيتان في مكتبة الكوبرلي .^(١)

ولكن هذه النتيجة السلبية لم تثبط همتي ولم تُقعد عزيمتي . بل واصلتُ البحث والتقيب حتى عثرتُ في خزانة الشهيد علي باشا بالقسطنطينية على النصف الثاني من كتاب "الفهرست" ، وعليه أماراتٌ ربما يؤخذ منها أنه بخط المصنف نفسه . وهي نسخة جليلة جداً ، وبخط واضح في غاية الصبغة والضبط . فنقلتها بالفتوغرافية وضممتها دُرّة فائحة إلى خزانة كتبي بالقاهرة . غير أن سوء الحظ قضى أن لا تتحقق فيها الأمنية ، وأن يبقى الظلام حائلاً دون بلوغ المرام . فإن هذا النصف يتبدى من الكلام على «الواسطى» المعتزلى ، وينتهى إلى آخر الكتاب .

وهذا الاسم واردٌ في النسخة المطبوعة تحت عنوان المقالة الخامسة ، مباشرة .^(٢) ولكنه جاء في نسختنا في رأس الصفحة ، بما يدل على أنه تالٍ لكلام آخر تقدم عليه

(١) تحت رقم (٤٤٧) بعنوان "فهرست العلوم القديمة" .

(٢) تحت رقم (٨١٥) وعنوانها "أسماء الكتب المسمّى بالتدكار الجامع للآثار" .

(٣) تحت رقم (١١٣٤ ، ١١٣٥) ، وكل منهما عنوانه "فهرس العلوم" .

(٤) وفهرسها غير مطبوع للآن .

(٥) محفوظة تحت رقم (١٩٣٤) .

(٦) ص ١٧٢ .

(٧) وقد نبّه الطابع في تعليقاته باللغة الألمانية على سقوط بعض الفصول التي يجب أنها كانت تكون واردة في هذه المقالة قبل الكلام على "الواسطى" .

كتاب التاج

تحت عنوان تلك المقالة التي يدور فيها الكلام على المعتزلة . وبديهي أن القسم الذي صثر عليه العلامة هو تسما هو متقدم أيضا على الواسطي المذكور : لأنه يشتمل على أسماء كثير من كبار المعتزلة ، وفي جملتهم الجاحظ .

فلا بد أن يكون الكلام على الجاحظ قد جاء في ختام النصف الأول بَلَّه في رأس النصف الثاني من هذه النسخة الثمينة . وَلَكِنْ أين هي تلك الورقات التي تزيل الشك المريب ، وتقول لأهل البحث والتقيب : ” قَطَعْتُ جَهِيْزَةً قَوْلَ كُلِّ خَطِيْبٍ ؟ ”

فلم يكن لي مناص بعد جميع هذه النتائج السلبية سوى أن أحتسب على الله ما تجشمت من العناء ، وأن أترقب إلى أن تُتيح لنا الأقدار نسخة كاملة صحيحة من كتاب ” الفهرست ” فنقف منها على ما قاله صاحبه عن الجاحظ ونعرف ما أورده له من أسماء الكتب والمصنفات ، وهل فيها إشارة إلى ” التاج ” أم لا .

٢ - أبو حيان التوحيدى الكاتب الطويل النفس ، ألف كتابا في ” تقيظ الجاحظ ” . وقد رآه ياقوت الحموى ونقل عنه فصولا كثيرة في ” معجم الأدباء ” وأفادنا أنه نقل ما نقل من خط أبي حيان^(١) . ولكن هذا الكتاب لم يصل إلينا أيضا . غير أن الذى نقله عنه ياقوت يدل على أن الرجل قد استوعب فيه الكلام من الجاحظ ، ولا بد أن يكون قد استوفى فيه التعريف بكتبه أيضا . وأين ” أين السها من كف المتناول ” ؟ بل أين ” أين الثريا من يد المتناول ” ؟

استفتاء أبي حيان
التوحيدى

(١) أنظر معجم الأدباء (ج ٦ ص ٥٨ ، ٦٩) في ترجمة الجاحظ .

بحث عن
الكتب المسماة
بأخلاق الملوك

حيث لم يبق لدينا سندٌ صحيح، ولا نصٌّ صريح - قبل ياقوت - على أن الجاحظ هو صاحب كتاب "أخلاق الملوك".

فكان حقا علينا أن نقف هنيئة لنرى هل هذا النقل صادق وهل هذا الخبر مطابق للواقع .

ترك جانبنا ما لنا من الثقة التامة في أمانة ياقوت الذي كان من أعرف الناس بالكتب ومصنفها، ونقول :

إذا ما نظرنا فيما وصل إلينا عن الكتب المسماة بـ "أخلاق الملوك" نرى أن الأمر لا يتعدى ثلاثة من الناس، وهم : الفتح بن خاقان ، ومحمد بن الحارث التغلبي . (أو التغلبي)، والجاحظ .

فلننظر أيهم هو صاحب كتابنا هذا !

التعريف بالفتح
ابن خاقان

١ - الفتح بن خاقان . هذا الوزير كان من المغربين بالكتب غراما شديدا . وكانت له خزانة حكيمة لم ير الناس أعظم منها : كثرةً ونحسنا . جمعها له علي بن يحيى المنجم من كتبه ومما أستكتبه الفتح نفسه ^(١) .

وقد كان يشمل برعايته كثيرا من أكابر العلماء، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصرة والكوكة ^(٢) . ومن كان في جلسته المفضل بن سالم الغوي المعروف ^(٣) .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، والوافي بالوفيات (عن القطعة المخطوطة المحفوظة بدار الكتب النابوية : في ترجمة الفتح بن خاقان) .

(٢) أنظر كتاب الفهرست في ترجمته .

(٣) الوافي بالوفيات (عن القطعة السابق ذكرها قبل) .

(٤) أنظر كتاب الفهرست (ص ٧٣) .

كتاب التاج

وكان الفتح يتبارى في تفسير الآيات مع المبرد وأمثاله . وللبحتري فيه مدائح كثيرة ،
هي من غرر ديوانه .^(٢) وصنف جماعة منهم كتباً باسمه - أى قدموها إليه - ومن جعلتهم
بالحافظ ، وكذلك العلامة الشهير أبو جعفر محمد بن حبيب الذى صنف باسمه "كتاب
القبائل الكبير" .^(٣) ومثلهما صاحبنا محمد بن الحارث ، صاحب الكتاب المسمى
"أخلاق الملوك" الذى سيأتى الكلام عليه غما قريب .

فلا غرابة أن رجلاً مثل الفتح فى محبته للكتب واجتماعه بالعلماء ومشاركته لهم
فى المباحث الدقيقة يكون هو أيضاً من جملة المصنفين . فقد روى له صاحب
"الفهرست" أربعة كتب ؛ وهى :

(١) كتاب الصيد والجوارح ،

(٢) كتاب الروضة والزهر ،

(٣) كتاب البستان ،

(٤) كتاب اختلاف الملوك . (هكذا بالناء والفاء)

(١) أنظر مروج الذهب (ج ٧ ص ١٩٧) .

(٢) يوجد منه ثلاث نسخ مخطوطة بدار الكتب الخديوية ، ثنائى واسمتان متشابهتان ، والثالثة مختصرة .

(أنظر الفهرست فى قسم الأدب) . وذلك خلاف النسخة المطبوعة فى "الجوانب" وفيها أقلام مطبوعة كثيرة .
رايست المخطوطات من الطراز الأزل من حيث الصحة والقبض .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٠٧) .

فأما الكتاب الأول، فهو خارج عن موضوعنا وعن دائرة "اختصاصنا" وبحسنا . ولا شبهة لنا في أنه من تصنيف هذا الوزير، لاسيما أنه يتعلق بأمور، يالها الملوك والأمراء والورراء والسادات . ونحن نعلم أنه كان فارسا مقداما وأنه قتل أسدا ، على ما تشهد به إحدى القصائد الطنانة التي مدحه بها البحتري .

أما الكتاب الثاني، فسيأتي الكلام عليه عند ذكر محمد بن الحارث .

وأما الثالث (وهو كتاب البستان) فقد صرح المسعودي بأنه ألفه في أنواع من الأدب^(١) . ولكن ابن النديم (الذي هو أعرف بهذه الشؤون) نفى ذلك وأكد لنا أنه "منسوب إليه والذي ألفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل"^(٢) . وهكذا الصفدي، فإنه لم يذكر لفتح سوى الكتاب الأول (الصيد والجوارح) ثم كتاب البستان هذا، وقد قال عنه : "صنفه رجل يعرف بمحمد بن عبد ربه ويلقب برأس البغل، ونسبه إليه"^(٣) .

فهذه أول شبهة يصح لنا أن نستنبط منها أن من الكتب المصنفة برسمه، ما قد اشتهر بعده باسمه، حتى قال الناس إنه من وضعه .

وأما الكتاب الرابع، فالظاهر أن اسمه ورد محذوفا عن "أخلاق الملوك". ولا نستشهد بأن صاحب "معجم الأدباء" ولا صاحب "كشف الظنون" ولا صاحب

(١) مرجع الذهب (ج ٧ ص ١٩٢) .

(٢) أنظر ترجمته في تنجاف الفهرست .

(٣) في ترجمته في الوافي بالوفيات (من القطعة السابق ذكرها قبل) .

”الوافى بالوفيات“ لم يذكروا أن للوزير كتاباً باسم ”اختلاف الملوك“ أو ”أخلاق الملوك“ . لأنه ربما يكون قد فاتهم ، هذا إن كان . ولكننا نقول هنا إنه يجوز أن يكون هذا الكتاب للفتح ، أو لمحمد بن الحارث ، أو لملاحظ .

فإن كان للفتح كتاب باسم ”أخلاق الملوك“ أو ”اختلاف الملوك“ فهو على كل حال ليس الذي بأيدينا . لأن كتاب ”التاج“ يتضمن في أوله وفي آخره مدحا للفتح ابن خاقان وتنويها بذكره ، وينادي صاحبه بأعلى عقيرته أنه قدمه للفتح بن خاقان^(١) .

ولنا أن نتوهم أن صاحب ”الفهرست“ إنما أراد - عند الكلام على الفتح - أن يشير إلى الكتاب المترجم بأخلاق الملوك الذي ألفه محمد بن الحارث أو الملاحظ باسم الفتح ، ثم تتوسع فنقول إن ابن النديم لم يذكر لنا مؤلفه الأصلي كما فعل عند كلامه على ”كتاب البستان“ . ولسنا نجث عما إذا كان الإهمال حصل من نفس ابن النديم ، أو حدث بسبب النقص الكثير الموجود في النسخة المطبوعة^(٢) .

وعلى كل حال فليس للفتح بن خاقان شأن فيما نحن بصددده .

بقى علينا أن نجث عما يتعلق بابن الحارث التتلي (أو التعللى) الذي يؤكد لنا ابن النديم بأنه ألف كتاباً باسم ”أخلاق الملوك“^(٣) .

كلام عن محمد
ابن الحارث

أنا لا أمتنع أن يكون هذا الرجل ألف كتاباً بهذا الاسم وقدمه إلى ذلك الوزير . وإنما أقول إن ذلك لا يعارض أن يكون الملاحظ أيضاً قد ألف كتاباً آخر وترجمه

(١) أنظر (ص ٤ و ١٨٦) من كتاب التاج .

(٢) ففي نسخة كتاب الفهرست مواضع كثيرة لاهل النقد والنظر . مثال ذلك أنها نسبت إلى حسن بن محبوب ثمانية عشر كتاباً من الكتب التي ثبت أنها من تأليف الكوفي . أنظر معجم الأدباء (ج ٢ ص ١٣) .

(٣) كتاب الفهرست (ص ١٤٨) .

بنفس ذلك العنوان ثم قدمه إلى الوزير نفسه . فكثيرا ما نرى المتفانين يؤلفون كتباً بعنوان واحد ويقدمونها إلى سري^(١) واحد .

ولكننى أرى هنالك شبهة قوية تمنع أن يكون الكتاب الذى بأيدينا هو من تأليف محمد بن الحارث .

بيان ذلك :

إن هذا الرجل ألف كتابين آخرين بشهادة ابن النديم . أحدهما كتاب رسائله ، والثانى كتاب "الروضة" .

نقف قليلا عند هذا الكتاب الثانى ، مترددين فى شأنه . أفلا يكون هو نفس الكتاب الذى نسبته ابن النديم للفتح بعنوان "الروضة والزهر" ؟ فيكون شأنه حينئذ شأن كتاب "البستان" الذى ألفه رأس البغل ونسبه الناس للفتح !

ولكننا نرجع مسرعين إلى كتاب "أخلاق الملوك" المنسوب لابن الحارث ، ونأتى بما عندنا من الدلائل على أنه إذا صح وجوده ، فهو غير الذى بأيدينا .

نعم إن "مروج الذهب" المطبوع فى باريس أشار إلى "محمد بن الحارث الثعلبى صاحب الكتاب المعروف بأخلاق الملوك المؤلف للفتح بن خاقان"^(٢) . ولكن النسخة المطبوعة فى بولاق تسميه "أخبار الملوك"^(٣) ومثلها نسخة أخرى مخطوطة فى "خزانة الزكية" .

(١) أنظر كتاب الفهرست ، ومعجم الأدباء ، وكشف الظنون (فى غير ما موضع) .

(٢) طبعة باريس (ج ٢ ص ١٢) .

(٣) طبعة بولاق (ج ١ ص ٥ س ١) .

كتاب التاج

فلم لا يكون ذلك الرجل كتب كتابه وترجمه "أخبار الملوك" ثم تصحفت الكلمة في النسخة أو النسخ التي كانت أصلا لما اعتمدته في طبع "المروج" بباريس ؟ ولم لا يكون حصل مثل ذلك عند طبع "النهرست" في إيسك^(١) ؟

ولكن ذلك - والحق يقال - لاعتبره برهنا حاسما في أن هذا الكتاب الذي بأيدينا ليس لأبن الحارث .

لذلك كله لم يبق لدينا سوى وسيلة واحدة لاستطلاع الحقيقة من الكتاب نفسه .



فعمالوا بنا نسائله ليخبرنا هو عن مؤلفه الحقيقي بما يزول معه كل أرتياب وتجهل به الحقيقة ناصعة دون حجاب .

استفتاء الكتاب
نفسه لمعرفة مؤلفه

الكتاب يُدلى بحجة صاحبه وينادى على رؤوس الأشهاد بأنه من تأليف الجاحظ .

أولا - إن الجاحظ قد أمتاز بأسلوب مخصوص من الكتابة والتعبير : أسلوب فيه حلاوة ، وعليه طلاوة ، وله رشاقة ؛ أسلوب يتجلى فيه الألفاظ العذبة ، والمخارج السهلة ، والديباجة الكريمة ، والطابع المتمكن ، والمعاني التي إذا طرقت الصدور عمرتها ، وإذا صارت إلى القلوب أصلحتها من الفساد القديم ، وإذا جرت على الألسنة فتحت لها أبواب البلاغة .

أسلوب الجاحظ

وها هو "التاج" إذا أجلنا النظر في تضاعيفه وثناياه وأعطافه ، وجدناه حاليا يعيون الكلم الروائع والفقر الحسان ، والتنف الجياد ، مما ينادى بأن صانعه الماهر ، وصانعه الحاذق ، هو هو "الجاحظ" صاحب السبك الجيد ، ورب الكلام الذي له ما

(١) وقد ثبت لنا عن ياقوت أن فيها تعرفا كثيرا ، كما أشرت إليه في إحدى الحواشي المتقدمة (٤١) .

ورونق ، وفيه قوة العين وجلاء الصدور . تلك الصنعة عليها طابع الجاحظ كما هو معهود عند نقاد الألفاظ وصيارفة النثر والنظام وجهابذة المعاني .

والشاهد الصادق والحجة القاطعة على ما نقول يتجلىان في أجل حُلَّة عند ما ينظر القارئ في الصفحات التي سبقت الإشارة إلى أرقامها ^(١) .

هنالك يشنف القارئ سمعه بالألفاظ المستحسنة في الآذان ، التي تدخل على الأذهان بغير استئذان . هنالك يذوق في كل سطر تلك الحلاوة وينتجج قواده حيال تلك الطلاوة وهاتيك الرشاقة التي آختص بها "الجاحظ" ، إلى ما هو معروف عنه من السهولة والعذوبة التي تحبسه إلى النفوس . هنالك نجد المعنى يسابق اللفظ ، ونشهد اللفظ يجارى المعنى : بطريقة تَهَشُّ لها الأسماع ، وتنتجج بالعقول ، وترتاح إليها القلوب ، وهنالك نجد اللفظ كريما في نفسه ، متحيزا إلى جنسه ، متخيلا في نوعه . هنالك نرى الكلام سليما من الفضول ، بريئا من التعقيد .

وإليك أمثلة تؤيد بها قولنا ، وننقلها هنا حجة على صدق رأينا ، وتترك للقارئ أمثلة من صياغته مراجعة الباقي في سائر المواطن التي نهناه إليها .

قال صاحب "التاج" في صفحة ٢١ :

فإنا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضع للهوى ، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه ؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته ، كما يحتاج إلى الناسك لفظه ؛ ويحتاج إلى أهل الهزل ، كما يحتاج إلى أهل الجد والعقل ، ويحتاج إلى الزامر المطرب ، كما يحتاج إلى العالم المتقن .

(١) في (ج ١ ص ٣٩) من هذا التصدير .

كتاب التاج

وفي صفحة ٢٤ :

لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خميس الأصل ولا وصيه ، ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوف ولا مرمى بأبنة ، ولا مجهول الأبوين ، ولا آبن صناعة دينية كآبن حائك أو نجار ، ولو كان يعلم النيب مثلاً .

وفي صفحة ٤٥ :

والسكرة إذا بلغه نديم الملك ، فأجل الأمور وأحراها بأحلافه أن لا يزاخذه بزلة إن سبنته ، ولا بلفظة إن علبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

والحدى ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له ، وإن حُلّ ونفسه رمى بها في مهواة ، وإن أراد أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

فأما إذا كان ممن يعرف ما يأتي وما يذر ، وكان إذا رام أحد أخذ مامعه ، فأناله دونه ؛ وكان إذا شتم ، غضب وأنصهر ؛ وإذا تكلم ، أفضح بقل سقطه ؛ فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلى عمد أنها وبه قصد فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . فإن ترك عقوبة هذا ومن أشبهه ، قدح في عزه وسلطانه .

وفي صفحة ٤٨ :

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس . دخل على (أحمد) بن أبي دؤاد (بن علي) وعليه مبطنة ملقونة من أحسن ثوب في الأرض ، وقد أتم على رأسه رصافية بهامة نرسوداء لها طرفان خلفه وأمامه ، وعليه خف أصفر ، وفي يده عكازة آبنوس ملقوح بذهب ، وفي أصبعه فص ياقوت نصي يده منه . فظفر إلى هيئة ملائكة قلبه ، وكان جسيماً ، فقال : ” يا إبراهيم ! لقد جئتني في لسة وهيئة ما تصالح إلا لواحد من الخلق “ . فأنصرف فلم يأت حتى مات .

وفي صفحة ٦١ :

ألا ترى أن الملك قد ينضب على الرجل من سماته ، والرجل من حامته وبطانته : إما بجنابة في صلب مال ، أو بغيابة حرمة الملك ، فيؤخر عقوبته دهرًا طويلاً ، ثم لا يظهر له ما يوحشه ، حتى يتق ذلك في المحفلة والكلبة والإشارة وما أشبه ذلك .

وليست هذه أخلاق سائر الناس ، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنابات وبعد أول بوادر الغضب .

ثانيا - أن بعض المصادر التي عول عليها صاحب "التاج" نجدها متفقة مع ما نراه في الكتب التي لا ريب في أنها من آثار "المحافظ".

فقد اعتمد المحافظ على ابن نجيم^(١) وعلى إبراهيم بن السدي^(٢) بن شاهر^(٣) وعلى محمد ابن الجهم^(٤) وعلى صباح بن خاقان^(٥). وكذلك شأنه في النقل عن "كَلِيلَة وَدِمْنَة"^(٥).

أما المداخنة والهيثم والشرقي^(٦) بن القطامي، فالتقل عنهم كثير جدا في كل كتبه. فلا نطيل بالاستدلال بهم فيما نحن بصدد.

ثالثا - إن المحافظ مشهور بالتكرار والترداد. وهو أمر نشاهده أيضا في كتاب "التاج" ودليلنا على ذلك ما نراه :

- (١) في "التاج" (ص ٤) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٢٩).
- (٢) في "التاج" (ص ١٢) وفي "الحيوان" (ج ٢ ص ٥٠، ج ٤ ص ١٣٥، ج ٥ ص ١٠٣، ١١٩، ج ٧ ص ١٢) وفي "البغلاء" (ص ٢٦) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤١، ٤٤، ٥٤، ٦٠، ٧٩، ١٢٩، ج ٢ ص ٣٩ و ١٥٤) وفي "مناقب الترك" (ص ٤٧ و ٥٠) وفي "العشق والنساء" (ص ١٦٧).
- (٣) في "التاج" (ص ٥١) وفي "الحيوان" (في مواضع كثيرة من جميع الأجزاء) وفي "البغلاء" (ص ١٤٨) وفي "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٤٥، ج ٢ ص ١٦ و ١٦١) وفي "مناقب الترك" (ص ٢٤ و ٣٥).
- (٤) في "التاج" (ص ١١٠) وفي "الحيوان" (ج ٤ ص ١٠٠) وفي "البيان" (ج ١ ص ٤٨ و ١٣٦).
- (٥) في "التاج" (ص ١٣٨) وفي "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٨، ج ٧ ص ٢٩ و ٣٠).

- ١ - في كلامه على تفرد الملوك (ص ٤٧، ١٧)؛
 - ٢ - في بيانه لكيفية الشرب وكيفيته (ص ٨٩، ٤٩، ٢٢)؛
 - ٣ - في شرحه لاستماع حديث الملوك (ص ١١٢، ٥٣)؛
 - ٤ - في ذكره لطريقة تحديث الملوك (ص ١١٧، ١١٢، ٤٩)؛
 - ٥ - في سرده سيرة الخلفاء والملوك في الشرب (ص ٣٢ - ٤٣ و ص ١٥١)؛
 - ٦ - في إتيانه على آداب أهل الزلفى بعد المضاحكة (ص ٦٨، ٦١)؛
 - ٧ - في دلالاته على وجوب الاحتياط على الملك عند الدقومة (ص ٧٠، ٥٣).
- وهالك مواضع أخرى من هذا القليل، أضربنا عن ذكرها لأنها مبثوثة في الكتاب يراها المتأمل بغير عناء .

شارته إلى كتبه
المتقدمة

رابعا - لأن المؤلف نفسه يقول في صفحة ٥ من "التاج" :

واهل قائل يقول ، إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب : "قد ناقض واضع هذا الكتاب إذ زعم أنه ليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية" . فيظلم في اللفظ ويبتدى في المقال . وأولئك الملوك هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النقط الأعلى . أنت تجد ذلك عيانا وتشهد عليه بيانا . وعلى أن هذه المقالة لا يقولها من نظر في سير من مضى وسير من شاهد . والله التوفيق !

وبديهي أن محمد بن الحارث لا يصح له أن يقول مثل هذه الكلمة لأن كتبه الثلاثة "الصيد والجوارح"، و"الروضة والزهر"، و"الهستان" لا تختمل أن تكون موضوعا لبعض "أخلاق الملوك الماضين من آل ساسان وملوك العرب". أما الذي له الحق الصراح في أن يأتي بمثل هذا القول فإنما هو الجاحظ دون صاحبه . وها هي كتب الجاحظ التي وصلت إلينا نراها مفعمة بتفاصيل من هذا القليل ! فما ظنك بالتي ضنّ بها علينا الزمان ؟

بعمل التحرير

وفيه تعريف بنسخة ثالثة من كتاب "التاج"

مكتوبة في مدينة حلب الشهاب

كان إرسال كتاب "التاج" إلى المطبعة الأهلية في يوم ١٧ محرم سنة ١٣٣٠
(٧ يناير سنة ١٩١٢) بأمر رسمي من نظاره المعارف العمومية .

من ذلك العهد توفرت على خدمته بتحقيق ألفاظه وعباراته وإنعام البحث
في مبانيه ومعانيه وتحلية حواشيه ونصحيح مسوداته وتجاربه ، ثم أقطعت لكتابة
"التصدير" وتكامل الحواشي وتحرير الفهارس حتى فرغت من ذلك كله في يوم
الأربعاء ٢٠ ذى الحجة سنة ١٣٣١ (١٩ نوفمبر سنة ١٩١٣) . فأرسلت للطبعة
الأميرية الإذن بأعتاد الطبع نهائيا .

ولكن الأقدار ساقطت لي نسخة ثالثة من "التاج" على غير أنتظار . فقدمت حضر
إلى القاهرة في يوم ٢٥ نوفمبر سنة ١٩١٣ رجل من الذين يتعاطون تجارة التعانف
والطرائف بمدينة فلورانس ، من أعمال إيطاليا ، وهو جناب المسيو شرمان S. Sherman
ومعه طائفة من الكتب الخطية باللغة العربية والتركية والفارسية مما اشتراه من
القسطنطينية من المجموعة التي تضمنتها خزانة خالص بك . وقد طلب مني مشاهدة
مأمعه من الأسفار ، فتصفحناها واحدا واحدا ، وليس في وسعي أن أصف آتباعي
وسروى حينما عثرت في جملتها على نسخة من كتاب "التاج" .

لذلك أسرعت فطلبت من المطبعة إيقاف طبع التصدير والفهارس إلى أن يتم
لي تصفح هذه النسخة الثالثة التي أسميها "بالحلبية" .

راجعتُ هذه النسخة على طبعتي كلمة كلمة وحرنا حرفا . فأنفيت في "الحليية"
أغلوطات كثيرة، وتحريفات متعددة . ووجدتُ فيها بعضا من العبارات التي
أعتمدتها في طبعتي، نقلا عن نسخة آيا صوفيا . ولست أتكلم عما في "الحليية"
من التحريف الذي قلما تخلو منه صفحة واحدة بل سطر واحد ، ولا عما تضمنته
من الحروف والكلمات الرائدة أو الناقصة، ولا عن العبارات المبتورة . فإن الذي
يعينني منها إنما هو بعض ما تضمنته من الزيادات التي فيها فائدة جوهرية، أو قد
يكون لها شبه مزية عرضية . هذه الزيادات هي التي أكتفيتُ بتحريرها في باب
عنوانه باسم "استدراك" وأضفته عقب باب "التصحيجات" حتى يكون "التاج"
متحليا بكل ما يمكن من مزايا الجمال والكمال .



أما وقد سبق لي وصف النسخة السلطانية (سـ) في صفحة ٢٧ و ٢٨ ونسخة
آيا صوفيا (سـ) في صفحة ٣١ و ٣٢ من هذا التصدير، فلا بد لي من أن أقول
في هذا المقام إنني أكلتُ كلاً من هاتين النسختين بالأحرى، وأتعبتُ نفسي كثيرا
في تصحيح ما أودعه فيها النسخان الماسخان من سخافات وحماقات وضلالات، ومن
تشويهاً وتبديلات وجهالات .

ذلك بأنني شرتُ عن ساعد الجسد، وراجعتُ كتب الثقات، وبذلتُ بكل
ما في الطوق لتقويم المعوج وإصلاح الخطل بما وسعه الجهد وبلغه المقدور، حتى
جاءت طبعتي لكتاب "التاج" جامعة لكل ما جاء في النسختين المذكورتين على
قسطاس مستقيم، فأصبحتُ وافية من كل وجه بما يتطلبه أهل العلم والتحقيق،
ويستغني بها القارئ عن الأصليين متحدين أو منفردين .

فهذه العبارة الأخيرة لما فائدة كبيرة في التحقيق . لأنها تدل أولاً على أن هذا الكتاب كان معروفاً في سنة ٨٨٣ بأنه من تأليف الجاحظ، ولأنها جاءت مؤكدة لما قاله ياقوت قبل ذلك بثلاثة قرون من حيث إن الجاحظ كتاباً في أخلاق الملوك . فهذا هو السند التاريخي الذي تخيلناه في مباحثنا وتحقيقاتنا على ما يراه القارئ في "التصدير" حينما سبقنا الدليل وراء الدليل على أن هذا الكتاب من تأليف الجاحظ بلا جدال ولا إشكال .

ومن سوء الحظ أن الناصح الحلبي لم يضع لنا في أول نسخته اسم "التاج" ولا اسم "أخلاق الملوك" . فسواء كان الكتاب معروفاً في ذلك الوقت بهذا الاسم أو بذاك العنوان فلا ريب بعد هذه الشهادة التاريخية الثابتة ثبوتاً حاسماً في أن هذا الكتاب هو من كتب الجاحظ دون سواه . وكأن الأقدار أرسلت لنا هذا الدليل الناطق وهذا البرهان القاطع لتأييد البحث الذي سهرنا عليه الليالي وأوفيناها قسطه من التحقيق الدقيق حتى وصلنا إلى الغاية التي جاءت النسخة الحلبية مصدقة لها بما فيه تمام الإقناع ونهاية اليقين .

أ. زكي

راموز

لكتاب أرسله لى أحد أفاضل العلماء المستشرقين بالروسيا، وهو الأستاذ
أغناطيوس كروثشوسكى . وقد كان قابلى بالقاهرة وفاوضته فى شأن " التاج " .
وغيره من نفائس المصنفات .

رأيتُ من الواجب إثبات هذا الكتاب على صورته الأصلية وبخط صاحبه ،
لكى يعرف قومنا مقدار عناية الإفرنج بآثار أجدادنا وتقانيهم فى البحث عنها . وإلى
أشكره على هذه العناية ، وأُهنئه على بلوغه فى فن الإنشاء العربى هذه الغاية .

(كما تراه فى الصفحتين التاليتين)

كتاب التاج

جدول

بيان بعض المؤلفات التي نقلت عن كتاب "التاج"

المحاسن والمساوى	محاسن الملوك	مروج الذهب	تنبيه الملوك
ح ١ ص ١٠٦	ح ٨ ص ١٣	ح ١ ص ١١	ح ٢ ص ١٦
ح ٢ ص ١٠٨	ح ٣ ص ١٤	ح ٢ ص ٢٣	ح ٤ ص ٥٥
ح ٢ ص ١١٠	ح ٢ ص ١٦	ح ٣ ص ٢٩	ح ٣ ص ٥٦
ح ١ ص ١١٢	ح ٤ ص ٣٣	ح ٥ ص ٣٣	ح ٢ ص ٥٧
ح ١ ص ١٢٢	ح ٣ ص ٣٧	ح ١ ص ٥٣	ح ١ ص ٦٥
ح ٦ ص ١٢٦	ح ٢ ص ٤٥	ح ٣ ص ٥٥	ح ٥ ص ٦٦
ح ٣ ص ١٢٧	ح ٤ ص ٥٥	ح ٣ ص ٥٦	ح ٢ ص ٩٩
ح ٤ ص ١٣٤	ح ٣ ص ٥٦	ح ٣ ص ٥٧	ح ١ ص ١٢٢
ح ٣ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٧	ح ٢ ص ٥٩	ح ٢ ص ١٨٠
ح ٤ ص ١٦٨	ح ٢ ص ٥٩	ح ٤ ص ٥٩	ح ٣ ص ١٨٠
ح ٢ ص ١٦٩	ح ٣ ص ٧٣	ح ٢ ص ٦٠	
ح ٦ ص ١٦٩	ح ٤ ص ٧٦	ح ١ ص ١١٢	
ح ٥ ص ١٧٠	ح ٣ ص ٧٨	ح ٣ ص ١٣٠	
ح ٢ ص ١٧١	ح ٣ ص ٧٩	ح ٢ ص ١٣١	
ح ٤ ص ١٧١	ح ٢ ص ٨٢	ح ٣ ص ١٣٢	
ح ٣ ص ١٧٥	ح ١ ص ٨٨	ح ٥ ص ١٣٥	
ح ٤ ص ١٨٠	ح ٢ ص ٩١	ح ٤ ص ١٧٦	
ح ١ ص ١٩٧	ح ١ ص ٩٥		
ح ١ ص ١٠٤			
المحاسن والأضداد	العقد الفريد	الطسبري	الأغاني
ح ٢ ص ٦٥	ح ٧ ص ٢٠	ح ٢ ص ٣٧	ح ٢ ص ٨٢
ح ٢ ص ٦٧	ح ٤ ص ٨١	ح ٢ ص ١٤٣	ح ٤ ص ١٣٤
ح ٦ ص ٦٧	ح ٢ ص ٨٢		
ح ١ ص ٨٨			
ح ٣ ص ٨٨			
ح ١ ص ٩٧			
ح ٢ ص ١٠٠			
نهج البلاغة	المستطرف	صبح الأعشى	مطالع البدر
ح ١ ص ١٩٠	ح ٥ ص ١٤	ح ١ ص ١٢٢	ح ٢ ص ٥٨
ح ٢ ص ٢٠٢	ح ٤ ص ١٦٩		

بيان الرموز المستعملة في هذه الطبعة

١ - الحروف

سـ يدل على النسخة السلطانية الموجود أصلها في خزانة طوب قهر بالقسطنطينية .

صـ » النسخة الموجود أصلها في خزانة آيا صوفيا بالقسطنطينية .

س » سطر .

ص » صفحة .

ح » حاشية .

ج » جزء .

م » مكرر، إذا وضع وراء أحد الأعداد . (وحيث يدل على أن الكلمة
مكررة في الصفحة مرتين فأكثر) .

[] هذان القوسان المربعان حصرتُ فيهما الكلام المكل للثن، وأشرت

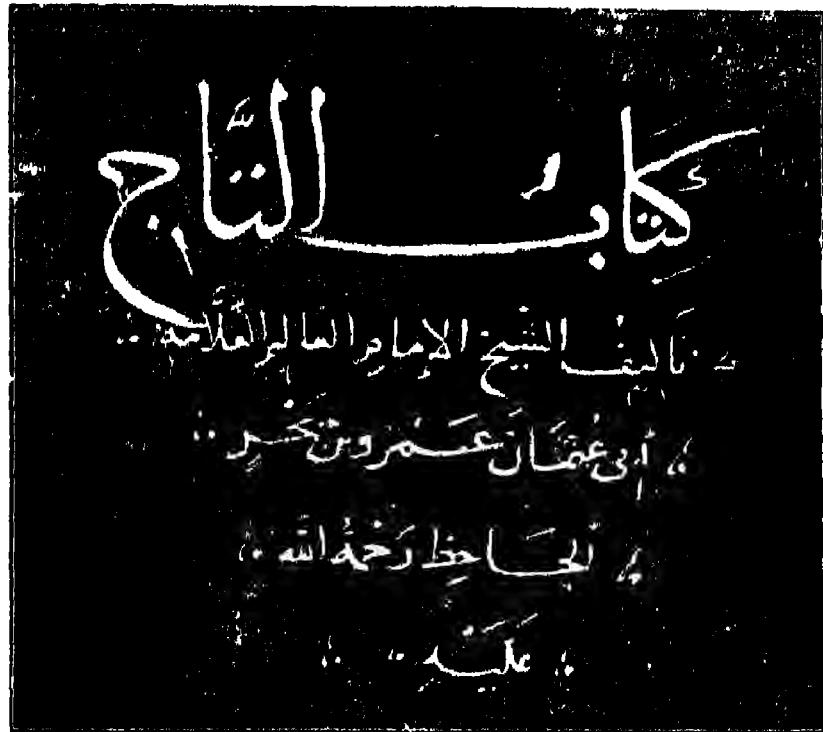
في الحاشية إلى موضع النقل . وقد أحصر بينهما إضافات من عندى يستوجبها

المقام، وحيث لا أشير إلى شيء في الحاشية . أما الكلام المحصور بينهما في الحواشي

فيتضمن تنبيهات وبيانات من عندى .

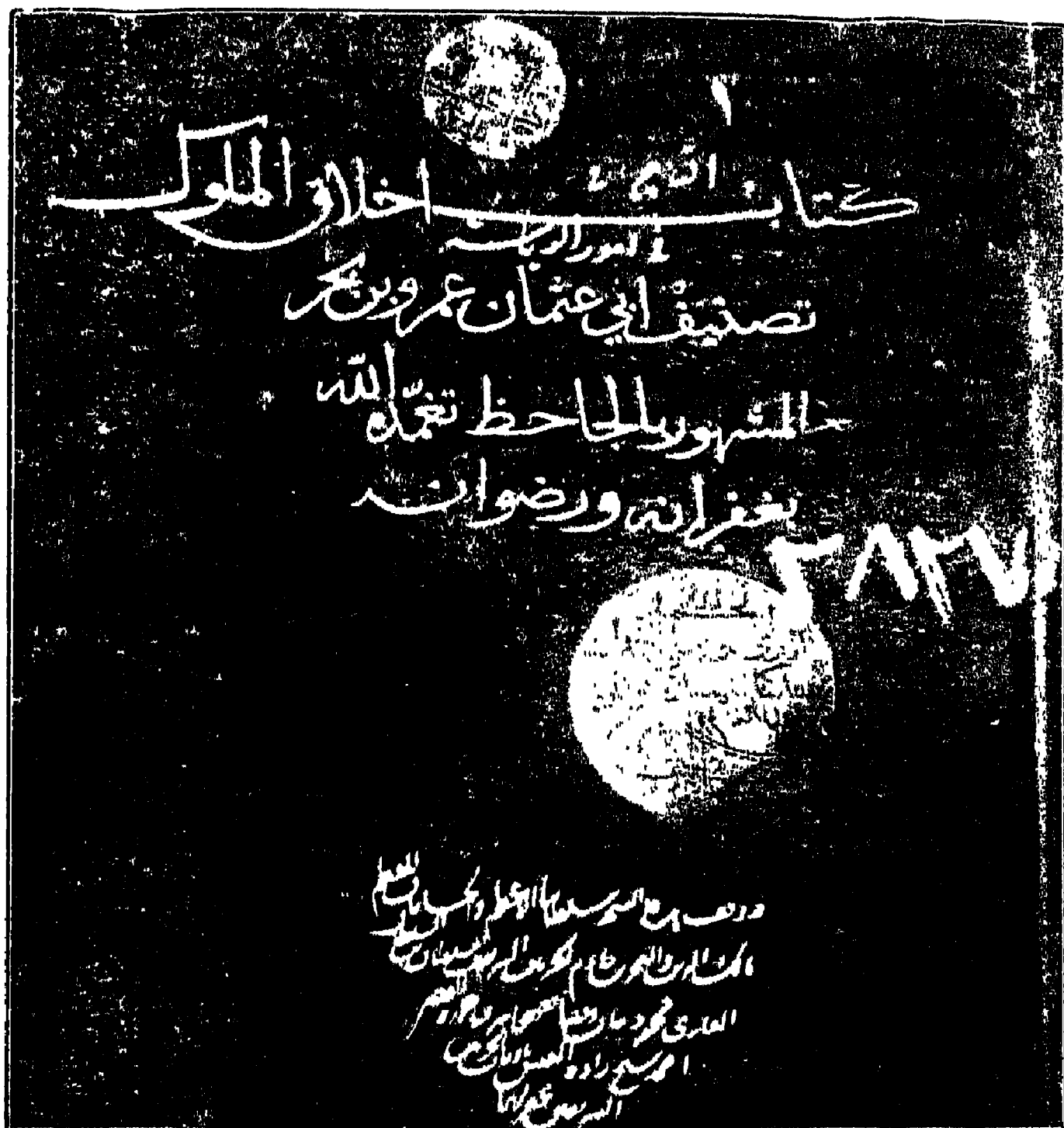
٤ - ضبط الكلمات والأعلام

- ١ - إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات)، فإننى أعتمد الضبط الأول الوارد فى كتب اللغة، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال؛ اللهم إلا إذا كان مما يمجّه الذوق المصرى العصرى .
- ٢ - الأعلام التاريخية والجغرافية، ضبطتها بحسب القول الأول أو الأشهر، معتمدا على المصادر المعتبرة .



(الرموز الأول)

تتمثل فيه طائفة السعة السلطانية (الرموز لها في حواشي هذه الطبعة بحرف سـ)
وهذه النسخة محفوظة بخرانة طوب قيو بالقسطنطينية، رقم ١٣٣ أدب.



(الرموز الثاني)

تمثل فيه طرة النسخة الثانية المحمودة بخزانة أباصوفيا تحت رقم ٢٨٢٧
وهذه النسخة هي الرموز لها تعرف صـ في هذه الطعة

أَلَمْ يَكُنْ الَّذِي قَتَلَ ابْنَ مَرْيَمَ وَكَانَ بِكَ وَمَلَكُكَ مَا كُنْتَ أَحَقُّ بِهِ
 مِنْهُ وَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ بِكَ مِنْ جَبْرَتِهِ وَغَتُّوهُ وَبَطَّلُوهُ وَنَكَّبُوهُ
 فَأَنْتَ تَسْتَكْبِرُ كَأَنَّهُ كَانَ يَأْخُذُ بِالْحَمْدِ وَيَقْنَأُ بِالْقُلُوبِ وَيُجَاهِدُ الْبَرَى وَيُغْلِبُ
 بِالْمَوْتِ فَقَالَ سَبِّحُوهُ لِلْحَافِيبِ أَجْمَلُهُ إِلَى الْجَلِيلِ فَتَأَلَّى لَهُ
 كَمْ كَانَتْ أَرْزَاقُكَ فِي حَيَاةِ ابْنِ مَرْيَمَ قَالَ كُنْتُ فِي ذِيئَةٍ مِنَ الْعَيْشِ
 فَكَانَ لَكُمْ زَيْدٌ فِي مَرْزُقَتِكَ الْيَوْمَ قَالَ مَا زَيْدٌ فِي مَرْزُقَتِي شَيْءٌ
 قَالَ فَهَلْ أَبْرَأْتُكَ ابْنِ مَرْيَمَ فَأَنْتَ تَسْتَكْبِرُ مِنْهُ بِمَا سَمِعْتَ مِنْ كَلَامِكَ
 قَالَ لَا قَالَ فَمَا دَعَاكَ إِلَى الْوُقُوعِ فِيهِ وَلَمْ تَقْطَعْ عَنْهُ رِزْقًا
 وَلَا تَتْرَكَ فِي نَفْسِكَ وَمَا لِلْعَابِدِ وَالْوَقُوعِ فِي الْمُلُوكِ وَمِنْ
 رِجْعَةٍ فَأَمَرَ أَنْ يُزْعَلَ لِسَانُهُ مِنْ قَفَاهُ فَقَالَ نَعْقُ مَا يَدْعُو
 أَوْ الْخَوْسُ جُحْرُ بْنُ الْبَيَّانِ بِمَا لَا يَجِبُ (وَحَسْبُ دُنْيَايَ)
 صَبَّاحُ بْنُ خَفَّارٍ قَالَ حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عَمَلْنَا أَتَى بِرَأْسِهِ
 إِبْرَاهِيمَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ فَوَضَعَ يَدَيْهِ جَاءَهُ خُصْرٌ أُولَئِكَ
 الرُّؤْيَا فَضَرَبَ الرَّاسَ بِمُؤَدِّهِ كَانَ يَدُهُ فَقَالَ
 الْمَنْصُورُ لِلْمَسْتَبِ نَقِ وَجْهَهُ فَذُقْ الْمَسْتَبِ أَنْتَ ثُمَّ قَالَ لَهُ

(الرموز الثالث)

تتمثل فيه إحدى صفحات النسخة السلطانية (وهي صفحة ٩٣ من الأصل ،

ويقابلها صفحة ١٠٩ - ١١١ من هذه الطبعة) .

٢٩

الآن وعرفت من هذه نسخة أحمد بسبعين ولكن ثلثون قال شاذان فأنصت
بسبعين بدع وانصرت ملك الموت عن الدار قال وكان الرئيس
في اخلاق ابي جعفر عظاما كان الا في العطايا فانه كان يتنزه فعله
ابي العباس والمهدي ومن اخبرك انه رأى يشرب الماء فاذبه وكان
لا يضر شربه الا خاص جواربه ورمط طرب للذاه فتحرك حركه بين
الحركتين في القله والكره وروى عن خلفاء بني العباس من حمل
المغنيين مراتب ولبد ناست على ما وضعهم اشد شيرا وانو شربان وكان
ابراهيم وارضاج وزلز في الطبقة الاولى كان زلز يفر في نفي
هذان عليه والطبقة الثانية سليمان بن ساسم وعمر والعزل ومن
اشبههما بالطبقة الثالثة صاحب المعازب والتولج والطنابير
وعلى قدمه كانت خرج جوارهم وملاهم وكان فاوول
واحد والطبقة الاولى بابا لالكثير الخبير جعل لصاحبه الذين
معه في الصنعة نسيبا منه وجعل للطبقين اللتين تليانه منه

(الاموز الرابع)

تمثل فيه إحدى صفحات النسخة المحفوظة في آياصوفيا (وهي صفحة ٢٩)
و يقابلها صفحة ٣٧ - ٣٩ من هذه الطبعة.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الامام العالم العلامة
ذو التصانيف المفيدة والمقاصد الحميدة
ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ رحمه الله

الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وله الحمد في الاخر وهو الحليم
الخبير احمد على تنابح الآيه وتواثر نعمائه وترادف مننه واستوفته
لما يرضيه ويرضى فيه واشهد ان لا اله الا الله الذي لا يشبه له ولا ينظير
الذي جل عن الاجزاء والتبعيض والقيديد والتمثيل والركبة والسنوات
والثقله والزوال والتصرف من حال المحال لا اله الا هو الكبير
المتعال اما بعد فان الذي جذا لنا على وضع كتابنا هذا مطران فمن ان
الله عز وجل لما نخص الملوك بكرامته واكرمهم بسلطانه ومكن لهم في البلاد
وخولهم امر العباد اوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيرهم
كما اوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخنوع لم فقال في حكم كتابه وهو
الذي جعلكم خلائف في الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وقال
عز وجل اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ومنها ان اشترى
العامه وبعض الخاصة لما كانت تجمل الاقسام التي يجب للملك عليها
وان كانت منسكة بجملة الطاعة حضنا اذ ابنا في كتابنا هذا لان نجعله

عمالك فزدت في العدة فقال كذبت فبعت وقال يا نفس من
 أين علم أني كذبت فاقمت سنة لا أجترئ على كلامه ثم رفعت اليه
 رقعة أخرى في إجر الرزق فقال كم عمالك قلت أربعة فقال
 صدقت فوقع في حاشيتي بجري على عياله كذا وكذا ولولا أن يطول
 الجواب في أسحق وذكره وجيئنا مناقبه لكيئنا عنه أخبارا كثيرة
 وهي من هذا الجنس وفيما ذكرناه كفاية والله أعلم بالصواب
 والحمد لله رب العالمين

(الأموز السادس)

تمثل فيه الصفحة الأخيرة من النسخة الحليية

(أنظر صفحة ١٧١ من طبعتنا)

كتاب التاج

للبحاظ

بمحقق أحمد زكي باشا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ
الْحَكِيمُ الْقَبِيضُ».

أحمد على تتابع آلاءه، وتوابع نعمائه، وترادف منته، واستهديه وأستوفقه لما
يرضيه ويرضى فيه.

وأشهد أن لا إله إلا الله الذي لا شبيهة له ولا نظير، الذي جلّ عن الأجزاء
والتبعض، والتحديد والتمثيل، والحركة والسكون، والثقل والزوال، والتصرف من
حال إلى حال. لا إله إلا هو الكبير المتعال!

* وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وأمينه ونبيّه! ابتعثه على فترة من الرسالة وطُمُوس
من الهداية ودروس من شرائع الأنبياء والمرسلين، «لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقِّ الْقَوْلُ
عَلَى الْكَافِرِينَ» والعرب، تئد أولادها وتنسافك دماءها وتنباح أمواتها وتعبد آلات
والمرزى ومناة الثالثة الأخرى. فصعد بأمر ربه، وجاهد في سبيله، ودعا إلى معالم

(١) هذه الكلمة مأخوذة عن ص ٥٠.

(٢) الوارد في ص ٥٠: «تنابح». وبما كان السياق يدل على التناوب واستباحة الأموال، فلذلك صححت
الكلمة بردها إلى مادة (ب و ج). قال في لسان العرب: «والإباحة شبه التهيؤ، وقد استباحه أي أتهيه».

على أنني لم أعر على هذا الحرف مستملا بصيغة التفاعل.

دينه ، وجاء بما أعجز الحزب والإنس أن يأتوا "يُمثِّلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ."
فَسَلِّ اللَّهُ عَلَيْهِ وَدَىٰ بِمِصْرَ الْمُرْسَلِينَ ! وَخَصَّهُ بِصَلَاةٍ مِنْ نَوَافِلِهِ دُونَ الْعَالَمِينَ !
وعليه السلام ورحمة الله وبركاته !^(١)

أما بعد ،

فإن الذي حدا أن نلِي وضع كتابنا هذا معانٍ :

منها أن الله (عز وجل) لما خص الملوك بكرامته ، وأكرمهم بسلطانه ، ومَنَّنَ
لهم في البلاد ، وختولهم أمر السباد ، أوجب على علمائهم تعظيمهم وتوقيرهم وتعزيهم
وتقريبهم ، كما أوجب عليهم طاعتهم والخضوع والخشوع لهم . فبِالْإِذْنِ فِي مُحْكَمِ
كِتَابِهِ : " وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ؛ " ^{١٠}
وقال عز وجل : " أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ . " ^{١٠}

ومنها أن أكثر العامة وبعض الخاصة ، لما كانت تجهل الأقسام التي تجب للملوكها
عليها - وإن كانت مُتَمَسِّكَةً بِمُحَلَّةِ الطاعة - حَصَرْنَا آدَابَهَا فِي كِتَابِنَا هَذَا لِنَجْعَلَهَا قَدْوَةً
لَهَا وَإِمَامًا لِنَادِيهَا .^(٢)

وأيضاً فإن لنا في ذلك أجرين : أما أحدهما فليما نبهنا عليه العامة من معرفة حق
ملوكها ، وأما الآخر فليما يجب من حق الملوك علينا من تقويم كُلِّ مائل عنها وردَّ
كُلِّ نافر إليها .

ومنها أن سعادة العامة في تجميل الملوك وطاعتها ، كما قال أردشير بن بابك :
"سَعَادَةُ الرِّعِيَةِ فِي طَاعَةِ الْمُلُوكِ ، وَسَعَادَةُ الْمُلُوكِ فِي طَاعَةِ الْمَبَالِكِ ."

(١) الفقرتان المصورتان بين نجمتين * مأخوذتان عن ص ٠

(٢) في ص ٠ لتأديتها .

ومنها أن الملوك هم الأئمة، والرعية هم البناء، وما لا أس له مهديم.
ومنها أنا ألفنا كتاباً قبل كتابنا هذا، فيه أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة،^(١)
وكان غير ذلك أولى بنا وأحق في مذهبنا وأحرى أن نصرف عنايتنا إلى ما يجب
للملوك من ذكر أخلاقها وشيمها، إذ فضّلها الله على العالمين، وجعل ذكرها في الباقي
إلى يوم الدين.

ألا ترى حين ذكر الله تعالى الأمم السالفة والقرون الخالية، لم يقصد من ذكرها
إلى وضييع ولا خامل؟

١٠ بل قال تعالى حكاية عمن مضى منهم: "رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا
السَّبِيلًا." وقال تبارك اسمه: "اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ."
وقال جلّت عظمتة: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ."
وقال جلّ وجلّ: "وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ
فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ."
وقال تقدست أسماؤه: "إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا
أَعْيُنَ أَهْلِهَا آذَنًا."

١٥ وقال تبارك وتعالى: "قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ
الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ يُدْرِكُ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ."
وقال عز وجلّ، وقد بعث موسى عليه السلام إلى أعتى خلقه وأشدّهم عنوداً
وصدوقاً عن أمره: "إِذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى، فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى."

(١) فسرهما في صه بالشجاعة. وحينئذ تكون مبالغة للفظه Héroïsme عند الفرنسيين.

(٢) في صه: طبعنا.

فَلْيَنْفَعُوا الْحُكَمَاءَ هَذِهِ الْأَعْجُوبَةُ الَّتِي وَصَلَتْ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى! فَإِنَّ فِيهَا حِكْمَةً عَجِيبَةً وَمَوْعِظَةً بَلِغَةً وَتَنْبِيْهًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ .

حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ شَيْبَةَ عَنْ وَرْقَاءَ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ^(١) عَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: "فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا" قَالَ: كَتَبْنَا ^(٢).



وَأَمَّا أَمْرُهُمَا بِذَلِكَ لِأَنَّ الْمُلُوكَ - وَإِنْ عَصَى أَكْثَرُهُمَا - فَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تُدْعَى إِلَى اللَّهِ بِأَسْهَلِ الْقَوْلِ وَأَلْيَنِ اللَّفْظِ وَأَحْسَنِ الْمَخَاطَبَةِ . فَإِذَا كَانَ هَذَا حُكْمُ اللَّهِ فِي الْعَاصِي مِنَ الْمُلُوكِ وَالَّذِينَ آذَعُوا الرُّبُوبِيَّةَ وَجَحَدُوا الْآيَاتِ وَعَانَدُوا الرُّسُلَ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَطَاعَ اللَّهَ مِنْهَا ، وَحَفِظَ شَرَائِعَهُ وَفَرَائِضَهُ ، وَقُلَّدَ مَقَامَ أَنْبِيَائِهِ ، وَجَعَلَهُ الْجُمَّةَ بَعْدَ مُجْتَمَعِهِ ، وَفَرَضَ طَاعَتَهُ حَتَّى قَرَنُوا بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟

فَرَأَيْنَا - إِذْ أَخْطَأْنَا فِي تَقْدِيمِنَا أَخْلَاقَ أَهْلِ الْبَطَالَةِ ، وَإِنْ كَانَ فِيهَا بَعْضُ الْآدَابِ وَبِمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ أَهْلُ الشَّرَفِ مِنْ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ - أَنْ نَتَلَفَّى مَا فَرَطَ مِنَّا بِوَضْعِ كِتَابٍ فِي أَخْلَاقِ الْمُلُوكِ وَخَصَائِصِهَا

إهداء الكتاب

هَذَا الْأَمِيرِ الْفَتْحِ بْنِ خَاقَا

وَعَلَى طَلَبِهَا مَثَابِرًا ، وَفِيهَا وَفَى أَهْلِهَا رَاعِبًا ، لِيَبْقَى لَهُ دُرَّةٌ وَيَحْيَا بِهِ ، بِنِيسَبِ
وَالظَّلَامِ . وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالْإِعَانَةُ !

(١) فِي صَم: حَدَّثَنَا أَصْحَابُنَا عَنْ مَقْدَامٍ عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ . وَكُلُّهُمْ مِنْ رِوَاةِ الْحَدِيثِ [

(٢) فِي هَامِشِ صَم: "وَكَانَ لَهُ ثَلَاثُ كُتُبٍ: أَبُو الْعَبَّاسِ وَأَبُو الْوَلِيدِ وَأَبُو مُرَّةَ" . وَأَنْظُرْ كِتَابَ التَّفْسِيرِ ،

وَأَنْظُرْ "الْمُسْتَطَرَفُ فِي كُلِّ فَنٍّ مُسْتَطَرَفٌ" لِلْأَبْنَشِيِّ (ج ٢ ص ٤٤) .

(١) الفاتحة

* وبعد، فإن أكثر كلامنا في هذا الكتاب إنما هو على من دون الملك الأعظم .
إذ لم يكن في استطاعتنا أن نصِف أخلاقه ، بل نعيّز عن نهاية ما يجب له لو رُمنا
شرحها . وأيضاً فإن من تكلف ذلك بعدنا من الناس بأقصى تكلف وأغور ذهن
وأحد فكر ، فلعله أن يعتذر بمثل اعتذارنا .

وليس لأخلاق الملك الأعظم نهاية تقوم في وهم ، ولا يُحيط بها فكر . وأنت تراها
تتزايد منذ أول ملكٍ ملك الدنيا إلى هذه الغاية . ومن ظن أنه يبلغ أقصى هذا المدى ،
فهو عندنا كمن قال بالتشبيه مثلاً ، وبالجمم معارضة .^(٢)

- ولعل قارئاً يقول : إذا رأنا قد حكينا في كتابنا هذا بعض أخلاق الملوك الماضين
من آل ساسان وملوك العرب : ” قد ناقض وانزع هذا الكتاب ، إذ زعم أنه ليس
لأخلاق الملك الأعظم نهاية . “ فيظلم في اللفظ ويعتدى في المقال . وأولئك الملوك
هم عند ملوكنا كالطبقة الوسطى عند النمط الأعلى . أنت تجد ذلك عياناً وتشهده عينك^(٣)
بياناً . وعلى أن هذه المقالة لا يقوله من نظر في سير من مضى وسير من شاهد .
وبالله التوفيق ! *

(١) وضعنا هذا العنوان لل فقرات الثلاث التالية له المحصورة بين نجمتين * وكلها منقولة عن ص ١٥

(٢) في الأصل وهو ص : كما .

(٣) في الأصل وهو ص : وشهد عليك بياناً .

١٩

باب

في الدخول على الملوك وفيما يجب على الملك إذا دخل الرجل عليه

الاشراف
وسلامهم وقعودهم
وانصرافهم

(١) إن كان الداخل من الاشراف والطبقة العالية، فمن حق الملك أن يقف منه بالموضع الذي لا يئاء عنه ولا يقرب منه، وأن يسلم عليه قائماً. فإن استنداه، قُرب منه فاكب على أطرافه يُقبلها. ثم تنحى عنه قائماً حتى يقف في مرتبة مثله. فإن أومأ إليه بالقعود، قعد؛ فإن كلمه، أجباه بانخفاض صوت وقلة حركة، وإن سكت، نهض من ساعته قبل أن يتمكن به مجلسه بغير تسليم ثانٍ ولا انتظار أمر.

الاورساط
سلامهم وقعودهم
وانصرافهم

وإن كان الداخل من الطبقة الوسطى فمن حق الملك إذا رآه، أن يقف وإن كان نائياً عنه. فإن استنداه، دنا خطى ثلاثاً أو نحوها. ثم وقفت أيضاً، فإن استنداه، دنا نحواً من دُتوه الأول، ولا ينظر إلى ثقب الملك في إشارة أو تحريك جارحة، فإن ذلك، وإن كان فيه على الملك مُعانة، فهو من حقه وتعظيمه،

(٢) وإن كان دخوله عليه من الباب الأول يقابل وجه الملك ويحاذيه. وكان له طريق عن يمينه أو شماله. عدل نحو الطريق الذي لا يقابله فيه بوجهه ثم انحرف نحو مجلس الملك، فسلم قائماً ملاحظاً للملك. فإن سكت عنه، أنصرف راجعاً من غير سلام

(١) أى الداخل.

(٢) صه: لفت.

(٣) هكذا في سه، صه. والمعنى واضح في أن الدخول يكون من أول باب يقابل وجه الملك. ولذلك لم نزوجها لزيادة لفظ "الذي" أو وضعه مكان "الأول".

(٤) صه: عن.

ولا كلام. وإن استنداه، دنا خطي وهو مطرق ثم رفع رأسه. فإن استنداه، دنا خطي أيضا ثم رفع رأسه حتى إذا أمسك الملك عن إشارة أو حركة، وقف (في ذلك الموضع الذي يقطع الملك فيه إشارته) قائما. فإن أوما إليه بالعود، قعد مقيعا أو جاثيا. فإن كلمه، أجابه بانخفاض صوت وقلة حركة وحسن استماع. فإذا قطع الملك كلامه، قام فرجع القهقري. فإن أمكنه أن يستتر عن وجهه بجدار أو مسلك لا يحاذيه إذا ولي، مشى كيف شاء.

٧

وعلى الملك - إذا دخل عليه من يساويه في السلطان والتبع والعز والولادة والبيت - أن يقوم فيخطو إليه خطي ويعاتقه، ويأخذ بيده فيقعه في مجلسه ويجلس دونه. لأن هذه حال يحتاج الملك إلى مثلها من الداخل عليه، إذا زاره. فإن بحسه حفظه ومنعه ما يجب له، لم يأمن الملك أن يفعل به مثل ذلك. ومتى فعل كل واحد منهما بصاحبه ما هو خارج عن النواميس والشرائع، تولد من ذلك فساد وحدثت صفات بين الملوك يقع بسببها التباغض والتعادي والتحاسد. وإذا اجتمع ذلك في المملكة، كان سببا للبوار وداعية إلى التحارب.

استقبال الملك
للساويين له
وتدعيمهم

٨

وعلى الملك - إذا أراد هذا الذي قدمنا صفته الانصراف - أن يقوم معه إذا قام، ويدعو بدابته ليركب حيث يراه، ويشيعه ماشيا قبل ركوبه خطي يسيرة، ويأمر حشمه بالسعى بين يديه.

(١) سره : "ثمنما" بدون إيراد "جاثيا" التي تليها. وأقنع الرجل رأسه نصبه أو لا يلتفت يمينا ولا شمالا وجعل طرقة موازيا - (قاموس) - [وأنظر صفحة ٢٢ من هذا الكتاب].

(٢) صه : الشريعة .

(٣) صه : خدمه .

وعلى هذا كانت أخلاق آل ساسان من الملوك وأبنائهم. وبهذه السياسة أخذهم أردشير بن بابك، فلم تزل فيهم حتى ملك كسرى أبرويز فغيرها. فكان مما اعتد عليه شيرويه، أبنه، في ذكر مثالبه ومعائبه^(١).

وقد قلنا إن من حق الملك أن لا يطيل أحد عند القعود. فإن أخطأ مخطئ في ذلك، فمن إذن الملك له بالانصراف أن يلحظه^(٢). فإذا عرق ذلك فلم يقم، كان من يحتاج إلى أدب، وكان الذي وصله بالملك ظالماً له ولنفسه.

(١) أبرويز هذا كاتبه النبي يدعو للإسلام ففرق نخابه وقال: "يكتب لي هذا، وهو عبيد؟" فدعا عليه النبي بمزني ملكه. استبد بفارس فوثب عليه أبه شيرويه (وهو أيضاً شيرى) فحبسه وأرسل إليه ينحى عليه ما ارتكبه من المثالب والمعايب في رسالة "خشنة يقطر منها الدم في قريحه بأفاعيله" ثم قتله. وأرسل شيرويه بعد أن جلس على سرير الملك كتاباً إلى النبي في جلته: "أما بعد فإني قلت كسرى، ولم أقتله إلا غضباً لقاروس لما كان استعمل من قتل أشرافهم ونجدهم في نفورهم" [ويجبر العساكر حبسهم في أرض العذر وعدم إرجاعهم إلى وطنهم]. هذا ولكن شيرويه لم يظفر بالملك بعد أبيه سوى ستة أشهر فأتى أفاض المؤرخون في وصفها. ومن غريب الاتفاقات التي لاحظها كتاب العرب أن الملك الذي يقتل أباه لا يمضي عليه في الملك سوى ستة أشهر فقط، كما حصل ليزيد بن الوليد بن عبد الملك الأموي، وكما حصل للمتصر العباسي.

ومن غريب الاتفاقات أيضاً أن المتصر هذا قتل أباه المتوكل في نفس الموضع المعروف بالماخورة الذي قُتل فيه شيرويه أباه كسرى أبرويز، وأن المتصر جلس في بعض الأيام على بساط فلن من دنان بالقوش. ومن جملة ما فيه صورة شيرويه على رأسه التاج كأنه ينطق وتحتها ما تعريه: "صورة شيرويه القاتل لأبيه أبرويز الملك. ملك ستة أشهر". وكان من جملة الصور أيضاً صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك، ومكتوب عليها ما تعريه: "صورة يزيد بن الوليد بن عبد الملك قاتل أبين عمه الوليد. ملك ستة أشهر". وقد أمر بعض المقرئين بإحراق هذا البساط النفيس حتى لا يتفطن الخليفة لما فيه من العبرة، ولكن أبي الله إلا أن يكون ثالث الثلاثة. (الفاصيل في "غرر أخبار القرم" ص ٧١٢-٧٣٨؛ والطبرى سلسلة ص ٤٣، ١٠٦، ١٠٧، ١٥٧٤؛ وسلسلة ص ٣، ٤٩٦؛ وأبن الأثير ج ١ ص ٣٦١؛ والمسعودي ج ٧ ص ٢٩٣ وما يليها؛ وفي "المحاسن والمساوي" ص ٥٩٢-٥٩٣). وفيه أيضاً أن أبرويز أنتم لنفسه قبل أن يموت فوضع ثماً في حقه وكتب عليها ما يفرى الإنسان بالتناول مما فيها. فلما رآها شيرويه تعاطى منها فكانت طه التي أعقبا هلاكه (ص ١٣٨).

[وأظهر ص ١٠٩ من هذا الكتاب]

(٢) في س، ص: "فمن إذن له الملك بالانصراف أن يلحظه". وقد صححت الرواية ليستقيم الكلام.

باب في مطاعمة المملوك

تخفيف الأكل
بمطعمة الملك

ومن حق الملك - إذا تبدل مع أحدٍ وأنعم به حتى طاعمه - أن لا ينسقط بين يديه في مطعمه . فإن في ذلك خللاً مذمومة :

منها ، أن أنبساطه يدل على شرهه ؛

ومنها ، أن في ذلك سوء أدب وقلة تمييز ؛

ومنها ، أن فيه جرأة على الملك ببسط اليد ومدّها وكثرة الحركة .

وليس في كثرة الأكل مع الملك معنى يُحمد ، إلا أن يكون الأكل كميّنة التّرايس أو حفصاً^(١) الذين إنما يحضرون لكثرة الأكل فقط . فاما أهل الأدب وذوو المروءة ، فإنما حظهم من مائدة الملك المرتبة التي رفعهم إليها والأُنس الذي خصهم به .

(١) أورد المسعودي هذين الأسمين هكذا : "ميسرة التّمار" و"حاتم الكيال" . وسمى طابع الإشبيلية أولها "ميسرة البراش" . وقد أوردنا ، هما والرابع الإصفهاني ، نوادر كثيرة لطيفة للشاهير الأكلة تكفي بالإشارة إلى مواطنها للرجوع إليها . ونذكر فقط أسماءهم بالترتيب ، وهم : أبو الحسن بن بكر المتوفى الشاعر ، أبو العالية ، أبو مرة ، أحمد بن أبي خالد الأحمول ، أحمد بن أبي ذؤاد ، إسحاق العماني ، بسرة الأحمول ، بلال بن أبي بردة ، الحجاج بن يوسف الثقفي ، حصص (أو حاتم) الكيال ، درواس ، دروق القصاب ، زقمان ، سليمان بن عبد الملك (الخليفة الأموي) ، المادل الأيوبي (سلطان مصر) ، عبيد الله بن زياد بن أبيه ، عمرو بن مغد يكر ، قاسم التّمار ، قنف الملقم ، محمد بن إسحاق بن إبراهيم المصمعي ، مزود ، معاوية بن أبي سفيان (الخليفة الأموي) ، ميسرة (البراش أو التّراس أو التّمار) ، هلال بن الأسمر ، هلال بن سعد المازني ، هلال بن مسعر التيمي ، وزوجته ، الواق (الخليفة العباسي) . (أنظر "المقد العريد" ج ٣ ص ٣٨٤ - ٣٨٦ ؛ و"مروج الذهب" طبع باريس ج ٥ ص ٤٠١ و ٤٠٢ ر ج ٦ ص ٢١٥ - ٢١٨ ر ج ٧ ص ١٧٠ ، و ج ٨ =

- * قال: وحديثي إبراهيم بن السندی^(١) [بن شَاهِك] عن أبيه، قال: دخل شابٌ من بني هاشم على المنصور، فاستجلسه ذات يوم ودعا ببنائه، وقال للفتى^(٢): أذنته. فقال الفتى: قد تغذيت. فكف عنه الربيع حتى ظننت أنه لم يفتن لخطئه. فلما نهض للخروج، أمهله. فلما كان من وراء الستر، دفع في قفاه. فلما رأى الجباب ذلك منه، دفعوا في قفاه حتى أخرجوه من الدار. فدخل رجالٌ من عمومة الفتى فشكروا الربيع إلى المنصور. فقال المنصور: إن الربيع لا يقدم على مثل هذا، إلا وفي يده حجة؛ فإن شتم أغضيتكم على ما فيها، وإن شتم سألته وأتم تسمعون. قالوا: فسأله! فدعا الربيع، وقصوا قصته. فقال الربيع: "هذا الفتى كان يُسلم من بعيد وينصرف. فاستدناه أمير المؤمنين، حتى سلم عليه من قريب، ثم أمره بالجلوس. ثم تبدل بفضيلة المرتبة^(٣) التي صيره فيها أن قال حين دعاه إلى طعامه: "قد فعلت." وإذا ليس عنده ليمن^(٤) أكل مع أمير المؤمنين إلا سدّ خلة الجوع. ومثل هذا لا يقومه القول دون الفعل".

- = ص ١١٠؛ و"كتاب المغلاة" لملاحظ ص ٢١٥ و ٢١٦؛ و"الأعاني" ج ٢ ص ١٨١ - ١٩٠؛ و"شذرات الذهب في أخبار من ذهب" ج ١ ص ١٢٧، والفصل السادس من الباب الثاني من القسم الثالث من الفن الثاني من "نهاية الأرب في فنون الأدب" للنويري؛ و"المستطرف" ج ١ ص ٢١٤ و ٢١٥؛ و"مطالع البدور في أزل السرور" ج ٢ ص ٥٧؛ و"محاضرات الراغب" ج ١ ص ٣٩٢؛ والطبري سلسلة ٣ ص ١٤٠٤؛ و"بدائع الزهور" لأبي إياس (جزء ١ ص ٧٧) و"شرح المقامات" للشرشي ج ١ ص ٢٣٧ و ٢٤١ و ٢٤٢؛ وكذلك "الأعاني" (في فهرسه عن بعض الأسماء التي أوردناها). هذا وقد صنف المدايبي كتاباً في "أخبار الأسمكة" ذكره "صاحب الفهرست" ص ١٠٤ ولم يصل إلينا سوى اسمه فيما أعلم.
- (١) ذكره في "تاج العروس" في مادة س ن د، وأورد له شعراً.
- (٢) هو محمد بن عيسى بن علي الهاشمي [كما في "المحاسن والمساوي"].
- (٣) أي الفتى. [وروي الملاحظ هذه الحكاية بهذه الألفاظ عن إبراهيم بن السندی عن أبيه في كتاب "البيان والتبيين" ج ٢ ص ٣٨ - ٤٨]
- (٤) أي الخليفة.
- (٥) هذه الفقرة المضمومة بين النجمتين * منقولة عن ص. وقد أوردتها صاحب "المحاسن والمساوي" بعبارة أخرى (ص ١٧٢).

حدثني أحمد بن عبد الرحمن الحراني^(١)، قال: "كنتُ أحضر على ما ئدة إسحاق^(٢) ابن إبراهيم، أنا وهاشم ابن أنحى الأبرد والناقدي. فكنتُ أعدُّ على ما ئدته ثلاثين^(٣) طائراً. فأما الحُلُو والحامض والحار والقار^(٤)، فأكثر من أن أحصيه. فلا نرأ^(٥) من ذلك كله إلا مقدار ما يأكل الطائر. إنما نكسر الخبز بأظفارنا. " قلتُ: فما كان يُنشطكم؟ قال: لا، ولو فعل ما فعلنا. قال: فما هو إلا أن تتوارى عن عينه حتى نتهب.

وكذلك يجب للملوك أن لا يشرو أحدًا إلى طعامهم، ولا يكون غرضه أن يملأ بطنه وينصرف إلى رحله^(٦): إلا أن يكون الأكل أخا الملك أو ابنه أو عمه أو ابن عمه، أو من أشبه هؤلاء؛ ويكون أيضا ممن يُقصر بعد الأكل^(٧) ويُطيل المنادمة، ويُجعل ما يأكل غذاء يومه وليلته، إذ كان لا يمكنه الانصراف متى شاء^(٨).

عقوبة الشرع
عند الفرس

وكانت ملوك فارس، إذا رأت أحدًا في هذه الحال التي وصفنا من شره المطعم والنهم، أنخرجوه من طبقة الجدة إلى طبقة الهزل، ومن باب التعظيم إلى باب الاحتقار والتصغير.

(١) سه: عبد الرحيم. ورواية سه ربما كانت أصح، فقد ذكر الطبري رجلا بهذا الاسم (سلسلة ٣ ص ٢٣٨١) ووصفه بالراوى.

(٢) هو الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبى حاكم بغداد في أيام المأمون والمعتصم والوائق وهو الذى سيرد ذكره كثيرا في هذا الكتاب.

(٣) سه: "الحراني قال كنت أعد على مائدة ثلاثين". والتكثير عن سه.

(٤) سه: والبارد.

(٥) أى: نُصيب منه. يقال: إنه لقليل الرزق من الطعام، أى قليل الإصابة منه. (تاج العروس)

(٦) يئنسه.

(٧) سه: "هؤلاء. ولا يكون إلا من يقم بعد الأكل".

(٨) روى هذه الآداب بزيادة واختصار في "محاسن الملوك" (ص ٢٩) وأورد فيها قولهم: "موائد الملوك للشرف لا للسرف".

والملك - وإن بسط الرجل ل طعامه - فمن حقّه على نفسه وجبّ الملك عليه أن لا يترك استعمال الأدب ولا يميل إلى ما تهوى طبيعته ، فإنه من عُرف بالشره ، لم يجب له أسم الأديب ، ومن عُرف بالثَمّ ، زال عنه أسم التمييز .

وإذا وضع الملك بين يدي أحد طعاماً ، فليعلم ذلك الرجل أنه لم يضعه بين يديه ليأتي عليه ، بل لعله - إن كان لم يقصد بذلك إلى إكرامه أو مؤانسته - أن يكون أراد أن يعرف ضبطه نفسه ، إذا رأى ما يشتهى من بسطه لها .

وحسب الرجل ^(١) - إذا أتحفه الملك ب تحفة على مائدته - أن يضع يده عليها ، فإن ذلك يميزه ^(٢) ويزيد في آدابه ^(٣) .

ألا ترى إلى معاوية بن أبي سفيان حين وضع بين يدي الحسن عليه السلام دجاجة فقهما ^(٤) ، نظر إليه معاوية فقال : هل كان بينك وبينها عداوة ؟ فقال له الحسن : هل كان بينك وبين أمها قرابة ؟ ^(٥)

بين معاوية والحسين
أبني علي بن عثمان
دجاجة

(١) صه : ويجب على الرجل .

(٢) أى يكفيه .

(٣) أورد صاحب "معادن الملوك" هذه الآداب المتقدمة مختصرة في باب أدب مؤاكلة الملوك . (ص ٢٩)

(٤) صه : "بين يدي سيد حليل دجاجة" .

(٥) صه : "وبين أمها؟" .

وقد روى هذه الحكاية صاحب "المستعارف" وعلق عليها قوله : "أراد معاوية أن الحسن يوقر مجلسه كما توقر

بجالس الملوك ، والحسن أعلم منه بالآداب والرسوم المستحسنة" . (ج ١ ، ص ٢١٣)

(٦) تفدى رجل مع بعض الرؤساء ، فقدّم إليه جدياً ، فبغى لئيم فيه . فقال له الرئيس : إناك لتزقه حتى

كأن أباه يهيجك ! فقال له : وأنت تَشفق عليه كأن أمه أوصتكَ . ففعل وأنتقطع . (أفطر "مطالع البدر

في منازل السرور" ج ٢ ص ٥٢)

ضياقات معاوية
في عاصمته وسائر
قواعد مملكته

إك هذا الكلام الذي دار بينهما قد قرح في قلب كل واحد منهما ، ومعاوية لم
يفل هذا القول ، لأنه كان يعظم عليه قدر الدجاجة .

فكيف يكون ذلك ، وهو يكتب إلى أطرافه وعماله وإلى زياد بالعراق بإطعام
السبلة والفقراء وذوى الحاجة ، وله في كل يوم أربعون مائدة يتقسمها وجوه جند
الشام ؟ ولكن علم أنت من حق الملك توقيه مجلسه وتعظيمه . وليس من التوقير
والتعظيم مد اليد وإظهار القرم وشدة النهم وطلب التشيع بين يدي المملوك وبجهرتها ،
وعلى هذا كانت ملوك الأعاجم من لدن أردشير بن بابك إلى يزيد حرد .^(١)

اختبار سابور لرجل
رئحه لقضاء القضاة

ويقال إن سابور ذا الأكتاف ، لما مات مؤبذان مؤبذ ، ووصف له رجل من
كورة لصطخر ، يسلح قضاء القضاة في العلم والتأله والأمانة . فوجه إليه . فلما قدم ،
دخل عليه . ودعا بالطعام ودعاه إليه . فدنا فأكل معه . فأخذ سابور دجاجة فنصفها .

(١) معناه جرح . وفي سـ : " قدح " .

(٢) هو زياد ابن أبيه الذي استلحقه معاوية بيته . وأخباره مشهورة معلومة تكفلت بها كتب التاريخ
والأدب . (وأنظر " العقد الفريد " ج ٣ ص ٢ - ٦) . وهو أول من أخذ الناس بقانون المعجم (محاضرة
الأوائل ومسامرة الأواخر) . ولدا بني كتاب في أخباره ، وكتاب في ولده ودعوتيه (عن المهرست ومعجم الأدباء
لياقوت) . ولهم بن عدى كتاب في أخباره ويسميه (في الفهرست) زياد بن أمية ، وذلك تصحيف
من النسخ أو الطابع ، وإلا فلا خلاف في أنه زياد ابن أبيه .

(٣) بعضهم يضبط هذا الاسم بفتح الجيم وبعضهم بكسرها ، وطائفة تقول بالروايتين . والصواب الكسر
دون سواه ، وهو الذي أعتمد الإمام الذهبي في كتاب " المشتبه في الأسماء " ، وكذلك العلامة وتشاردسن
في معجمه القاري العربي الإنكليزي .

(٤) تعريب شاه بور . وسماه العرب ذا الأكتاف لأنه أنصرف عليهم فخلع أكتافهم .

(٥) أي قاضي القضاة في دولة الفرس قبل الإسلام . وبقية وظيفة المرئوس أي القاضي إلى أواخر الدولة
العباسية ، للقيام بأمر المحروس الذين دخلوا في الذمة .

ووضع نصفها بين يدي الرجل ونصفها بين يديه . ثم أوما إليه أن كُل من هذه ، ولا تخلط بها طعاماً ، فإنه أمرأ لطعامك وأخف على معدتك . وأقبل سابور على النصف ، فأكل كنعو ما كان يأكل . ففرغ الرجل من النصف قبل فراغ سابور . ثم مَدَّ يده إلى طعام آخر ، وسابور يلحظه .

- ٥ فلما رُفعت المائدة قال له : ودّع وأنصرف إلى بلدك ! فإن آباءنا وسلفنا من الملوك كانوا يقولون : ” من شَرِه بين يدي الملك إلى الطعام كان إلى أموال الرعية والسوقة والوضعاء أشدَّ شرهاً . “ فلم يستكفه على ما كان أحضره له ^(٢) ومن حقَّ الملك أن لا يرفع أحداً إليه طرفه ، إذا أكل ، ولا يحرك يده منه في صحفة . ومن قوانين الملك أن توضع بين يدي كل رجل صحفة فيها كالذي بين يدي الملك من طعام غليظ أو دقيق أو حار أو قار ، ولا ينخس الملك نفسه بطعام دون أصحابه . ١٠ لأن في ذلك ضعة على الملك ودليلاً على الاستئثار .

١٢

مدم النظر للملك
عند مواكبه

التسوية بين الملك
و بين مدعويه

- (١) في سه : لم يستكفه . ولعلها محرومة عن ” لم يستكفه “ بمعنى أنه لم يطلب كفايته لمؤونة العمل ، وكثيرا ما يستعمل الجلاحظ وصيره ، استكفاء بمعنى رلاه [انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٨٦] ومن هذه المادة ” الكفاءة “ وهم العمال أهل القدرة على العمل والنهوض به . [انظر ص ٥٠ ص ٧٠ ص ١١٠ من هذا الكتاب] ، وربما أيضا ” كافي الكفاءة “ لوظيفة كبيرة كانت في الدولة الإسلامية . يؤيد ذلك أنه قيل لعروة بن عديّ ابن حاتم (وهو صبي) في وليمة كانت لهم : قف بالباب ، فأجبت من لا تعرف وأدخل من تعرف . فقال : والله لا يكون أول شيء استكفيه منع الناس عن الطعام ! (طراز المجالس للشهاب الخماجي ص ٩٢) . هذا . وربما يجوز أن تكون محرومة عن ” يستكفه “ أي ” يبعده كفؤا “ . والذي في صه : ” فلما رُفعت المائدة إليه إلا أن تغسل ويحدد “ . [وليس للجملة بقية ، وهي مبتورة ومشقة ، كما ترى] .
- (٢) وردت هذه القصة بحروفها ما عدا بعض ألفاظ في صهيقي ٢٦ و ٢٧ من كتاب ” تنبيه الملوك ” والمكايد . وهي مختمة بهذه العبارة : ” فلم يستكفه لما كان أحضره إليه وعول فيه عليه “ . ووردت أيضا مبتورة في ” محاسن الملوك “ (ص ٢٩ و ٣٠)

- ومن حقَّ الملك أن لا يغسل أحدٌ بحضرتة يديه من خاصته ويطاتته، إلا أن^(١)
يكون معه من يساويه في الجاه والعز والبيت والولادة. فقد بينا ما يجب لأولئك أنفاً.
- ومن العدل أن يُعطى الملك كلُّ أحدٍ قسطه، وكلُّ طبقةٍ حقها، وأن تكون شريعةُ
العدل في أخلاقه كشرعية ما يقتدى به من أداء الفرائض والنوافل التي تجب عليه
رعايتها والمثابرة على التمسك بها، وإيناس الناس في بسط أيديهم في الطعام حتى
يسوي في ذلك بين الملوك والنمط الأوسط والعامة.
- وليس أخلاق الملوك كأخلاق العامة، وكانوا لا يشتبهون في شيء. وإنما تحسن كثرة
الأكل مع الصديق والعشير والمساوي في منازل الدنيا من الرفعة والضعة. فأما
الملوك فيرتفعون عن هذه الصفة ويمجّلون عن هذا المقدار.
- ومن حقَّ الملك - إذا رفع يديه عن الطعام - أن ينهض عن مائدته كلِّ من الحاف^(٢)
بها حتى يتواروا عنه بجدارٍ أو حائلٍ غيره. فإن أراد الدخول، كان ذلك بحيث لا يرون
قيامه، وإذا أراد القعود لهم، دخلوا إليه بإذنٍ ثانٍ.
- ومن قوانين الملك أن يكون منديل غمره كمنديل وجهه في النقاء والبياض، وأن
لا يعاد إليه إلا أن يغسل أو يُجَدَّد.

غسل اليد
الملك

إيناس
الملك له

١٤

مباينة الملوك
سواء

قيام
عن

منشفة

- (١) أنظر في الحاشية التي في ص ١١٦ ما كان يفعله ابن دأب من غسل يده في حضرة الخليفة الهادي.
- (٢) في سم: "بقسطه". وليست هذه الفقرة واردة في سم.
- (٣) في سم: "لا يشتبهون في شيء". وليست هذه الفقرة واردة في سم.
- (٤) أراد "الحائرين" فوضع المفرد في موضع الجمع، لاستعمال "أل" التي للجنس. ومثل ذلك كثير في عبارات البلغاء.
- (٥) في سم: "غمره" بالمهمل. ومساوبه بالمعجمة، والفتر بالتحريك زخم اللحم وما يعلق باليسد من دمه. وهو يائل ما نسيه الآن في مصر: فوطه الدفر. وليست هذه العبارة واردة في سم.

ومن حقَّ الملك أن لا يُحدِّث على طعامه بِحدِيثٍ جَدٍّ ولا هزِلٍ . وإنِ ابتدأ بِحدِيثٍ ، فليس من حقِّه أن يُعارض بِمِثْلِهِ ، وليس فيه أكثر من الاستماع لحدِيثِهِ ، والأبصارُ خاشعةٌ .

حديث الملك
على الخائفة

ولشيء ما كانت ملوك آل ساسان - إذا قُدِّمَتْ موائدُهم - زمزموا عليها ، فلم ينطق ناطقٌ بِمُحَرِّفٍ حتَّى تُرفع . فإن اضطُروا إلى كلام ، كان مكانه إشارةً وإيماءً يدلُّ على الغرض الذي أرادوا والمعنى الذي قصدوا^(١) .

زمزمة الفرس على
الطعام وامتاعهم
عن مطلق الكلام



(١) الزمزمة : تراطُّنُ العلوج على أكلهم ، وهم صُمُوتٌ ، لا يستعملون لساناً ولا شفة في كلامهم ؛ لكنَّه صوتٌ تُديره في خياشيمها وحلقها ، فيفهم بعضها عن بعض . وقد زمزم العليج ، إذا تكلف الكلام عند الأكل ، وهو مُطَبَّقٌ فيه . وقال الجوهري : الزمزمة كلام المجوس عند أكلهم . زاد ابن الأثير [في النهاية] : هموت خفي (عن تاج العروس) . وذلك يرادف قول الفرنسيين Marmotter .

١٠

قال في مروج الذهب : ” ذكروا أن كيومرث هو أزل من أمر بالسكوت عند الطعام ، لتأخذ الطبيعة بقسطها ، فيصلح البدن بما يرد إليه من الغذاء . وتسكن النفس عند ذلك ، فتدبر لكل عضو من الأعضاء تدبيراً يودِّي إلى ما فيه صلاح الجسم من أخذ صفو الطعام . فيكون الذي يرد إلى الكبد وغيره من الأعضاء للقبالة للغذاء ما يناسبها وما فيه صلاحها . وإن الإنسان متى شغل عن طعامه بضرب من الضروب ، أنصرف قسط من التدبير وجزء من التغلّي إلى حيث أنصباب الهمة ووقوع الاشتراك ، فأضرَّ ذلك بالنفس الحيوانية والقوى الإنسانية . وإذا كان ذلك دائماً ، أدَّى ذلك إلى مفارقة النفس الناطقة المميّزة العكبرية لهذا الجسد المرقّي . وفي ذلك ترك للحكمة ونروج عن الصواب . “ (مروج الذهب طبع باريس ج ٢ ص ١٠٨ - ١٠٩)

١٥

وأقول إن عادة العرب والإفرنج قد جرت على خلاف ذلك .

وبمناسبة الزمزمة ، نروى ما حكاه ابن النديم في كتاب ” الفهرست ” (ص ١٩) عن الجاحظ في ” البيان والتبيين ” إن ” للزنج خطابة وبلاغة على مذهبهم وبلغتهم ، وإن من رأى ذلك وشاهده قال إذا حزبتهم الأمور ولزتهم الشدائد ، جلس خطيبهم على ما علا من الأرض وأطرق ، وتكلم بما يشبه الدمدمة والهمهمة ، فيفهم عنه الباقرن . قال الجاحظ : وإنما يظهر لهم في تلك الخطابة الرأي الذي يريدونه فيعملون عليه . والله أعلم . “

٢٠

وكانوا يقولون: "إن هذه الأطعمة بها حياة هذا العالم، فينبغي للإنسان أن يجعل ذهنه في مطعمه ويشتغل بروحه وجوارحه فيه، لأن تأخذ كل جراحة بقسطها من الطعام، فيفتدي بها البدن والروح الحية التي في القلب والطبيعة التي في الكبد، أغتذاء تاماً، وتقبله الطبيعة قبولاً جامعاً."

وفي ترك الكلام على الطعام فضائل كثيرة هي في آيهم تركها، إذ كانت ليست من جنس كتابنا هذا.

(١) دسر: وفي ترك الكلام فضائل.

(٢) الآيين كلمة فارسية عربها العرب واستعملوها. ومعناها القانون والمادة. (أنظر ص ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب)

قال السيد صديق بن حسن خان في "لف القيايم" في تصحيح ما تستعمله العامة من العرب والدجيل والمولد والأغلاط: "ما نصه: "آيين بمعنى المادة. وأصل معناه السياسة المسيرة بين فرقة عظيمة. أجمع عرب المولدون. وفي الكشف: ليس من آيين الملوك استراق الظفر." وعلى هامشه للسيد نور الحسن مانصه: "أى في سورة النمل. قبل لدى القرنين: ثبت على العدو. قال: ليس من آيين الملوك استراق الظفر. وقال: ميار في قصيدته:

يَجْمَعُ الْخَرِيَّتُ حَوْلًا أَمْرَهُ * وَهَوَّمُ بِأَخْذِهَا آيِيَهُ"

وهاتان العبارتان مقلولتان بدون تنبيه عن "شفاء الغليل" للحفاجي. والخرييت هو الدليل البصير بالطريق. وكلمة "آيين" لا تزال مستعملة إلى الآن بهذا المعنى عند الفرس والأتراك. وفي المعجم الفارسي العربي الانكليزي تأليف وتشاردسن مانصه:

آيين = An institution, rite, custom, or ordinance, canon, usage, prescription. Common law (in contradistinction to the laws delivered by Muhammed, and which are called (شرح). Mode, form, manner.

ولا يبرأ هذا الاسم ذكره صاحب المهرست. وكلام المحافظ هنا يدل على كتاب بعينه ضمنه الفرس بجمع القوانين والعادات والأصطلاحات المقررة عندهم. والى "آيين الأكامرة" أشار البيروني في "الآثار الباقية عن القرون الخالية" (ص ٢١٨)

* قال: وحدثني بعض المحدثين قال: قال بعض الأمراء: سأخذه بلال بن أبي بردة^(١) لأبي نوفل الجارود بن أبي سبرة^(٢):

ماذا تصنعون عند عبد الأعلى^(٣) [بن عبد الله بن عامر بن كريز القرشي]، إذا كنتم عنده؟ قال: نشاهد أحسن حديث وأحسن آستماع^(٤)، ثم يأتي الطباخ فيتمثل بين عيبيه، فيقول: ما عندك؟ فيقول: عندي لون كذا، ودجاجة كذا، ومن الحلواء كذا.

قال: ولم يسأل عن ذلك؟

قال: ليقصّر كل رجل عما لا يشتهي، حتى يأتيه بما يشتهي. قال: ثم يؤتى بالخوان، فيتضايق ويتسع، ويقصر ويجهتد، فإذا آستغنى^(٥)، خوى تحوية الظلم ثم أكل أشكل^(٦) الجائع الموقور^(٧).

قال: والجارود هذا هو الذي قال: "سوء الخلق يفسد العمل، كما يفسد الخلق العبل"^(٨).

(١) كان أميراً على البصرة وكان قاضياً، وهو أول من جازى في القضاء. كان يقول: إن الخصبين يتقدمان إلى فأجد أحدهما أخف على قلبي من الآخر، فأقضى له. (محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر). وكان مع ذلك كريماً مدح ذرأته والخطبة. وأظهر ترجمته في خزنة الأدب البغدادي (ج ١ ص ٤٥٣)، وله في "الأغانى" و"كامل" المبرد ذكر كثير (أنظر فهرسها).

(٢) المذلل البصري. صدوق. توفي سنة ١٢٠ (تقريب التهذيب للمافظ السقلافي ص ٢٨).

(٣) الزيادة عن "العقد الفريد" وفهرس الطبري.

(٤) في الأصل وهو ص: فشاهدنا.

(٥) انلوا وانلوا: الجوع. وانلوى وانلوا: خلل الجوف من الطعام. ونحوى ونحوا: شابع

عليه الجوع. ونحوى الطائر تحوية بسط جناحيه، وذلك إذا أراد أن يقع (عن تاج العروس). وأمل هذا المعنى الأخير هو الذي أراده الجاحظ، لأنه في كتاب الحيوان يلحق النعام بالطير.

(٦) الذكر من النعام.

(٧) روى هذه الحكاية صاحب "العقد الفريد" بزيادة ونقص في الألفاظ والمعاني (ج ٣ ص ٣٨٢).

(٨) هذه الفقرات المحصورة بين نجمتين * * مقولة عن ص.

باب في المنادمة

مراتب الندماء
واحتياج الملوك
لجميع الطبقات

ومن أخلاق الملك أن يجعل نُدماءه طبقات ومراتب، وأن يُخصَّص ويُعَمَّ، ويقرب ويباعد، ويرفع ويضع، إذ كانوا على أقسام وأدوات^(١).

فإننا قد نرى الملك يحتاج إلى الوضيع للهوى، كما يحتاج إلى الشجاع لبأسه؛ ويحتاج إلى المضحك لحكايته، كما يحتاج إلى الناسك لعظته؛ ويحتاج إلى أهمل الهزل، كما يحتاج إلى أهل الحدة والعقل؛ ويحتاج إلى الزامر المطرب، كما يحتاج إلى العالم المتقن^(٢).

وهذه أخلاق الملوك أن يحضروهم كل طبقة، إذ كانوا يتصرفون من حال جيد إلى حال هزل، ومن ضحك إلى تذكير، ومن هوى إلى عظة.

فكل طبقة من هذه الطبقات تُرفع مرةً وتُحطُّ أخرى، وتُعطى مرةً وتُحرم أخرى، فلا الأشراف والعلماء. فإن الذي يجب لهم رفعة المرتبة وإعطاء القسط من الميزة^(٣) والنصفة عند المعاشرة، ما لزموا الطاعة ورعوا حقها.

(١) كذا في ص، سم. [والسياق يقتضى معنى المراتب.]

(٢) ص: والنبل.

(٣) ص: المفتى. قال في "مهاسن الملوك" (ص ٤٣): "ولما كان الملك محتاجا إلى أصطناع الرجال لتأجته إلى أصطفاء الأموال، وجب أن يُخَيَّر لمسامرته من يكون طيب الأمرار، باعنا على مكارم الأخلاق؛ ولكنه قد يحتاج إلى المطرب المنهى كما يحتاج إلى العالم المفتى. لأنه يحتاج إلى أن يتصرف بين الهزل والجد لما هو بصدده من التعب في النظر في أمر الجمهور".

(٤) ص: المرتبة.

وليس من حقّ الملك أن يبرّح أحد من مجلسه إلا لقضاء حاجة . فإذا أراد ذلك ، فمن الواجب أن يلاحظه . فإن سكت الملك ، قام بين يديه ثم لاحظته . فإن نظر إليه ، مضى لحاجته . فإذا رجع ، قام مائلاً بين يديه أبداً ، وإن طال ذلك ، حتى يؤمّ مع إليه بالعود . فإذا قعد ، فمقبياً أوجائياً . فإن نظر إليه بعد قعوده ، فهو إذنه له بالتمكّن في قعوده .

آداب الخروج
من حضرة الملك
والرجوع إليها

وليس له أن يختار كمية ما يشرب ولا كيفيتها ، إنما هذا إلى الملك . إلا أن من حقّه على الملك أن يأمر بالعدل عليه والنصفه له ، ولا يجاوز به حدّ طاقته ولا وسع استطاعته ، فيخرج به من ميزان القسط وحدّ القصد : لأنه لا يأمن أن يتلف نفسه ، وهو يحيد إلى إحيائها سبيلاً .

كمية الشرب
وكيفيته موكّلتان
للك ، وطيه العدل

ومن أخلاق الملك السعيد أن يحرص على إحياء بطانته ، حرصه على إحياء نفسه ، إذ كان بهم نظامه .



وإذ قد آتينا إلى هذا القانون من القول ، فبنا حاجة إلى الإخبار عن مراتب الطبقات الثلاث من الندماء والمغنيين ، وإن كانت مراتبهم في كتاب الأغاني ^(٣) محصورة ، فقد يجب ذكرها في هذا الموضع أيضاً ، لأنها داخلة في أخلاق الملوك .

طبقات الندماء
المغنيين عند القصر
وفي الإسلام

(١) كذا في سـ ، صـ "يرج أحد من مجلسه" بتعديده يرج بمن . والذي في كتب اللغة تعديته بنفسه . على أن بعض أكابر أهل الأدب قد يمتدّون هذا الفعل بحرف "من" كما فعل الجاحظ هنا . فقد ورد في التبريزي "لم يرج من مكانه" و "ما برحت من مكان كذا" (شرح الحاشية للتبريزي طبع أوربة ص ١٩٤ و ٢٥٠) وفي الأغاني "ما أنا بأرج من بابها" (ج ٢ ص ١٣٧) . وفي "الحامس والمسار" قوله : لا أريج من بغداد (ص ١٩٣) . [أنظر ص ١٤٤ من هذا الكتاب] .

(٢) سـ : قعد مقنما . [أنظر الحاشية ١ ص ٨ من هذا الكتاب] .

(٣) ليست الإشارة هنا إلى كتاب الأغاني المشهور الذي لإبي الفرج الأصفهاني . فقد توفّي الجاحظ سنة ٨٢٥ هـ ، وكانت وفاة أبي الفرج في سنة ٣٥٦ . ولا بد أن الجاحظ يعني كتاباً للفرس أو سوزراً آخر =

ولنبداً بملوك الأتاجم، إذ كانوا هم الأول في ذلك، وعنهم أخذنا قوانين الملك
والملكة وترتيب المناصب والعامة، وسياسة الرعية، وإلزام كل طبقة حفظها والاقتصار
على جديلتها.

كان أردشير بن بابك أول من رتب الأندماء وأخذ بزمام سياستهم، فجعلهم
ثلاث طبقات:

من أسفار الاغانى التي كانت متداولة في صدر الدولة العباسية كما تدل عليه عبارة الاسفهانى في مقدمته .
هذا وقد أشار المسعودى (مروج الذهب ج ٦ ص ١٠) الى كتاب الاغانى ولم يقيده بشئ آخر
من حيث ذكر المؤلف أو غيره . فلهذا هو نفس الكتاب الذى يشير اليه الجاحظ . لان المسعودى فرغ من
مروج الذهب فى سنة ٣٣٦ أى قبل وفاة أبى الفرج الاسفهانى بعشرين سنة . وهو لم يعرف المسعودى
ولم يشير اليه ولا الى مؤلفاته مطلقاً فى كتبه التى بلغتنا .

ويتلخص مما ذكره المسعودى وأبو الفرج الاسفهانى فى هذا الموضوع : أولاً - أن إبراهيم بن المهدي
المعروف بأبن قيسكة (وهى جارية فارسية أقرتها الخليفة المهدي) صنف كتاباً فى الاغانى . وهو أول كتاب
فى هذا المعنى وصلنا خبره ، غير الذى يشير اليه الجاحظ والمسعودى ؛ ثانياً - أن الرشيد أمر إبراهيم الموصلى
واسماعيل بن جامع وقلبيح بن العمراء فألقوا له كتاباً فى الاغانى وضمنوه المائة الصوت المختارة ؛ ثالثاً - أن
كتاب هؤلاء الثلاثة وقع الى الواثق ، فأمر إسماعيل بن إبراهيم الموصلى بتأليفه وتوسيعه . وقد روى صاحب الاغانى
(أبى أبا الفرج) أن هذا الكتاب ليس من تأليف إسماعيل بل هو مصطنع عليه ومنسوب اليه ، وأورد حججاً تؤيد
ذلك فى مقدمة كتابه . ولكن المسعودى ذكره باعتبار أنه من تأليفه .

(١) "صه : وعنهم أخذنا آيين المملكة" [وانظر الحاشية ٢ ص ١٩ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب .]
(٢) هذه الكلمة وردت فى سه مهملة من النقط هكذا : "جد لمسا" . وفوقها كلمة "كذا" .
وقد اعتمدنا رواية صه . وفيه تفسيرها بقوله : "شأ كلتها" . وهذا التفسير منقول عن القاموس .

(٣) من هنا الى قوله "أنت يا فلان كذا وكذا" فى ص ٢٩ من هذا الكتاب نقله المسعودى فى "مروج
الذهب" بالحرف الواحد تقريباً ، ولم يشر الى أنه نقل هذه البيانات عن التاج الجاحظ . وقد جرى هو وغيره
على هذه العادة فى كثير من العبارات ، كما ستراء فيما يرد عليك من الحواشى . وقد زاد فى هذه العبارة التى نحن
بصددها ألفاظاً تزيد المعنى وضوحاً ، وضم إليها معلومات أخرى . (انظر مروج الذهب طبع باريس ج ٢

ص ١٥٣ - ١٥٩ ، وطبع بولاق سنة ١٢٨٢ ح ١ ص ١١٧ - ١١٨)

فكانت الأساورة وأبناء الملوك في الطبقة الأولى^(١). وكان مجلس هذه الطبقة من الملك على عشرة أذرع من الستارة.

ثم الطبقة الثانية، كان مجلسها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بطانة الملك وندماؤه ومحدثوه من أهل الشرف والعلم)؛

- ثم الطبقة الثالثة، كان مجلسهم على عشرة أذرع من الثانية، وهم المضحكون وأهل الهزل والبطالة. غير أنه لم يكن في هذه الطبقة الثالثة خسيس الأصل ولا وضعفه ولا ناقص الجوارح ولا فاحش الطول والقصر ولا مؤوَّف ولا مرمى بأُتنة ولا مجهول الأبوين ولا ابن صناعة دنيئة، كآبن حائك أو حجام، ولو كان يعلم الغيب مثلاً.

(١٧)

- وكان إردشير يقول: "ماشئ أضرَّ على نفس ملك من باشه سنجيد، أو مخاطبة وضعيع. لأنه كما أن النفس تصلح على مخاطبة الشريف الأدب، الحسيب كذلك تفسد بمعاشرة الدنيء الخسيس، حتى يقدح ذلك فيها ويؤبِّلها عن فضيلتها، وكما أن الريح، إذا مرت يطيِّب، حملت طيباً تحيا به النفس وتقوى به جوارحها، كذلك إذا مرَّت بالثَّن فحملته أَلَمَتْ له النفس وأضرَّ بأعلاقتها إضراراً تاماً." ^(٢)

(١) الأسوار: الواحد من أساورة الفرس. قال أبو عبيد: هم الفرسان، والأساورة أيضاً قوم من العجم بالبصرة كالأحامرة بالكوفة (الصباح) [حاشية عن صـ]. قال الخوارزمي في "مفاتيح العلوم": إن العجم لا تضع اسم أسوار إلا على الرجل الشجاع البطل المشهور. وعلى ذلك يكون مقابله في اللغة الفرنسية: Chevalier.

(٢) هذه الكلمة وردت في صـ فقط. [ومعناها مصاب بأفة].

(٣) الأُتنة: العيب. (فاموس)

(٤) هذه العبارة مقولة عن آبن المقفع في "الآداب الصغير" وفي "كلیلة ودمته".

أقسام الناس
عند القوس أربعة

وكذلك جعل الناس على أقسام أربعة، وحصر كل طبقة على قسمتها: ^(١)

فالأول الأساورة من أبناء الملوك؛

والقسم الثاني النساك وسدنة بيوت النيران؛ ^(٢)

والقسم الثالث الأطباء والكُتاب والمنجّمون؛

والقسم الرابع الزُّراع والمِهَّان وأصراهم. ^(٣)

وكان أردشير يقول: "ما شئ أسرع في انتقال الدول ونواب المملكة من انتقال هذه الطبقات عن مراتبها حتى يُرفع الوضيع إلى مرتبة الشريف، ويخط الشريف إلى مرتبة الوضيع".

١٨
مقابلة كل طبقة
من الندماء بمثلا

وكان الذي يقابل الطبقة الأولى من الأساورة وأبناء الملوك أهل الحذاقة بالموسيقىات والأغاني. فكانوا بإزاء هؤلاء نُصب خط الاستواء. ١٠

وكان الذي يقابل الطبقة الثانية من ندماء الملك ويطانته الطبقة الثانية من أصحاب الموسيقىات.

(١) في سه، صه: نخص.

(٢) أردشيرين بابك هو أول من رتب الرعية على طبقات ووضع لهم الكتب في الآداب الملكية من أحوال الدين والدنيا، وعلم مراتب، الخلق في الديوان والدول، ونصب الموبدان موبد يعني كبير القضاة الشهير اليوم بقاضي العسكر. (عن محاضرة الإوائل ومسامرة الأوائل)

(٣) أي خدمة.

(٤) ضبطها في سه بكسر الميم وفتح الهاء بغير تشديد. [وقد تكون هذه الكلمة جمع ما هن أي صاحب المهمة. وهو أيضا الخادم والمبد. وجمعه يكون حينئذ "مِهَّان" مثل كاهن وكُهَّان وصانع ومُصنَّع]. وعلى هذا الوجه الثاني ضبطها في صه.

وكان الذي يقابل الطبقة الثالثة من أصحاب الفكاهات والمضحكين أصحاب
الوَجْج والمعاذف والطناير. وكان لا يَزُمُّ الحاذق من الزامرين إلا على الحاذق من
المُغَنِّين. وإن أمره الملك بذلك، راجعه وأحتج عليه.

وقلما كانت ملوك الأعاجم خاصة تأمر أن يَزُمَّ على المُغَنِّي إلا من كان معه
في أسلوب واحد، إذ لم يكن من شأنهم أن ينقلوا أحدا من طبقة وضيفة إلى طبقة

إحتفاظ الفرس
بهذا الترتيب

(١) في سه، صه : وأصحاب.

(٢) كلمة فارسية معربة. والعرب تقول الوَنّ بتشديد النون. وهي الصنج، آلة من آلات الطرب. وقيل
إنه الصنج ذو الأوتار (أنظر تاج العروس، ومفاتيح العلوم للخوازمي). وروى في كتاب الملاحى بيتاً
للأعشى، وهو:

وَمُسْتَقِي صَبِي وَوَنٍّ وَرَبَّطَ * يَجَادِبُهُ صَنْجٌ إِذَا مَا تَرْتَمَا
وقال صاحب شفاء الغليل: "إن الوَجْج هو عود الطيب، معرب"، فانظر من أين أتى بالطيب هنا. ولعله أراد
عود الطرب. فصحفها التامخ وفاتت الطابع.

(٣) أنظر أسماء آلات الموسيقى عند العرب في الجزء ١٣ من "المختصر"، لأبن سيّده (ص ١١ - ١٥)،
فتعرف أن الطنبور والطنبارة من الأسماء المعروفة عند العرب [تقلا عن الفرس]. أما ما زعمه العلامة دوزي من أنهم
أخذوا هذا الاسم عن اللغة السلتية Celtique، فهو زعم يقوم الدليل على خلافه:

أولا - ورد هذا اللفظ في شعر ذي الرمة (المتوفى سنة ١٠١ أو ١١١ للهجرة). قال:
"من الطناير يزهي صوته يملّ في لحنه عن لغات العرب تعجيم".
ومعلوم أن العرب آتوا فتح الأندلس في سنة ٨٩٢ هـ. ولا يمكن سبع سنوات أو ثمانين لانتقال اللفظ
من أقصى الغرب إلى بادية العرب وشيوعه فيها حتى رضى ذو الرمة باستعماله وأرتضاه الناس منه.

ثانياً - إن الأسبانيين يقولون إلى الآن Atambor، وهو لفظ مأخوذ عن الاسم العربي بأداة
التعريف العربية. فلو كان اسم هذه الآلة شائما عندهم قبل دخول العرب بلادهم لما بقي في لغتهم بهذه الصورة
العربية. وهذا رأى الأستاذ ليناردى الطلياني في معجمه المسمى Le parole italiane derivate
dall'arabo وهو رأى راجح، أيدها به شعر صحيح، لبدوى فتح فصيح، نبت في المهامير الفصح، وماب
بين القيصوم والشيخ. (أنظر ترجمته في الأغاني ج ١٦ ص ١١٠ وما يليها)

رفيعة. إلا أن الملك كان ربما غلب عليه السكر حتى يؤثر فيه، فيأمر الزامر من الطبقة الثانية أو الثالثة أن يزمر على المغنى من الطبقة الأولى، فيأبى ذلك، حتى إنه ربما ضربه الخدم بالمراوح والمذاب^(١) فيكون من اعتذاره أن يقول: إن كان ضربي بأمر الملك وعن رأيه، فإنه سيرضى عني إذا صحا، بلزومي مرتين.

١٩

معاينة أردشير
لنفسه لمخالفته
هذا القانون

وكان أردشير قد وكل غلامين ذكيين - لا يفارقان مجلسه - بحفظ ألفاظه عند الشرب والمتاعمة، فأحدهما يميل^(٢) والآخر يكتب حرفاً حرفاً. وهذا إنما يفعلانه إذا غلب عليه السكر. فإذا أصبح ورفق عن وجهه الجباب، قرأ عليه الكاتب كل ما لفظ به في مجلسه إلى أن نام. فإذا قرأ عليه ما أمر به الزامر وبخالفته الزامر أمره، دعا بالزامر نفع عليه وجزاه الخير، وقال: "أصبحت فيما فعلت وأخطأ الملك فيما أمرك به". فهذا ثواب صوابك^(٣). وكذلك العقوبة لمن أخطأ. وعقوبتي أن لا نزمم اليوم إلا على خبز الشعير والخبز. فلم يطعم في يومه ذلك غيرهما.

وما ذاك إلا حثاً على لزوم سنتهم وحفظ نوااميسهم وأخذ العامة بالسياسة الباقية والأمر اللازم.

(١) جمع مذبة. وهي آلة لطرد الذباب، وهي التي نسميها في مصر بالمتشة. أما المراوح فعروفة، وأنظر

تفصيلاً شافياً عن أنواعها في أيام الدولة العباسية وما بعدها في كتاب "مطالع البدور في منازل السرور".

(ج ١ ص ٦٤ - ٦٦)

(٢) صم: يميل.

(٣) سم: "فهذا صواب هذه ثمرة"، وهي رواية صحيحة تشابه التي أخرجناها في المتن من صم

لأنها مختصرة مفيدة.

فلم يزل على ذلك ملوك الأعاجم حتى ملك بهرام جُور بن يَزْدَجَرْدَ، فأقر مرتبة الأشراف وأبناء الملوك وسَدَنَة بيوت الثيران على ما كانت، وسوى بين الطبقتين من الندماء والمغنيين ورفع من أطرَبَه - وإن كان في أوضع الدرجات - إلى الدرجة الأولى، وخط من قصر عن إرادته إلى الطبقة الثانية. فأفسد سيرة أردشير في المغنيين وأصحاب الملاهي خاصة. فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك كسرى أنوشروان، فردّ الطبقات إلى مراتبها الأولى.

اختلال هذا النظام أيام بهرام جور وإعادة أنوشروان له



وكانت ملوك الأعاجم كلها من لدن أردشير بن بابك إلى يَزْدَجَرْدَ تحتجب عن الندماء بستارة. فكان يكون بينه وبين أول الطبقات عشرون ذراعاً. لأن الستارة من الملك على عشرة أذرع، والستارة من الطبقة الأولى على عشرة أذرع.

احتجاب ملوك القروس عن الندماء ومقدار المسافة بين الطبقات

وكان الموكل بحفظ الستارة رجلاً من أبناء الأساورة يقال له "نُحْرَمَ باش" (٢). فإذا مات هذا الرجل ومُكِّلَ بها آخر من أبناء الأساورة وسُمِّيَ بهذا الاسم. فكان "نُحْرَمَ باش" إذا جلس الملك لندمائه وشغله، أمر رجلاً أن يرتفع على أعلى مكان في قرار دار الملك ويُفرد بصوت رفيع يسمعه كل من حضر فيقول: "يا لسان! احفظ رأسك" (٣)، فإنك تجالس في هذا اليوم ملك الملوك! ثم ينزل.

(١) أنظر السبب في إضافة الجور إلى اسمه في كتاب "غرر أخبار ملوك القروس وسيرهم" للشمالي (صفحة ٥٤٤).

(٢) س: "نُحْرَمَ تاش". وصحنا عن ص: وعن المسعودي الذي قال: "وتفسير ذلك: كن قريحاً".

(٣) في س: "يرفع". والتصحيح عن ص: وعن المسعودي.

(٤) س: "يعرب". والتصحيح عن ص: وعن المسعودي.

(٥) ص: الرأس.

فكان هذا [فَعَلَهُمْ] في كل يوم يجلس فيه الملك لِلْهَوِيِّ، ولا يجترئ أحد من خلق الله أن يدير لسانه في فيه بخير ولا غيره، حَتَّى تُحْرَكِ الستارة، فَيَطْلُعَ الْقَائِمُ عَلَيْهَا ^(١) فَيُؤَمِّرُ بِأَمْرِ فَيَنْقُذُهُ، ويقول: اِفْعَلْ يَا فُلَانُ كَذَا، وَتُغْنِي أَنْتَ يَا فُلَانُ كَذَا وَكَذَا. ^(٢)

❦

وكان الندماء من العظماء والأشراف وأبناء الملوك وإخوة الملك وعمومته وبني عمه وأوضاع الطبقات في مجلس الملك في نقاب واحد: إطرأ وإخباتا وسكوت طائر وقلة حركة.

فلم يزل أمر الملوك من الأعاجم كذلك حَتَّى ملك الأَرْدَوَانِ الأحمر، فكان يقول: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مِنْكُمْ حَاجَةٌ، فَلْيَكْتُبْهَا فِي رُقْعَةٍ وَلْيَرْفَعْهَا قَبْلَ شُغْلِي فَأَفْهَمُ مَا فِيهَا» ^(٣)

(١) صه: يفيض.

(٢) سه: تحوّل الستارة فيؤمر.

(٣) أنظر حاشية ٣ ص ٢٣ من هذا الكتاب. (وهنا ينتهي ما نقله المسعودي عن الجاحظ.)

(٤) قال في أساس البلاغة: كانا في نقاب واحد: أي كانا مثليين وظهريين. وفي سه: في نصاب واحد.

(٥) أي خشوعا وخضوعا وتواضعا.

(٦) كذا في سه، صه هنا [ثم في صفحتي ١١٨ و ١٥١ من هذا الكتاب]. والذي يستفاد مما ذكره

المسعودي في "مروج الذهب" وفي "النتيجه والإشراف" أن الأردوان هو علم على جماعة من ملوك النبط، وكانوا من ملوك الطوائف بعد الإسكندر. وهؤلاء ليس لهم شأن فيما نحن بسبيله الآن.

ويستفاد منه أيضا أن فارس قام عليها ملكان أحدهما اسمه الأردوان الأكبر والثاني الأصغر. وأن هذا الثاني كان أعظم شأنا وأكبر ملكا. وهو الأردوان بن بهرام بن بلاش آخر ملوك الأشكانية. قتله أردشير بن بابك وقام بأعباء الملك بعده. يؤيد ذلك ابن الأثير والنعالي. والراجح أن هذا الأردوان هو المراد هنا وأن كلمة "الأحمر" تحريف من الناصح للفظه "الأصفر".

(٧) سه: تنقل.

ويُخرجُ إليه أمرى، وعقل صحيح وفكرى جامع. “فَمَنْ سأل في غير هذا الوقت حاجة، ضُرِبَتْ عُنُقُهُ. وهو أول مَنْ فَتَحَ هذا. وكان لا يَرُدُّ سائلاً، ولا يُعْطَى مبتدئاً. فلم يزل الأمر على ذلك حتى ملك بهرام جُور، فكان يقول للنساء: “إذا رأيتموني قد طُرِبْتُ ونُزِجْتُ من باب الجنة إلى باب الهزل، فسلوا حوائجكم. “ وكان يُوسِّلُ بحوائجهم صاحب الستارة. فكان إذا سَكَرَ، مَدَّ الناس أيديهم برقاعهم، فأخذها صاحب الستارة، فأنفذها إليه. فأخذها بيده وضَمَّها عليها، ثم رَمَى بها من غير أن ينظر في شيء منها، ويقول: “أَنفِذُوا كُلَّ مَا فِيهَا. “ فكان ذلك ربما بلغ في ليلة واحدة من سؤَالٍ في إقطاع أو قضاء دينٍ أو طلبِ مُنْعَةٍ ^(١) ألف ألف أو أكثر. إلا أنَّ ذلك لم يكن تَبَاعاً.



- ١٠ وكان إذا رفع أحدهم في رقعته ما ليس يجوز مثله - وهو خارج من حدِّ القصد وأَدْخَلَ في باب الإفراط - لم تُقَضَّ له حاجة، وُسِّمَ جاهلاً، ولم تُؤْخَذْ له رُقْعَةٌ بعدها أبداً.

- ثم لم يكن ذلك بعدُ في أخلاق الملوك من الأعاجم والعرب حتى ملك يزيد بن عبد الملك. فسَوَّى بين الطبقة العُلَيَّا والسُّفْلَى، وأفسد أقسام المراتب، وغلب عليه اللهو، واستخَفَّ بآيين المملَكة ^(٢)، وأذِنَ للنساء في الكلام والضحك والهزل في مجلسه والردَّ عليه.

التسوية بين الطبقات في أيام يزيد بن عبد الملك

وهو أول من سُتِمَ في وجهه من الخلفاء على جهة الهزل والسَّخْفِ.

أول خليفة سُتِمَ في وجهه. هزلًا

(١) صه: “منفعة”، وهي المنعة أيضاً.

(٢) صه: ودانخل.

(٣) سه: بقوانين. (أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ وص ٢٣ وص ٧٧ من هذا الكتاب)

قلتُ لإسحاق بن إبراهيم: هل كانت الخلفاء من بني أمية تظهر للنساء والمنعنين؟^(١)

(١) في ص: : لأبي إسحاق بن إبراهيم الموصلي. (وأبو، زائدة ولاشك).

لم أترك طريقاً من طرق البحث للتعريف بهذا الاسم إلا سلكتها، فتقصيتُ كلَّ من اسمه "إسحاق بن إبراهيم" ممن عاصر الجاحظ فلم أستطع أن أحصر مصدر هذا الخبر إلا في رجلين: أحدهما (وهو الذي يقابره الذهن إليه) إسحاق بن إبراهيم الموصلي صاحب الصيت البعيد في الغناء والأدب والرواية؛ والثاني إسحاق بن إبراهيم المصبي (حاكم بفسداد في أيام المأمون والمعتصم والواثق) وهو من أرباب المكائنة العالية في الأدب والرواية وقد الغناه.

غير أنه ليس من المحتمل أن يكون الراوي هو إسحاق المصبي، لأنه من ذوى قرابة طاهر بن الحسين: قاتل الأمين. وأهل هذا البيت جميعهم نشأوا في بوشنج من خراسان، ولم يحضروا بفسداد إلا بعد دخول المأمون فيها. يعرف ذلك كل من عاين التاريخ الإسلامي. فكيف يكون إسحاق المصبي قد شهد مجلس الأمين في دار السلام أو أخذ منه الجوائز والصلوات؟ (أنظر ص ٤٣ من هذا الكتاب).

أما إسحاق الموصلي فما أشبه بأن يكون هو الراوي للخبر، لولا أن عبارة الجاحظ مضطربة مشوشة بحيث إنها لو بقرت على حالها كما هي واردة في ص، ص (وكما جرت العادة به في الكتابة العربية أي بدو علامات الترقيم) لكان من المتعذر معرفة وجه الصواب أو نسبة الحديث إلى صاحبه. وذلك لأن القصص تضمنت خبراً فيه تحقير لأبيه وتصغير لشأنه (كما تراه في ص ٣٩ و ٤٠) فضلاً عن أنها تنهى بخبر هو إسحاق الموصلي نفسه (في ص ٤٣ و ٤٤). وهذا الخبر الثاني منقول بصيغة الغائب المحذوثة عنه، لا كما يتكلم الإنسان عن نفسه. وفيه ما يجدر بمثل الموصلي أن يملأ به فمه تشدقاً ونظراً ويرفع له رأسه تها وكبراً. كيف وفيه أن المأمون ضمَّ إسحاق وقبَّله. فكان المعقول والمنتهى أن يقول الراوي مُدلاً معجباً: "فضنني وقبَّلي".

على أن الشك في راوي هذا الحديث قديم. يرجع أول عهده إلى الطبري المتوفى سنة ٣١٠. فقد روى
 ٢٠ إمام المؤرخين واقعة إبراهيم (والد إسحاق الموصلي) مع الهادي. (راجع السلسلة ٣ ص ٥٩٥). والخبر ينصب تقريباً وارد في عبارة الجاحظ (ص ٣٦). لكن الطبري روى بصيغة الغائب وصدره بقوله: "وذئ
 عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي أو عن غيره". وكذلك روى صاحب "الأغانى" خبر إبراهيم بن المهدي مع الأمير (الوارد في حديث الجاحظ ص ٤٣) بروايتين مختلفتين جداً، أحدهما عن إسحاق الموصلي متكلماً عن نفسه والثانية عن محمد بن الحارث بن بشير (راجع الأغانى ج ٩ ص ٧١). والخبر نفسه وارد أيضاً عن إسحاق الموصلي بلهجة المحذوثة عن نفسه في "المقد الفريد" لابن عبد ربه (ج ٣ ص ٢٤٤) وفي "معجم الأدباء" لياقوت (ج ٢ ص ٢٠٦).

قال: «أما معاوية ومروان وعبد الملك والوليد وسليمان وهشام ومروان»
 «ابن محمد، فكان بينهم وبين الندماء ستارة، وكان لا يظهر أحدٌ من الندماء على ما يفعله»
 «الخليفة، إذا طرب للمغنى وألَّفه حتى يتقلب ويمشى ويمرّك كتفيه ويرقص»
 «ويتجرد حيث لا يراه إلا خواص جواريه، إلا أنه كان إذا أرفع من خلف الستارة»
 «صوتٌ أو غير طرب أو رقص أو حركة بزفير تجاوز المقدار، قال صاحب الستارة:»
 «وحسبك يا جارية! كُفّي! انتهى! أقصرى! أيهم الندماء أن الفاعل لذلك بعض»
 «الجواري.»

«فأما الباقون من خلفاء بني أمية فلم يكونوا يتحاشون أن يرقصوا ويتجردوا»
 «ويحضروا عراة بحضرة الندماء والمغنيين. وعلى ذلك، لم يكن أحدٌ منهم في مثل حال»
 «يزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد في الجون والرقص بحضرة الندماء والتجرد:»
 «ما يباليان ما صنعنا.»

== وعندى أنه لا يمكن التوفيق بين جميع هذه الروايات، إلا إذا فرضنا أن هذا الحديث قد رواه الجاحظ عن
 إسماعيل بن إبراهيم الموصلي، ثم حشاه بأستطرادات من عنده وروايات أخرى ضمها إليه بما يتسق معه ويناسب
 المقام أو يرتبط بالموضوع. فكان الجاحظ إذا انتهى من الحشو والأستطراد على ما اعتادته طبيعته وألفه
 نفسه كما هو المهود في كل كتبه وتضافيه، عاد إلى الحديث الأصلي مستعملاً لفظة «قال» تنبيهاً للقارئ
 إلى رجوع ما أنقطع ووصل ما أقصّل وأستثنأ لما حدث به إسماعيل بن إبراهيم (الموصلي). فحينما كان المقام
 يدور الجاحظ للكلام عن نفس إسماعيل (صاحب الحديث)، وضع لفظة «ويقال». فيذكر من عنده خبراً عن
 نفس إسماعيل بصيغة الغائب المحدث عنه. أما إذا عرض الجاحظ أن يحشر في تضاعيف الحديث الأصلي شيئاً
 من عنده لأجل زيادة التعريف بأحد الخلفاء أو أحد الأشخاص المذكورين في الحديث، فكان يستعمل لفظة
 «وهو» أو «وكان». فإن أتى المؤلف برواية أخرى، عبر بقوله «وزعم فلان» أو «ولقد حدثني فلان».
 فلذلك كله وضعت بين شولتين مزدوجتين " كل سطر من السطور التي ورد فيها كلامٌ دلّ على السياق
 والبحث والاستقصاء على أنه من حديث إسماعيل بن إبراهيم الموصلي الجاحظ. وأغفلت من هذه الإشارة
 كل ما تأكد عندى أنه من حشو الجاحظ وأستطراداته، لأنه من ضمن عبارته، والكتاب كله له.

(عمر بن عبد العزيز)

قلتُ : فعمربن عبد العزيز؟

قال : «و ما طُنَّ في سمعه حرفُ غناء، منذ أفضتُ الخلافةَ إليه إلى أن فارق الدنيا.»
 «و فاما قبلها - وهو أمير المدينة - فكان يسمع الغناء، ولا يظهر منه إلا الأمر الجميل.»
 «وكان ربما صفق بيديه، وربما تترغ على فراشه وضرب برجليه وطرب. فاما أن»
 «ويخرج عن مقدار السرور إلى البسُخف، فلا.»

قلتُ : خلفاؤنا؟^(١)

قال : «كان أبو العباس في أول أيامه يظهر للندماء ثم اجتجب عنهم بعد سنة^(٢)»
 «أشار بذلك عليه أسيد بن عبد الله [الخزاعي]، وكان يطرب ويتبجح ويصيح من»
 «وراء الستارة: "أحسنْتَ والله! أعد هذا الصوت!" فُعَادَ له مرارًا، فيقول في كلها:»
 «"أحسنْتَ!" وكانت فيه فضيلة لا تجدها في أحد. كان لا يحضره نديم ولا مُغن»
 «ولا مُلِّه فينصرف إلا بصلّة أو كُسوة، قلتُ أم كَثُرَتْ^(٣). وكان لا يُؤنِّح إحسان»
 «ومُحَسِّن لغد، ويقول: "العجب ممن يُفَرِّح إنسانا، فيتعجلُ السرورَ ويعملُ ثوابَ مَنْ»
 «وسرّه تسويفا وعدة!" فكان في كل يوم ليلة يقعد فيه لشغله، لا ينصرف أحدٌ من»
 «وحضره إلا مسرورا. ولم يكن هذا لعربي ولا عجمي قبله، غير أنه يُحكى عن بهرام جور»
 «و ما يُقَارِب هذا»^(٥)

(١) ص: خلفاء بني العباس؟

(٢) أنظر شذرات الذهب. "ج ١ ص ٢١٦"

(٣) كان من القاطنين بالدعوة العباسية ومن رجالات أبي مسلم الخراساني، وكان على مقدمته عند دخوله مرو. توفي سنة ١٥٦ هـ وهو أمير خراسان. (أنظر المهارس في الطبقة وقي أمير الأئمة)

(٤) أورد صاحب "محاسن الملوك" ما يضارع ذلك (ص ٣٠)

(٥) قارن ذلك بما نقله صاحب "مروج الذهب" (ج ٦ ص ١٢١ و ١٢٢).

(المنصور) ووفاما أبو جعفر المنصور، فلم يكن يظهر لنديم قط، ولا رآه أحد يشرب غير الماء. و" وكان بينه وبين الستارة عشرون ذراعاً، وبين الستارة والندماء مثلها. فإذا غشاه " المَعْنَى فاطربه، حَرَّكَتِ الستارة بعضُ الجوارى فَأُطْلِعَ إليه الخادِمُ صاحبُ الستارة " فيقول: قل له: "أحسنْتَ! بَارَكَ اللهُ فيكَ!" و" وربما أراد أن يُصَفِّقَ بيديه، فيقوم عن " ويجلسه ويدخل بعضُ حُجَرِ نِسائِهِ، فيكونُ ذاك هناك. وكان لا يُثَيِّبُ أحداً من ندمائِهِ " وغيرهم درهماً، فيكون له رَسَمًا في ديوانِهِ. ولم يُقَطِّعْ أحداً من كان يضاف إلى مُلْهِيسَةٍ " أو صَحِيحٍ أو هَزَلٍ موضعَ قَدَمٍ من الأرض. وكان يحفظ كلُّ ما أعطى واحداً منهم " وعِشْرَتَيْنِ ويَحْسِبُهُ ويذكره له. "

* وكان أبو جعفر المنصور يقول: "مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صُنِعَ إِلَيْهِ، فَقَدْ كَافَأَ، وَمَنْ أَضْعَفَ، كان مشكوراً، وَمَنْ شَكَرَ، كان كريماً، وَمَنْ عَلِمَ أَنْ مَا صُنِعَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ صَنَعَ، لم يستبطئ ١٠ الناس في شكرهم ولم يستردهم في مودتهم. ولا تلتمس من غيرك شكر ما أنيسته إلى نفسك ووقيت به عرضك. وأعلم أن الطالب إليك الحاجة لم يُكْرَمْ وجهه عن مسألتك، فأكرم وجهك عن رده. "

(المهدي) و" وكان المهديُّ في أول أمره محتجب عن الندماء، متشبهًا بالمنصور نحوًا من سنة. " و" ثم ظهر لهم. فأشار عليه أبو عَوْنٍ ^(٢) بأن يحتجب عنهم، فقال: «إليك غنى، يا جاهل!» ١٥

(١) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين ** منقولة عن ص ٥٠. وهي استعارة آجني من موضوع الحديث.

(٢) هو عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي. كان من أهل الرأي ومن وجوه الشيعة القائمين بالدعوة العباسية، ومن قواد أبي مسلم الخراساني. وكان له بلاء حسن في تمهيد الأمر لبني العباس. دخل بجوده دمشق عنوة من باب كيسان ثم تعقب مروان بن محمد الجمدي إلى مصر عند هربه إليها وفيها قتله. روى فيها وبه السلاح والأموال والرقيق. فولاه عليها أبو العباس السفاح مرتين: الأولى من شبان سنة ١٣٣ = ٢٠

«وإنما اللذة في مشاهدة السرور وفي الدُّنُوِّ من سُرِّي . فأما من وراء وراء ، فما خيرها»
 «ولذتها؟ ولو لم يكن في الظهور للندماء والإخوان إلا أني أعطيهم من السرور»
 «ومشاهدتي مثل الذي يُعطون من فوائدهم ، جعلتُ لهم في ذلك حظاً موقراً .» وكان «
 «كثير العطايا ، يواترها . قل من حضره إلا أغناه . وكان ليناً للعريكة ، سهلاً الشريعة ،»
 «ولذيذ المنادمة ، قصير المناومة ، ما يملُ نديماً ولا يتركه إلا عن ضرورة ، قطع الخنا ،»
 «وصبورا على الجلوس ، ضاحك السن ، قليل الأذى والبذاء .»

«وكان الهادي شَكِسَ الأخلاق ، صعب المرام ، قليل الإغضاء ، سيِّئ الظن . قل»
 «ومن توقاه وعرف أخلاقه ، إلا أغناه . وما كان شيء أبغض إليه من ابتدائه بسؤال .»
 «وكان يأمر للنفي بالمال الخطير الجزيل ، فيقول : «لا يُعطيني بعدها شيئا» ، فيعطيه»
 «وبعد أيام مثل تلك العطية .»

= إلى سنة ١٣٥٠ . وهو الذي أمر أصحابه بالبناء في الأرض الفضاء التي محلها الآن جامع آبن طولون . وبني
 هو هناك دار الإمارة وسجداً عرف بجامع المبكر . ولذلك سمي المكان كله بآبم العسكر من ذلك الوقت ،
 وصار فيما بعد مدينة عامرة . ثم أرسله أبو العباس السفاح على رأس الجيش المتوجه إلى المغرب في جمادى الآخرة
 سنة ١٣٦٠ . ولكن الخليفة مات ، فخاه أمر الخليفة الجديد أبي جعفر المنصور بالعدول عن هذه الغزوة . فأقام
 أبو عون ببرقة شهراً . ثم عاد إلى مصر بجيشه فذهب إلى فلسطين لحرب الخوارج . فهزمهم وقتل منهم جماعة غفيرة ،
 وأرسل إلى مصر ثلاثة آلاف رأس . ثم تولى خراج مصر وصلاتها بطريق النيابة حتى جاءه التخليد في ٢٠ رمضان
 سنة ١٣٧٠ . وأقام في هذه الولاية الثانية ثلاث سنين وستة أشهر . وعاد إلى مصاحبة المنصور وحضر معه واقعة
 الراوندية . فلما أفضت الخلافة إلى المهدي ، استعمله على خراسان سنة ١٥٩٠ ثم عزله عنها سنة ١٦١٠ . (أنظر
 الأغاني وأبن الأثير وأبي المحاسن تغري بردي ، في فهرسها)

(١) صه : واغرها .

(٢) سمه : قصير المياومة والملايلة .

(٣) سمه : النظر .

ويقال إنه قال يوما، وعنده ابن جامع وإبراهيم الموصلي ومُعَاذ بن الطبيب
 سوكان أول يوم دخل عليه مُعَاذ ^(١) وكان حاذقا بالأغاني عارفا بها: مَنْ أطربني اليوم
 منكم فله حُكْمُهُ. فغناه ابن جامع غناء لم يحركه، وكان إبراهيم قد فهم غرضه فغناه:
 سَلِمَى أجمعت بيّننا. * فَأَيْنَ تَقُولُهَا أَيّنا؟ ^(٢)

- هـ فطرب حتى قام عن مجلسه ورفع صوته، وقال: «أَعِدْ بالله، وبِحَيَاتِي!» فاعاد، ^(٣)
 فقال: «أنت صاحبي فَأَحْتِكِم» فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين، حائط عبد الملك بن
 مروان وعينه الخزانة بالمدينة! قال: فدارت عيناه في رأسه حتى صارتا كأنهما
 جمرتان ثم قال: «يا ابن الخناء! أردت أن تسمع العامة أنك أطربتني، وأنتى حكمتك
 فأقطعك! [أما والله] لولا بادره جهلك التي غابت على صحيح عقلك وفكرك،
 لضربت الذي فيه عيناك!» ثم سكت هنيئة. قال إبراهيم: فرأيت ملك الموت قائما
 بيني وبينه ينتظر أمره. ثم دعا إبراهيم الخزانة ^(٤)، فقال: «خذ بيد هذا الجاهل،
 فأدخله بيت المال، فليأخذ منه ما شاء!» فأخذ الخزانة بيدي حتى دخل في بيت

(١) صه: من.

- (٢) «تقولها» هنا مثل «تظنّها» معنى وعملاً. وقد تحرّفت هذه الكلمة في كثير من كتب الأدب المطبوعة.
 وهذه القصة التي ذكرها الجاحظ أوردها الطبري أيضا (سلسلة ٣ ص ٥٩٥) باختلاف قليل، وهي غير
 واردة في الأغاني، وإنما هنالك حكاية أخرى وفيها الأبيات بأكملها. (أنظر ج ٢١ ص ١٦٦)

(٣) أي بستان.

(٤) الينبوع الذي يخرج منه جدول يتدفق مائه.

(٥) الزيادة عن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٩٦).

- (٦) هو عدیل هارون الرشيد. ركان من ندماء الهادي وهو ولي العهد. ويظهر من كلام ابن الأثير
 أنه كان قتيلا على خزائن الأموال في أيام الهادي. (الأغاني ج ٦ ص ٦٧ وج ١٧ ص ١٧)

المال، فقال: كم تأخذ؟ فقلت: مائة بكرة. فقال: دعني أوامره. قلت: فأخذ تسعين. قال: حتى أوامره. قلت: فثمانين. قال: لا. فأبى إلا أن يؤامره، فعرفت غرضه، فقلت له: أخذ سبعين لي، ولك ثلاثون. قال شأئك! قال: فأنصرفت بسبعائة ألف، وأنصرفت ملك الموت عن الدار.^(٣)

قال: ^(٤) «وكان الرشيد في أخلاق أبي جعفر المنصور، يمتثلها كلها إلا في العطايا»
«وَالصَّلَاتِ وَالْخَلَجِ. فَإِنَّهُ كَانَ يَقْفُو فِعْلَ أَبِي الْعَبَّاسِ وَالْمَهْدِيِّ. وَمَنْ خَبَرَكَ أَنَّهُ رَأَى»
«وَقَطُّ وَهُوَ يَشْرَبُ إِلَّا الْمَاءَ، فَكَذَّبَهُ. وَكَانَ لَا يَحْضُرُ شَرْبَهُ إِلَّا خَاصُّ جَوَارِيهِ. وَرَبَّمَا»
«وَوَطَرِبَ لِلْغَنَاءِ فَتَحَرَّكَ حَرَكَةً بَيْنَ الْحَرَكَتَيْنِ فِي الْقِلَّةِ وَالْكَثَرَةِ.»

وهو من بين خلفاء بني العباس من جعل للفتن مراتب وطبقات، على نحو

(١) البكرة في الأصل جلد السخلة (أي ولد الضائنة أو المساعزة). كانوا يضعون فيها الأموال، ثم أطلقوا أسمها على المال نفسه مجازاً. والمستفاد من كتب اللغة أن البكرة كيس فيه ألف درهم أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار. ورواية الجاحظ هنا تدل على أن مقدارها في أيام العباسيين كان عشرة آلاف درهم.

(٢) في سـ، صـ: شارك. وفي الطبري: «قال الآن بشت بالحق، نشأئك!» (سلسلة ٣ ص ٥٩٦)

(٣) أورد صاحب «محاسن الملوك» هذه القصة باختصار ألفاظ الجاحظ. (ص ٣٠ و ٣١)

(٤) أي إصحاق بن إبراهيم الموصلي راوى هذه الحكاية كلها للولف.

(٥) هذا النص الصريح يؤيد رأى ابن خلدون في مقدمته (ص ١٤). وذلك أن «إلا» هنا معناها «غير» كما وردت في غير ما آية قرآنية وبيت شعري. فيكون المعنى الذي أراده محدث الجاحظ: لو خبرك إنسان بأنه رأى هارون وهو يشرب: راباً غير الماء، فأعلم أنه كاذب. لأن الرشيد، كان إذا أراد الشرب، فإنما يشرب بمحضرة خاص جواريه دون سائر الناس، بحيث لم يره أحد يشرب شيئاً سوى الماء، حتى يجوز له الإخبار بذلك عنه [انظر ص ١٥٣ من هذا الكتاب]. يؤيد ذلك ما وقع له مع ابن بختيشوع بشأن السمكة التي

منعه الطيب من أكلها. (مروج الذهب ج ٦ ص ٣٠٥ - ٣٠٦؛ وعيون الأنباء ج ١ ص ١٢٩)

ما وضعهم أردشير بن بابك وأنوشروان. فكان إبراهيم [الموصل^(١)] و[إسماعيل
أبو القاسم] [ابن جامع وزلز [منصور البزارب] في الطبقة الأولى. وكان زلز^(٢)
يضرِب، ويُنقَى هذان عليه^(٣).

(١) الأسماء والكنى والألقاب الموضوعة بين [في هذه الصفحة والتي تليها مأخوذة عن الأغاني
لابي الفرج.

(٢) كان زلز هذا ممن يضرِب به المثل في حسن الضرب بالعود وكان من الأجواد. وقد أشتهر في أيام
المهدي والهادي والرشد. ومن آثاره العمرانية بركة أنشأها في بغداد ووقفها على المسلمين، فأشتهرت
باسمها: وأشتهرت المحلة الكائنة فيها باسمها. قال فيها نبطويه النحوي:

لَوَأْنْتُ زُهَيْرًا وَأَمْرًا الْقَيْسَ أَبْصَرَ * مَلَاَحَةً مَا تَحْصِيهِ بَرَكَةُ زَلْزَلٍ،
لَمَّا وَصَفَا سَلَمَى وَلَا أُمَّ جُنْدَبٍ * وَلَا أَكْثَرَ ذِكْرَ الدَّخُولِ لِحَوَمَلٍ.

وقد أكثر الشعراء من ذكرها.

غضب عليه الرشيد لحبسه ستين. وكانت أخته تحت إبراهيم الموصل، فقال إبراهيم فيه:

هَلْ دَهْرُنَا بِكَ عَائِدٌ يَا زَلْزَلُ * أَيَّامَ يَغِيثُ الْمَدَنَ تَرِ الْمُبْطَلُ،
أَيَّامَ أَنْتَ مِنَ الْمَسْكَارَةِ آمِنٌ * وَالْخَيْرُ مُتَسِعٌ عَلَيْنَا مُقْبِلٌ؟
يَا بُؤْسَ مَنْ فَقَدَ الْإِهَامَ وَقُرْبَهُ ! * مَا ذَا يَهْ مِنْ ذِلَّةٍ، لَوْ يَسْقَلُ؟
مَا زِلْتُ بِعَدْلِكَ فِي الْمَنُومِ مَرْدَدًا * أَبْكَى بِأَرْبَعَةٍ كَأَنِّي مُسْكَلُ.

فرضى عنه الرشيد وأخرجه من الحبس. (أنظر معهم البلدان لياقوت ج ١ ص ٥٩٢ وج ٤ ص ١٢٣ و
٢٥٢؛ وأنظر شفاء الغليل للفتاح ص ١١٧؛ والأغاني ج ٥ ص ٢٢)

(٣) أي أصحابه الأشران وهما إبراهيم الموصل وابن جامع. والذي جاء "في الأغاني" (ج ٥ ص ٤٠).
أن إبراهيم الموصل وززلا وبرصوما اجتمعوا بين يدي الرشيد فضرِب زلز وزمر برصوما وعفى إبراهيم:

صَحَا قَلْبِي دِرَاغًا إِلَى عَقْلِي * وَأَقْصَرَ بَاطِلِي وَنَسِيتُ بِجَهْلِي.
رَأَيْتُ الْغَانِيَاتِ، وَكُنْتُ خُزْرًا * إِلَى، صَرَمَتِي وَقَطْعَنَ حَيْلِي.

فطرب هارون حتى وثب على رجليه وصاح: يا آدم! لو رأيت من يحصرفني من ولدك اليوم، لسرك! ثم جلس =

والطبقة الثانية سُليم بن سلام ^(١) [أبو عبيد الله الكوفي] وعمرو الغزال ^(٢) ومن أشبههما .
والطبقة الثالثة أصحاب المعازف والوَجْج والطناير . وعلى قدر ذلك كانت تخرج جوائزهم
ووصلاتهم . وكان إذا وصل واحدًا من الطبقة الأولى بالمال الكثير الخطير ، جعل
لصاحبيه اللذين معه في الطبقة نصيبًا منه ، وجعل للطبقتين اللتين تليانه منه أيضًا
نصيبًا . وإذا وصل أحدًا من الطبقتين الأخريين بصلة ، لم يقبل واحدٌ من الطبقة
العالية منه درهمًا ، ولا يجترئ أن يعرض ذلك عليه .

قال : ^(٣) « فسأل الرشيد يومًا برصوما الزاهر ، فقال له : يا إسحاق ! ما تقول في آبن »
« جامع ؟ فحرك رأسه [و] قال : نَحْمُ قُطْرَبِلْ ، يعقل الرجل ويذهب العقل . قال : »
« فما تقول في إبراهيم الموصلی ؟ قال : بستانٌ فيه خوخٌ ومُجَثَّرٌ وثَفَّاحٌ وشوكٌ ونُزُوبٌ . »
« قال : فما تقول في سليم بن سلام ؟ فقال : ما أحسن خضابه ! قال : فما تقول »
« في عمرو الغزال ؟ قال : ما أحسن بنائه ! » ^(٤)

قال : وكان منصورٌ زلزل من أحسن وأحذق من برأ الله بالحس . فكان إذا جَسَّ
العود ، فلو سمعه الأحنف ^(٥) ومن تحالم في دهره كله ، لم يملك نفسه حتى يطرب .

== وقال : استغفر الله !

١٥ وفي المقد الفريد (ج ٢ ص ٢٤٧) أن زلزالا كان يضرب على إبراهيم ، يعنى الموصلی .
(١) صه : سليمان بن سلامة (وهكذا في بقية الحكاية) .

(٢) في سه ، صه : « الغزال » بالعین المهمله (وهكذا في بقية الحكاية) . وقد اعتمدتُ ما أورده
صاحب الأغاني (ج ١١ ص ٣٤ و ٧٧ و ج ٢٠ ص ٦٤ و ٦٥) .

(٣) أى إسحاق بن إبراهيم الموصلی راوى الحكاية للمحافظ .

٢٠ (٤) سه : « ثيابه » . وفي الأغاني (ج ٦ ص ٧٢) أن برصوما الزاهر ذكر إبراهيم الموصلی وآبن
جامع ، فقال : « الموصلی بستانٌ تجدد فيه الخمر والحامض ، وطريا لم ينضج ، تأكل منه من ذا ومن ذا ، وآبن
جامع رُقٌ عسل ، إن فتحتَ فخرج عسل حلوٌ ، وإن خرفتَ جنبه خرج عسل حلوٌ ، وإن فتحتَ يده خرج عسل
حلوٌ : كله جيد . »

(٥) هو أبو بحر الضحاك بن قيس . ينتهى نسبه إلى زيد مائة . وهو الذى يضرب به المثل في الحلم . وكان
آية في الجدة والوقار . (أنظر ترجمته في آبن خلكان والأغاني وغيرهما)

(١) قال إبراهيم : فغنيت يوماً على ضربه ، فخطأني . فقلت لصاحب الستارة : هو والله أخطأ ! قال : فرفع الستارة ، ثم قال : يقول لك أمير المؤمنين : أنت والله أخطأت ! فحجى زلزلي وقال : يا إبراهيم ، تخطئني ؟ فوالله ما فتح أحد من المغنين فاه بغير لفظ إلا عرفت غرضه ! فكيف أخطئ وهذه حالي ؟ فإذاها صاحب الستارة ، فقال الرشيد : قل له : صدقت ! أنت كما وصفت نفسك ، وكذب إبراهيم وأخطأ . قال إبراهيم : فغني ذلك ، فقلت لصاحب الستارة : أبلغ أمير المؤمنين ، سيدي ومولاي ، أن بفارس رجلاً يقال له سنيد ، لم يخلق الله ضرب منه يعود ولا أحسن مجسماً ، وإن بعث إليه أمير المؤمنين فحمله عرف فضله وتغنيت على ضربه . فإن زلزلا يكأيدني مكأيدة القصاص والقرادين . قال : فوجه الرشيد إلى الفارسي فحمله على البريد ، فألقى ذلك زلزلاً وغمه . فلما قدم بالفارسي ، أمضنا وأخذنا مجالسنا وجاءوا بالعيدان قد سويت . وكذلك كان يفعل في مجلس الخلافة ، ليس يدفع إلى أحد عودته فيحتاج إلى أن يحزكه لأنها قد سويت وعُلقت مثلها مشاكلة للزيرة على الدقة والغلظ . قال : فلما وضع عود الفارسي في يديه ، نظر إليه منصور زلزلاً ، فأسفر وجهه وأشرق لونه . فضرب وتغني عليه إبراهيم . ثم قال صاحب الستارة لزلزل : يا منصور : اضرب ! قال : فلما جس العود ، ماتمالك الفارسي أن وثب من مجلسه بغير إذنين حتى قبل رأس زلزلي وأطرافه ، وقال : مثلك - جعلت فداك ! -

- (٢) أي إبراهيم الموصلي حكاية عن نفسه . وهذه القصة من أسطوانات الجاحظ أيضا .
 (٣) لم يذكره صاحب الأغاني ، ولم يورد هذه الحكاية . وهي غير واردة في ص .
 (٤) جمع زير ، مثل ديك وديكة . والزير هو الوتر الدقيق من الأوتار وأحكمها فتلاً (في عود الطرب) .
 فكان المؤلف قال : وعُلقت مثاله مشاكلة لثانيه . قال المفضل بن سلة النحوي في كتاب الملاهي مانعه :
 "و يقال لأوتاره [أي العود] المحابض واحداً محبض وهي الشرع واحداً شرعة . فبها الزير ، والذي يليه المثنى ومنهم من يسميه الثاني ، والمثلث ومنهم من يسميه الثالث ، والهم . ويقال للتي يسميها الفرس دساتين ، العتب . وكل ذلك قد جاء في الشعر ."

لَا يُتَمَنَّى وَيُسْتَعْمَلُ بِمِثْلِكَ يُعْبَدُ. فَمُعْجَبُ الرَّشِيدِ مِنْ قَوْلِهِ وَعَرَفَ فَضِيلَةَ زَلْزَلٍ عَلَى
الْفَارِسِيِّ، فَأَمَرَ لَهُ بِصَلَةِ وَرْدِهِ إِلَى بَلَدِهِ.

* وَكَانَ مَنْصُورُ زَلْزَلٍ مِنْ أَسْخَى النَّاسِ وَكَرَّمَهُمْ. نَزَلَ بَيْنَ ظَهْرَاتِي قَوْمٍ، وَقَدْ
كَانَ يَحْمِلُ لَهُمْ أَخَذَ الزَّكَاةَ. فَمَا مَاتَ حَتَّى وَجِبَتْ عَلَيْهِمُ الزَّكَاةُ.^(١)

وَوَكَانَ إِسْحَاقُ بِرُصُومًا فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ. قَالَ: فَطَرِبَ الرَّشِيدُ يَوْمًا لَزْمَرَهُ، فَقَالَ:
”لَهُ صَاحِبُ السَّتَارَةِ: يَا إِسْحَاقُ! أَزْمُرُ عَلَى غَنَاءِ آبِنِ جَامِعٍ. قَالَ: لَا أَفْعَلُ. قَالَ: يَقُولُ:
”لَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَا تَفْعَلْ؟“ قَالَ: إِنْ كُنْتُ أَزْمُرُ عَلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ، رُفِعْتُ إِلَيْهَا.
”وَفَالَمَا أَنْ أَكُونَ فِي الطَّبَقَةِ الثَّانِيَةِ وَأَزْمُرُ عَلَى الْأُولَى، فَلَا أَفْعَلُ! فَقَالَ الرَّشِيدُ لَصَاحِبِ
”السَّتَارَةِ: ارْفَعِهِ إِلَى الطَّبَقَةِ الْأُولَى، فَإِذَا قُمْتُ، فَادْفَعْ الْبَسَاطَ الَّذِي فِي مَجْلِسِهِمْ إِلَيْهِ.“
”وَفَرَفَعَ إِسْحَاقُ إِلَى الطَّبَقَةِ الْعَالِيَةِ وَأَخَذَ الْبَسَاطَ، وَكَانَ يَسَاوِي أَلْفَى دِينَارٍ. فَلَمَّا حَمَلَهُ إِلَى
”مَنْزِلِهِ آسْتَبَشَرَتْ بِهِ أُمُّهُ وَأَخَوَاتُهُ. وَكَانَتْ أُمُّهُ نَبِيْطِيَّةً لَكَّاءَ^(٢). فَخَرَجَ بِرُصُومًا عَنْ مَنْزِلِهِ
”وَلِبَعْضِ حَوَائِجِهِ، وَجَاءَ نِسَاءُ جِيرَانِهِ يُهَيِّئْنَ أُمُّهُ بِمَا خُصَّ بِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ وَيَدْعُونَ لَهَا.“
”وَفَاخَذَتْ سِكِّينًا وَجَعَلَتْ تَقْطَعُ لِكُلِّ مَنْ دَخَلَ عَلَيْهَا قِطْعَةً مِنَ الْبَسَاطِ، حَتَّى أَتَتْ عَلَى
”وَأَكْثَرِهِ. بَقَاءَ بِرُصُومًا فَإِذَا الْبَسَاطُ قَدْ تَقَسَّمَ بِالسَّكَاكِينِ. فَقَالَ: وَيْلَكَ! مَا صَنَعْتَ؟“
”وَقَالَتْ: لَمْ أَدْرِ، ظَنَنْتُ أَنَّهُ كَذَا يُقَسَّمُ. فَخَذْتُ الرَّشِيدَ بِذَلِكَ، فَضَحِكُ وَوَهَبَ لَهُ آخَرَ.“
”وَزَعَمَ سَعِيدُ بْنُ وَهْبٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْمُوصِلِيَّ غَنَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هَارُونَ صَوْتًا، فَكَادَ^(٣)

(١) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين *، منقولة عن صـ.

(٢) التي لا تُقيم العربية لعجمة لسانها. (قاموس)

(٣) هو أبو عثمان سعيد بن وهب البصري، كان كاتبًا شاعرًا مطبوعًا. مات في أيام المأمون. (أنظر أخباره

يطير طرباً، فاستعاده عاقبة ليله، وقال: «مارأيت صوتاً يجمع السخاء والطرب وجودة الصنعة والسخف غير هذا الصوت!» فأقبل إبراهيم، فقال: «يا أمير المؤمنين! لو وهب لك إنسان مائة ألف درهم، أو لو وجدت مائة ألف درهم مطروحة، كنت أسربها أو بهذا الصوت؟» قال: «والله لأنا أسرب هذا الصوت مني بألف ألف، وألف ألف!» قال: «فلو فقدت من بيت مالك مائة ألف كان أشد عليك، أو لو فقدت هذا الصوت وفاتك هذا السرور؟» قال: «بل ألف ألف، وألف ألف أهون عليّ.» قال: «فلِمَ لا تهب مائة ألف أو مائتي ألف لمن أتاك بشيء فقد ألف ألف أهون عليك منه؟» فأمر [له] بمائتي ألف درهم.^(١)

قلت لإسحاق: فالخلوع، أين كان من ذكرت؟ (الأمين)

قال: «ما كان أعجب أمره كذا! فاما تبدله، فما كان يبالي أين فقد ومع من قعد.»
«وكان، أو كان بينه وبين ندمائه مائة حجاب، تحرقها كلها وألقاها عن وجهه حتى»
«بقعد حيث قعدوا. وكان من أعطى الخلق لذهب وفضة، وأنهم للاموال إذا»
«طرب أولمّا. وقد رأيته وقد أمر لبعض أهل بيته في ليلة بوقر زورق ذهباً،»
«فأنصرف به، وأمر لي ذات ليلة بأربعين ألف دينار، فحملت أمانى، ولقد غنّاه»
«إبراهيم بن المهديّ غناء لم أرتضه. فقام عن مجلسه فأكب عليه فقبل رأسه. فقام»

(١) هذه الجملة المحصورة بين نجمتين * * منقولة عن ص.

(٢) يعنى الأمين الخليفة العباسي. وبذلك اللقب يسميه أغلب الكتاب والمؤرخين المعاصرين له أو الذين بعده بقايل. لقرب عهدهم بخلعه وأشتهاره بينهم. وشاهد ذلك بين أيدينا الآن، فإب الأتراك لا يسمون السلطان عبد الحميد في كتاباتهم وأحاديثهم إلا بأسم «الخلوع».

(٣) الإشارة إلى إبراهيم بن المهديّ عم الخليفة. (أنظر الأغاني ج ٩ ص ٧١)

(٤) الضمير يعود إلى روى الحكاية وهو إسحاق بن إبراهيم الموصلي.

«إبراهيم فقبل ما وطئت رجلاه من بساطه . فأمر له بمائتي ألف دينار . ولقد رأيته»
 «يوما ، وعلى رأسه بعض غلمانته ، فنظر إليه فقال : وَيْلَكَ ! ثيابك هذه تحتاج إلى أن»
 «تُغسل . انطلق ، تُغْدُ ثلاثين بكرة ، فأغسل بها ثيابك .»

(١)
 ولقد حدثني علوي [الأعرس وهو أبو الحسن علي بن هبة الله بن سيف] عنه
 قال : لما أحيط به وبلغت حجارة المنجنيق بساطه ، كما عنده فغنته جارية له بغناء
 تركت فيه شيئا لم يُجَدِّ حكايته . فصاح : يا زانية ! تغنني الخطأ ! خذوها ! فحملت .
 وكان آخر العهد بها .

قلت : فالأُمون ؟ (الأمون)

قال : «أقام بعد قدومه عشرين شهرا لم يسمع حرفا من الغناء . ثم سمعه من وراء»
 «حجاب ، متشبها بالرشيد . فكان كذلك سَبْعَ حَجَج . ثم ظهر للندماء والمغنين .»
 قال : «وكان حين أحب السماع ظاهرا بعينه ، أمكبر ذاك أهل بيته وبنو أبيه .»
 ويقال إنه سأل عن إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٢) فغمزه بعض من خضر ، وقالوا :
 ما يغادر تيبها وبأوا^(٣) . فأمسك عن ذكره . قال : بغناه زُرُّر يوما فقال له : يا إسحاق ،
 نحن اليوم عند أمير المؤمنين ! فقال إسحاق : فغنت بهذا الشعر :

(١) الزيادة التي بين [عن كتاب الأغاني لأبي الفرج .

(٢) كان الأمون يعقد مجلسا لفريق الأرزاق ، فكانت إسحاق هذا أتت من يدخل عليه في طائفة
 الوزراء ، ثم القواد ، ثم القضاة ، ثم الفقهاء والمحدثين ، ثم الشعراء ، ثم المغنين ، ثم الرماة في الحدف . (عن ذيل
 أمالي القال ص ٩٠)

(٣) البار هو الفخر والكبر والتب . قال حاتم الطائي :

فما زادنا بأوا على ذي قسابة * غنانا ، ولا أزدى بأحسابنا الفقر .

نأنظر هذه القصة أيضا في المقد الفريد (ج ٣ ص ٢٤٤) .

بِاسْرَحَةِ الْمَاءِ قَدْ سُلِّتْ مَوَارِدُهُ، * أَمَا إِلَيْكَ طَرِيقٌ غَيْرُ مَسْلُودٍ؟
لِحَاثِمٍ حَامٍ حَتَّى لَا تَحْرَاكَ بِهِ * مُحَلٍّ^(١٤) عَنْ سَبِيلِ الْمَاءِ مَطْرُودٍ^(١٥).
فلما غناه به زُرْزُر، أطربه وأبهجه وحرك له جوارحه. وقال: ويلك! من هذا؟

- (١) وردت هذه الكلمة هكذا: "سرحة" في سه، صه وفي "الأغاني" والطبري و"معجم الأدباء" وأكثر كتب الأدب التي وقعت لنا، ومنها محاسن الملوك. وأما صاحب العقد الفريد فقد روى صدر البيت هكذا: "يا مشرع الماء". والرواية الأولى هي الأصح والأصوب، وإن كانت الثانية فيها شبهة من جهة المعنى. والسرحة شجرة عظيمة بلا شوك تنبت في بلاد العرب وفي نجد خصوصاً، وورقها أخضر دائماً، وهي جملة المنظر. [وبسببها أهل شتيط (آتيل). وفي أ شعارهم "ذر السرح" وهو موضع يسمى عندهم باللغة البربرية "لواتيل" وهو تعريب له كما ترى. استندت ذلك من الأستاذ الشيخ أحمد بن الأمين الشنقيطي.] ومثل ذلك في بلاد العرب مواضع كثيرة مثل السرحة، وذات السرح، وذو السرح. (أنظر ياقوت ج ٢ ص ٥٠٣، ج ٤ ص ٤٨٠؛ روح ٣ ص ٢٨٦؛ وج ١ ص ٥٣٦ و ٥٨٠، ج ٣ ص ٧٨٢)
وأصل الكناية عن المرأة بالسرحة أن عمر بن الخطاب أنذر الشعراء بالجلد إذا هم شبيها بالنساء. فقال حميد ابن قور في ضمن قصيدة له:

- تَرَانِي إِنْ عَلَلْتُ نَفْسِي بِسَرْحَةٍ * مِنْ السَّرْحِ مَوْجُودٌ عَلَى طَرِيقٍ
أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ سَرَحَةَ مَالِكٍ * عَلَى كُلِّ سَرَحَاتِ الْعُضَاءِ تَرَوْقُ
(وأنظر ياقوت ج ٣ ص ٧١).

- هذا وقد أورد صاحب "لسان العرب" البيهقي اللذين نحن بصددهما وقال كنى بالسرحة الباطنة على الماء عن المرأة، لأنها حينئذ أحسن ما تكون. (أنظر مادة سرح)
(٢) في صه: "حيام"، وكذلك في الأغاني (ج ٩ ص ٦١)، وفيه "حوام" (ج ٣ ص ١٠٦)
وقد أورد هذه الحكاية باسم علويه بدلا من زرزور وأضاف بيانات أخرى. ولكنها هنا أوفى وأكمل.
(٣) ممنوع أي مطرود.

- (٤) في الأغاني في الموضعين المذكورين: "طريق"، وكذلك في صه. وفي لسان العرب: "طريق الورد".
(٥) استحسن الأصبهني هذا الشعر وقال: "غير أن هذه الحائآت لو اجتمعت في آية الكرسي، لعانتها".
(عن الوسيط في تراجم أدباء شتيط للأستاذ أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبع القاهرة سنة ١٩١١: ص ٣١١)

قال : عبدك المحفوق المطرَح ، ياسيِّدى ، إسحاق . قال : يحضر الساعة . فجاءه رسوله ، وإسحاق مستعدٌّ ، قد عَلِمَ أنه إن سمع الغناء من بُجيد مؤدٍّ أنه سيبحث إليه . فجاءه الرسول ، فَحَدَّثْتُ^(١) أنه لما دخل عليه ودنا منه ، مَدَّ يده إليه ثم قال : آدُنْ منى ! فَاكْبَ عليه وأحتضنه المامونُ وأدناه وأقبل عليه بوجهه مُصْفِيًا إليه ومسوراً به .



مسألة
الملك لندمائه

ومن أخلاق الملك السعيد ترك القُطوب في المنادمة ، وقلة التحفُّظ على ندمائه ، و [لا] سِيَّما إذا غُلِبَ أحدهم على عقله ، وكان غيره أملك به منه بنفسه .

٣٥

وللسكر حدة إذا بلغه نديم الملك ، فاجل الأمور وأحراها بأخلاقه أن لا يؤاخذَه بِزَلَّةٍ إن سبقتَه ، ولا بالفضل إن غلبت لسانه ، ولا بهفوة كانت إحدى خواطره .

حد الإغضاء
من الزلات

والحد في ذلك أن لا يعقل ما يقول ولا يفعل له ، وإن خلى ونفسه رمى بها في مهواه ، وإن أرا: أحد أخذ ثيابه لم يمانعه .

مواطن
المعاقبة عاليا

فأما إذا ذن من بعريف مديان وما يندُر . وكان إذا رام أحد أخذ مامعه قاتله دونه ، وكان إذا شبت غصيب وانتصر ، وإذا تكلم أفصح وقل سقطة : فإذا كانت هذه صفته ثم جاءت منه زلة ، فعلى عميد أتاها وبقيص فعلها . فالملك جدير أن يعاقبه بقدر ذنبه . فإن رُكَّ يتقوبه بهذا ومن أشبهه ، قدح في عزه وسلطانه .

(١) الصواب للمحقق .

(٢) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة بالفاظ الملاحظ مخصوصة - (ص ٦١)

(٣) لا شك أن أداة النى (لا) قد سقطت من عبارة الجاحظ . وقد نصوا على وجوبها واستشهدوا بقول امرئ القيس * ولا سيما يوم بدارة جُلجل * وأشد أئمة الله أن من أهمها فقد أخطأ . (أنظر التسهيل وشرحه وخاتمة الأثرفى في باب الاستثناء ، وأنظر البيان الوافى في "تاج العروس" (مادة رس وى) .) وأنظر أيضا ص ١٥٧ من هذا الكتاب .

(٤) أى لنفسه .

ومن الحق على الملك أن لا يجاوز أهل الجرائم عفوً جرائمهم. فإن لكل ذنب عقوبة: إما في التمرية والنواميس، وإما في الإجماع والأصطلاح. فمن ترك العقوبة في موضعها، فبالحرى أن يعاقب من لا ذنب له. وليس بين ترك العقوبة (إذا وجبت) وعقوبة من لا ذنب له، فرق. وإنما وضع الله الملوك بهذه المواضع الرفيعة ليقتوموا كل ميل ويدغموا كل إقامة.

الاقتصار في العقوبة



ومن أخلاق الملك، أن لا يشارك بطانته ونايابه في مس طيب ولا نجس. فإن هذا وما أشبهه يزرع الملك فيه من مساواة أحد. وكذا يجب على بطانة الملك ومقارنته أن لا يمسوا طيباً إذا تطيب، لينهرد الملك بذلك دونهم.

تفرّد الملك الطيب والتعبد بدينه

وليس الطيب كالطعام والشراب للذين لا بد من مشاركة التمداء فيهما. فاما كل ما أمكن الملك أن ينفرد به دون خاصته وحاشته، فمن أخلاقه أن لا يشارك أحداً فيه.

وكذا حكى عن أنوشروا ومعاوية بن أبي سفيان. وبعض أهل العلم يحكى عن الرشيد ما يقرب من هذا.

وأولى الأمور بأخلاق الملك - إن أمكنه التفرّد بالماء والهواء - أن لا يشارك فيهما أحداً. وإن الماء والعز والأبهة في التفرّد.

(١) نهى صاحب الغاموس عن استعمال "القراء" بمعنى الأقارب، ونسب الجوهرى إلى العاقبة. ووافقه الأكتيون ومنهم الحريرى في "درة القواص"، ومن رأيهم أن الواجب أن يقال "ذو القربة". ولكن هذا اللفظ ورد بهذا المعنى في الحديث الشريف، وعليه جرى الجاحظ في جميع هذا الكتاب. (وأنظر التصيل في تاج العروس في مادة ق، رب)

(٢) الخامة هي العامة، وأيضا أخصا. الرجل من أهله وولده وذوى قرانته.

سنة ملوك
الفرس في ذلك

(١) ألا ترى أن الأمم الماضية من الملوك، لم يكن شيء أحب إليهم من أن يفعلوا
شيئاً تعجز عنه الرعية، أو يتزوّوا بزوي يتهون الرعية عن مثله .

فمن ذلك أردشير بن بابك، وكان أنبل ملوك بني ساسان . كان إذا وضع
التاج على رأسه، لم يضع أحد في المملكة على رأسه قضيب رنجان متشعباً به .
وكان إذا ركب في لينة، لم ير على أحد مثلاًها . وإذا تغمّ بخاتم، فغرام على أهل
المملكة أن يتغمّوا بمثل ذلك الفص، وإن بعد في التشابه .

سنة سادات العرب
والخلفاء في ذلك

وهذه من فضائل الملوك . وطاعة أهل المملكة أن تتخاضع أكثر زوى الملك وأكثر
أحواله وشيئيه، حتى لا يأتي إلا بد لها منه .

وهذا أبو أحيحة سعيد بن العاص . كان إذا أعتق بمكة لم يعتق أحد بعمة
مادامت على رأسه .

وهذا الحجاج بن يوسف . كان إذا وضع على رأسه طويلة، لم يتخترى أحد من
خلق الله أن يدخل وعلى رأسه مثلاًها .

وهذا عبد الملك بن مروان . كان إذا لبس الخلف الأصفر، لم يلبس أحد من
الخلق خفاً أصفر حتى يتزّعه .

(١) في سه، صه : يفعل .

(٢) صه : أمثل .

(٣) حالة من حالات اللبس .

(٤) أول من روى ذلك ابن الكلبي في كتاب الأسماء الموجودة نسخته الوحيدة المعروفة في العالم بخزانة
كتبي . قال (في ص ٢٠ من الأصل و ٢٠ من طبعنا) : " وكان سعيد بن العاص أبو أحيحة يعتق بمكة .
فإذا أعتق لم يعتق أحد بلون عمامته " . وروى ذلك أيضاً ابن دريد في كتاب الاشتقاق (ص ٢٩) وقال إنه
ذو العمامة وإن " أحيحة تصغير أمة وهو ما يجده الإنسان في قلبه من حرارة غيظ وحر . والأمة والأصاح
واحد وقد استقصينا هذا في كتاب الجهرة " .

(٥) أي فلندوة طويلة عالية . وكان هذا النوع من القلائس خاصاً بالأمرأاء ، وبالقضاة أيضاً (كما تدل
على ذلك عبارة البيهقي في " المحاسن والمساوي " ص ٢١٣) .

وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس ^(١) دخل على [أحمد] ابن أبي دؤاد ^(٢) [بن علي] وعليه مبطنة ملونة من أحسن ثوب في الأرض، وقد أعمت على رأسه رصافية بعمامة نرسوداء لها طرفان خلفه وأمامه، وعليه خُف أصفر، وفي يده عكازة ابنوس ملوح بنهيب، وفي إصبعه فص ياقوت تضيء يده منه. فنظر إلى هيئة ملائكة قلبه، وكان جسيما، فقال: "يا إبراهيم! لقد جئتني في لبسة وهيئة ما تبصّلح إلا لواحد من الخلق." ^(٣) فأنصرف فلم يأتِهِ حتى مات.

وحدثني أبو حسان الزياتي ^(٤) (وذَكَرَ الفضل بن سهل فترجم عليه) وقال: وجهه إلى في ليلة - وقد أُوِيْتُ إلى فراشي - رسولا فقال: يقول لك ذو الرياستين:

(١) أي من عهد قريب من المؤلف. [أنظر ص ١٠٤ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٢٦ من هذا الكتاب]

(٢) من أكابر رجالات بني العباس وخصوصا في دولة المأمون والمعتصم والواثق.

(٣) هذه العبارة توخّج لنا ما لم يتيسر للعلامة دوزي Dozy الوقوف عليه أثناء تأليفه لمعجم الثياب عند العرب Dictionnaire des Vêtements chez les Arabes. فيؤخذ من كلام الجاسق هنا وما يليه بأربعة عشر سطرا أن الرصافية هيئة عمّة على قلنسوة خاصة بالخليفة أو وليّ عهده. ويؤخذ من كلام ابن خلّكان (في ترجمة جعفر البرمكي) أن أكابر بني هاشم كان لهم هذا الحق أيضا. ذكر ابن خلّكان أن عبد الملك بن صالح دخل مجلس جعفر هذا، وقال إنه كان على رأسه رصافية. وقد روى صاحب الأغاني هذه الحكاية بحرفها تقريبا (جزء ٥ ص ١١٨) وقال إن عبد الملك نزع قلنسيته. فذلك دليل على أن الرصافية نوع مخصوص من القلائس المعجمة.

(٤) صم: فنظر إليه بهيبة.

(٥) يعني الخليفة.

(٦) من أكابر فقهاء بغداد الذين آمنهم المأمون بخلق القرآن. وهو من أهل الفتوى والرواية. وقد ولّاه

المتوكل قضاء مديرية الشريعة بمصر سنة ٢٤١ (أبو المحاسن في "النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٦٣٩ و ٧٣٥)

لأنتم غداً على قلنسوة إذا حضرت الدار^(١). قال : قَبِثُ واجِباً، وأنا لا أعلم ما يريد بذلك . وَغَدَوْتُ ، وغدا الناس على طبقاتهم ومراتبهم . بفاء الحسين بن أبي سعيد إلى مَنْ في الدار، فقال : إن أمير المؤمنين يقعد في هذا اليوم ويعتم على قلنسوة ، فأنزعوا عماosكم!

وحدثني بعض أصحابنا عن الحسن بن قريش^(٢) قال : لما مات القاسم بن الرشيد ، وَجَّهَ إلى المأمون رسولاً فأثبته . فجعل يسألني عن عياله وعن أمواله ، ويشكوه إلى ، ويقول : كان يفعل كذا ويفعل كذا . فكان في تلك الشكاية أن قال : وكان إذا ركب^(٣) بمرور^(٤) ، ركب في رصافية^(٥) .

عبد الملك
في مجلس الشراب

* ومن أخلاق الملك إذا علم أن بعض الندماء قد بلغ غاية مجهوده في الشرب وأن الزيادة بعد ذلك تضر ببدنه وجوارحه أن يأمر بالكف عنه ، وأن لا يكلف فوق وسعه . فإنه من تجاوز حق العدل عن الخاصة ، لم تطمع العامة في إنصافه . *

٢٩
مقالة
الندماء للوك

ومن حق الملك أن لا يكلمه أحد من الندماء مبتدئاً ولا سائلاً لحاجة ، حتى يكون

(١) يعني قصر الخلافة . والحكاية تدل على أن الواقعة حصلت بمرور ، لأن الفضل بن سهل قُتل في بلده (سرخس) عند عودة المأمون إلى بغداد .

(٢) ص : الحسن .

(٣) ص : مرس . وأظن الطبري (سلسلة ٣ ص ٥٢) فقد ورد فيه اسم هذا الرجل . وكان من خاصة المأمون ، وقد حدثته الخليفة عن أخيه القاسم هذا . (الحاسن والمسوي ص ١٨٧)

(٤) متى أطلق الكتاب هذا الاسم ، فإنما يريدون به مرور الشاهجان ، لا مرور الروذ . والأول هو أكبر دائن خراسان ، وكان المأمون عاملاً عليها لا يبه .

(٥) تألف المأمون لأن أخاه كان يتعمد التشبه به ؛ ولم يراع الواجب في تركه يتمرد بالرصافية في عاصمة ملكه ؛ ولو أن القاسم حقاً في لبسها لأنه هو أيضاً ابن الخليفة .

(٦) هذه الجملة المحصورة بين النجستين * * منقولة عن ص .

هو المبتدئ بذلك. ^(١) فإن جهل أحد ما يلزمه في ذلك، تقدّم إليه فيما يجب عليه. فإن عاد، فعلى الموكل بأمر الدار أن يُحسن أدبه وأن لا يَأْذَنَ له في الدخول، حتى يكون الملك يبتدئ ذكره. ثم يوعز إليه أنه إن عاد، أُسْقِطَتْ مرتبته فلم يَطأُ بساطَ الملك.

وكان شيرويه بن أرويز يقول: "إنما تُعَذَّرُ البطانة برفع حوائجها إلى المملوك عند ضيقة تكون، أو عند جفوة تنالهم من ملوكهم، أو عند موت يحدث لهم، أو عند تتابع أزيمة. فإذا كان ذلك، فعلى الملك تعهد ذلك من خاصته حتى يصلح لهم أمورهم ويسدّ خللتهم. فإذا كانوا من الكفاية في أقصى حدودها، ومن خفض العيش في أرفع خصائصه، ومن ذات اليد وإدراار العطايا في أتم صفاتها، ثم فتح أحد فاه بطلب ما فوق هذه الدرجة، فالذي حداه على ذلك الشره والمنافسة. ومن ظهرت هاتان منه كان جديراً أن تُنزع كفايته من يده وتُصير في يد غيره، ويُنقل إلى الطبقة الحسيسة، فيلزم أذنان البقر وحرارة الأرض."



ومن أخلاق الملك أن لا يَمُنَّ بإحسان سبَق منه، ما استقامت له طاعة من أنعم عليه ودامت له ولايته، إلا أن يخرج من طاعة إلى معصية. فإذا فعل ذلك، فمن



من الملوك بنعمهم
عند الضرورة فقط

(١) دخل الإمام الشافعي على الرشيد وسلم فرد الخليفة عليه السلام ثم قال: "من العجب أن تتكلم في مجلسي بغير أمرى!" (أنظر شرح القصة في ص ٤٢ من كتاب "مناقب الشافعي" لفخر الدين الرازي، طبع بجمهورية مصر سنة ١٢٧٩). وأول خليفة مع الناس من الكلام عند الخلفاء وتقدم فيه وقوم عليه عبد الملك بن مروان "البيان والتبيين" ج ٢ ص ١٢، وعلى هذا النظام جرى خلفاء الإسلام، حتى جاد القاضي أحمد بن أبي دؤاد المنقوي سنة ٢٤٠ هـ، فكان أول من بدأهم بالكلام، وكانوا لا يكتبون حتى يتكلموا. (أنظر ابن خلكان في ترجمته، وأنظر "شذرات الذهب" ج ١ ص ٥١٦)

(٢) سه: عقوبة.

أخلاقه أن يَمُنَّ عليه أولاً بإحسانه إليه، ويُذَكِّرُه بلاءه عنده وقلة شكره ووفائه، ثم يكون من وراء [ذلك] عقوبته بقدر ما يستحقُّ ذلك الذنب في غلظه ولينيه.

وحدثني محمد بن الجهم وداود بن أبي داود قالا: جلس الحسن بن سهل في مُصَلَّى الجماعة لنعيم بن خازم، فأقبل نعيم حافياً حاسراً وهو يقول: "ذنبى أعظم من السماء! ذنبى أعظم من الهواء! ذنبى أعظم من الماء!" قالا: فقال له الحسن بن سهل: "على رِسْلِكَ! تقلمت منك طاعة، وكان آخر أمرك إلى توبة. وليس للذنب بينهما مكان. وليس ذنبك في الذنوب بأعظم من عفو أمير المؤمنين في العفو."^(١)

+

عدم العقوبة
في حال الغضب

ومن أخلاق الملك السعيد أن لا يعاقب وهو غضبان. لأن هذه حال لا يُسَلَّم معها من التمدي والتجاوز لحدة العقوبة. فإذا سَكَنَ غضبه ورجع إلى طبعه، أمر بعقوبته على الحد الذي سنَّته الشريعة وتقلته الملة.^(٢) فإن لم يكن في الشريعة ذكر عقوبة ذنبه، فن العدل أن يجعل عقوبة ذلك الذنب واسطة بين غليظ الذنوب وليتها، وأن يجعل الحكم عليه فيه، ونفسه طيبة وذكر القصاص منه على بال. فاما العقوبة فلا تجوز إذا رُفِعَ أمرها إلى الملك.^(٣)

(١) كثيراً ما يروى الجاحظ عن هذا الإنسان في كتاب "الحَيَوان" وفي كتاب "البيان والتبيين".

(٢) كان في مئة المأمون حينما أرسله إلى مرو أبوه هارون قبل وفاته بثلاث وعشرين ليلة. وصار من قواده ورجال دولته حينما أفضت إليه الخلافة. (طبري سلسلة ٣ ص ٧٣٤ و ٨٤١ و ١٠٢٢).

(٣) هذه الجملة المحصورة بين النحمتين* منقولة عن صـ. (وهي واردة في "البيان والتبيين" ج ١ ص ٤٥).

(٤) سـ: الأئمة.

(٥) سـ: "فاما العفو فلا يجوز إذا رفع أمره إلى الملك". وهذه الرواية أيضاً وجه وجهه. والضمير

راجع إلى الذنب. والمعنى أن الملك لا يجوز له تعطيل الشريعة بالعفو عن الجاني.

وليس الذنب بحضرة الملك كالذنب بحضرة السُّوقَة، ولا الذنب بحضرة الحَاكِم^(١)
كالذنب بحضرة الجَاهِل. لأن الملك هو بين الله وبين عباده. فإذا وجب بحضرة
الذنب، لمن حقه العقوبة عليه ليزدجر الرعايا عن العيافة والتتايغ^(٢) في الفساد.



ومن حقّ الملك - إذا هم بالحركة للقيام - أن تسبقه بطائفة وخاصة بذلك .
فإن أوما إليهم أن لا يرحوا، لا يقعد واحد منهم حتى يتوارى عن أعينهم .
فإذا خرج، فمن حقه أن تقع عينه عليهم وهم قيام .
فإذا قعد، كانوا على حالهم تلك .

فإن نظر إليهم ليقعدوا، لم يقعدوا بحملة، بل تقعد الطبقة الأولى أولاً، فإذا قعدت
عن آخرها، تبعها الطبقة الثانية، فإذا قعدت عن آخرها، تبعها الطبقة الثالثة .
وأيضاً فإن لكل طبقة رأساً وذنباً، فمن الواجب أن يقعد من كلّ طبقة رأسها
ثم همّ جراً على مراتب الطبقة أولاً أولاً .



ومن حقّ الملك أن لا يدنو منه أحد - صغراً أو كبيراً - حتى يمسّ ثوبه ثوبه إلا
وهو معروف الأبوين، في مُرَكَّب^(٣) حسيب، غير خامل الذكر ولا مجهول .

(١) هكذا في سه، صه . ولعل الصواب: "الحكيم" أو "الحليم"

(٢) التايغ بالمتانة التحية: التهافت، الإسراع في الشرّ (قاموس).

(٣) المُرَكَّب كمعظم الأصل والمثبت (قاموس).

فإن أحتاج الملك إلى مشافهة خامل أو وضيع رأيته نظر إليها، لما لنصيحة يسرها إليه أو لأمر يسأله عنه، فمن تنق الملك أن لا يتجلى أحدا يدنو منه حتى يفتش أولا، ثم يأخذ بضبعه آثان، أحدهما من يمينه والآخر عن شماله. فإذا أبدى ما عنده وقبل منه الملك ما جاء به، فمن ثمة سئل الملك الإحسان إليه والعائدة عليه والنظر في حاجته - إن كان له - ليرغب ذور النصائح في رفعها إلى ملوكهم والتترتب بها إليهم^{١٠}.

++

الاحتياج
للحديث الملك

ومن حق الملك، إذا حدثت بحديث أن يصرف من حضره فكره وذهنه نحوه. فإن كان يعرف الحديث الذي يتحدث به الملك، استمعه استماع من لم يدر، وحاسة سمعه قط ولم يعرفه، وأظهر السرور بفائدة الملك والاستبشار بحديثه. فإن في ذلك أمرين: أحدهما ما يظهر من حسن أدبه، والآخر أنه يعطي الملك حقه بحسن الاستماع. وإن كان لم يعرفه، فالنفس إلى فوائد الملوك والحديث عنهم أقرب وأشهى منها إلى فوائد السوق ومن أشبههم.

وإنما مدار الأمر والغاية التي إليها يجرى الفهم والإفهام والطلب ثم التثبت. قال عمرو بن العاص: "ثلاثة لا أملهن: جليسي ما فهم عني، وثوبي ما سترني، ودابتي"

(١) في نسخة: "الاستماع وإن كان لم يعرفه فلنفس". وقد أكلت موضع اليأس وصححت العبارة، بناء على ما في نسخة وعلى ما أورده المسعودي. فانه نقل هذه الحكاية برمتها مع تغيير قليل، وزيادة وقصان، واضطراب في التقسيم، وقال إنها قاله حكما، اليونان. لعله نقلها هو والجاحظ عن كتاب آخر. (أنظر مروج الذهب - ج ٦ ص ١٢٨)

(٢) أي أشد حرصا. [حاشية في نسخة] - ورأيت نسخة: "أقرب"، وهي بعيدة عن الصواب.

ما حملت رَحْلِي^(١)، وذكر الشعبي ناساً، فقال: "ما رأيت مثلهم أشد تناقداً في مجلس ولا أحسن فهماً عن محدث".

وقال سعيد بن سلم [الباهلي] لأُمير المؤمنين المأمون: "لو لم أشكر الله إلا على حسن ما أبلاني أمير المؤمنين من قصده إلى بالحديث وإشارته إلى بطرفه، لقد كان ذلك من أعظم ما تفرضه الشريعة وتوجبه الحزبية". قال المأمون: "لأن أمير المؤمنين والله يبعد عنك من حسن الإِفهام إذا تحدّثت، وحسن الفهم إذا حدّثت ما لم يبعده عند أحدٍ فيما مضى ولا يظنُّ أنه يبعده فيما بقي^(٢)".

(ما حمل لرحل
كان أنوشروان،
يساره)

٤٣

وفما يُحكى عن أنوشروان أنه يتنسا هو في مسيره له (وكان لا يساره أحد من الخلق مبتدئاً وأهل المراتب العالية تتلف ظهره على صراحتهم، فإن آلتفت يميناً، دنا منه صاحب الحرس، وإن آلتفت شمالاً، دنا منه المؤبد، فأمره بالحضار من أراد مسيرته) قال: فألتفت في مسيره هذا [يميناً]، فدنا منه صاحب الحرس، فقال: فلان، فأحضره. فقال: حدّثني عن أردشير بن بابك حين واقع ملك الخزر، وكان الرجل قد سمع من أنوشروان هذا الحديث مرة. فاستعجم عليه وأوهمه أنه لا يعرفه. فأتته أنوشروان بالحديث. فأصغى الرجل إليه بجوارحه كلها، وكان مسيره على شاطئ نهر. وترك الرجل - لا يقبله - على حديثه - النظر إلى مواطئ حافر دابته، فزالت إحدى قوائم الدابة، فمالت بالرجل إلى الهر فوقع في الماء ونفرت دابته، فابتدرها حاشية الملك وغلماؤه، فازالوها عن الرجل، وجذوه فحملوه على أيديهم حتى أخرجوه. فأغتم لذلك أنوشروان، ونزل عن دابته، وبسط له هالك. فأقام حتى

(١) أنظر رواية أخرى لهذه الكلمة في "كامل" المبرد (ص ١٥٠)

(٢) هاتان الفقرتان المحصورتان بين نجمتين * منقولتان عن ص -

(٣) من يفتح الخاء والزاي اسم جيل (قايوس)، والمتعارف الآن عند الفرنج ضم الخاء. وآدها، موت.

تغذى في موضعه ذلك. ودعا بتياب من خاص كسوته، فألقيت على الرجل، وأكل معه. وقال له: كيف أغفلت النظر إلى موطن حافر دأبتك؟ قال: "أيها الملك! إن الله إذا أنعم على عبده بنعمة، قابلها بحجة وعارضها ببليّة. وعلى قدر النعم تكون المحن. وإن الله أنعم على بنعمتين عظيمتين، هما: (١) إقبال الملك على وجهه من بين هذا السواد الأعظم؛ وهذه الفائدة وتدير هذه الحرب التي حدثت فيها عن أردشير حتى لو رحلت إلى حيث تطلع الشمس أو تغرب، كنت فيه راجحاً. فلما اجتمعت نعمتان جليلتان في وقت واحد، قابلتهما هذه المحنة. ولولا أساورة الملك وخدمته [وحسن جده]، كنت بمعرض هلكة. وعلى ذلك، فلو غرقت حتى أذهب عن جديده الأرض، كان قد أبقى لي الملك ذكراً مثلاً مُحلّداً، ما بقي الضياء والظلام.

فسر الملك وقال: ما ظننتك بهذا المقدار الذي أنت فيه!

فخشا قمه جوهرها ودّزا رائعا ثميناً، وأستبطنه حتى غلب على أكثر أمره. (٤)

وهكذا يحكى عن [أبي شجرة] يزيد بن شجرة الرهاوى، أنه بينما هو يسير معاوية

(ما وقع لأبن شجرة الرهاوى حينما حادته معاوية)

(١) في سـ، صـ: "منها" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودى.

(٢) في سـ، صـ: "ومن هنا هذه" تحريفاً عن "منها". وقد صححت بمعونة المسعودى.

(٣) الزيادة عن المسعودى. ١٥

(٤) نقل المسعودى هذه الحكاية بتمامها وبحرفها، إلا في كلمات قليلة. وقال إنه وجدها في كتب سير الملوك

من الأتاجم. ونسبها إلى شيرويه بن أبريز، وقال إن الرجل هو بئدار بن خرشيد (جزء ٦ ص ١٢٤ - ١٢٦).

ونقلها أيضاً صاحب كتاب "تنبيه الملوك والمكايد" (ص ٢٧ - ٢٩). وأختصرها صاحب "محاسن

الملوك" (ص ٨١ - ٨٢). ونقلها بالحرف الواحد في "المحاسن والمساوى" ص ٤٩٤ - ٤٩٥.

(٥) من أركان دولة معاوية. أرسله إلى مكة سنة ٣٩ ليقم الناس الحج وليأخذ له البيعة ويطرد عامل على

عنها. ثم أرسله بعد ذلك لغزو الروم في البحر مره أومرتين (سنة ٤٩ وسنة ٥٦). وهو منسوب إلى قبيلة

من العرب (أنظر تاج العروس في مادة ر ه و). وأما النسبة إلى المدينة المشهورة بآسيا الصغرى فهي

الرهاوى؛ بضم الراء.

آبن أبي سفيان، ومعاوية يحدثه عن يوم نزاعة وبنى مخزوم وقريش^(١). وكان هذا قبل الهجرة. وكان يوماً أشرف فيه الفريقان على الهلكة حتى جاءهم أبو سفيان فأرتفع ببعيره على رابية ثم أومأ بكميه^(٢) إلى الفريقين، فأنصرفوا^(٣).

قال: فبينما معاوية يحلث يزيد بن شجرة بهذا الحديث، إذ صك وجه يزيد حجر

عائر فادماه^(٤)، وجعلت الدماء تسيل من وجهه على ثوبه، [وهو] ما يمسح وجهه.

فقال له معاوية: لله أنت! ما ترى ما نزل بك؟ قال: وما ذلك، يا أمير المؤمنين؟

قال: هذا دم وجهك يسيل على ثوبك! قال: أعتق ما أملك^(٥)، إن لم يكن حديث

(١) في المسعودي: "يحدثه عن جرمان يوم كان لبنى مخزوم وغيرهم من قريش". وفي بعض نسخه: "جرمان". [والصواب نزاعة كما هو وارد في س، صه].

(٢) س: "بكمه" صبه: "بكفه". [والصحيح عن "محاسن الملوك"].

(٣) هذه القصة لم نجد لها غير الجاحظ والذين نقلوا عنه مثل المسعودي وصاحب "تنبيه الملوك" وصاحب "محاسن الملوك". ولعل الواقعة التي يشير إليها هي المذكورة في آخر ديوان حسان بن ثابت الصحابي، وفي السيرة الحلبية (ج ١ ص ١٤٣ طبع المرحوم الزبير رحمت باشا العباسي في بولاق سنة ١٢٩٥ هـ، وج ١ ص ٢٧٢ طبع العلامة وستفيلد في مدينة ليك سنة ١٨٥٨ م)

(٤) في سه غاير. وفي صه غاير. [وهذه الكلمة كثيرا ما يصحفها النساخون والطابعون. فتارة يضمنون "غاير" وأخرى "غاير" وأخرى "عابر". والصواب "عائر" بالعين المهملة والياء التحتية المثناة المهموزة. قال صاحب تاج العروس في مادة (ع و ر): والعائر من السهام ما لا يدري راميها وكذا من الحجارة. وراجع العوائر].

(٥) في المسعودي: أعتق ما أملك. ولكن سه آتفرده بجعل الضمير للفائب على سبيل الحكاية لئلا تقع اليمين على المتكلم أو القارئ. فوردت فيه العبارة هكذا: "عتق ما يملك". وعلى ذلك جرى كثير من الكتاب. وذلك من باب التشدد في التأثم والتحرج. وإذا كان ناقل الكفر ليس بكافر، فكيف يقع في اليمين من يردى بمجرد كلام لغيره؟ ولعلهم أرادوا عدم جريان اليمين بثل هذه الآيات

أمير المؤمنين الهادي حتى غمر فكري وغطى على قلبي، فما شعرت بشئ حتى نبهني أمير المؤمنين. فقال له معاوية: لقد ظلمك من جعلك في ألف من العطاء، وأخرجك من عطاء أبناء المهاجرين، و^(١)كافة أهل صفين! فأمر له بخمسمائة ألف درهم، وزاده في عطائه ألف درهم، وجعله بين جلده وثوبه.^(٢)

فلئن كان يزيد بن شجرة خدع معاوية في هذه، فمعاوية ممن لا يتخادع ولا يُجارى.^(٣)
..... ولئن كان بلغ من بلاد يزيد بن شجرة وقلة حسه ما وصف به نفسه، ما كان يجدير بخمسمائة ألف وزيادة ألف في عطائه. وما أظن ذلك خفي عن معاوية، ولكنه تغافل على معرفة، لما وقاه حق رياسته.^(٤)

[ويروى عن معاوية أنه كان يقول: "السرو التغافل"^(٥)]

(١) ص: حاة.

(٢) روى هذه القصة في "تنبيه الملوك" بالفاظ الجاحظ (ص ٢٩)، ورواها صاحب "محاسن الملوك" باختصار (ص ٢٠). وأوردها صاحب "المحاسن والمساوي" بالحرف الواحد (ص ٤٩٥ - ٤٩٦).

(٣) ص: يجارى.

(٤) نقل المسعودي هذه الحكاية أيضا عن الجاحظ، ولم يسمه كما جرت عادته. ولكنه حينما أضطر لنقل فكره وتقديره عند قوله "فلئن كان يزيد بن شجرة"، لم يجد بدا من الإشارة إليه بطريق الوصف والتعميم، فقال: "قال بعض أهل المعرفة والأدب من صف الكتب في هذا المعنى وغيره" ثم نقل العبارة الثانية برمتها أيضا، مع تغيير قليل في الألفاظ أوفى مواضعها. (مروج الذهب ج ٦ ص ١٢٨ - ١٣٠)

(٥) هذه الجملة من زيادات ص. [ومعنى السرو السخاء في مروة. فيكون المراد من هذه المقولة أن الظاهر بالقلة هو من دلائل السخاء المزوج بالمروة. وسترد هذه المقولة أيضا صفحة ١٠٣ من هذا الكتاب.]

(مارقع لابي بكر
الهدل حين احاده
السفاح)

٤٦

وكذلك حكي عن أبي بكر الهذلي^(١) أنه بينما هو يسامر أبا العباس إذ تحدث أبو العباس
بحديث من أحاديث القُرس، فعصفت الريح، فأذرت طسا^(٢) من سطح إلى مجلس
أبي العباس، فأرتاع ومن حضره. ولم تحرك أبو بكر لذلك، ولم تزل عينه متطلعة لعين
أبي العباس. فقال له: ما أعجب شأنك، يا هذلي! لم تُرغ مما راعنا! قال: يا أمير المؤمنين،
إن الله عز وجل يقول: "مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ". وإنما للرد قلب^(٣)
واحد. فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين، لم يكن فيه لحديث جبال. وإن الله،
إذا أنفرد بكرامة أحدٍ وأحب أن يبقى له ذكرها، جعل تلك الكرامة على لسان
نبيه أو خليفته. وهذه كرامة خُصصتُ بها، مال إليها ذهني وشغل بها فكري.
فلو أنقلبت الخضراء على الغبراء، ما حسستُ بها ولا وجمت لها إلا بما يلزمني في نفسي^(٤)

- ١٠ (١) اسمه سليمان بن عبد الله (الأعلاق النفيسة لابن رسته ص ٢١٣). وهو من مشاهير أهل
البصرة وكان من أخص جلساء أبي العباس السفاح، وله بحضرته مناظرة بديعة في تفضيل البصرة على
الكوفة وأهلها وكان مناظرة ابن عباس المتوفى (الآتي ذكره في متن الكتاب وماشيته في الصفحة التالية)
أوردتها ابن الفقيه في كتاب البلدان (ص ١٦٧ - ١٧٣ وتكلفتها في ص ١٩٠). وهو من الضعفاء
في الحديث، ومات سنة ٦٧ (شذرات الذهب ج ١ ص ٢٩٣).
- ١٥ (٢) أى أوقعت الريح طستا. وفي ص: "فأوردت طستا"، وقد رواها صاحب "مطالع البدر"
(ج ١ ص ١٩٢). والذي في المسعودي: "فأذرت ترابا وقطعا من الأجر من أعلى السطح إلى المجلس".
وأفطر "شذرات الذهب" (ج ١ ص ٢١٧). وقد روى الراغب الأصفهاني في "محاضراته" (ج ١
ص ١١٧) واقعة أخرى شبيهة بهذه من كل الوجوه، فقال: كان أبو القاسم الكعي المتكلم في مجلس أمير خراسان
فسقط من السطح طست قفزت منه عرصة الدار. فلم يلتفت أبو القاسم عن الأمير. فقال الأمير لا يصلح
لوزارتي إلا هو.

(٣) في المسعودي: "بمحادثة".

(٤) ص: البيضاء.

(٥) ص: توجهت.

لأمير المؤمنين . فقال أبو العباس : لئن بقيتُ لك بالأرفع منكَ ضَبْعاً لا تطيف به السباع ولا تحطُّ عليه العقبان^(٢) .

وكان [عبد الله] بن عيَّاش المتتوف يقول : لم يتقرب العائمة إلى الملوك بمثل^(٣) (كلمة أمّ عيَّاش المتتوف)
الطاعة ، ولا العبيد بمثل الخدمة ، ولا البطانة بمثل^(٤) .

(١) الضَّبْع (بضم الباء) العضد . والجملة هنا تخاية ، بمعنى لا توهنُ بأسمك . (أنظر القاموس وأساس البلاغة) .
وفي المسعودي : "صعباً" . [وهو تحريف ظاهر] .

(٢) أورد المسعودي هذه القصة بتبديل في الألفاظ وزيادة وقصصات (فروج الذهب ج ٦ ص ١٢٢ - ١٢٣) . وأوردها صاحب "مخاسن الملوك" باختصار (ص ٢٠) . ونقلها بطريق يسير صاحب "المخاسن والمساوي" (ص ٤٩٦) .

(٣) هو من رجالات المنصور العباسي ، وكان من النساين . ويعرف بالمتتوف لأنه كان ينصف لحيته .
(ابن قتيبة في كتاب "المعارف" ص ٦٨) . ذكره ابن الأثير في حوادث سنتي ١٤٧ و ١٥٨ .

ركب المنصور معه يوماً ، فقال له : تعرف ثلاثة حلفاء أسماؤهم على العين ، قتل ثلاثة خوارج مبدأً
أسمائهم على العين ؟ قال : لا أعرف إلا ما يقول العائمة إن علياً قتل عثمان (وكذبوا) ، وعبد الملك قتل
عبد الرحمن بن الأشعث ، وعبد الله بن علي سقط عليه البيت . [وكان المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد ،
سجين عبد الله بن علي هذا في بيت أساسه ملح ، وأجرى الماء في أساسه فسقط عليه فأت .] فقال المنصور :

إذا سقط عليه ، فماذا نبي ، أنا ؟ قال : ما قلت إن لك ذنباً . وقد روى المسعودي هذه المحادثة بتفصيل أوفى
(ج ٦ ص ٢١٧ - ٢١٨) ، وساقها الراغب الإصفهاني في محاضراته باللفظ سباق (ج ٢ ص ٢٠٥) .

وفي صبح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٥) : ملكان إسلاميان أول اسم كل واحد منهما عين ، قتل كل واحد
منهما ثلاثة ملوك أول اسم كل واحد منهم عين . أحدهما عبد الملك بن مروان ، قتل عمرو بن سعيد ، وعبد الله
ابن الزبير ، وعبد الرحمن بن محمد الأشعث . والثاني أبو جعفر المنصور (وأسمه عبد الله) قتل أبا مسلم الخراساني
(وأسمه عبد الرحمن) ، وعمه عبد الرحمن بن علي ، وعبد الجبار بن عبد الرحمن والي خراسان . [وأنظر ص ١١٤
من هذا الكتاب] .

(٤) نقلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤) .

(١) وكان [أبو زُرعة] رَوْحُ بن زَيْنَاع [بن رَوْح بن سلامة الجُدَامِي] يقول: إن أردتَ أن يُمَكِّنَكَ الْمَلِكُ مِنْ أَدْنَاهُ، فَأَمَكِّنْ أَدْنَكَ مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ إِذَا حَدَّثَ. (كلمة روح بن زنباع) (٤٧)

(٢) وكان أسماء بن خارجة [الفَزَارِيُّ] يقول: ما غلبني أحد قط غلبة رجلٍ يصنعي إلى حديثي. (كلمة أسماء بن خارجة الفزاري)

وكان معاوية يقول: يُغَلِّبُ الْمَلِكُ حَتَّى يَرْكَبَ بِشَيْئَيْنِ: بِالْحِلْمِ عِنْدَ سَوْرَتِهِ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَى حَدِيثِهِ. (كلمة معاوية) (٢)

(١) قال في "تاج العروس" إن كل من سمي "رَوْح" من المختلطين فهو بالفتح، إلا رَوْح بن القاسم، فإنه بالضم. وروح بن زنباع الجُدَامِي من رجالات بني أُمَيَّة. كان في سنة ٦٤ واليا على فلسطين للخليفة مروان بن الحكم، فوثب عليه بابل بن قيس الجُدَامِي فأخرجه، وباع لابن الزبير حين قيامه بالخلافة في الحجاز. ثم عاد رَوْح واليا عليها، بعد أن أُلْقِيَ خطبة جلد بها الناس لبيعة مروان بن الحكم دون عبدالله بن عمر بن الخطاب ودون عبدالله بن الزبير. (أنظرها في ابن الأثير في حوادث سنة ٦٤). ولذلك صار من أجل الناس عنده وعند أبنه عبد الملك بن مروان. وكان جليسه وأنيبه ونديمه وسميره ومشيره حتى قال الخليفة فيه إنه جمع ثلاث خصائل لم تجتمع في غيره: فقه الحجاز، في دهاء أهل العراق، في طاعة أهل الشام. (المقد الفريد ج ١ ص ٩ و ٢٠٧ وأسد الغابة). وقد وقعت له مع هذا الخليفة ومع زوجته الأعرابية حكاية طريفة أوردها في "المحسن والمساوي" (ص ٤١٩). [وأنظر صفحة ١١٣ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب]. (١٥)

ثم صار مشيراً للوليد بن عبد الملك. ومع ما كان عليه من الفضل والدهاء والذكاء، فقد وقعت له حكاية طريفة مضحكة أثناء وجوده بالكوفة مع بُشَيْرِ أَخِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ واليا. أوردها في "مروج الذهب" (ج ٥ ص ٢٥٤ - ٢٥٨ - وفي المستطرف ج ٢ ص ١١٢)

(٢) قلها المسعودي (ج ٦ ص ١٢٣ - ١٢٤).

(٣) أسماء بن خارجة هو ابن حصن بن حذيفة بن بدر. كان سيد بني فزارة، وكان من أخصياء الكوفة. مات سنة ٩٦. وله ترجمة في "وفات الوفيات" (ج ١ ص ١٤). ولم يل أسماء بن خارجة شيئاً للسلطان (المقد الفريد ج ١ ص ٤١).



آداب أهل الزلفى
بعد المضاحكة

ومن أخلاق الملك، إذا قرب إنسانا أو أنس به حتى يهزله ويضاحكه ثم دخل عليه بعد، أن يدخل دخول من لم يحير بينهما أنس^(١) فقط وأن يظهر من الإجلال له والتعظيم والاستخاء أكثر مما كان عليه قبل. فإن أخلاق الملوك ليست على نظام.



تكر أخلاق الملوك

ومن أخلاقهم أن لا تكون أخلاقهم معروفة فيتمثل عليها ويعاملون بها. ألا ترى أن الملك قد يغضب على الرجل من حمايته، والرجل من حاقته ويطأنته: إما لجنائيه في صلب مال، أو لحياسانه حرمة الملك، فيؤثر عقوبته دهرًا طويلا، ثم لا يظهر له ما يؤجس حتى يتيق ذلك في اللحظة والكلمة والإشارة وما أشبه ذلك. وليست هذه أخلاق سائر الناس، إذ كنا نعلم أن طبائع الناس الانتصار في أول أوقات الجنائيات وعند أول بوادر الغضب.



صبر الملوك على
مضض الحقد حتى
تحنين الفرصة

فأما الملوك وأبناؤهم، فليست تقاس أخلاقهم ولا يُعابَر عليها. إذ كان أحدهم يضع أعدى خلق الله له بين أذنه وعاتقه، وبين سمِّه ونحره. فتطول بذلك المسدة وتمتد به الأزمنة. وهو لو قُتِل في أول حادثة تكون وعند أول عثرة يعثر لم يكن

(١) الخسوع والافتاد. وفي "الأغانى": أنت تخضع لهذا، هذا الخسوع وتسلمى له؟ (ج ٧ ص ١٨٣)

(٢) صم: تعامل.

(٣) السم (بالفتح) هو الزنة. والمراد به هنا ما يتعاضد به، وهو الصدر. قالت عائشة (رضي الله عنها): "مات رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بين سمري ونحرى." تعنى بين صدرها ونحرها. والمقصود شدة الاقتراب والاتراق، كما نقول أيضا: بين سمه وبصره. (عن تاج العروس)

(٤) صم: وهوله. سم: ريقولون.

بين هذه القِتلة وبين الأخرى بعد ما بعشرين سنة فرق. إذ كان لا يخاف تأراً، ولا في الملك وهناً.

(معاينة أنوشروان
لمن خافه في حريمه)

ولما يذكر عن سيرة أنوشروان أن رجلاً من خاصّ خدمه جنّ جنائياً أطلع عليها أنوشروان، والرجل غالط عنه، وكانت عقوبة تلك الجنائية توجب القتل في الشريعة. فلم يدرك كيف يقتله : لا هو وجدّ أسراً ظاهراً يقتل بمثله الحكماء فيسفك به دمه، ولا قدر على كشف ذنبه لما في ذلك من الوهن على الملك والمملكة، ولا وجد لنفسه عذراً في قنسله غيلةً، إذ لم يكن ذلك في شرائع دينهم ووراثه سلفهم. فدعا به بعد جنائيه بستة فاستغلاه وقال : قد عزبني أسراً من أسرار ملك الروم، وبني حاجة إلى أن أعلمها، وما أجدني أسكن إلى أحد سكوني إليك، إذ حلت من قلبي المحل الذي أنت به . وقد رأيت أن أدفع إليك مالا لتحيل إلى هناك تجارةً وتدخل بلاد الروم فتقيم بها لتجارتك . فإذا بعثت ما معك، حملت مني في بلادهم من تجارتهم وأقبلت إلى . وفي خلال ذلك تُصنّئني إلى أحبارهم وتطليع^(١) طلع ما بنا حاجة إليه من أموالهم وأسرارهم .

(٤٩)

فقال الرجل : أفعل أيها الملك، وأرجو أن أبلغ في ذلك محبة الملك ورضاه . فامر له بمال، وتجهز الرجل ونرج تجارة . فأقام ببلاد الروم حتى باع واشترى^(٢) ولقن من كلامهم ولغتهم ما عرف به مخاطبتهم وبعض أسرار ملكهم^(٣) . ثم أنصرف إلى

(١) حَزَبَ الأمر اشتد عليه . أصابه منه غم .

(٢) أى : تعلم أسرارهم الذي نحن في حاجة إلى معرفته .

(٣) أى قهيم وحفظ بسرعة .

(٤) صه : أسرارهم .

- أنوشروان بذلك . فاستبشر بقدومه وزاد في برّه ، وردّه إلى بلادهم وأمره بطول
المقام بها والتربّص بتجارته ، ففعل حتّى عُرف واستفاض ذكره . فلم تزل تلك حاله
ستّ سنين . حتّى إذا كان في السنة السابعة ، أمر الملك أن تُصوّر صورة الرجل
في جام من جاماته التي يَشْرَبُ فيها ، ويُجَعَلُ صورته بإزاء صورة الملك ، ويُجَعَلُ مخاطباً
للكم ومشيراً إليه من بين أهل مملكته ، ويُدْنَى رأسه من رأس الملك في الصورة كأنه
يُسِرُّ إليه . ثم وَهَبَ ذلك الجلام لبعض خدمه ، وقال له : "إن الملوك ترغب في هذا
الجلام . فإن أردت بيعه ، فادفعه إلى فلان إذا خرج نحو بلاد الروم بتجارته . فإنه إن
باعه من الملك نفسه ، ففعلك ؛ وإن لم يُمْكِنْ بيعه من الملك باعه من وزيره أو من
بعض حاشيته . " بفاء غلام الملك بالجلام ليلاً ، وقد وضع الرجل رجله في غُرْزِ رُكابه ^(٢) ،
فسأله أن يبيع جلامه من الملك ، وأن يَخِذَ بذلك عنده يداً . وكان الملك يقدّم ذلك
الغلام ، وكان من خاصّ غلمانته وصاحب شرايه . فأجابه إلى ذلك ، وأمره بدفع الجلام إلى
صاحب نحرانته ، وقال : " احفظه ! فإذا صرْتُ إلى باب الملك ، فليكن فيما أعرضه
عليه . " فلما صار إلى ملك الروم ، دفع صاحب الخزانة إليه الجلام فعزله فيما يعرض
على الملك . فلما وقع الجلام في يدي الملك ، نظر إليه ونظر إلى صورة أنوشروان فيه . وإلى
صورة الرجل وتركيبه : عُضْوًا عُضْوًا وجارحةً جارحةً . فقال : " أخبرني ، هل يُصوّر
مع الملك صورة رجل خسيس الأصل ؟ قال : لا . قال : فهل يُصوّر في آتية الملك
صورة لا أصل لها ولا علّة ؟ قال : لا . قال : فهل في دار الملك أثنان يتشابهان

(١) صه : يساره .

(٢) الفرز هو الركاب من جلد مخروزر .

في صورة واحدة حتى يكون هذا كأنه هذا في الصورة، وكلاهما نديماً الملك؟ قال:
لا أعرفه. فقال: قم! ققام. فتأملته قائماً، فوجد صورته قائماً في الجلام. ثم قال: أدير!
فأدير، فتأمل صورته في الجلام مُديرًا. ثم قال: أقبل! فأقبل. فتأمل صورته في الجلام مقبلاً.
فوجدتها بحكاية واحدة وتخطيط واحد. فضحك الملك ولم يحترئ الرجل أن يسأله
عن سبب ضحكك، إجلالاً له وإعظاماً. فقال ملك الروم: الشاة أعقل من الإنسان
إذ كانت تأخذ مُدْيَتِها فتدْفِنُها، وأنت أهديت إلينا مُدْيَتَكَ بيدك! ثم قال له: تغديت؟
قال: لا. قال: قربوا له طعاماً. فقال الرجل: أيها الملك! أنا عبد ذليل، والعبد
لا يأكل بحضرة الملك. فقال: أنت عبد ما كنت عند ملك الروم متطلعاً على أموره
متتبعا لأسراره، بل أنت ملكٌ ونديمٌ ملكٍ إذا قدمت بلاد فارس. أطعموه! فأطعم
وسقى الخمر حتى إذا تميل، قال: إن من سنن ملوكنا أن تقتل الجواسيس في أعلى
موضع تقدر عليه، وأن لا تقتله جائعاً ولا عطشاناً. فأمر أن يصعد به إلى صرح
كان يُشرف منه على كل من في المدينة، إذا صعد. فضربت عنقه هناك، وألقيت
جثته من ذلك الصرح، ونصب رأسه للناس.

فلما بلغ ذلك كسرى، أمر صاحب الحرس أن يأمر المقرد بصوت الحراسة
— إذا ضربَ بأجراس الذهب — أن يقول: إذا مر على دور نساء الملك وجواريه:

(١) سره: تبحر.

(٢) روى المقرئ من ابن عبد الظاهر "أن خادماً رأى من مشرف عال ذباحاً، وقد أخذ رأسين من الغنم
فدبح أحدهما ورعى سكينته ومضى ليقضى حاجته. فأتى رأس الغنم الآخر وأخذ السكين بقمه ورمها في البالوعة.
بلغها الجزار يطوف على السكين، فلم يجدها. وأما الخادم، فإنه استصرخ وخلصه منه. وطلوع بهذه القضية أهل
القصر، فأمروا بعمله جامعا" (الخطوط ج ٢ ص ٢٩٣). وهذا الجامع هو المعروف اليوم بجامع الفاكهاني.

(٣) صه: يأمر بالعود يضرب.

”وكل نفس وجب عليها القتل في الأرض تقتل، إلا من تعرض لحريم الملك فإنه يقتل في السماء.“

(١) فلم يدري أحد من أهل مملكته ماذا أراد بذلك حتى مات.

(٢) فليس في الأرض نفس تصبر على مَضَض الحقد ومطاوله الأيام بها صبر المملوك. ولذلك بطل القياس على أخلاقهم، ووجهت آراء ذوى الحجا والتميز في العمل عليها والمقابلة بها حتى تخرج على وزن واحد وبنظم مؤلف.

(٣) وكذلك يُحكى عن عبد الملك بن مروان وعمرو بن سعيد الأشدق، أنه أقام

٥٣
(تكملة عبد الملك بن مروان بن نازمه الملك)

(١) روى صاحب ”تنبيه الملوكة“ هذه القصة عن الجاحظ (ص ٣٠ - ٣٤)، وهي واردة بالحرف في ”الحاسن والأضداد“ (ص ٢٧٧ - ٢٨٠)

(٢) الضمير يعود إلى النفس.

(٣) في ”الاشتقاق“ لأبن دُرَيْد (ص ٤٩) مانعه: عمرو بن سعيد بن العاص يعرف بالأشدق، وهو الذي يلقب بلعيب الشيطان. لما بلغ خبره إلى ابن الزبير (وهو مطالب بالخلافة في مكة) صد المتبر لحمد الله وأخى عليه ثم قال: إن أبا ذئبان قتل لعيب الشيطان ”وكذلك نُؤَلَّى بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون“. قتله عبد الملك بن مروان في خطب طويل ذكره المؤرخون بالتفصيل، منسل المسعودي (ج ٥ ص ١٩٨ و ٣٣٤-٣٣٩)، وابن الأثير (في جوادث سنة ٦٩). لكن حكاية ابن الأثير لا تلتك على تردد عبد الملك في شأنه بضع سنين كما يصرح به الجاحظ، وهو الحق. كان الرجل ذا شهامة وفصاحة وبلاغة وإقدام، وكبرياء وعظمة لا نهاية لها. سعى في حمل الناس على مبايعة مروان، بهد أن اتفق معه على أن يجعله ولي عهده بعد خالد بن يزيد. فلما تم الأمر لمروان، تقضى الشرط ويجعل الخلافة لابنه عبد الملك، على أن يكون خالد وعمرو ولي عهده بعده. ولكن عبد الملك تخلص من خالد بأيسر سبب، وجرَّبه أمر عمرو وهو يصابره. وكان بينه وبين عبد الملك مكاتبات ومحادثات بشأن الخلافة. كتب إليه عبد الملك: ”إنك لتطمع نفسك بالخلافة، ولست لها بأهل“. فأجابه عمرو: ”استدراج النعم إياك أفادك البغي، ورائحة القدرة أوردتكَ الغفلة، زحرت عما واقفت عليه، ونذبت إلى ما تركت سبيله. ولو كان ضعف الإنسان يؤيس الطالب، ما أنتقل سلطان ولا ذل عزيز. وعن قريب يتبين من صريع بغي وأسير غفلة“. قال في المستطرف =

بضع سنين يزاول قتله. ^(١) فمرة يرجئه، وأخرى يهيم به، ومرة يحجم، وأخرى يقسدهم، حتى قتله، على أخبث حالاته.

وحديثي قثم بن جعفر بن سليمان ^(٢)، قال: حدثني مسرور الخادم ^(٣): قال: أشهد بالله! لَكُنْتُ من الرشيد وهو متعلق بأستار الكعبة بحيث يمس ثوبي ثوبه، وهو يقول في مناجاته ربه: "اللهم! إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى". ثم قتله بعد ذلك بخمس سنين أو ست. ^(٤)

(تكية الرشيد بالبرامكة)

ومن حق الملك أن لا يرفع أحد من خاصته وبطانته رأسه إلى حرمة له، صغرمت أم كبريت، فكم من فيل قد وطئ هامة عظيم وبطنه حتى بدت أمعاؤه، وكم من

مراعاة حرمة الملك

== (ج ٢ ص ٤٤) إنه سمي بالأشدق لأنه كان مائل الشدق. وأنظر التفاصيل في المواطن التي نهينا عليها. [وأنظر الأقوال الأخرى التي رواها الجاحظ في سبب تسميته بالأشدق وأنه كان خطيباً مفوهاً "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٢١ - ١٢٢ وأنظر أيضاً ص ١٨٤ - ١٨٥ مه].

(١) سمه: راود.

(٢) هو قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس. كان عاملاً على المدينة، وأميراً على البصرة. وله فيها مجالس علم وأدب. (أنظر البلاذري والأغاني في فهارسها)

١٥

(٣) في الأصل: "حسين"، ولا نعلم أن للرشيد خادماً خاصاً بهذا الاسم. ولذلك أبدلناه بجادمه المشهور وهو: "مسرور". يؤيد ذلك أيضاً رواية "تنبيه الملوك والمكايد" الواردة في الحاشية رقم ٥ من هذه الصفحة.

(٤) سمه: مع.

(٥) في "تنبيه الملوك والمكايد" ما نصه: "كان الرشيد أدهى الناس وأكتمهم لسره. وما يدا على ذلك ما حدث به مسرور خادمه، قال: كنت مع الرشيد في بعض سني جهه، فسمعتُه وقد ألزم المستجار من الكعبة وهو يلتفت يمينا وشمالا، وكنت بين أستار الكعبة لم يرفى - وهو يقول: "اللهم إني أستخيرك في قتل جعفر بن يحيى!" مراراً كثيرة.. فلما سمعته طار عقل ونخشت أن يعطى بي، فيكون ذلك سبب هلاكى. فاقبلت أتعوذ، ولم أزل أحتال حتى استلكت من الأستار. قال أبو هاشم مسرور الخادم: فكان بين الوقت الذي استخار الله فيه في قتل جعفر بن يحيى وبين قتله سبع سنين". (صفحة ١٩٧ - ١٩٨)

٢٠

شريف وعزيز قوم قد مزقته السباع وتمششته^(١)؛ وكم من جارية كانت كريمة على قومها عزيزة في ناديتها قد أكلتها حيتان البحر وطير الماء؛ وكم من جمجمة كانت تُصان وتعل بالمسك والبان^(٢) قد أُلقيت^(٣) بالعراء، وَغِيِبَتْ جُثَّتُهَا فِي الثَّرَى بِسَبَبِ الْحَرَمِ والنساء، والخدم، والأولياء! ولم يَأْتِ الشيطان أحداً من بابٍ قط حتى يراه بحيث يَهْوَى منقسم اللحم والأعضاء، هو أبلغ في مكيدته وأحرى أن يرى فيه أُمْنِيَّتَهُ من هذا الباب، إذ كان من أطف مكايد وأدق وساوسه وأحلى ترينده^(٤)!

(١) أى مَصَّتْ عظمه . وفى سـ : "تمزقته السباع وتمششته" . وفى صـ : "تمزقته السباع وتمششته" . وفى "الحاسن والأضداد" : ونهشته .

(٢) أى تُطَلَّب مرة بعد أخرى بالمسك الخ ، مَلَّه بالحناء يعله ويعله "الكامل للبرد" . والعليقة المرأة المظلية مليا بعد طيب "قاموس" . وفى صـ : تعل . وفى نسخ "الحاسن والأضداد" : تفل ، تعل ، تغدا . [وأغفل صفحة ١٥٥ من هذا الكتاب والحاشية ١ و ٢ منها]

(٣) يطلق العرب اسم البان على شجرتين مختلفتين . فالأولى هى المساة أيضا بشجرة الخلاف ، وهى التى يسم بها الشعراء ويشبهون قوام المحبوب بقضبانها . وهى كثيرة بمصر . والخلاف نوع من الصفصاف (Saulo) أو هو غيره . ويطلقون اسم الخلاف فى مصر على زهرة مما يُنَمَّ رطباً ويُستَطر مثل الورد والنسرین والنيلوفر (نهاية الأرب ، فى الباب الأول من القسم الأول من الفن الرابع ؛ وحسن المحاضرة) . وفى "صبح الأعشى ج ١ ص ٣٩٣" أن البان والخلاف من الفواكه المشحومة وأنهما نوعان .

أما اسم هذا البان عند علماء النبات فهو *Salix Egyptiaca* . والشجرة الثانية هى التى عنها الجاحظ . تشبه الأثل ولها ثمر كأنه البلوز فيه حب كالفسق ، ومنه يستخرجون الدهن المشهور بدهن البان أو بالبان فقط . وهذا الثمر يسمى بالشوع أيضا . ودهنه يدخل فى تركيب قفأس الطيب والأعطار والغوالى . وتوجد شجرته ببلاد العرب . واسمه العلمى (*Fuilandina moringa*) واسمه العامى المشهور عند الفرنج (Ben) مأخوذ عن العربية . (راجع آبن البيطار وترجمته إلى الفرنسية فى الكتابات التى ذكرناها)

(٤) صـ : نبذت .

(٥) من باب ضرب بمعنى يسقط .

(٦) فى نسخ "الحاسن والأضداد" (ص ٢٧٣ — ٢٧٤) أجل ترايته ، أجل بواقته .

فعلى الحكيم المحب لبقاء هذا النسيم الدقيق، وهذا الماء الرقيق، أن يطلب
دوامهما لنفسه بكل حيلة يجد إليها سبيلا؛ ويدفع مفارقتهما لكل شئ يقع فيه
التأويل بين أمرين من سلامة تُنجي أو عَظْبٍ يُتلف؛ ولا يتشكّل على خيانة خفيت
أو جهرية حطى بها أحد من أهل السفه والبطالة. فإنّ تلك لا تُسمى سلامة، بل
إنما هي حسرة وندامة، يوم القيامة. وكم من فعلة قد ظهر عليها بعد مرور الأيام
وطول الأزمنة بها، فردّت من كان قد أحسن بها الظنّ حتى تركته كأمس الذاهب،
كأن لم يكن في العالم!

+

ومن حقّ الملك - إذا أسّ بإنسان حتى يضاحكه ويهازله ويُفَضِّلَ إليه بستره
ويخصّه دون أهله، ثم دخل على الملك داخل أو زاره زائر - أن لا يرفع إليه طرفه،
إعظاما وإكراما، وتجيلا وتوقيرا؛ ولا يضحك لضحك الملك ولا يعجب لعجبه.
وليكن غرضه الإطراق والصمت وقلة الحركة.

إغفاء البصر
بمحضرة الملك

٥٥

- (١) يكفى بالنسيم الدقيق عن النفس؛ وبالماء الرقيق عن الدم.
- (٢) سمه : مفارقتها بكل . صه : مفارقتها بكل . [وربما كان الأصوب ما وضعناه في من الكتاب :
”ويدفع مفارقتها لكل شئ الخ“ أى يحول دون ارتكابها لأى أمر تكون عاقبته مشكوكا فيها بين السلامة
والهلاك] . قال في تاج العروس : ”قارنه مفارقة قرافا : قاربه . ولا تكون المقارنة إلّا في الأشياء الدنيئة .“
- (٣) صه : غضب .
- (٤) سمه : تسمى .
- (٥) الفعل ما هو رقتى مثل أردى ، بمعنى أهلك . وفى صه : فأوردت .
- (٦) أمس الذاهب ، وأمس الدابر ، وخبر كان : كلها بمعنى واحد . (أنظر لسان العرب في د ب ر)

خض الصوت
بمحضرة الملك

تأديب الله
للمصاحبة

ومن حق الملك أن لا يرفع أحدُ صوتهَ بمحضرة . لأن من تعظيم الملك وتجييله
خَفَضَ الأصوات بمحضرة ، إذ كان ذلك أكثر في بهائه وعزّه وسلطانه .

وهذا أَدَبُ الله أصحاب رسوله (صلى الله عليه وسلم) ، فقال عزّ من قائل :
”يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ“ . فَأَخْبَرَ أَنَّ مَنْ رَفَعَ صَوْتَهُ
فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ فَقَدْ آذَاهُ ، وَمَنْ آذَاهُ فَقَدْ آذَى اللَّهَ ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ .

وكان قومٌ من سفهاء بني تميم أَتَوْا النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) فقالوا : يا محمد !
أُتْرِجْ إلينا نَكَلِّمَكَ . فَنَمَّ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وساء ما ظهر من سُوءِ
أَدَبِهِمْ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ”إِنَّ الَّذِينَ يَسْأُدُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْقِلُونَ“ (١)

ثم أَتَى عَلَى مَنْ غَضَّ صَوْتَهُ بِمُحَضَّرَةِ رَسُولِهِ ، فقال جلَّ أَسْمُهُ : ”إِنَّ الَّذِينَ يَغْضُّونَ
أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى“ (٢)

(٥٦)

فمن تعظيم الملك وتجييله خَفَضَ الأصوات بمحضرة ، وإذا قام عن مجلسه :
حَتَّى لَا يَدْخُلَ الْمَلَأَ ، وَهْنٌ وَلَا خَلَلٌ وَلَا تَقْصِيرٌ ، فِي صَغِيرٍ أَمِيرٍ وَلَا جَلِيلِهِ .

حرمة مجلس الملك
في غيبه

وكانت ملوك الأعاجم تقول : إِنَّ حُرْمَةَ مَجْلِسِ الْمَلِكِ إِذَا غَابَ كُحْرُمَتُهُ إِذَا حَضَرَ .

(١) أنظر قصة هذا الومد في كتب السيرة النبوية ، وفي ”صبح الأعشى“ (ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٦) .
وفي ”البيان والتبيين“ (ج ٢ ص ٣٩) .

(٢) أنظر ”محاضرات الراغب“ (ج ١ ص ١١٧) .

(١) وكان لها عيون على مجالسها، إذا غابت عنها . فمن حضرها، فكان في كلامه وإشارته وقلة حركته وحسن ألفاظه وأدبه - حتى أنفاسه - على مثل ما يكون إذا حضر الملك، سمي ذا وجه . ومن خالف أخلاقه وشيئيه وظهر منه خلاف ما يظهره بحضرة الملك، سمي ذا وجهين، وكان عند الملك متقوصاً متصنعاً^(٢).

الرباء على مجالس
ملك العجم عند
غيايهم



ومن أخلاق الملك أن يخلع على من أدخل عليه سروراً، إما في خاصة نفسه وإما في توكيد ملكه . فإن كان السرور لنفسه في نفسه، فمن حقه على الملك أن يخلع عليه خلعة في قرار داره، وبحضرة بطانته وخاصته . وإن كان في توكيد ملكه، فمن حقه أن يخلع عليه بحضرة العامة، لينشر له بذلك الذكر ويحسن به الأحداث وتصلح عليه النيات، ويستدعى بذلك الرغبة إلى توكيد الملك وتسديد أركانه .

مواطن المكافآت



وليس من العدل أن يُقرّر المحسن بخلعة فقط، إلا أن تكون الخلعة على شرب أو لهو . فإما إذا كانت لأحد المعنيين الذين قدمنا ذكرهما، فمن العدل أن يكون معها جائزة وصلة وترتيب، أو ولاية أو إقطاع أو إجراء أرزاق أو فك أسير أو حمل خيالات أو قضاء دين أو إحسان، كائن ما كان، مضافاً إليها وموصولاً بها .

بيان المكافآت
وخصوصها
وعموها

(١) أ، رباء .

١٥

(٢) صه : مقصيا . [وعلى فرض صحة هذا الحرف فالواجب أن تكون صيفته هنا "مقصي" إذ لا يقال "مقصيا" في اسم المفعول . وأنظر القاموس وشرحه في مادة ق ص و]

باب

في صفة ندماء الملك

ينبغي أن يكون نديم الملك معتدل الطبيعة، معتدل الأخلاق، سليم الجوارح والأخلاق، لا الصفراء تغلقه وتكثر حركته، ولا الرطوبة والبلغم يقهره ويكثر بوله وبزقه وتشاوبه ويطيل نومه، ولا السوداء تضججه وتطيل فكره وتكثر أمانيه وتفسد مزاجه. فأما الدموي^(١)، فليس يدخل في هذه الأقسام المذمومة، إذ كان بالبدن إليه حاجة لحاجته إلى تركيبه وسلامته.



ومن حقّ الملك - إذا زامله بعض بطانته - أن يكون عارفاً بمنسازل الطريق وقطع المسافة، دليلاً بهدأته وأعلامه ومياهه، قليل التثاؤب والنعاس، قليل السعال والعطاس، معتدل المزاج، صحيح البنية، طيب المفاكهة والمحادثة، قصير المياومة والملايلة، عالماً بأيام الناس ومكارم أخلاقهم، عالماً بالنادر من الشعر والساثر من المثل، متطرفاً من كل فن^(٢)، آخذاً من الخير والشر بنصيب. إن ذكر الآخرة ونعيم أهل الجنة، حدثه بما أعد الله تعالى لأهل طاعته من الثواب، فرغبه فيما عنده؛ وإن ذكر النار، حدثه ما قرب إليها. فرهبه مرة، ورغبه أخرى. فإن بالملك أعظم

(١) ص: الدين.

(٢) الضمير يعود إلى "الدم" المفهوم من قوله "الدموي".

(٣) ص: ومناره.

(٤) ص: قصير الملايلة.

(٥) ص: منصرفاً.

الحاجة إلى مَنْ كانت هذه صفاته وبالْحَرِّ إِذَا أَصَابَ هَذَا، أَنْ لَا يَفَارِقَهُ إِلَّا عَنْ أَمْرٍ
تَقْطَعُ بِهِ الْعَصِمَةَ وَتَجِبُ بِهِ النِّقْمَةُ^(١).



وَمَنْ حَقَّ الْمَلِكُ، إِذَا خَرَجَ لِسَفَرٍ أَوْ نُزْهَةٍ، أَنْ لَا يَفَارِقَهُ خَلْعٌ لِلْكِسَاءِ، وَأَمْوَالٌ
لِلصَّلَاتِ، وَسِيَاطٌ لِلْأَدَبِ، وَقِيودٌ لِلْعَصَاةِ، وَسِلَاحٌ لِلْأَعْدَاءِ، وَحِمَاةٌ يَكُونُونَ مِنْ
وَرَائِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَمُؤَنِّسٌ يُفَضِّي إِلَيْهِ بَسْرَهُ، وَعَالِمٌ يَسْأَلُهُ عَنْ حَوَادِثِ أَمْرِهِ وَسُنَّةِ
شَرِيعَتِهِ، وَمُؤَلِّهُ يَقْصُرُ لَيْلَهُ وَيُكَثِّرُ فَوَائِدَهُ.

مدة الملك في نزوحه
لسفر أو نزوة



وَعَلَى هَذَا كَانَتْ مَلُوكُ الْأَعَاجِمِ، أَوْطَانًا وَآخِرَهَا.

وَأَيْضًا فَإِنَّ مَلُوكَ الْعَرَبِ، لَمْ تَزَلْ تَمَثِّلُ هَذَا وَتَفْعَلُهُ.

وَلَسَدُمَاءُ الْمَلِكِ وَبَطَانَتُهُ خِلَالُ يُسَافِرُونَ فِيهِ الْمَلِكُ ضَرُورَةً. لَيْسَ فِيهَا تَقْصَنَ عَلَى
الْمَلِكِ، وَلَا ضَعْفٌ فِي الْمَلِكِ. مِنْهَا: اللَّعِبُ بِالْكُرَّةِ، وَطَلَبُ الصَّيْدِ، وَالرَّيْ فِي الْأَغْرَاضِ،
وَاللَّعِبُ بِالشَّطْرَنْجِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

خلال النداء

وَمَنْ حَقَّ عَلَى الْمَلِكِ أَنْ لَا يَمْنَعُ مَلَاعِبَهُ مَا يَجِبُ لَهُ مِنْ طَلَبِ النِّصْفَةِ فِي هَذِهِ
الْأَقْسَامِ الَّتِي عَدَدْنَا.

مساواة الملك
للملاعبه

وَمَنْ حَقَّ الْمَلَاعِبُ لَهُ الْمَشَاحَةُ وَالْمُكَالَبَةُ وَالْمُسَاوَاةُ وَالْمَانَعَةُ وَتَرْكُ الْإِغْضَاءِ وَالْأَخْذُ^(٢)

حق الملاعب
على الملك

(١) فِي "الْقَامُوسِ": "الْحَرُّ الْخَلِيقُ. وَمَعْنَاهُ: بِالْحَرِّ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ. "وَفِي "الصَّحَاحِ": وَيَحْدِثُ الرَّجُلُ
الرَّجُلَ فَيَقُولُ: بِالْحَرِّ أَنْ يَكُونَ. [وَالْمَعْنَى هُنَا أَنَّ الْمَلِكَ إِذَا أَصَابَ رَجُلًا تَفَرَّقَتْ فِيهِ هَذِهِ الصِّفَاتُ
فَالْأُخْرَى وَالْأَجْدَرُ مَا لَا خَلْقَ بِهِ أَنْ لَا يَفَارِقَهُ إِلَّا فِي الْحَالَةِ الَّتِي نَصَّ عَلَيْهَا الْمُؤَلِّفُ.]

(٢) سَمِعْتُ: "الْقِيَمَةُ".

(٣) صَمْعَةُ: الْمُنَاقَاةُ.

من الحق بأقصى حدوده، غير أن ذلك لا يكون معه بدءاً ولا كلاماً رقيقاً ولا معارضةً بما يُزيل حقَّ الملك ولا صياحاً يعلو كلامه ولا تخيراً^(١) ولا قذفاً ولا ما هو خارج عن ميزات العدل.

١٠
ملاعبة سابور
على أمر مجهول

وفيما يُحكى عن سابور أنه لاعب تريا، كان له بالشرطيخ إمرة مطاعة^(٢). فقمره تريبه. فقال له سابور: ما أمرتُك؟ فقال: أركبك حتى أخرج بك إلى باب العامة. فقال له سابور: بئس موضع الدالة وضعتك، فردَّ غير هذا. فقال: بهذا جرى لفظي. فأيسف لذلك سابور وقام فدعا ببرقع، فتبرقع. ثم جثا لريبه، فأمتنع أن يعلو ظهر الملك، إجلالاً له وإعظاماً. فنادى سابور بعد ذلك بسنة في الرعية: لا يلبعن أحد لعبة على حكم غائب، فمن فعل قدمه هدر^(٣).

١٠ فاما إذا كانت المشاحة على طلب الحق في هذه الأقسام التي ذكرنا بمعارضة شعير، وتوبيخ في مثلي ونادير من الكلام، وإخبار عن سوء لعب اللاعب وتأنيب له، فهذا مما يُخطب به الملك ويُعارض فيه. فاما إذا خرج عن هذا، فدخل في باب الجرأة كما فعل تريب سابور، فإنه خطأ من فاعله وجهل من قائله وجرأة على ملكه. وليس للرعية الجرأة على الراعي.



١٥
آداب الملاعب
بالكرة وفغيره

ومن حق الرجل على الملك، إذا ضرب معه بالكرة، أن يتقدم بدابته على دابة

(١) التخير: مد الصوت في الخياشيم. (قاموس)

(٢) أي أن هذا التريب كانت عادته ودينه أن لا يلب الشطرنج إلا على إمرة مطاعة. والإمرة المطاعة هي الاحتكام.

(٣) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه القصة باختصار. (ص ٧٨)

الملك ، وصوّبَ لآلِه على صولجان الملك ، وأن يعمل جُهدَه في أن لا يُنخسَ حظُّه ولا يُفترَّ^(١) في مسايقية ولا مراكضية ولا ألتفافِ كرة ولا سبقي إلى حدٍّ ونهاية وما أشبه ذلك . وكذلك القول في الرماية في الأغراض وطلب الصيد ولعب الشطرنج .

سمعت محمد بن الحسن بن مُصعب يقول :^(٢) " كان لي صديق من بني مخزوم ، وكان لاعبا بالشطرنج . فذكرته لأبي العباس عبد الله بن طاهر ، فقال : أحضره . فقلت للمخزومي : تنياً للقاء أبي العباس . وكان متصرفاً كثير الأدب . فغدوتُ به ، فدخل . فلما وقعت عين أبي العباس عليه ، وقف . فرآه من بعيد ، ثم أنصرف من غير أن يكلمه . فقال : هذا رجلٌ من أهل الأدب ، فأعُدُّ به ولا عبئه الشطرنج بحضرتي

لعبة الشطرنج
بمحبرة عبد الله
ابن طاهر

(١) صـ : ولا يعين .

(٢) اضطرب اسم الأب في كثير من كتب التاريخ والأدب . فورد في صـ : " الحسين " وكذلك في كامل ابن الأثير طبع أوربة ومصر وفي " المحاسن والمساوي " ص ٢١٧ . وورد في صـ : " الحسن " وكذلك في الأضائق وفي صـ في موضع آخر [أي في صفحة ١٥٠ من هذا الكتاب] . أما الطبري فأورد الاسمين ، وفرق بينهما صاحب فهرسته بجعل " محمد بن الحسين " راوياً . ولا أدري من أين له هذه التفرقة ، فإن متن الطبري لا يفيدها . والظاهر عندي أنهما شخص واحد .

أولاً — لأن محمد بن الحسين بن مصعب لم يرد في الأغاني مطلقاً ، ولو كان راوياً — كما يزعم صاحب فهرست الطبري — — لكان من الرابع وقوع اسمه في كتاب الأغاني ؟

ثانياً — لأن ابن الأثير ذكر محمد بن الحسين بن مصعب (في حوادث سنة ١٩٨) ثم وصفه بأنه ابن عم طاهر ذي اليمينين الذي فتح بغداد باسم المأمون . ومعلوم أن طاهراً هذا هو ابن الحسين بن مصعب بلا خلاف . فيكون صاحبنا الذي أشار إليه الجاحظ هو محمد بن الحسن بن مصعب ، وإلا لكان عمه . ومحمد بن الحسن بن مصعب هذا هو الذي أرسله طاهر إلى المأمون بخراسان برأس الأمين بعد قتله ببغداد . فهو من عصابة عبد الله بن طاهر الذي وقعت الحكاية في مجلد . وقد كان بصيراً بالفناء والنعم ، وكان من الملحّنين . وذلك لأن أبا الفرج الإصفيهاني يقول إن الرجل نشأ بخراسان ، وبنعته بلقب الأمير . (ابن الأثير ج ٦ ص ١٠٠ و ٢٥٦) و (الأغاني ج ٥ ص ٣٨ و ٣٩ و ١٠٢ و ١٠٣ و ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨ و ١٠٩ و ١١٠ و ١١١)

حَتَّى أَبُورَهُ وَعَاشَهُ حَتَّى يَخْرُجَ إِلَى بَابِ الْهَزْلِ وَالشَّيْمَةِ. فَلَمَّا قَعَدْنَا، دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةً، فَقُلْتُ: خَذَهَا، وَأَنَا الْغَلَامُ الْبُوشَنجِيُّ! ^(٣) وَهُوَ سَاكِتٌ. ثُمَّ دَارَتْ لِي عَلَيْهِ ضَرْبَةً أُخْرَى، فَقُلْتُ: خَذَهَا، وَأَنَا مَوْلَى مَخْزُومٍ! فَسَكَتَ. ثُمَّ دَارَتْ عَلَيْهِ ضَرْبَةً، فَقُلْتُ: خَذَهَا يَا أَبْنِ مَخْزُومٍ، فِي حَرِيمٍ مَخْزُومٍ! فَسَكَتَ. وَأَسْتُوْذِنُ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ عَبْدِ الْمَلِكِ ٥ ١٠ ١٥ ٢٠ ٢٥ ٣٠ ٣٥ ٤٠ ٤٥ ٥٠ ٥٥ ٦٠ ٦٥ ٧٠ ٧٥ ٨٠ ٨٥ ٩٠ ٩٥ ١٠٠ ١٠٥ ١١٠ ١١٥ ١٢٠ ١٢٥ ١٣٠ ١٣٥ ١٤٠ ١٤٥ ١٥٠ ١٥٥ ١٦٠ ١٦٥ ١٧٠ ١٧٥ ١٨٠ ١٨٥ ١٩٠ ١٩٥ ٢٠٠ ٢٠٥ ٢١٠ ٢١٥ ٢٢٠ ٢٢٥ ٢٣٠ ٢٣٥ ٢٤٠ ٢٤٥ ٢٥٠ ٢٥٥ ٢٦٠ ٢٦٥ ٢٧٠ ٢٧٥ ٢٨٠ ٢٨٥ ٢٩٠ ٢٩٥ ٣٠٠ ٣٠٥ ٣١٠ ٣١٥ ٣٢٠ ٣٢٥ ٣٣٠ ٣٣٥ ٣٤٠ ٣٤٥ ٣٥٠ ٣٥٥ ٣٦٠ ٣٦٥ ٣٧٠ ٣٧٥ ٣٨٠ ٣٨٥ ٣٩٠ ٣٩٥ ٤٠٠ ٤٠٥ ٤١٠ ٤١٥ ٤٢٠ ٤٢٥ ٤٣٠ ٤٣٥ ٤٤٠ ٤٤٥ ٤٥٠ ٤٥٥ ٤٦٠ ٤٦٥ ٤٧٠ ٤٧٥ ٤٨٠ ٤٨٥ ٤٩٠ ٤٩٥ ٥٠٠ ٥٠٥ ٥١٠ ٥١٥ ٥٢٠ ٥٢٥ ٥٣٠ ٥٣٥ ٥٤٠ ٥٤٥ ٥٥٠ ٥٥٥ ٥٦٠ ٥٦٥ ٥٧٠ ٥٧٥ ٥٨٠ ٥٨٥ ٥٩٠ ٥٩٥ ٦٠٠ ٦٠٥ ٦١٠ ٦١٥ ٦٢٠ ٦٢٥ ٦٣٠ ٦٣٥ ٦٤٠ ٦٤٥ ٦٥٠ ٦٥٥ ٦٦٠ ٦٦٥ ٦٧٠ ٦٧٥ ٦٨٠ ٦٨٥ ٦٩٠ ٦٩٥ ٧٠٠ ٧٠٥ ٧١٠ ٧١٥ ٧٢٠ ٧٢٥ ٧٣٠ ٧٣٥ ٧٤٠ ٧٤٥ ٧٥٠ ٧٥٥ ٧٦٠ ٧٦٥ ٧٧٠ ٧٧٥ ٧٨٠ ٧٨٥ ٧٩٠ ٧٩٥ ٨٠٠ ٨٠٥ ٨١٠ ٨١٥ ٨٢٠ ٨٢٥ ٨٣٠ ٨٣٥ ٨٤٠ ٨٤٥ ٨٥٠ ٨٥٥ ٨٦٠ ٨٦٥ ٨٧٠ ٨٧٥ ٨٨٠ ٨٨٥ ٨٩٠ ٨٩٥ ٩٠٠ ٩٠٥ ٩١٠ ٩١٥ ٩٢٠ ٩٢٥ ٩٣٠ ٩٣٥ ٩٤٠ ٩٤٥ ٩٥٠ ٩٥٥ ٩٦٠ ٩٦٥ ٩٧٠ ٩٧٥ ٩٨٠ ٩٨٥ ٩٩٠ ٩٩٥ ١٠٠٠

١١

آداب الندماء اذا
أخذت الملك سنة
من النوم

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ، إِذَا غَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ، أَنْ يَنْهَضَ مَنْ حَضَرَهُ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، بِمَحْرَكَةٍ لَيْتَةٍ خَفِيفَةٍ، حَتَّى يَتَوَارَى عَنْ قَرَارِ مَجْلِسِهِ، وَيَكُونُ بِمِثِّ يَتَرَّبٍ مِنْهُ إِذَا آتَبَهُ. وَلَا يَقُولَنَّ إِنْسَانٌ فِي نَفْسِهِ: لَعَلَّ الْمَلِكَ إِنْ هَبَّ مِنْ سِنَتِهِ لَا يَسْأَلُ عَنِّي، أَوْ لَعَلَّهُ أَنْ يَمْتَدَّ بِهِ النَّوْمُ أَوْ يَعْزِضَ لَهُ شُغْلٌ. فَإِنَّ هَذَا مِنْ أَكْبَرِ الْخَطَا. وَقَدْ قَتَلَ بَعْضُ الْمُلُوكِ رُجُلًا فِي هَذِهِ الصِّفَةِ.

(١) الْبُورُ الْأَخْطَارُ وَالْأَمْتَحَانُ كَالْأَبْتَارِ. قَالَ فِي تَقَانُصِ جَرِيرٍ وَالْفَرَزْدَقِ (ص ٣٥٤): "وَهَذَا كُلُّهُ أَبْتَارٌ مِنْهُ لِلنَّاسِ لِيَدْعُوهُمْ إِلَى خَلْعِهِ".

(٢) يَظُنُّ بَعْضُ الْجُهَلَةِ أَنَّ هَذَا اللَّفْظَ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ، لِأَنَّ بَعْضَ الْمُتَحَدِّثِينَ مَالُوا إِلَى الشُّمِّ لَفْظًا وَمَعْنَى، دُونَ أَنْ يَنْتَقِلُوا إِلَى الْفَرْقِ بَيْنَ الْأَسْمِ وَالْمَصْدَرِ. وَالْقَامُوسُ وَشَرْحُهُ وَكُلُّ مَتُونِ اللَّفْظِ وَالْجَاهِظِ وَأَمثالِهِ شَهُودٌ عَلَى ذَلِكَ. وَأَنْظُرْ أَيْضًا شَرْحَ الْقَامُوسِ فِي مَادَّةِ هُ زَلْ فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّهُمْ اشْتَقَوْا الشُّمَّ مِنَ الشُّمِّ | وَأَنْظُرِ الْيَانِ وَالْيَبِينَ ج ٢ ص ٦ |

(٣) إِشَارَةٌ إِلَى نَشَأِ بَمَدِيَّةِ بُوْشَنجٍ مِنْ خِرَاسَانَ.

(٤) كَلِمَةٌ مَرَكَّةٌ تَرْكِيبًا إِصْغَايَا مِنْ كَلِمَتَيْنِ. وَحُذِفَ حَرْفُ الْأَلْفِ مِنَ الثَّانِيَةِ. وَالْمَعْنَى ظَاهِرٌ. وَهُوَ شُيْمَةٌ. وَبِضَائِعِ ذَلِكَ فِي حَذْفِ الْأَلْفِ، قَوْلُ الْعَرَبِ: "لَابَّ لَكَ" أَيْ لَا أَبْ لَكَ، وَقَوْلُهُمْ: "وَيْلَهُ" (أَنْظُرْ تَاجُ الْعُرُوسِ فِي مَادَّةِ وَ ي ل) | وَأَنْظُرْ صَفْحَةَ ١٣٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ |.

(٥) أَيْ ضَرْبُ الْأَرْضِ بِرَجْلِهِ كَثِيرًا حَتَّى كَأَنَّهُ يَبِيعُ فِيهَا.

وليس من الحزم أن يجعل الحكيم للملك على نفسه طريقا، وهو وإن سلم من عدل الملك ولائحته لكرم الملك وشيمته، قدح ذلك في نفس الملك وأضطن عليه. وبالحرى أن لا يتسلم من عدل وتأنيب^(١).



٥. ومن حق الملك - إذا حضرت الصلاة - فالملك أولى بالإمامة، لخصاله: منها - أنه الإمام، والرعية مأمومة؛ ومنها - أنه المولى، وهم العبيد؛ ومنها - أنه أولى بالصلاة في قرار داره وموطئ يساطه، ولو حضر مجلسه أزهّد الخلق وأعلمهم.
- فإذا قام للصلاة، فمن حقه أن يكون بينه وبين من يصلي خلفه عشرة أذرع، وأن لا يتقدمه أحد بتكبير ولا بركوع ولا سجود ولا قيام.
١٠. وهذا، وإن كان يجب لكل من أم قوما من صغير أو كبير أو شريف أو ضيع، فهو للملك أوجب.

فإذا سلم الملك، فمن حقه أن يقوم كل من صلى خلفه قائما، فإنهم لا يدرون أريد تنقلا أو دخولا أو قعودا في مجلسه.

٥. فإن قام لناقلة، فليس من حقه أن يتنقلوا. لأنهم لا يدرون لعله أن يسبقهم أو يقطع صلاته ليحدث، فيكون يحتاج إلى أن يسبقهم، وهم قيام يصلون بإزائه، وهو قاعد.
- ولكن من حقه أن يكونوا بحالهم حتى يعلموا ما الذي يفعل. فإن قعد، انحرفوا إلى حيث لا يراهم، فصلوا نوافلهم. وإن دخل في الصلاة، صلوا على مكاناتهم^(٢).

(١) أنه تأنيب: عنفه ولامه. (حاشية في صـ)

(٢) صـ: بالإقامة.

(٣) في صـ: "تنقلا" بالقاف، ولكن بقية السياق يدل على أنه بالقاف.

(٤) المكانة المنزل عند ملك. (قاموس). وقد وردت هذه الآداب بزيادة واختصار في "بحاسن

الملوك" (ص ٧٨)

آداب مسaire
الملك

٦٤

وقد قلنا إن من حقّ الملك أن لا يبتدئه أحدٌ بمسيرة. وإن طلب ذلك منه من
يستحق المسيرة، فالذي يُجزئه من ذلك أن يقف بحيث يراه ويتصدى له. فإن أوماً
إليه، سايره؛ وإن أمسك عن الإيماء، علم أن إمساكه هو ترك الإذن له في مسيرته.
ومن حقّه، إذا سايره أن لا يمسّ ثوبه ثوب الملك، ولا يذني دابته من دابته،
ويتوشى أن يكون رأس دابته بإزاء سرج الملك، غير أنه لا يكلفه أن يلتفت إليه.
ولا ينبغي له أن يبتدئه بكلام.

وإن كان لا يتقن بلين عنان دابته حتى يصرفه كيف شاء ومتى شاء، فالرأي له
أن لا يسايره. فإن في مسيرته وخصمة عليه وعلى الملك. أما عليه، فإنه يحتاج إلى
حركة متواترة تتبع بها نفسه ودابته، ويخرج بها عن حد أهل الأدب والمروءة
والشرف. وامسكه في خلال ذلك أيضاً أن لا يبالغ ما يريد. وأما على الملك، فإنه وهن
في المملكة. لأن الملك، إن طلب الصبر عليه وعلى سير دابته، كان إنما يسير عند
ذلك بسيره. وليس في آئين المملكة أن يسير الأعظم بسير من هو دونه.

سنة أكابر العجم
عند تبيهم للسيرة

٦٥

ولذلك كانت رؤساء الأكاسرة والأساورة والديربند وموبدان موبد ومن أشبه
هؤلاء من خاصة الملك، إذا هم الملك بالمسير في زهوة أو لبعض أموره، عرضوا دوابهم

(١) أنظر الحاشية رقم ٢ ص ١٩ و ٢٣ و ٣٠ و ٧٧ من هذا الكتاب.

(٢) كلمة فارسية تفسرها حافظ الكتاب (النيه والإشراف للسعدي ص ١٠٤). والمقصود من الكتاب
الكتاب المقدس عند الجوس. وربما كان الضواب في هذا المقام: "ديربند" من كلمتين الأولى فارسية
والثانية عربية بمعنى "كاتب اليد". ذلك لأنني لم أعر في معجمات اللغة الفارسية على تفسير يوافق ما ذهب إليه
السعدي، اللهم إلا أن تكون الكلمة محرفة وتحتاج إلى التنقيف. [أنظر صفحة ١٦٠ و ١٧٣ من هذا الكتاب].

(٣) أما الموبد فهو القاضي، وموبدان موبد هو قاضي القضاة. وموبد من الفاظ الفهلوية، وهي اللغة
الفارسية القديمة ومعناها القاضي (مروج الذهب جزء ٦ ص ٧٥).

على راضية الملك وصاحب دوابه . وكان كل واحد منهم لا يأمن أن يدعوه الملك للسيرة والمحاذنة ، فيحتاج إلى معاناة دابته لبلادة أو كثرة نفور أو عثار أو جماج . فيكون على الملك من ذلك بعض مايكره . وكان الراضى يمتحن دابة دابة من دواب هؤلاء العظماء . فما اختار منها ركب ، وما نفى أريج .

- وأيضا إن من حق الملك ، إذا سيره واحد ، أن لا تروث دابته ولا تبول ولا تتحصن ^(١) ولا تتشعب ، ولا يطلب المحاذنة لسير دابة الملك ، وإن أراد ذلك منعه راكمه .

- وفما يُحكى عن ملوك الأعاجم أن قباد ، بيتا هو يسير والموبذ يسيره ، إذ راثت دابة الموبذ وفطن لذلك قباد . فأغتم الموبذ بذلك ، فقال له في كلام بينهما : ما أول ما يستدل به على تخلف الرجل ، أيها الموبذ ؟ فقال : أن يعلف دابته في الليلة التي يركب في صبيحتها الملك . فضحك قباد حتى أقتر عن نواجذه . وقال : لله أنت !
- ١٠ مألحسن ما صممت كلامك بفعل دابتك ! وبحق ما قدمك الملوك وجعلوا أزيمة أحكامهم في يدك ! ووقف ثم دعا بدابة من خاص مراكبه ، فقال له : تحول عن ظهر هذا الجاني عليك إلى ظهر هذا الطائع لك . ^(٢)

ما حصل للموبذ أثناء مسيرته لقباد

١١

- (١) تحصن القرس صار حصانا أى إذا تكلف ذلك . ولعل المعنى أن القرس تقب على الدابة التي تكون قدأما كما يفعل الفحل . لتلا يحدث مثل ما وقع لسلطان مصر قايتباى إذ ركب في محرم سنة ٨٧٦ ومعه الأتابكى أزبك (منشئ الأوبكية) متوجهين من القاهرة إلى شيبين القناطر . حتى أثناء الطريق شب فرس الأتابكى على فرس السلطان ورفسه . بلهات الرفة في قصبة ساق السلطان فأنكسرت ، فنزل بشيبي وهو في غاية الألم . واستحضر السلطان محفة من القاهرة ليعود عليها . (أنظر التفصيل في آبن لياس ج ٢ ص ١٢٨)
- (٢) مغرب قباد . وفي كتاب "برهان قاطع" أنه بنى مدينتى حلوان وقازرون . وأقول إن حلوان هذه هى عبر التي بالقرب من القاهرة . وعن ياقوت أنها كانت أكبر مدينة في العراق بعد الكوفة والبصرة وبغداد وسمر من رأى . (أنظر صفحة ١٠٥ من هذا الكتاب)
- (٣) رواها في "محاسن الملوك" بأختصار . (ص ٨٢ - ٨٣) ، ورواها بالحرف في "المحاسن والمسارى" (ص ٤٩٦ - ٤٩٧) .

ما حصل لشرحيل
أثناء مسيره لمعاوية

وهكذا يُحكى عن معاوية بن أبي سفيان أنه بينما هو يسير وشرحيل بن السميط^(١) يسيره، إذ راثت دابة شرحيل، وكان عظيم الهامة بسيط القامة. ففطن معاوية بروث الدابة، وساء ذلك شرحيل. فقال معاوية: يا أبا يزيد! إنه يقال إن الهامة إذا عظمّت، دلّت على وفور الدماغ وصحة العقل. قال: نعم يا أمير المؤمنين، إلا هامت فإنها عظيمة، وعقلي ضعيف ناقص. فتبسم معاوية، وقال: كيف ذلك، والله أنت! قال: لا طعامى هذا النائل أمه البارحة مكوى شعير. فضحك معاوية، وقال: أخفشت، وما كنت فاحشاً! وحمله على دابة من مراكبه.

(١) هو أبو السح الكندى. كان من رجالات معاوية وأركان دولته، وكان يستشير في جلائل الأمور ويعول عليه في حل المشكلات الجسام. وقد أرسله مع عمرو بن العاص للقاء أبي موسى الأشعري في قضية التحكيم. وكان من قواد الجيوش ومن صناديد الفرسان المعدودين، واشترك في رئاسة الجيوش التي فتحت العراق والقادسية وبيسان وأجنادين. وقد طلب من علي عليه السلام أن يدفع إليهم قنلة عثمان بن عفان إن لم يكن هو القاتل. وهو الذى فتح حصن ثم تولّاها لمعاوية، وهو الذى قسم منازلها بين أهلها. وما يحسن ذكره للتعريف بجلالته في نفسه وقومه أنه اعتزل مع ولده بنى معاوية حينما أطبقوا على منع الصدقة، وقالوا لهم: "إنه لقيح بالحرار [الأحرار] التنقل. إن الكرام ليلزمون الشبهة فيتركمون أن ينقلوا إلى أوضع منها، مخافة العار. فكيف الانتقال من الأمر الحسن الجميل والحق، إلى الباطل والقيح؟ اللهم إنا لانمالى قوما على ذلك!" توفي سنة ٤٠ أو سنة ٤٢. (ابن الأثير ج ٢ ص ٢٩١ و ٣٤٨ و ٣٧٤ و ٣٨٧ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٤٩٤ و ج ٣ ص ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٧ و ٢٤٠ و ٢٩٧ و ٣٣٨، والأشتقاق لأبن دُرَيْد ص ٢١٨. وتاج العروس في باب الباء. وفي باب اللام)

(٢) إقديت في هذا الموضع بما فعله في صفحة ٧٩ طابع كتاب طراز المجالس للشهاب الخفاجي في المطبعة الوهية بالقاهرة. وأنظر صفحة ١٣١ من هذا الكتاب.

(٣) رواها باختصار في "محاسن الملوك". (ص ٨٣)، وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

تحذير

(٥٧)

فَلْيَتَنَكَّبْ مَنْ يَسِيرُ الْمُلُوكَ مَا يَقْدِرُ أَعْيُنُهُمْ بِكُلِّ جُحْدِهِ . فَإِنْ لَمْ سَايَرْتَهُمْ شَرْطًا يَجِبُ
عَلَى مَنْ طَلَبَهَا أَنْ يَسْتَعْمَلَهَا وَيَتَحَفَّظَ فِيهَا . وَقَلَمًا حِطَّى أَحَدُ بِمَسَايِرَةِ مَلِكٍ حَتَّى يَكُونَ
قَبْلَهَا مَقْدَمَاتٌ يَجِبُ بِهَا الْحُظُوءَةُ .

تعليل المجمع من
مسايرة الملك
المتصلة

فَمَا مَا نَفْسُ الْمَسَايِرَةِ لِلْمَلِكِ الْمُتَّصِلَةِ ، فَإِنَّ الْأَعَاجِمَ كُلَّهَا كَانَتْ تَتَطَيَّرُ مِنْهَا وَتَكْرَهُهَا .
وَأَيْضًا فَإِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَثَابِرُ عَلَى مَسَايِرَةِ أَحَدٍ مِنْ بَطَانَتِهِ بَعِيْنِهِ ، لَمَّا كَانَ يَعْلَمُ مِنْ
طَيَرَتِهِمْ مِنْ ذَلِكَ وَكَرَاهَتِهِمْ لَهُ .

ما حصل من
صاحب الشرطة
وهو يسير بين يدي
المهادي

وَيُقَالُ إِنَّ سَعِيدَ بْنَ سَلَمٍ ^(١) ، بَيْنَا هُوَ يَسِيرُ مُوسَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ

(١) هُوَ سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ بْنُ قَتِيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ الْبَاهَلِيِّ . كَانَ بِمَنْزِلَةِ عَظِيْمَةٍ مِنَ الْمَهَادِي وَمِنْ الرُّشَيْدِ بَعْدَهُ ، وَكَانَ
يَرْكَبُ مَعَهُ فِي قَبَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَهُ الرُّشَيْدُ عَلَى الْمَوْصِلِ ، ثُمَّ عَلَى الْخَزِيرَةِ ، ثُمَّ عَلَى أَرْمِينِيَةِ . فَخَرَجَ الْخَزِرَ طَلِبَهُ فَهَزَمُوهُ
وَفَعَلُوا الْإِفَاعِيلَ الْمُنْكَرَةَ الَّتِي لَمْ يَسْمَعْ بِمِثْلِهَا النَّاسُ . فَأَرْسَلَ الرُّشَيْدُ رَجُلَيْنِ فَأَصْلَحَا مَا أَفْسَدَهُ . ثُمَّ وَلَاهُ مَرَّعَشَ ١٠
فَأَغَارَتْ الرُّومُ عَلَيْهِ وَأَصَابُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْصَرَفُوا ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ سَعِيدٌ مِنْ مَوْضِعِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ سَنَةَ ١٩١ هـ .
قَالَ سَعِيدُ بْنُ أَعْرَابِيَا مَدَحَهُ بَيِّنَتَيْنِ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنْهُمَا :

أَيَا سَارِيًّا بِاللَّيْلِ ، لَا تَخْشَ ضَلَّةً ! * سَعِيدُ بْنُ سَلَمٍ مِنْهُ كُلُّ بِلَادٍ .
لَنَا مُقَرَّمٌ أَرَبِيٌّ عَلَى كُلِّ مُقَرَّمٍ ، * جَوَادٌ حَتَّى فِي وَجْهِ كُلِّ جَوَادٍ .

فَمَا غَضَلَ مِنْهُ فَهَجَاهُ بَيِّنَتَيْنِ لَمْ يَسْمَعْ أَحَدٌ مِنْهُمَا :

لِكُلِّ أُنْثَى مَدِيحٌ ثَوَابٌ عَلَيْهِ ، * وَلَيْسَ لِمَدْحِ الْبَاهَلِيِّ ثَوَابٌ .
مَدَحْتُ أَبْنَ سَلَمٍ ، وَالْمَدِيحُ مَهْزَةٌ ، * فَكَانَ كَهَفَقْوَانٍ عَلَيْهِ تَرَابٌ .

١٥

(إِتْيَانُ الْأَثَرِ ج ٦ ص ٧١ و ٨١ و ١٠٥ و ١١١ و ١١٢ و ١٤١ ؛ و "الْأَغْنَى" ج ١٧ ص ٣٢
و ج ٢١ ص ٢٣٤ ؛ و "عِيُونَ الْأَنْبَاءِ" ج ١ ص ١٥٤ ؛ و "أُمَالِي الْقَالِي" ج ٢ ص ٢٧)

(١) مالك [الخزاعي] أمامه، والحربة في يده، فكانت الريح تَسْفِي التراب الذي تُثِيره دابة عبد الله في وجه موسى، وعبد الله لا يشعر بذلك، وموسى يحيد عن سنن التراب. وعبد الله في خلال ذلك يلحظ موسى وموضعه، فيطلب أن يحاذيه. فإذا حاذاه، ناله من ذلك التراب ما يؤذيه. حتى إذا كثرت ذلك من عبد الله، ونال موسى أذى ذلك التراب، قال لسعيد: أما ترى ما نلقى من هذا الخائن في مسيرنا هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين! والله ما قَصَرَ في الإجتهد، ولكنه حَرَمَ حَظَّ التوفيق (٤).

وفيما يذكر عن عبد الله بن حسن أنه بينا هو يسير بأبا العباس [السفاح] بظاهر مدينة

ما قاله عبد الله بن الحسن للسفاح

(١) كان صاحب الشرطة في أيام المهدي فلهادي فالرشيد. وكان من أكابر القواد وتولى أرمينية وأذربيجان. له مع الهادي حكاية ظريفة ذكرها ابن الأثير (ج ٦ ص ٧٠ و ٧١). وكان بينه وبين يحيى بن خالد البرمكي عداوة وتحاسد، وأتت بتصلحهما على يد أحد المزورين من حيث لا يعلم ولا يعلم (ساقها في المحاسن والمساوي ص ٤١٥ - ٤١٦). وفيه يقول أحد الشعراء في شكاة أشتكاها:

ظَلَّتْ عَلَى الْأَرْضِ مُظْلِمَةً * إِذْ قِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ قَدْ وُعِكَ.

بَالَيْتَ مَا بَكَ بِي، وَإِنْ تَلَقَّيْتُ * نَفْسِي لَذَاكَ! وَقُلْ ذَاكَ لَكَ!

(أنظر ابن الأثير ج ٦ ص ٦٥ و ٦٨ و ١٢٥ و ١٣٤ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٥ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥) [وأنظر صفحة ٩٢ من هذا الكتاب].

(٢) يستفاد من كلام الجاسط هنا مصافاً إليه كلام ابن الأثير (في ج ٦ ص ٦٥ وفي ج ٧ ص ٧٦) أن من شعار الخليفة ولى عهده أن يسير قائداً بحربة بين يدي كل منها.

(٣) كذا في س، ص، وفي العقد الفريد وفي المحاسن والمساوي. ولعل الأصل: "المسائق".

(٤) نقل ابن عبد ربه هذه الحكاية باختصار في مقدمتها ولم ينسأ إلى مصدرها. (العقد الفريد ج ١ ص ٢٧٦) ونقلها بالحرف في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٧).

(٥) هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. وله أخبار ووقائع كثيرة مع السفاح والمنصور. لأن السفاح اجتهد في ترشده حتى لا يطالب بالخلافة. وكذلك فعل المنصور. ولكن ولديه محمدًا والنفس الزكية وإبراهيم نرجسا على المنصور. (أنظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج ٣ ص ٣٤ والأغانى ج ١٨ ص ٢٠٣ - ٢٠٩ والطبري الكامل للبرد بمقتضى فهرسهما).

إلى أبي جعفر في اليوم الذي قُتل فيه ، إذ أنشد عيسى :

سيأتيك ما أفنى القرون التي مضت ، * وما حل في أسكاف عادٍ وجهم ،
ومن كان أنأى منك عزاً ومفخراً ، * وأنشد بالجيش اللهم العرمم .^(١)

فقال أبو مسلم : هذا من الأمان الذي أعطيت ؟ قال عيسى : أعطيت ما أملك إن
كان هذا لشيء من أمرك ! وما هو إلا خاطرٌ أبداه لساني . قال : فبئس الخاطر
والله إذت !^(٢)

❦

عدم تسمية الملك
أو تكتيته

ما قاله لها
مسلم أنا

ومن حقّ الملك أن لا يُسمّى ولا يُكنّى في جدٍّ ولا هزلٍ ولا أنيسٍ ولا غيره .
ولولا أن القدماء من الشعراء كنّ الملوك وسمّتهم في أشعارها وأجازت ذلك
وأصطلحت عليه ، ما كان جزءٌ من كنّى ملكاً أو خليفة إلا العقوبة . على أن ملوك
آل ساسان لم يُكنّها أحدٌ من رعاياها قط ولا سمّاها في شعرٍ ولا خطبة ولا تقريرٍ
ولا غيره . وإنما حدث هذا في ملوك الحيرة .^(٣)

(١) صه : أدنى .

(٢) كثير النود أو التهوض بأمر الجيش والقيام بأعيانه

(٣) نقلها في "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٨) .

١٥

(٤) أطلب يا قوت في وصف هذه المدينة وأحوالها وأسايرها في الجاهلية ، ولم يذكر لنا شيئاً عنها في أيام
ظلمتها على عهد الإسلام . وإنما استغفنا منه أنها بقرب النجف . ولذلك رأينا أن ثبت هنا ما جاء عنها
في الأغاني (ج ٨ ص ٢٥) ليعرف القارئ مكاتها التي دخلت الآن في خبر كان . قال :

« كان بعض ولادة الكوفة يذم الحيرة في أيام بني أمية . فقال له رجل من أهلها ، وكان عاقلاً ظريفاً :

— أتعيب بلدة بها يضرب المثل في الجاهلية والإسلام ؟

٢٠

— وبها ذائم مدح ؟ =

والدليل على ذلك أنه لو سُمِّي أحدٌ من الخطباء والشعراء في كلامه المنشور مَلِكًا

== بصحة هوائها ، وطيب مائها ، وزهرة ظاهرها . تصلح للنفِّ والظلف . سهل وجبل ، وبادية وبستان ، وبرّ وبحر ، محلّ الملوك ومزارعهم ، ومسكنهم ومشاوهم . وقد قدّمنا — أصلحك الله — مُخَفَّفًا فرجعت مُثَقَّلًا ، ووردتها مُثَقَّلًا فأصارتك مُكثَّرًا .

— فكيف نعرف ما وصفنا به من الفضل ؟

— بأن تصير إلىّ ، ثم أدع ماشئت من لذات العيش ، فوالله لا أجوز بك الحيرة فيه !

— فأصنع لنا صنيعة [Une partie de plaisir] ، وأنّرج من قولك .

— أفعل !

فصنع لهم طعاما ، وأطعمهم من خبزها وسمكها وما صيد من وحشها : من ظباء ونعام وأراسب وحبارى . وسقام مائها في قلاها ، ونجّرها في آنيها . وأجلسهم على رُقّها ، وكان يُخْذ بها من الفراش أشياء غريبة . ولم يستخدم لهم حُرًّا ولا عبدًا إلا من مولديها ومولّداتها ، من خديم ووصائف كأنهم التلّو ، لغتهم لغة أهلها . ثم غنّاهم حُتَيْنَ وأصحابه في شعر عديّ بن زيد ، شاعرهم ، وأعشى همدان لم يجاوزهما . وحيّاهم برّيا حينها . وقَلَّهم على نجرها ... وقد شربوا — بفواكهها . ثم قال :

— هل رأيْتى أَسَعَنْتُ على شئٍ ، مما رأيْتِ وأَكَلْتِ وشَرَبْتِ وأَقْرَشْتِ وشمَمْتِ وسمَمْتِ ، بغير ما في الحيرة ؟

— لا ، والله ! ولقد أحسنتَ صفة بلدك ، ونصرتَه فأحسنْتَ نصرتَه والخروج مما تَضَمَّنَتْه . فبارك الله لكم

في بلدكم ! »

وكان ابنُ شُبْرَمَةَ يقول : ” يوم ليلة بالحيرة خير من دواء سنتين “ . (تجانب البلدان للهمداني ص ٢٦٢) . وعن أهلها أخذت قريش الزندقة في الجاهلية ، والكتابة في بحر الإسلام (الأعلاق النفيسة لابن رُسْتَه

ص ١٩٢ و ٢١٧) .

وكانت عمارة الكوفة سببًا لخراب الحيرة . وقد أتى على الكوفة الزمان ، وكذلك الأمر في واسط وسمرّ رأى . وأنت عليم بما صارت إليه البصرة وبغداد . وهذه السّنة هي أكبر أمصار العراق في عهد الخلافتين . وناهيك بها من أمصار رعت للحضارة أعلى منار ! فسبحان من بيده ملكوت الأرض والسماء ! يتصرف بالبلاد والعباد كما يشاء !

أو خليفة وهو يُخاطَبه بِأَسْمِهِ ، كان جاهلا ضعيفا خارجا من باب الأدب .
(١) (٢)

ولولا أن الاصطلاح منعنا إيجاب المنع من ذلك ، كان من أول ما يجب .

ولا أدري لِمَ فعل القدماء ذلك ، كما أنى لا أدري لِمَ أجازته ملوكها ورضيت
(٣) به ، إذ كانت صفة الملوك ترتفع عن كل شيء وترقى عنه .

• وكانت الخفاة من العرب بسوء أدبها وغِلظ تركيبها - إذا أتوا النبي (صلى الله عليه
وسلم) - خاطبوه ودَعَوْهُ بِأَسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ . فأما أصحابه ، فكانت مخاطبتهم إياه : "يا رسول
الله !" و "يا نبي الله !" .

(١) صه : "الاضطلاع" ، ريجانها "الاصطلاح" . وفي سه : الاصلاح .

(٢) سبق الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي إلى تقرير هذه القاعدة . فهو أول من منع الناس أن ينادوه
بأَسْمِهِ . (محاضرة الأرائل ومسامرة الأواخر) . ولكن يظهر أن ذلك الأمر تراخي بتطاول العهد ، فعاد القوم
إلى ما كانوا عليه .

(٣) على أن أهل الأدب ورواة الأشعار كانوا يبحرون عند إنشاد القصائد على أحد الخلفاء والأمراء ،
فينخبرونها من التي لا يكون فيها اسم معشوقة يشابه اسم أم له أو أبنية أو أخت أو زوجة (الأنفاج ص ١٧٤) .
وفي "محاسن الملوك" (ص ٢٩) أن إبراهيم بن المهدي قال : كنت عند الرشيد ، فأُهديت له أطباق
ومعها رقعة . فلما قرأها ، استغزى الطرب . فقلت : يا أمير المؤمنين ، ما الذي أطربك ؟ فقال : هذه هدية
عبد الملك بن صالح . ثم نبذ إلى الرقعة ، فإذا فيها بعد البسملة : "دخلتُ ، يا أمير المؤمنين ، بستاناً عمرته بنعمتك ،
وقد أيعت أئمة أراه وفاكهم . فأخذتُ من كل شيء (وعدد أنواعا من الفاكهة) وصيرتُ في إطلاق القضبان
ووجهته لأمر المؤمنين ، ليصل إلى من بركة دعائه ، ما وصل إلى من برّه ونعمانه" . قلت : يا أمير المؤمنين ،
وما في هذا يقتضى هذا السرور ؟ فقال : ألا ترى إلى ظره ، كيف قال : "القضبان" ؟ فكنتي به عن
الخبر ران ؛ إذ كان يجرى به اسم أمنا .

وهكذا يجب للولك أن يقال في مخاطبتهم: يا خليفة الله! ^(١) ويا أمين الله! ^(٢) ويا أمير المؤمنين! ^(٣)

(١) لم يرض أبو بكر الصديق بأن يُسمى خليفة رسول الله (كما في لسان العرب ج ١٠ ص ٢٧٤) فضلا عن أن يُسمى خليفة الله. ولكن الكتاب والشعراء جرى آد طلاحهم على خلاف ذلك. قال الزجّاج: حاز أن يقال للأنمة "خلفاء الله في أرضه" بقوله تعالى: "يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ" (لسان العرب ج ١٠ ص ٢٣١). وقال جرير: "خليفة الله ماذا تأمرن بنا؟" وقال أيضا: "خليفة الله يُسنسق به المطر". وقال بشار (وإن كان من باب التهنئة):

صاعَتْ خلافتكم، يا قوم، فآلمسوا * خليفة الله بين الرقِّ والهد!

وقد قال صاحب محاضرة الاوائل إن المعتسم بن الرشيد هو أول من تلقب بخليفة الله. ففعل ذلك كان بصفة رسمية في المكاتبات الصادرة عن ديوانه. وإلا فقد رأينا من الأشعار السابقة أن هذا اللقب كان موجودا فعلا. (٢) قال حسّان بن ثابت يرى عثمان بن عفّان.

إني رأيتُ أمينَ الله مضطهدًا * عثمانَ رهنا لدى الأحداث، الكفين.

(٣) قال في "محاسن الملوك" بهذه المناسبة (ص ٢٥ - ٢٧) ما نصّه:

« وإنما يتساع بذلك للشعراء. وما زالت الشعراء يمدّحون الملوك بأسمائهم، ولا يُنكر ذلك عليهم. كقول الشاعر، وهو حسّان:

هَجَّوَتْ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ * وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْحِزَاءُ.

وكقول المرأة تخاطبه:

أحمدُ، وَلَدَتَكَ ضَنْ، كَرِيمَةً * فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ خُلَّ مَعْرُقًا!

رَوَى أَنَّهُ قَدِمَ رَجُلٌ مِنَ الْأَعْرَابِ عَلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمَعَهُ صَبِيَّةٌ لَهُ وَأَهْلُهُ، فَقَالَ يُخَاطِبُهُ:

يَا عُمَرَ الْخَيْرِ بُزَيْتَ الْجَنَّةَ * أَكُنْ بِنْيَاقِي وَأُمَهْنَةُ

أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَتَنْفَعَنَّ

فقال عمر: يكون ماذا؟ فقال:

يكونَ عَنْ حَالِي لَتَنْفَعَنَّ =

الادب في حالة
مشابهة الاسم
لإحدى صفات
الملك أو لاسمه

ومن حقّ الملك، إذا دخل عليه رجلٌ، وكان اسمُ ذلك الرجل الداخل أحدَ صفات الملك، فسأله الملك عن اسمه، أن يُكفّي عنه ويُجيبَ باسم أبيه. كما فعل سعيدٌ.

= فقال عمر: متى؟ قال:

يوم تكون الأعطيات جنة * والواقف المسؤول يهنّئ
إما إلى نارٍ وإما جنة.

فبذ عمر رضى الله عنه قيصره، وقال: هذا جنة ذلك اليوم!
وروى أن الرشيد جلس يوماً للظالم فرأى في الناس شيئاً حسن الهيئة. فلما تفوّض المجلس، قام الشيخ
وبيده قصته، فأمر بأخذها. فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في قراءتها، فإني أحسنُ تعبيراً نلّطى.
قال: اقرأ! قال: يا أمير المؤمنين، إني شيخٌ كيرٌ ضيفٌ، والمقام عظيمٌ. فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي
في الجلوس؟ فقال: اجلس! اجلس! ثم قال:

ياخيرَ مَنْ جَدْتُ لِرِحْلَتِهِ * تُجِبُّ الرّكابَ بهمةٍ جَلَسِ!

يقول فيها:

لما رأيتك الشمس طالعةً، * سجدتُ لوجهك طلعة الشمس.
خيرُ السيرة أنت كلّهم * في يومك القادى وفي أمس،
وكذلك لم تنفك خيرهم * ثمسى، وتصبح فوق ما ثمسى.
لله يا هرون من ملك * عفت السيرة طاهر النفس!
نمت عليه لربه نعم * ترددت بحولتها على اللبس.

(أردت قوله "لله يا هارون")

وبقية الشعر:

من عترة طابت أرومتها، * أهل العفاف ومثبى القدس.

متألين على أسرتهنم * ولدى الهياج مصاصي ثمس =

ابن مُرّة الكِنْدِيُّ، حين أتى مُعاوية فقال له: أنت سعيد؟ فقال: أمير المؤمنين
السعيد، وأنا ابن مُرّة^(١)!

وكما قال السَّيِّدُ بن أنس الأَزْدِيُّ^(٢) - وقد سأله المأمون عن اسمه - فقال: أنت السيد؟
قال: أمير المؤمنين السَّيِّدُ، وأنا ابن أنس^(٣)!

وهكذا جاءنا الخبر عن العباس بن عبد المطلب، عم رسول الله (صلى الله عليه وسلم)
وصنوايه. قيل له: أنت أكبر أم رسول الله؟ فقال: هو أكبر مِنِّي، ووُلِدْتُ أنا قبله^(٤)!

= إلى جئت إليك من قَزَح * قد كان شَرْدَنِي من الأُنسِ .

لَمَّا اسْتَعَرْتُ الله مجتهدًا ، * تَمَتُّ نَحْوَكِ رحلة العَنَسِ .

وَأَحْتَرْتُ حَلَبَكِ لا أجارزه * حتى أُغَيَّبَ في ثرى الرُّمَسِ .

فلما أتى على آخرها، قال: مَنْ يكون الشيخ؟ قال: علي بن الخليل الذي يقال إنه زنديق. قال: أنت آمن!
رأمر له بخمسة ألف درهم.

وأما من سوى الشعراء، فليقل: أيها الخليفة! أو يا أمير المؤمنين! أو يا سلطان العالم! أو يا أمين الله
أو يا أمير المسلمين!

قال المنيرة لعمري رضي الله عنهما: يا خليفة الله! فقال له عمر: ذاك نبي الله دأود! قال: يا خليفة رسول

الله! قال: ذاك صاحبكم المفقود! قال: يا خليفة خليفة رسول الله! قال: ذاك أمر يطول! قال:

يا عمر! قال: لا تجنس مقامى شرفه! أتم المؤمنون، وأنا أميركم. فقال المنيرة: يا أمير المؤمنين!

(١) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" (ص ٢٨)، ورواها في "المحاسن والأضداد" (ص ٢١)

وفي "المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠)

(٢) أنظر المحادثة بعبارة أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧).

(٣) أنظر رواية أخرى في محاضرات الراغب (ج ١ ص ١١٧)؛ وأنظر "المحاسن والأضداد"

(ص ٢١) و"المحاسن والمساوي" (ص ٤٩٠).

ألا تراه (رحمة الله) كيف تخلّص إلى أحسن الأحوال في الأدب، فاستعمله؟
وعلى هذا المثال يجب أن تكون مخاطبة الملوك، إذ كانت صيغتهم غير صيغ العامة،
كما قال أردشير بن بابك في عهده إلى الملوك.



الأمور التي يتفرد
بها الملك في عاصمته

ومن حقّ الملك أن يتفرد في قرار داره بثلاثة أشياء، فلا يطمع طامع في أن
يشركه فيها.

(١) وما يدخل في هذا الباب ما سكاه ياقوت الحموي في معجم الأديباء (ج ١ ص ١٤٩ طبع الأستاذ
مربوليوت) أن "أبا زيد البلخي لما دخل على أحمد بن سهل - أول دخوله عليه - سأله عن اسمه . فقال : أبوزيد .
فغضب أحمد بن سهل من ذلك حين سأله عن اسمه فأجاب عن كنيته ، وعدّ ذلك من سقطاته . فلما خرج ، ترك
خاتمه في مجلسه عنده . فأبصره أحمد بن سهل ، فأزداد تعجباً من فقلته . فأخذه بيده ونظر في نقش فصدّ ،
فاذا عليه : أحمد بن سهل . فلم حينئذ أنه إنما أجاب عن كنيته للواقعة الواقعة بينه وبين اسمه ، وأنه أخذ
بحسن الأدب ورأى جدّ الاحتشام ، واختار وصمة التزام الخطأ في الوقت والحال ، على أن يتعاطى اسم الأمير
الاستعمال والابتذال ."

وروى آية عبد ربه (ج ١ ص ٢٧٣) في هذا المعنى أيضاً أنه قيل لأبي وائل : أيكأكبر ، أنت
أم الربيع بن خثيم ؟ قال : أنا أكبر منه سناً ، وهو أكبر مني عقلاً .
وقال معاوية لأبي الجهم المدني : أنا أكبر أم أنت ؟ فقال : لقد أكلت في عرس أمك ، يا أمير المؤمنين .
قال : عند أيّ أزواجها ؟ قال : عند حفص بن المنيرة . قال : يا أبا الجهم ، إياك والسلطان ! فانه يضرب غضب
الصبي ويأخذ أسد الأسد . (ابن عبد ربه ج ١ ص ١٢) . قال الجاهلي للهلب : أنا أطول أم أنت ؟ فقال :
الأمير أطول ، وأنا أبسط قائمته . (المحاسن والأضداد ص ٢٢ ، والمحاسن والمساوي ص ٤٩٠)

وكان الأول به أن يقتدى بطويس المقي المشهور فقد سأله سعيد بن عثمان بن صفان : أينا أسن ؟ فقال :
"بابي وأمي أنت ! لقد شهدت زفاف أمك المباركة إلى أبيك الطيب . " ثلث يومهم أمراً . (ابن عبد ربه
ج ١ ص ٢٧٣ ؛ ومحاضرات الراغب ج ١ ص ١١٧) . أورد الجاسط قبل غيره هذه الحكاية وعلّق
عليها تعليقا لطيفا ، فقال : فأقار إلى حذقه وإلى معرفته بخارج الكلام ! كيف لم يقل "زفاف أمك الطيبة
إلى أبيك المبارك" (أنظر البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٤)

(٢) ص : "كانت صيغهم غير صيغ العامة ."

فمنها الحِجَامَة، والقَصْد، وشرب الدواء. فليس لأحدٍ من الخاصة والعامة ممن
في قصبة دار المملكة أن يشركه في ذلك.

وكانت ملوك الأعاجم تمنع من هذا وتعاقب عليه وتقول: "إذا أراق الملك
دمه، فليس لأحد أن يُريق دمه في ذلك اليوم حتّى يساوى الملك في فعله؛ بل على
الخاصة والعامة الفحص عن أمر الملك، والتشاعُل بطلب سلامته، وظهور عافيته،
وكيف وجد عاقبة ما يُعالجُ به."

وليس الاقتفاء بفعل الملك في هذا وما أشبهه من فعلٍ من تمت طاعته وصحّت
نيتته وحسنت معونته، لأن في ذلك آستهانة بأمر الملك والمملكة.

ومن قصد إلى أن يشرك الملك في شيء يجد عنه مندوحة ومنه بُدأ، بالمهل
المبسوطة والأيام الممدودة، فهو عاصٍ مفارقٌ للشريعة.

ويقال إن كسرى أنوشروان كان أكثر ما يحتجم في يوم السبت. وكان المنادى
- إذا أصبح في كل يوم السبت - نادى: "يا أهل الطاعة! ليكن منكم تركُ الحجامة
في هذا اليوم على ذِكْرٍ! ويا حجامون! اجعلوا هذا اليوم لنسائكم وغسل ثيابكم!"
وكذا كان يفعل في يوم فصد العرق وأخذ الدواء.

٧٧

١٥

✦✦

ومن حقّ الملك - إذا عطسَ - أن لا يُسمّت؛ وإذا دعا، لم يؤمّن على دُعائه.
وكانت ملوك الأعاجم تقول: "حقيقُ على الملك الصالح أن يدعو للرعية الصالحة،
وليس بحقيقٍ للرعية الصالحة أن تدعو للملك الصالح: لأن أقرب الدعاء إلى الله دعاءُ
الملك الصالح."

عدم تسميت الملك
وعدم التأمين
على دعائه

ومن حقَّ الملك أن لا يُعزِّيَه أحدٌ من حاشيته وحامته وأهل بيته وقوابته؛
وإنما جُعِلَت التعزية لمن غاب عن المصيبة، أو لمن قاربَ الملك في العزِّ والسلطان^(١)
والبهاء والقدرة. فأما من دون هؤلاء، فيُنْهَوْنَ عن التعزية أشدَّ النهي.

وفيما يُذَكَّرُ عن عبد الملك بن مروان أنه مات بعض بنيه وهو صغير، فجاءه الوليد
فعزَّاه، فقال: يا بُنَيَّ! مصيبتى فيك أقدح في بدنى من مصيبتى بأخيك! ومتى رأيت
أبنا عزى أباه؟ قال: يا أمير المؤمنين! أمي أمرتني بذلك. قال: ذاك يا بُنَيَّ
أهونٌ عليَّ! وهذا العمري من مشورة النساء!^(٢)

ومن أخلاق سرعة الغضب، وليس من أخلاقه سرعة الرضا.
فأما سرعة الغضب، فإنما تأتى الملك من جهة دوام الطاعة. وذلك لأنه لا يدور
في سمعه ما يكره في طول عمره. فإذا أَلْقَتِ النفسُ هذا العزَّ الدائم، صار أحد صفاتها.
فتمتليق قرع حس النفس ما لا تعرفه في خلقها، نفرت منه نفورا سريعا، فظهر الغضب،
أنفةً وحيَّةً.

وأما رضا الملك فبطيءٌ جدًا. لأنه شئٌ يُمْنعه النفس أن يفعله، وتدفعه عن
نفسها. إذ كان في ذلك جلوسٌ من أجناس الاستخذاء، وخلقٌ من أخلاق العاقبة.

(١) ص: والقراءة.

(٢) روى صاحب "المحاسن والمساوى" هذه القصة (ص ٥٨٥ - ٥٨٦) ورواها صاحب "محاسن

الملوك" (ص ٣٤) ونحوها بأن عبد الملك قال لأبيه: "والله لتعزيتك إياي أهون عليَّ من قبولك

مشورة النساء!" [وهي أحسن من روايتنا. ثم أضاف على ذلك أن "يزيد بن معاوية وعمر بن عبد العزيز

وعمرهما من ملوك الإسلام لا يرون بذلك بأساً."]

سرعة الغضب
وربطه الرضا

غضب السفاح
على أحد رجاله

٧٤

وهكذا يُحكى عن أبي العباس أنه غَضِبَ على رجل ذهب غنى اسمه، فذكره ليلة من الليالي. فقال له بعض سُمَّارِهِ: يا أمير المؤمنين! فلان لو رآه أعدى خلق الله له، لرحمه وأنصبر له قلبه. قال: ولم ذاك؟ قال: لغضب أمير المؤمنين عليه. قال: ما له من الذنب ما يبلغ به من العقوبة هذا الموضع. قال: فمَن عليه، يا أمير المؤمنين، برضاك. قال: ما هذا وقت ذاك! قال: قلت إنك يا أمير المؤمنين لما صغرت ذنبه، طمعت في رضاك عنه. قال: إنه من لم يكن بين غضبه ورضاه مدة طويلة، لم يحسن أن يغضب ولا يرضى.

وعلى هذا أخلاقُ الملوك وصليعهم.

وكذا جرى لعبد الله بن مالك الخزازي مع الرشيد، حين غضب عليه. أمر أهله وحشمه وجميع قرايبه أن يجتنبوا كلامه وخدمته ومعاطاته حتى أثر ذلك في نفسه وبدنه. فتحاماه أقرب الناس منه من ولد وأهل، فلم يدن منه أحد ولم يطُف به. فجاءه محمد بن إبراهيم الهاشمي - وهو كان أحد أودائه - في جوف الليل، فقال له: يا أبا العباس! إنك عندى يداً لا أنساها ومعروفاً ما أنكره. وقد علمت ما تقدم به أمير المؤمنين في أمرك. وما أنا ذا بين يديك ونُصِبَ عينيك! فمرني بأمرك! فوالله

غضب الرشيد
على أحد قواده

(١) يقال في اللغة عَصَرَ العنب ونحوه فأنصبر. وفي المفضليات:
وَمَنْ لَوْ يُعَصِّرُ مِنْ أَوْدَانِهَا * عَصِي الْمِسْكِ، لَكَانَتْ تَنْعِصِرُ.

ومن شواهد النحاة:

نَحْوُ يُفَطِّلُ الْفَرْعُ مِنْهَا الْمُؤَبَّرُ * لَوْ عَصَرَهَا الْبَابُ وَالْمِسْكُ، أَنْعَصِرَ.

وكنتي ألاحظ بأنصار القلب عن شدة الألم لحال الرجل. ومن مجاز الأساس: "أنا معصور اللسان".
أى يابس عطشا.

٢٠

(٢) [أنظر الحاشية رقم ١ من صفحة ٨١ من هذا الكتاب].

(٣) أكثر العرب على ضم النون، كما في شفاء الغليل.

- (١) (٢) لأجعلن نفسي وقاية نفسك، أو أسوقها في كل ما نكأها أو جرحها. فقال له عبد الله خيرا، وأثنى عليه، وأخبره بعذره في موجدة أمير المؤمنين عليه. فوعده محمد أن يكلم أمير المؤمنين ويخبره باعتذاره. فلما أصبح محمد وافاه رسول أمير المؤمنين، فركب. فلما دخل عليه، قال: من أتيت في هذه الليلة؟ قال: عبدك يا أمير المؤمنين، عبد الله بن مالك، وهو يحلف بطلاق نسائه وعتق ممالিকে وصدقة ماله مع عشرين نذرا يهديها إلى بيت الله الحرام حافيا راجلا، والبراءة من ولاية أمير المؤمنين إن كان ما بلغ أمير المؤمنين سمعه الله من عبد الله بن مالك، أو أطلع عليه أو هم به أو أضمره أو أظهره. قال: فاطرق الرشيد مليا مقلما. وجعل محمد يلحظه، ووجهه يسير ويثريق حتى زال ما وجده. وكان قد حال لونه حين دخل عليه. ثم رفع رأسه فقال: أحسبه صادقا، يا محمد. فقرأه بالروح إلى الباب. قال: وأكون معه يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم. فأنصرف محمد إلى عبد الله، فبشره بجبل أمره، وأمره بالركوب رواحا. فدخلوا جميعا. فلما بصر عبد الله بالرشيد انحرف نحو القبلة فخر ساجدا، ثم رفع رأسه فاستنداه الرشيد. فدنا وعيناه تهملان. فأكب عليه فقبل رجله وبساطه وموطئ قدميه، ثم طلب أن يأذن له في الاعتذار. فقال: ما بك حاجة إلى أن تعتذر، إذ عرفت عذرك. قال: فكان عبد الله بعد، إذا دخل على الرشيد، رأى فيه بعض الإعراض والانتباه. فشكا ذلك إلى محمد بن إبراهيم. فقال محمد: يا أمير المؤمنين! إن عبد الله يشكو أثرًا باقيا من تلك النبوة التي كانت من أمير المؤمنين، ويسأل الزيادة

(١) أوجب وقوع النكابة بها.

(٢) أصابها بجراحة.

في بسطه له . فقال الرشيد : يا محمد ! إنا معاشر الملوك ، إذا غَضِبْنَا على أحد من بطانتنا
ثم رَضِينَا عنه بعد ذلك ، بَقِيَ لتلك الغَضَبَةِ أثرٌ لا يُخْرِجُهُ لَيْلٌ ولا نَهَارٌ .^(١)



كتم الملك أسرار

ومن حقَّ الملك أن يكتم أسرارَه بحِنِّ الأبِّ والأمِّ والأخِّ والزوجة والصديق .
فإنَّ الملكَ يَحْتَمِلُ كُلَّ مَبْقُوصٍ ومَأْنُوفٍ ، ولا يَحْتَمِلُ ثَلَاثَةً : صِفَةً أَحَدُهُمْ أَنْ
يَطْعَنَ في مُلْكِهِ ، وَصِفَةً الْآخَرِ أَنْ يُدْبِعَ أسرارَه ، وَصِفَةً الْآخَرِ أَنْ يُخُونَهُ في حُرْمِهِ .^(٢)



فأما من وراء ذلك ، فمن أخلاق الملوك أن تَلْبَسَ خَاصَّتَهَا وَمِنْ قَرَبٍ مِنْهَا عَلَى
مَا فِيهِمْ ، وَأَنْ تَسْتَمَعَ مِنْهُمْ إِذَا سَأَلُوا مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الثَّلَاثِ .
وكان كسرى أبرويز يقول : ” يجب على الملك السعيد أن يجعل همه كله في آمتحان
أهل هذه الصفات ، إذ كانت أركان الملك ودعائمه “ .^(٣)

١٠

فكانت حِشَّتُهُ في إِذَاعَةِ السَّرِّ عَجِيبَةً . وللقائل أن يقول فيها إنها خارجة من باب
العدل ، داخلية في باب الظلم والجور ، وللاّخر أن يقول إنها بحِنِّ الحكماء من الملوك .
وكان إذا عرف من رجلين من بطانته وخاصته التحابُّ والألفة والاتفاق في كُلِّ
شَيْءٍ وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، خَلا بِأَحَدِهِمَا فَأَفْضَى إِلَيْهِ بِسَرٍّ في الْآخَرِ ، وَأَعْلَنَهُ أَنَّهُ عَازِمٌ عَلَى
قَتْلِهِ ، وَأَمَرَهُ بِكُتْمَانِ ذَلِكَ عَنْ نَفْسِهِ ، فَضَمًّا عَنْ غَيْرِهِ . وتقدّم إليه في ذلك بوعيدة .

إمتحان أبرويز
رسالة في حفظ السر

١٥

(١) نقل هذه القصة في ” المحاسن والمساوي “ (ص ٥٤٢ - ٥٤٣) .

(٢) أي الرجل المكروه . وهذه الكلمة ساقطة في صـ .

(٣) قاون ذلك هما في محاضرات الراغب . (ج ١ ص ١١٨) . وهذه المقولة مسروبة بلفظ آخر لابن
جعفر المصور العباسي . (أنظرها في المحاسن والأضداد ص ٢٨ ، والمحاسن والمساوي ص ٤٠٢) .

٢٠

(٤) في ” محاسن الملوك “ (ص ٥٤) مانعه : وأما كتمان سر السلطان فهو ملاك الأمر ونظام الملكة وسبب بقاء
الدولة . كان أبرويز إذا دخل إليه وزيره وصاحب سرّه ، لم يفاوضه في شيء حتى لا يبقى عنده أحد . فإذا لم يبق
أحد ، أمر أن تُرفع الستائر عمن لعله يكون وراءها . فإذا علم أنه ليس أحد وراءها ، فأمض به سرّه .

ثم جعل يَحْتَتِه في إذاعة سرِّه ملاحظة صديقه في دخوله عليه ونخروجه من عنده،
 وفي إسفار وجهه ولقائه للملك. فإن وجد آخر أمره كأقوله في أحواله، علم أن
 الآخر لم يُفَضِّ إليه سرِّه ولم يُظهِرْ عليه، فقربه وأجابه ورفع مرتبته وجابه،
 ثم خلا به، فقال: "إني كنت أردت قتل فلان لشيء بلغني عنه. فبحشت عن أمره
 فوجدته باطلاً." (١)

وإن رأى من صاحبه نفور نفس وأزور آراء جانب وإعراض وجه، علم أنه قد
 أذاع سرِّه، فافصاه وأطرحه وجفاه، وأخبر صاحبه أنه أراد يَحْتَتِه بما أودعه من
 سرِّه. فإن كان هذا من أهل المراتب، وضع مرتبته، وإن كان من الندماء، أمر
 أن يُعَجَّب عنه، وإن كان من أصحاب الأعمال، أمر أن [لا] يُستعان به، وإن
 كان من سدنة بيوت النيران، أمر بعزله وإسقاط أرزاقه. ويقول: "من لم يصلح
 لملكه، لا يصلح لنفسه، ومن لم يصلح لنفسه، فلا خير عنده." ويقول: "إن القلب
 أعدل على القلب شهادة من اللسان؛ وقل شيء يكون في القلب إلا ظهر في العينين:
 إذ كانت الأعضاء مشتركة يتعلّق بعضها ببعض." (٢)

إمتحانه لرجاله
 في حفظ الحرم

فأما يَحْتَتِه في الحرم، فكان إذا خفَّ الرجل على قلبه وقرب من نفسه، وكان عالمًا
 يُظهر التألُّه، وكان عنده ممن يصلح للأمانة في الدماء والفروج والأموال على ظاهره،
 أحبُّ أن يمتحنه بِمِخْنَةٍ باطنية. فيأمر به أن يُحوَّلَ إلى قصره ويُفرَّغ له بعض الحجر
 التي تقرب منه، ولا يُحوَّلَ إليها امرأة ولا جارية ولا حرمة ويقول له: "إني أحبُّ
 الأنس بك في ليلى ونهارى. ومتى كان معك بعض حُرْمِكَ، قطعك عني وقطعت عنك."

(١) روى صاحب "معجم الملوك" هذه العبارة باختصار. (ص ٥٤ - ٥٥)

(٢) سم: إن القلب يظهر ما فيه في العينين.

فَأَجْعَلْ مُنْصَرَفَكَ إِلَى مَنْزَلِ نِسَائِكَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ لَيْلًا لَيْلَةً. “ فَإِذَا تَحَوَّلَ الرَّجُلُ وَخَلَا بِهِ وَآنَسَهُ وَكَانَ آخِرَ مَنْ يَنْصَرِفُ مِنْ عِنْدِهِ، فَيَتْرَكُهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ أَشْهَرًا .

- فَأَمْتَحَنَ رُجُلًا مِنْ خَاصَّتِهِ بِهَذِهِ الْمِحْنَةِ فِي الْحَرَمِ، ثُمَّ دَسَّ إِلَيْهِ جَارِيَةً مِنْ خَوَاصِّ جَوَارِيهِ وَوَجَّهَ مَعَهَا إِلَيْهِ بِالطَّافِ وَهَدَايَا. وَأَمَرَهَا أَنْ لَا تَقْعُدَ عِنْدَهُ فِي أَوَّلِ مَا تَأْتِيهِ .
- فَلَمَّا أَتَتْهُ بِالطَّافِ الْمَلِكِ، قَامَتْ . فَلَمْ تَلْبَثْ أَنْ أَنْصَرَفَتْ . حَتَّى إِذَا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّانِيَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ هُنَيْسَةً . وَأَنْ تُبْدِيَ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا، حَتَّى يَتَأَمَّلَهَا . فَفَعَلَتْ . وَلَا حَظَّهَا الرَّجُلُ وَتَأَمَّلَهَا ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَلَمَّا كَانَتِ الْمَرَّةُ الثَّلَاثَةَ، أَمَرَهَا أَنْ تَقْعُدَ عِنْدَهُ وَتَطِيلَ الْقُعُودَ وَتُعَادِثَهُ، وَإِنْ أَرَادَهَا عَلَى الزِّيَادَةِ مِنَ الْمَحَادِثَةِ أَجَابَتْهُ . فَفَعَلَتْ . وَجَعَلَ الرَّجُلُ يُحِدُّ النَّظَرَ إِلَيْهَا وَيُسَرُّ بِمَحَادِثِهَا . وَمِنْ شَأْنِ النَّفْسِ أَنْ تَطْلُبَ بَعْدَ ذَلِكَ الْغُرْضَ مِنْ هَذِهِ الْمَطَايِبَةِ . فَلَمَّا أَبْدَى مَا عِنْدَهُ، قَالَتْ : ” إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُعْثَرَ عَلَيْنَا، وَلَكِنْ دَعْنِي أَدْبُرُ فِي هَذَا مَا يَتِمُّ بِهِ أَمْرُنَا . “ ثُمَّ أَنْصَرَفَتْ . فَأَخْبَرَتِ الْمَلِكَ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهُمَا . فَوَجَّهَ أُخْرَى مِنْ خَاصِّ جَوَارِيهِ وَثَقَاتِهِنَّ بِالطَّافَةِ وَهَدَايَاهُ . فَلَمَّا جَاءَتْهُ، قَالَ لَهَا : مَا فَعَلْتَ فَلَانَةَ ؟ قَالَتْ : أَحْتَلْتُ . فَأَرَبَدَ لَوْنُ الرَّجُلِ ^(١) . ثُمَّ لَمْ تُطِلْ الْقُعُودَ عِنْدَهُ كَمَا فَعَلَتْ الْأُولَى فِي الْمَرَّةِ الْأُولَى . ثُمَّ عَاوَدَتْهُ بَعْدَ ذَلِكَ، فَقَعَدَتْ أَكْثَرَ مِنَ الْمَقْدَارِ الْأَوَّلِ، وَأَبْدَتْ بَعْضَ مَحَاسِنِهَا حَتَّى تَأَمَّلَهَا . وَعَاوَدَتْهُ فِي الْمَرَّةِ الثَّلَاثَةِ، فَأَطَالَتْ عِنْدَهُ الْقُعُودَ وَالْمُضَاحِكَةَ وَالْمَهَازِلَةَ . فَدَعَاها إِلَى مَا فِي تَرْكِيبِ النَّفْسِ مِنَ الشَّهْوَةِ . فَقَالَتْ : ” إِنَّا مِنَ الْمَلِكِ عَلَى خُطَى يَسِيرَةٍ، وَمَعَهُ فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ يَمْضِي بَعْدَ ثَلَاثِ أَيَّامٍ إِلَى بَسْتَانِهِ الَّذِي بِمَوْضِعٍ كَذَا، فَيَقِيمُ هُنَاكَ . فَإِنْ أَرَادَكَ عَلَى الذَّهَابِ مَعَهُ، فَأَظْهِرْ أَنَّكَ عَلِيلٌ، وَتَمَارَضْ . فَإِنْ

(١) أَيْ عَلَتْ الْغُبْرَةُ لَوْنَهُ .

خَيْرَكَ بَيْنَ الْأَنْصَرَفِ إِلَى دُورِ نِسَائِكَ أَوْ الْمَقَامِ هُنَا إِلَى رَجُوعِهِ، فَأَخْتَرِ الْمَقَامَ وَأَخْبِرْهُ أَنَّ الْحَرَكَةَ تَصْعُبُ عَلَيْكَ. فَاذَا أَجَابَكَ إِلَى ذَلِكَ، جِئْتُ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ وَلَبِثْتُ عِنْدَكَ إِلَى آخِرِهِ. ^(١) فَسَكَنَ الرِّقِيعُ إِلَى هَذِهِ الْأَنْسَةِ، وَأَنْصَرَفَتِ الْجَارِيَةُ إِلَى الْمَلِكِ فَأَخْبَرَتْهُ بِكُلِّ مَا دَارَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ. فَلَمَّا كَانَ الْوَقْتُ الَّذِي وَجَدْتُهُ أَنْ يَخْرُجَ الْمَلِكُ فِيهِ، دَعَاهُ الْمَلِكُ. فَقَالَ لِلرَّسُولِ: أَخْبِرْهُ أَنِّي عَلِيلٌ. فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ وَأَخْبَرَهُ، تَبَسَّمَ أَبْرُويز، وَقَالَ: هَذَا أَوَّلُ الشَّرِّ. فَوَجَّهَ إِلَيْهِ بِمِحْفَظَةٍ، فَعَمِلَ فِيهَا حَتَّى أَتَاهُ، وَهُوَ مُعَصَّبُ الرَّأْسِ. فَلَمَّا بَصَّرَ بِهِ مِنْ بَعِيدٍ، قَالَ: وَالْعَصَابَةُ الشَّرُّ الثَّانِي. وَتَبَسَّمَ. فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْمَلِكِ، سَجَدَ. فَقَالَ لَهُ أَبْرُويز: مَتَى حَدَّثْتَ بِكَ هَذِهِ الْعَلَّةَ؟ قَالَ: فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ. قَالَ: فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ أَلَا أَنْصَرِفُ إِلَى مَنْزِلِكَ وَنِسَائِكَ لِيَمْرُضَنَّكَ أَوْ الْمَقَامِ هُنَا إِلَى وَقْتِ رَجُوعِي؟ قَالَ: هُنَا أَيْهَا الْمَلِكُ أَرْفُقُ بِي، لِقَلَّةِ الْحَرَكَةِ. فَتَبَسَّمَ أَبْرُويز، وَقَالَ: مَا صَدَقْتَ! حَرَكَتُكَ هُنَا، إِنَّ خَلْقَتُكَ، أَكْثَرَ مِنْ حَرَكَتِكَ فِي مَنْزِلِكَ.

٨٢

ثُمَّ أَمَرَ أَنْ تُخْرَجَ لَهُ عَصَا الزُّنَاةِ الَّتِي كَانَ يُوسِمُ بِهَا مَنْ زَنَى. فَأَيَقِنَ الرَّجُلُ بِالشَّرِّ. وَأَمَرَ أَنْ يُكْتَبَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ حَرْفًا حَرْفًا، يُقْرَأُ عَلَى النَّاسِ إِذَا حَضَرُوا، وَأَنْ يُنْفَى إِلَى أَقْصَى حَدِّ الْمَمْلَكَةِ، وَيُعْمَلُ الْعَصَا فِي رَأْسِ رُحَى تَكُونَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ، لِيَحْذَرَ مِنْهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ. فَلَمَّا أُخْرِجَ بِالرَّجُلِ عَنِ الْمَدَائِنِ، مُتَوَجِّهًا بِهِ نَحْوَ فَارِسَ أَخَذَ مُدِيَّةً كَانَتْ مَعَ بَعْضِ الْأَعْوَانِ الَّذِينَ وَكَّلُوا بِهِ، بِغَبِّهَا ذَكَرَهُ، وَقَالَ: مَنْ أَطَاعَ عُضْوًا مِنْ أَعْضَائِهِ صَغِيرًا، أَفْسَدَ عَلَيْهِ أَعْضَاءَهُ كُلَّهَا، صَغَارَهَا وَكَبَارَهَا. فَتَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ. ^(٢)

(١) الرِّقِيعُ وَالْمَرْقَعَانِ الْأَحْمَقُ وَهُوَ الَّذِي فِي عَقْلِهِ مَرَّةٌ (صَحَاح) [حَاشِيَةٌ فِي ص ٩٠]. وَالْمَرْمَةُ

مَعْنَاهَا هُنَا الْأَحْتِيَاجُ إِلَى التَّرْقِيعِ وَالتَّرِيمِ. (أَنْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ ج ٩ ص ٤٩١)

(٢) رَوَى هَذِهِ الْقِصَّةَ فِي "الْمَحَاسِنِ وَالْأَضْدَادِ" (ص ٢٧٥ - ٢٧٧)

امتحانه فيمن
يطعن في الملكة

- وكان قد نصَّب رجلاً يمتحن به مَنْ قَسَدَتْ نِيَّتُهُ وَطَعَنَ فِي الْمَلِكَةِ . فكان الرجلُ يُظهر التَّأَلُّهَ والدُّعَاءَ إِلَى التَّخَلُّيِّ مِنَ الدُّنْيَا والرَّغْبَةِ فِي الْآخِرَةِ وترك أبواب الملوك . وكان يُقْصُّ عَلَى النَّاسِ وَيُكَيِّمُهُمْ وَيَشُوبُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ كَلَامَهُ بِالْتَعْرِيزِ بِذِمِّ الْمَلِكِ وتركه شرائع ملته وسُنَن دِينِهِ ونَوَامِيسِ آبَائِهِ . وكان هذا الرجل الذي نصبه لهذا أخاه من الرضاعة وترَّبه في الصُّبَا . فكان إذا تكَلَّمَ هذا الرجل بهذا الذي قد مثله له أبرويز وأمره به لِيَمْتَحِنَ بِذَلِكَ خَاصَّتَهُ ، أَخْبَرَهُ بِهِ . فيضحك لذلك أبرويز ، ويقول : ” فَلَانُ فِي عَقْلِهِ ضَعْفٌ ، وَأَنَا أَعْلَمُ بِهِ . وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا يَقْصِدُنِي بِسُوءٍ ، وَلَا الْمَلِكَةَ بِمَا يُوهِنُهَا “ ، فَيُظْهِرُ الْأَسْتِهَانَةَ بِأَمْرِهِ وَالثِّقَةَ مِنَ الطَّمَأْنِينَةِ إِلَيْهِ . ثم يوجِّهُ إِلَيْهِ فِي خِلَالِ ذَلِكَ مَنْ يَدْعُوهُ إِلَيْهِ ، فَيَأْبَى أَنْ يُجِيبَهُ ، ويقول : لَا يَنْبَغِي لِمَنْ يَخَافُ اللَّهَ أَنْ يَخَافَ أَحَدًا سِوَاهُ . فكان الطاعن على الملك والمملكة يُكثِّرُ انْخِلَاقَ بِهَذَا الرَّجُلِ فِي الزِّيَارَةِ لَهُ وَالْأُنْسَ بِهِ . فإذا خَلَوْا ، تَذَاكَرُوا أَمْرَ الْمَلِكِ ، وَابْتَدَأَ النَّاسِكُ يَطْعُنُ عَلَى الْمَلِكِ وَفِي صُلْبِ الْمَلِكَةِ . فَأَعَانَهُ الْخَائِزُ وَطَاقَبَهُ عَلَى ذَلِكَ وَشَايَعَهُ عَلَيْهِ ، فيقول له الناسك : ” إِيَّاكَ أَنْ تُظْهِرَ هَذَا الْجَبَّارَ عَلَى كَلَامِكَ ! فَإِنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ لَكَ مَا يَحْتَمِلُهُ لِي . فَخُصِّنْ مِنْهُ دَمَكَ ! “ . فيزداد الانحراف إليه آسْتِنَامَةً وَبِهِ ثِقَةً . فإذا علم الناسك أنه قد بلغ من الطعن على الملك ما يستوجب به القتل في الشريعة ، قال له : ١٥
- إِنِّي عَاقِدٌ غَدًا مَجْلِسًا لِلنَّاسِ أَقْصُ عَلَيْهِمْ ، فَأَحْضُرُهُ ! فَإِنَّكَ رَجُلٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ عِنْدَ الذِّكْرِ ، حَسَنُ النِّيَّةِ ، سَاكِنُ الرِّيحِ ، بَعِيدُ الصَّوْتِ . وَإِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْكَ قَدْ حَضَرْتَ مَجْلِسِي ، زَادَتْ نِيَّاتُهُمْ خَيْرًا ، وَسَارَعُوا إِلَى اسْتِجَابَتِي . فيقول له الرجل : إِنِّي أَخَافُ هَذَا الْجَبَّارَ ، فَلَا تَذْكُرْهُ إِنْ حَضَرْتُ مَجْلِسَكَ .

٨٣

٨٤

وكانت العلامة فيما بينه وبين أبرويز أن ينصرف الرجل عن مجلس الناسك، إذا
 ابتدأ في قصة الملك. وكان أبرويز قد وضع عُيوناً تحضر مجلس الناسك، متى جلس.
 فبكر الناسك وقص على العامة وزهد في الدنيا ورغب في الآخرة. وحضره الرجل
 الخائن. فلما فرغ من قصصه وأخذ في ذكر الملك، نهض الرجل وجاءت عيون
 أبرويز فأخبرته بما كان. فبذ زال عنه الشك في أمره، وجهه إلى بعض البلدان وكتب
 إلى عامله: "قد وجهت إليك رجلاً وهو قادم عليك بعد كتابي هذا في كذا وكذا.
 فاطهر به^(١) والآنس به والثقة بناحيته. فإذا أحطأنت به الدار، فاقتله قتلةً تمحي بها بيت
 النار، وتصل بها حرمة التوبهار^(٢) فإنه من قسدت نيتك لغير علة في الخاصة والعامة،
 لم يصلح بعلية^(٣)."

(٨٥)

تغافل الملك
 الصفا

ومن أخلاق الملك التغافل عما لا يقدح في الملك ولا يخرج المال ولا يضع من
 العز، ويزيد في الأبهة.
 وعلى ذلك كانت شيم ملوك آل ساسان.

(١) هو بيت من بيوت النار: Pyrée. بناء الفرس بمدينة بلخ على مثال البيت الحرام بمكة. وعنه شرح راف
 في باقوت (في حرف النون) وفي المسعودي (جزء ٤ ص ٤٧ - ٤٩ طبع باريس) وفي "مراصد الأطلاع"
 (في حرف النون) وفي القزويني (ص ٢٢١) وفي "كتاب البلدان" للهمداني (ص ١٥٧ و ٣٢٢ - ٣٢٤)
 "وشفا. القليل" (ص ٢٠٣). وأنظر Dictionnaire géographique de la Perse, par Barbier de Meynard, p. 122, 569.

(٢) ص: "لغير علة صلحت بخلافها". وقد أورد هذه الحكاية صاحب "تنبيه الملوك" (ص ٤١ - ٤٢)،
 ونقصها جدًا صاحب "محاسن الملوك" (ص ٤٥)؛ وأوردتها بالحرف تقريباً في "المحاسن والمسار" (ص ١٥٥ - ١٥٧).

(٣) ص: في القلب ولا يخرج.

تغافل بهرام بجور
عن سرقة اللجام

وفيا يحكى عن بهرام جور أنه خرج يوما لطلب الصيد فعار به فرسه حتى وقع إلى رايح تحت شجرة، وهو حاقن^(٢). فقال للراعي: احفظ على عنان دابتي، حتى أبول. فاخذ بركابه حتى نزل، وأمسك عنان القرس. وكان بلامه ملبسا ذهبًا، فوجد الراعي غفلة من بهرام فأنرج من حقه سكينًا فقطع بعض أطراف اللجام. فرفع بهرام رأسه فنظر إليه فاستجيا، ورمى بطرفه إلى الأرض وأطال الاستبراء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام. وجعل الراعي يفرح بإبطائه عنه، حتى إذا ظن أنه قد أخذ حاجته من اللجام، قام فقال: يا راعي! قدم إلى فرسي، فإنه قد دخل في عيني مما في هذه الريح، فما أقدر على فتحهما. وغمض عينيه لئلا يوهنه أنه يتفقد حلية اللجام. فقترب الراعي فرسه فركبه. فلما وثى، قال له الراعي: أيها العظيم! كيف آخذ إلى موضع كذا وكذا؟ (الموضع بعيد). قال بهرام: وما سؤالك عن هذا الموضع؟ قال: هنالك منزلي، وما وطئت هذه الناحية قط غير يومي هذا، ولا أراى أعود إليه ثانية. فضحك بهرام، وفطن لما أراد. فقال: أنا رجل مسافر، وأنا أحتق بأن لا أعود إلى هاهنا أبدا. ثم مضى. فلما نزل عن فرسه قال لصاحب دوابه ومراكبه: إن معاليق اللجام قد وهبتهما لسائل مرري، فلا تهنن بها أحدا^(٥).

- ١٥ (١) عار الفرس أى ذهب هاهنا وهاهنا، وذهب على وجهه كأنه منفلت. وفي ص. ناورته فرسه. [وفي هامشه: صح: عاره يعوره ويعيره أى أخذه وذهب به]. وأنت ترى أنت. رواية ص. عارية عن الصواب، وأن حاشيته في الهامش لا محل لها في هذا المقام.
- (٢) أى اجتمع البول فيه، فهو في حاجة شديدة إلى تصريفه. ومنه الحديث: «لا رأى لحاقب ولا لحاقن» أى لمن تشد به الحاجة للإخراج من أحد السبلين. يكون مضطرا لحبسهما.
- ٢٠ (٣) [أنظر حاشية ١ صفحة ١٢٣ من هذا الكتاب]
- (٤) سم: طيه.

(٥) روى هذه الحكاية بحرفها في "المحاسن والمساوى" (ص ٥٠٥ - ٥٠٦).

تغافل أنوشروان
عن سرقة الجلام

وهكذا يُحكى عن أنوشروان أنه قعد ذات يوم في يروز أو مهرجان^(١)، ووُضعت الموائد، ودخل وجوه الناس الإيوان على طبقاتهم ومرائبهم. وقام الموكلون بالموائد على رؤوس الناس، وكسرى بيعت يراهم. فلما فرغ الناس من الطعام، جاؤوا بالشراب في آنية الفضة وجامات الذهب. فشرب الأساورة وأهل الطبقة العالية في آنية الذهب. فلما أنصرف الناس ورُفعت الموائد، أخذ بعض القوم جام ذهب فاخفاه في قبائه^(٢)، وأنوشروان يلاحظه. فصرف وجهه عنه. وأفتقد صاحب الشراب الجلام، فصاح: لا يخرجن أحد من الدار حتى يفتش. فقال كسرى: لا تتعرض لأحد! وأذن للناس فأنصرفوا. فقال صاحب الشراب: أيها الملك! إننا قد فقدنا بعض آنية الذهب. فقال الملك: صدقت! قد أخذها من لا يردها عليك، وقد رآه من لا ينم عليه. فأنصرف الرجل بالجلام^(٣).

تغافل معاوية عن
كيس الدنانير

وهكذا فعل معاوية بن أبي سفيان في يوم عيد، وقد قعد للناس، ووُضعت الموائد، وبدر الدراهم والدنانير للجوائز والصلوات. فجاء رجل من الجماعة، والناس يأكلون، فقعده على كيس فيه دنانير. فصاح به الخدم: تنح، فليس هذا بموضع لك! فسمع معاوية،

(١) هذه الكلمة فتح الميم وبكسرهما، والفتح أشهر، كما يدل عليه المعجم الفارسي الإنكليزي لرتشاردسن. وضبطها ياقوت بالكسر (ج ٤ ص ٦٦٨) واختارنا الفتح لجريانه على ألسنة المصريين

(٢) أنظر الفصل الطويل المفيد المشحون بالأسانيد الذي أورده العلامة دوزي الهولندي على هذه الكلمة في معجم الثياب عند العرب (ص ٣٥٢ - ٣٦٤) وقد قال في آخره إن الهولنديين أخذوا هذا اللفظ عن (قياس) في اللسان الفارسي فنقلوه إلى لغتهم وقالوا (Kabnai) للدلالة على الثوب الذي

يسميه الفرنسيون Robe de chambre.

(٣) رواها باختصار يسير جدًا صاحب "المحاسن والمعاوى" (ص ٥٠٦).

(٤) [راجع الحاشية رقم ١ ص ٣٧]. وفي ص: وبذر.

فقال : دَعُوا الرَّجُلَ يَقْعُدْ حَيْثُ أَتَيْتُمْ بِهِ الْمَجْلِسَ . فَأَخَذَ كَيْسًا فَوَضَعَهُ بَيْنَ بَطْنِهِ وَحُجْرَةِ
سِرَاوِيلِهِ ، وَقَامَ . فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يَدْنُو مِنْهُ . فَقَالَ الْخَلَادِمُ : أَصْلَحَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ !
إِنَّهُ قَدْ نَقَصَ مِنَ الْمَالِ كَيْسُ دَنَانِيرَ . فَقَالَ : أَنَا صَاحِبُهُ ، وَهُوَ مَحْسُوبٌ لَكَ .^(١)

وهذه أخلاق الملوك معروفة في سِيرِهِمْ وَكُتُبِهِمْ .



وَإِنَّمَا يَنْفَقُ مِثْلَ هَذَا مَنْ هُوَ دُونَ الْمَلِكِ . فَأَمَّا الْمَلِكُ ، فَيَجِلُّ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَيَصْغُرُ
عِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ .

وَالْعَامَّةُ تَضَعُ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ . وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ أَتَقَاهُ الشَّيْطَانُ
فِي قُلُوبِهِمْ وَأَجْرَاهُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، حَتَّى قَالُوا فِي نَحْوِ مِنْ هَذَا فِي الْبَائِعِ وَالْمَشْتَرِي : ” الْمَغْبُونُ
لَا مَحْوَدٌ وَلَا مُأْجُورٌ ” . فَعَمَلُوا الْجَهْلَةَ عَلَى الْمَنَازَعَةِ لِلْبَاعَةِ ، وَالْمَشَاتِمَةَ لِلسَّفَلَةِ وَالسُّوقَةَ ،
وَالْمَقَازِفَةَ لِلرَّعَاعِ وَالْوَضْعَاءِ ،^(٢) وَالنَّظَرَ فِي قِيَمَةِ حَبَّةٍ ، وَالْأُطْلَاعَ فِي لِسَانِ الْمِيزَانِ ، وَأَخَذَ
الْمَعَايِيرَ بِالْأَيْدِي .

الرد على قولهم :
المغبون لا محمود
ولا مأجور

وَالْحَرَى أَنْ يَكُونَ الْمَغْبُونُ مَحْمُودًا وَمُأْجُورًا . اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَالَ لَهُ :
إِغْنِي . بَلْ لَوْ قَالَهَا ، كَانَتْ أَكْرَمَةً وَفَضِيلَةً ، وَفَعْلَةٌ جَمِيلَةٌ تَدُلُّ عَلَى كَرِيمٍ عُنْصَرِ الْقَائِلِ
وَطَيْبِ مَرْكَبِهِ .

(١) موضع النكته من السراويل .

(٢) رواها باختصار صاحب ” المحاسن والمساوي ” (ص ٥٠٦)

(٣) صه : ” والمغاورة للزعازع والوضعاء . ”

(٤) جمع معيار .

(٥) سه : ” مكربة ” . | وهما بمعنى واحد | .

ولذلك قالت العرب: "السُّرُوفُ التَّغافلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُين، وعن التقصّي إذا بُحِث، إلا وجدت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ما تقدر على دفعها .
وكذا أدبنا نهبنا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرْحَمُ اللهُ سَهْلَ الشِّراءِ، سَهْلَ البَيْعِ، سَهْلَ الْقِضاءِ، سَهْلَ التَّقاضي!"^(٢)

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

وقال معاوية في نحوٍ من هذا: "إني لأَجُرُ ذلي على الخلدائِعِ."

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكاساً."

كلمة معاوية

كلمة الحسن

وفيما يمكّي عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حباة أبيه لِمَتَرَه، فَبَسَطَ له في صحراء، فتفدّى مع أصحابه . فلما حان أنصرافه، تشاغل غلبانه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُواجَ سليمان فرمى به على عاتقه، وسليمان ينظر

سليمان بن عبد الملك
والأمرأي الذي
أخذ رداه

(١) في سب: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور من السفاح قوله: "التغافل، من بجايا الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس النبيُّ بسيدٍ في قومه * لكن سيد قومه المتغاب.

(٢) في الأصل: ولا عن .

(٣) ص: "رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيت في صحيح البخاري: "رحم الله رجلاً سبها إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) ص: لِمَتَرَه .

(٥) الدُواج هو الخفاف الذي يُلَسّ . ولعل شبيه بالملحفة المشاة الآن بالمُعَرِّيَّة . وأنظر ما كتبه عليه درزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى . قال في مطالع البدر: عُوْجِدَ لَأَمَّ المَعْرَ ثلاثة دواريح كانت تستعملن، فقوم الدُواج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : أَلَيْسَ مَا عَلَيْكَ ! فقال الأعْرَابِيُّ : "لَا لَعْمَرِي ! لَا أَتُفِيهِ وَلَا كَرَامَةً ! هَذَا كَسَوَةُ الْأَمِيرِ وَخَلَعَتُهُ" . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كَسَوْتُهُ . فَمَزَّكَانَهُ بِعَصَا الرِّيحِ .

وَأَحْسَنُ مِنْ هَذَا مَا فَعَلَهُ جَعْفَرُ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَلِيٍّ بِالْأَمْسِ ، وَقَدْ عُثِرَ بِرَجُلٍ سَرَقَ دُرَّةً رَاحَةً ، أَخَذَهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ، فَطَلَبَتْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَلَمْ تَوْجَدْ . فَبَاعَهَا الرَّجُلُ بِبَغْدَادٍ ، وَقَدْ كَانَتْ وَصِفَتْ لِأَصْحَابِ الْجَوْهَرِ . فَأَخَذَ وَحَمَلَهُ إِلَى جَعْفَرٍ فَلَمَّا بَصَّرَ بِهِ ، آسَتْحِيَا مِنْهُ وَقَالَ : أَلَمْ تَكُنْ طَلَبْتَ هَذِهِ الدَّرَّةَ مِنِّي ، فَوَهَبْتُهَا لَكَ ؟ قَالَ : بَلَى . قَالَا : لَا تَعْرِضُوا لَهُ ! فَبَاعَهَا بِمِائَتَيْ أَلْفِ دِرْهَمٍ .^(١)

جعفر بن سليمان
رسارق الدرّة
٩٠



وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ إِكْرَامُ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَرِثْمٌ وَالْإِسْتِنَامَةُ إِلَيْهِمْ "تَقْدِيمَةُ
لَهُمْ عَلَى الْخَاصِّ وَالْعَامِّ وَالْحَاضِرِ وَالْبَادِي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وَذَلِكَ أَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي الْإِنْسَانِ فَضِيلَةٌ أَكْبَرُ وَلَا أَعْظَمُ قَدَرًا وَلَا أَنْبَلُ فَعَلًا مِنْ الْوَفَاءِ . وَلَيْسَ الْوَفَاءُ شُكْرَ اللِّسَانِ فَقَطْ ، لِأَنَّهُ شُكْرُ اللِّسَانِ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُ مَوْثُونَةٌ .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فَمِنْهَا - أَنْ يَذْكُرَ الرَّجُلُ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ ، بِحَضْرَةِ الْمَلِكِ فَمَنْ دُونَهُ . فَإِنْ كَانَ الْمَلِكُ^(٢)

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" صه : "وإن" . [ووضعتُ حرف الفاء لمنع التشويش في الجملة ، والأضغ :

في السياق .]

إليه . فبصر به بعض حشمه ، فصاح به : ألقِ ما عليك ! فقال الأعرابي : " لا لعمري ! لا ألقيه ولا كرامة ! هذا كسوة الأمير وخلعته " . فضحك سليمان وقال : صدق أنا كسوته . فمزكأته إعصارُ الريح .

وأحسن من هذا ما فعله جعفر بن سليمان بن علي بالأمس ، وقد عثرَ برجل سرق دُرَّةَ رائعة ، أخذها من بين يديه ، فطلبت بعد أيام فلم توجد . فباعها الرجل ببغداد ، وقد كانت وُصِفَتْ لأصحاب الجوهر . فأخذ وحمل إلى جعفر فلما بصر به ، استحيا منه وقال : ألم تكن طلبت هذه الدرة مني ، فوهبتها لك ؟ قال : بلى . قال : لاتعرضوا له ! فباعها بمائتي ألف درهم .^(١)

جعفر بن سليمان
وسارق الدرة



ومن أخلاق الملك إكرام أهل الوفاء وبرهم والاستئناس إليهم^(٢) لتقديمتهم لهم على الخاص والعام والحاضر والبادي .

إكرام أهل الوفاء
وشكرهم

وذلك أنه لا يوجد في الإنسان فضيلة أكبر ولا أعظم قدراً ولا أنبل فعلاً من الوفاء . وليس الوفاء شكر اللسان فقط ، لأن شكر اللسان ليس على أحدٍ منه مؤونة .

وَأَسْمُ الْوَفَاءِ مُشْتَمِلٌ عَلَى خِلَالٍ :

فمنها - أن يذكّر الرجل من أنعم عليه ، بحضرة الملك فمنّ دونه .^(٣) فإن كان الملك

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ٥٠٦) .

(٢) سه : "إن" صه : "وإن" . [ووضعتُ حرف العاء لمنع التشويش في الجملة ، والأضد

في السياق .]

ولذلك قالت العرب: "السُّرُ التَّغافلُ!"^(١)

وأنت لا تجد أبداً أحداً يتغافل عن ماله إذا خرج، وعن مبايعته إذا عُين، وعن التقصّي إذا بُحِسَ، إلّا وجئت له في قلبك فضيلةً وجلالةً ما تقدر على دفعها .
وكذا أدبنا نبينا (صلى الله عليه وسلم) فقال: "يَرَحِمُ الله سَهْلَ الشِّراءِ، سَهْلَ البَيْعِ، سَهْلَ القِضاءِ، سَهْلَ التَّقاضِي!"^(٢)

٨٥

وهذا الأدب خارجٌ من قولهم: "المغبونُ لا محمودٌ ولا مأجورٌ."

كلمة معاوية

وقال معاوية في نحو من هذا: "إني لأجرّ ذيلي على الخلدائع."

كلمة الحسن

وقال الحسن (عليه السلام): "المؤمن لا يكون مكاساً."

سليمان بن عبد الملك
والأعرابي الذي
أخذ رداؤه

وفيا يحكي عن سليمان بن عبد الملك أنه خرج في حبة أبيه لِمُتْرَهه^(٤)، فَبَسِطَ له في صحراء، فتغشّى مع أصحابه . فلما حان أنصرافه، تشاغل غلماناه بالترحال، وجاء أعرابيٌّ فوجد منهم غفلةً، فأخذ دُواجَ سليمان فومى به على عاتقه، وسليمان ينظر

(١) في سه: "السرو والتغافل". [وأنظر الحاشية ٥ من صفحة ٥٧ من هذا الكتاب]. ومن المأثور عن السفاح قوله: "الغافل، من مجاها الكرام". (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٥).

ولشاعرهم:

ليس الفبيُّ بسيد في قومه * لكن سيد قومه المتغابي .

(٢) في الأصل: ولا عن .

(٣) صه: "رحم الله من سهل الشراء وسهل البيع". والذي رأيته في صحيح البخاري: "رحم الله رجلاً سبعا إذا باع وإذا اشترى وإذا اقتضى". (ج ٣ ص ٥٧، طبع بولاق سنة ١٣١١)

(٤) صه: لِمُتْرَهه .

(٥) الدُراج هو الخفاف الذي يلبس . ولعل شبهة بالمحففة المسماة الآن بالمُضَرَّيَّة . وأنظر ما كتبه عليه درزي في قاموس الثياب (ص ١٨٦) وليس فيه تفصيل يشرح المعنى . قال في مطالع البدور: هو جد لأم المِتر ثلاثة دوايح كانت تستعملن، هوَّوم الدُراج بأكثر من ألف دينار (ج ١ ص ٦٠).

فيه سَيِّئُ الرَّأْيِ ، فليس من الوفاء أن يُعِينَهُ عَلَى سُوءِ رَأْيِهِ . فَإِنْ خَافَ سَوْطُ الْمَلِكِ وَسَيْفُهُ ، فَأَحْسَنُ صِفَاتِهِ أَنْ يُمَسِكَ عَنْ ذِكْرِهِ بِخَيْرٍ أَوْشَرٌ .

ومنها - المؤاساة للصاحب في المال حتى يقاسمه الدرهم بالدرهم والنعل بالنعل والثوب بالثوب .

ومنها - الحفظ له في خَلْقِهِ وَنِعَالِهِ ، مَا كَانَ فِي الدُّنْيَا ، حَتَّى يَجْعَلَهُمْ إِسْوَةً عِمَالِهِ فِي الْجَدِّ وَالْحِصْبِ .

ومنها - الشكر له باللسان والجوارح .

وكانت ملوك الأعاجم كلها ، أَوْلَاهَا وَآخِرُهَا ، لَا تَمْنَعُ أَحَدًا مِنْ خَاصَّتِهَا وَعَاقَتِهَا شُكْرَ مَنْ أَنْعَمَ عَلَيْهَا أَوْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهَا وَتَقْرِيطَهُ وَذَكَرَ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ الشَّرِيعَةُ قَدْ قَتَلَتْهُ وَالْمَلِكُ قَدْ سَخَّطَ عَلَيْهِ . بَلْ كَانُوا يَعْرِفُونَ فَضِيلَةَ مَنْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْهُ وَيَأْمُرُونَ بِصَلَاتِهِ وَتَعَهُدَهُ .

ويقال إن قُبَاذَ أَمْرٍ يَقْتُلُ رَجُلًا كَانَ مِنَ الطَّاعِنِينَ عَلَى الْمَمْلَكَةِ . فَقُتِلَ ، فَوَقَفَ عَلَى رَأْسِهِ رَجُلٌ كَانَ مِنْ جِيرَانِهِ فَقَالَ : ”رَحِمَكَ اللَّهُ ! إِنْ كُنْتَ - مَا عَلِمْتُ - لَتُكْرِمَ الْجَارَ وَتَصْبِرَ عَلَى أَذَاهُ ، وَتُوَاسِيَ أَهْلَ الْحَاجَةِ ، وَتَقُومَ بِالنَّائِبَةِ ! وَالْعَجَبُ كَيْفَ وَجَدَ الشَّيْطَانُ فِيكَ مَسَاغًا حَتَّى حَمَلَكَ عَلَى عَصِيَانِ مَلِكِكَ ، فَخَرَجْتَ مِنْ طَاعَتِهِ الْمَفْرُوضَةِ إِلَى مَعْصِيَتِهِ ! وَقَدِيمًا مَا تَتَكَّنْ مِنْهُ هُوَ أَشَدُّ مِنْكَ قُوَّةً وَأَثْبَتُ عَزْمًا .“ فَأَخَذَ الرَّجُلَ

قُبَاذَ وَمَادِحَ الْجَانِ عَلَى الْمَمْلَكَةِ

صاحب الشرطة فحبسه . وأتتهى كلامه إلى قُبَاذَ ، فَوَقَّعَ قُبَاذُ : يُحَسِّنُ إلى هذا الذي شكر إحسانًا فَعِلَ به ، وَتَرَفَّعَ مَرَاتِبُهُ ، وَزَادَ فِي عَطَائِهِ .

٩٢

* وهكذا فعل سعيد بن عمرو بن جَعْدَةَ بن هُبَيْرَةَ [الْمَخْزُومِيَّ] ، حِينَ حُمِلَ رَأْسُ مَرْوَانَ [الْجَعْدِيِّ] ^(١) إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ [السَّفَّاحِ] بِالْكُوفَةِ ، فَقَعَدَ لَهُ مَجْلِسًا وَجَاءُوا بِالرَّأْسِ ، فَقَامَ سَعِيدُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ جَعْدَةَ فَأَكْبَّ عَلَيْهِ قِيَامًا طَوِيلًا ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا رَأْسُ .

(١) رواها في "المحاسن والمساوي" (ص ١١٤) .

(٢) كان من أيجالات مروان الجعدي ، وأشترك معه في وقعة الزاب . (الطبري سلسلة ٣ ص ٢٠٤ و ٢٢٤ والأغانى ج ١١ ص ٧٥ ؛ وابن الأثير في حوادث سنة ١٤٥) .

(٣) هو آخر خلفاء بني أمية بالشرق .

١٠ وُلِدَ سَنَةَ ٧٢ وَقَبِيلَ سَنَةِ ٧٦ . تَوَلَّى لِحْدَامَ وَرَ ، بَعْدَهُ مِنْ الْخُلَفَاءِ الْجَزِيرَةِ وَأَرْمِينِيَةَ وَأَذَرَ جَبَانَ لَغَايَةَ سَنَةِ ١٢٦ . وَفِي هَذِهِ السَّنَةِ الْأَخِيرَةِ أَظْهَرَ الْخِلَافَ عَلَى يَزِيدَ بْنِ الْوَلِيدِ . ثُمَّ سَارَ فِي سَنَةِ ١٢٧ إِلَى الشَّامِ وَحَارِبَ سَيَّانَ بْنِ هِشَامٍ وَدَمَا النَّاسَ إِلَى مَا بَعَثَهُ . وَتَمَتَّ لَهُ الْبَيْعَةُ بِدِمَشْقَ فِي تِلْكَ السَّنَةِ . وَهُوَ الَّذِي سَمَّى يَزِيدَ ابْنَ الْوَلِيدِ الْمُنَاقِصَ . وَكَانَتْ وَفَاتُهُ بِأَرْضِ مِصْرَ فِي سَنَةِ ١٣٢ هِجْرِيَّةً . [وَأَنْظُرْ صَفْحَةَ ١٧٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ] .

وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ بِمَرْوَانَ الْفَرَسِيِّ ، وَمَرْوَانَ الْحَمَارِيِّ وَمَرْوَانَ الْجَعْدِيِّ . سَمَّاهُ الْعَبَّاسِيُّونَ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَيْهِ وَقَلَّبُوا دَوْلَتَهُ بِالْحَمَارِ فِي تَغْيِيرِ تَسْيِيقِهِ بِالْفَرَسِ . وَقِيلَ لَهُ لِقَبِّ الْحَمَارِ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَخْفَ لَهُ لَبْدٌ فِي مَحَارِبَةِ الْخَارِجِينَ عَلَيْهِ . (كَانَ يَصِلُ السَّيْرَ بِالسَّيْرِ وَيَصْبِرُ عَلَى مَكَارِهِ الْحُرُوبِ . وَيُقَالُ فِي الْمَثَلِ : "فَلَانٌ أَسْبَرُ مِنْ حَمَارٍ فِي الْحُرُوبِ" ، فَلِذَلِكَ لُقِبَ بِهِ) . وَقِيلَ إِنَّ الْعَرَبَ تُسَمِّي كُلَّ مَائَةِ سَنَةٍ حَمَارًا . (فَلَمَّا قَارَبَ مُلْكُ بَنِي أُمَيَّةَ مَائَةَ سَنَةٍ لَقِبُوا مَرْوَانَ بِالْحَمَارِ لِذَلِكَ) . وَرَبَّمَا كَانَ ذَلِكَ لِقِرَارِهِ عَلَى حَمَارٍ (يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ رُوْمَةَ ابْنِ الْعَبَّاسِ فِي مَدْحِ النَّمِصَانِ :

٢٥ مَازَالَ يَأْتِي الْأَمْرَ مِنْ أَفْطَارِهِ * عَرِ الْبَيْبِ وَعَلَى سِيَارِهِ ،
مُشَرًّا لَا يُضْطَلُّ بِسَارِهِ * حَتَّى أَقْرَأَ الْمُلُوكَ فِي نَرَارِهِ
= وَفَرَّ مَرْوَانَ عَلَى حَمَارِهِ .

(١)
أبي عبد الملك، خليفتنا بالامس، رحمه الله! فوثب أبو العباس فطعن في
وأنصرف ابن جعدة إلى منزله، وتحدث الناس بكلامه. فلامه بنوه وأهله،

= وأما تسميته بالجعدى فنسبة إلى أخذه (حين كان واليا على الجزيرة) بتأليم مؤدبه الجعد بن
سويد بن غفلة. وقع هذا الرجل إلى الجزيرة فأخذ برأيه جماعة من أهلها. فلما حارب الخراسانيو
نسبوا إلى الجعد ما رأوه من سعة عليه. وكان الناس يذمون مروان بنديبه إلى الجعد. وكان الجعد
المعتزلة وأظهر مقالته بخلق القرآن والقدر والاستطاعة وغير ذلك أيام هشام. ومن أقواله: "إذا
يتوكل من الولد، فأنا صانع ولدى ومدبره وفاعله، لا فاعل له ذيرى، وإنما يقال إن الله خلقه مجازا لا.
ومن قوله: "إن كان النظر الذى يوجب المعرفة، تكون تلك المعرفة فعلا لا فاعلا لها". وغيل إنه كان
وعظه ميمون بن مهران، فقال: "للهاء قبأذ أحب إلى مما تدين به! فقال له مهران: فذلك الله، وهو
وشهد عليه مهران. فطلبه الخليفة هشام حتى ظفر به. فأرسله إلى خالد القسرى، وهو أمير العراء
بقتله. فحبسه خالد ولم يقتله. فبلغ الخبر هشاما فكتب إلى خالد يلومه ويعزم عليه أن يقتله. فأتى
من الحبس في وثاقه. فلما صل العيد يوم الاضى قال فى آخر خطبته: "إنصرفوا وخصوا يقبل الله.
أريد أن أضى اليوم بالجعد بن دوهم فإنه يقول: ما كلم الله موسى ولا أخذ إبراهيم خليلا! تعالى الله
الجعد علوا كبيرا!" ثم نزل وذبحه.

أظهر الطبرى سلسلة ٢ (ص ٩٤٠ و ١٥٦٢ و ١٨٢٥ و ١٨٧٠ و ١٨٧٦)؛ وأنظا
(ج ١٨ ص ١٢٣ و ج ٢١ ص ٨٧)؛ وأنظر "المحاسن والمساوى" (ص ٢٣٩)؛ والعصر
والأهواء والتحل (ج ٤ ص ٢٠٢)؛ وأنساب السمعاني (ص ١٣١)؛ وابن الأثير (ج ٥ ص
١٩٧ و ٣٢٩)؛ وسبائك الذهب فى معرفة قبائل العرب (ص ٨١)؛ والفرق بين الفرق لع
البغدادى، طبع القاهرة سنة ١٩١٠ (ص ١٤ و ٢٦٢).

(١) هو كنية مروان الجعدى، باسم أبه.

(٢) أى فى حضنه.

عرضتُنا ونفسك للبوار ! فقال : أمسكتوا ، فبحكم الله ! ألستم الذين أشاروا على
بالأمس بجزان بالتخلف عن مروان ، ففعلتُ في ذلك غير فعل أهل الوفاء والشكر ؟
وما كان ليغسل عني عار تلك القعلة إلا هذه . فإنما أنا شيخٌ هامة^(١) ، فإن نجوتُ يومى
هذا من القتل ، مُتٌ غداً . قال : بفعل بنوه يتوقعون رُسُل أبي العباس أن تطرُقَه
في جوف الليل . فأصبحوا ولم يأتِهِ أحدٌ . وغدا الشيخُ فإذا هو بـسليم بن مجاهد . فلما
بُصر به ، قال : يا ابن جعدة ! ألا أبشرك بجميل رأى أمير المؤمنين ؟ إنه ذكر في هذه
الليلة ما كان منك ، فقال : " والله ! ما أنخرج ذلك الكلام من الشيخ إلا الوفاء . ولهُوَ
أقربُ منا قرابةً ، وأمسُ بنا رَجماً منه بـمروان ، إن أحسنَّا إليه ! " قال : أجل ، والله !^(٢)

(١) تقول العرب : فلان هامة ، أى يصير في قبره . ومهقول كثيرٌ .

فإن تَلُّ عنك النفسُ أرندع الهوى . * وبالباس تسلُّ عنك . لا تلتحِدُ .
وكلُّ خليلٍ راقٍ فهو قاتِلٌ : * من أحلك هذا هامة اليوم أرغد .

يقال : فلان هامة اليوم أرغد ، أى يموت في يومه أرغده . ويقال ذلك للشيخ إذا سَنَّ ، والمرضى إذا طالت
عِلَّتُهُ ، والمحقر لمدّة الأجل . وفي الحديث أن أبا حذيفة بن اليمان قال لثابت بن وقش الأصارى وقد تخلف
معه في غزوة أحد : " إنهُض بنا نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإنما نحن هامة اليوم أرغد " .
(وكأننا قد آسنا) . ومراجع ذلك لأعتقاد العرب في مسألة الهامة . (راجع "الكامل" للبرد ص ٢١١ و ٢٨٧) .
وأظنر "الأغانى" ج ١٣ ص ١٦٥)

(٢) هذه النقطة المحصورة بين نجمتين * منقولة عن صـ . وقد رواها في "المحاسن والمساوى"

(ص ١١٩ و ١٢٠)

كتاب قيس بن سعد
أبن عبادة إلى
معاوية

وهكذا فعل قيس بن سعد بن عبادة [الأنصاري] بمعاوية بن أبي سفيان، حين دعاه إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعته. فكتب إليه قيس بن سعد: "يا وثن ابن وثن! تكتب إلى تدعوني إلى مفارقة علي بن أبي طالب والدخول في طاعتك وتخونني بتفرق أصحابه عنه وإقبال الناس عليك وإجفالكهم إليك! فوالله الذي لا إله غيره! لو لم يبق له غيري ولم يبق لي غيره، ما سألتك أبدا، وأنت حرب، ولا دخلت في طاعتك وأنت عدوه، ولا اخترت عدو الله على وليه، ولا حرب الشيطان على حرب الله. والسلام!"

الإسكندر
والمتقربون إليه
بقتل ملكهم

وفي سيرة الإسكندر ذي القرنين أنه لما قصد نحو فارس، تلقاه جماعة من أساورتهم برأس ملكهم، يتقربون إليه به. فأمر بقتلهم لسوء رعيهم وقلة شكرهم لملكهم ومن أعم عليهم. وقال: من غدر بملكه كان بغيره أغدر.

شيرة
على قتل أبرويز

وفيما يحكي عن شيرة أن رجلا من الرعية وقف له يوما، وقد رجّع من الميدان، فقال: "الحمد لله الذي قتل أبرويز على يدك، وملكت ما كنت أحق به منه وأراح آل ساسان من جبريته وعُتوه وبُخله ونكده. فإنه كان ممن يأخذ بالحبة،^(١)

(١) أنظر في الممدودى مكاتبات أخرى جرت بينهما (ج ٥ ص ٤٥).

(٢) [أنظر حاشية ١ صفحة ٩ من هذا الكتاب.]

(٣) ص: «جبروته». والخبرية القهر والغلبة. وفيها لغات كثيرة ذكرها في القاموس وفي كامل المبرد. وفي حطبة عنته بن غزوان: "وإنه لم تكن سوءة إلا تأسخها خبرية". أى ملك غالب وعضوض. [أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٧٢.]

(٤) ص: بالإحنة.

ويقتل بالظن، ويخيف البريء، ويعمل بالهوى“، فقال شيرويه للماجب: إجمله
إلى . ففعل . فقال له :-

- كم كانت أرزاقك في حياة أبرويز؟

- كنت في كفاية من العيش .

- فكم زيد في أرزاقك اليوم؟

- ما زيد في رزقي شيء .

- فهل وترك أبرويز، فأتبصرت منه بما سمعت من كلامك؟

- لا .

قال - فما دعاك إلى الوقوع فيه، ولم يقطع عنك مادة رزقك ولا وترك في نفسك؟

وما للعامة والوقوع في الملوكة، وهم رعية؟

فأمر أن يتزع لسانه من قفاه، وقال: ”بحق ما يقال إن الخرس خير من البيان
فيما لا يجب“ .

وحدثني صباح بن خاقان، قال: حدثني أبي أن أبا جعفر [المنصور] لما أتى برأس

المنصور والضارب
رأس الخارج عليه
بعد قتله

(١) وتره حقه أى قصه . (مصحح) [حاشية في صـ]

(٢) روى هذه الحكاية بالحرف في ”المحاسن والمساوى“ (ص ٤١١) .

(٣) هو صباح بن خاقان المتقري . كان نديما لمصعب الزيري، وكان من مشايخ المروءة والعلم والأدب .

وكان متعصبا للفرزدق وجرير يفضلهما على الأختل (أغاني ج ٧ ص ١٧٤ وج ١٥ ص ١٥٩ و ١٦٠) .

وكان هو ومصعب جليسين لا يكادان يفترقان وصديقين متواصلين لا يكادان يتصارمان (كامل المبرد ص ٤٦٠) .

وقد أمتدحه إسماعيل النديم (المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ص ٣١٠) .

إبراهيم بن عبد الله فوضع بين يديه^(١)، جاء بعض أولئك الروندية^(٢) فضرب الرأس بعمود^(٣) كان في يده. فقال المنصور^(٤) للسيب: دُق وجهه! فدُق المسيب^(٥) أنفه. ثم قال [المنصور] له: يا ابن الخناء! تبيء إلى رأس ابن عمي (وقد صار إلى حال لا يدفع ولا ينفع) تضربه بعمودك، كأنك رأيته وهو يريد نفسى فدفعته عني. أُنْزِجَ إلى لعنة الله وأليم عذابه!

④

المنصور يبادح
هشام الأموي

ويقال إن أبا جعفر وجه إلى شيخ من أهل الشام، كان من بطانة هشام، فسأله عن تدير هشام في بعض حروبه الخوارج. فوصف له الشيخ ما دبر، فقال: "فعل (رحمه الله) كذا وصنع (رحمه الله) كذا". فقال المنصور: قُمْ، عليك لعنة الله! تَطَأُ بِسَاطِي، وتترجّم على عدوي؟ فقام الرجل، فقال وهو مؤلّ: إِنَّ نِعْمَةَ عَدُوِّكَ لِقِلَادَةٌ فِي عُنُقِي لَا يَنْزِعُهَا إِلَّا غَاسِلِي. فقال له المنصور: إِرْجِعْ يَا شَيْخُ! فَرَجَعَ. فقال له: أَشْهَدُ

(١) هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب.

١٠

(٢) هكذا في س، ص. ولا يمكن أن تكون الكلمة محرقة عن الراوندية لأنهم قاموا على المنصور في سنة ١٤٠، وإبراهيم بن عبد الله كان قتل في سنة ١٤٥. ولم يتمكن بعد شدة البحث وكثرة التنقيب في كتب التراخي واللغة من الوقوف على معناها أو تقويمها. ولعلها تكون "الدورية" بمعنى أصحاب الدور من العساكر وأرباب الحرس، أو الزردية بمعنى لابسى الزرد. ولكنني لست على ثقة من ذلك. والذي في ابن الأثير: رجل من الحرس (ج ٥ ص ٤٣٧). وروى الطبري هذه الحكاية على وجه آخر ووصف الرجل بأنه من السبابة (سلسلة ٣ ص ٤١٦).

١٥

(٣) هو المسيب بن زهير الضبي وهو من ولد ضرار بن عمرو (وبنو ضرار من سادة ضنة). كان على شرطة أبي جعفر، وولاه المهدي نراسان. وولى شرطة مومي الهادي. وكانت هذه الوظيفة في أبنائه طارون والأمين والمأمون. (معارف ابن رقيبة ص ٢٠٠)

(٤) ص: سَو.

٢٠

أنك نهيتُ حُرَّةً وِغْرَاسُ شريف! عُدْ إلى حديثك! فعاد الشيخ إلى حديثه حتى إذا قرع، دعا له بمالي ليأخذه فقال: "والله يا أمير المؤمنين، ما بي من حاجة إليه! ولقد مات عني من كنت في ذكره آنفا، لما أحوَجني إلى وقوف على باب أحد بعده. ولولا جلالة عز أمير المؤمنين وإيثار طاعته ما لبست لأحد بعده نعمة." فقال المنصور: "مُتْ إذا شئت، فله أنت! فلو لم يكن لقومك غيرك، لكنت قد أقيت لهم مجداً مخلداً". ويقال إن الرجل كان من شيبان^(١).

٩٥

ومن حق الملك - إذا حضره سماره أو محدثوه - أن لا يُحرَّك أحد منهم شفثيه مبتدئاً، ولا يقطع حديثه بالاعتراض فيه، وإن كان نادراً شيئاً، وأن يكون غرضهم حُسن الاستماع، وإشغال الجوارح بحديثه. فإذا فرغ من الحديث فنظر إلى بعضهم، فقد أذن له أن يُحدثه بنظير ذلك الجنس من الحديث. وليس له أن يأخذ في غير جنس حديثه.

الأدب عند ما يتكلم الملك

وليس لمن حدث الملك أن يُفسد ألفاظه وكلامه، بأن يقول في حديثه: "فأسمع مني" أو "إفهم عني" أو "يا هذا" أو "الأتري". فإن هذا وما أشبهه عي من قائله وحشوه في كلامه ونحروجه من بسط اللسان ودليل على القدامة والغثافة. وليكن كلامه

الأدب في تحديث الملك

(١) نقل المسعودي هذه الحكاية بتصرف يسير (ج ٦ ص ٦٧ و ١٦٨). ونقلها بالحرف الواحد في "الحاسن والمساوي" (ص ١٢٠). وكان المنصور في أكثر أموره وتديره وسياسته متبعاً لهشام في أفعاله، لكثرة ما يستحسنه من أخبار هشام وسيرته. (شذرات الذهب ج ١ ص ١٨١)

(٢) سمه: ونحروج من بسط الزمان، صمه: ونحروج يربط اللسان.

(٣) القدامة التي عن الحجة، والكلام في ثقل ورخاوة وقلة فهم.

(٤) هي سوء الخلق. ويبرعها العامة في أيماننا هدم بقولهم: الغثاة. ومنها فلان غثوت.

٢٠

كلاماً سهلاً، وألفاظه عذبةً مُتَّصِلَةً، وَسَقَطَ تِلْكَ قَلِيلاً. فإذا فرغ من الحديث، فليس له أن يصله بحديث آخر، وإن كان شبيهاً بالحديث الأول، حتى يرى أن الملك قد أقبل عليه بوجهه وأصغى إلى حديثه. [فإن أعرض] لشغل يعرض له، [فليس له] أن يتر في حديثه وأن يصل كلامه، فيحتاج الملك إلى الإصغاء إليه ويحتاج إلى التشاغل بما عرض له، فيجمع عليه أمرين. فإن هذا يُخَفِّفُ من فاعله ويخرج من الأدب. ولكن لِيُنْصِتَ مُطَرِّقاً: فإن اتَّصَلَ شُغْلُ الْمَلِكِ، تَرَكَ الْحَدِيثَ، وإن أُنْقَطَعَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ، فَقَدْ أَذِنَ لَهُ فِي إِمْتَامِهِ وَإِعَادَتِهِ.



عدم الضحك من حديث الملك

ومن حقَّ الملك أن لا يُضْحَكَ من حديثه إذا حَدَّثَ، لأن الضَّحِكَ بِحُضْرَةِ الْمَلِكِ جُرْأَةٌ عَلَيْهِ، وَلَا يُظْهَرُ التَّعَجُّبُ بِفَائِدَةِ حَدِيثِهِ. وإنما هذا إلى الملك، فإن ضَحِكَ الْمَلِكُ من الحديث وأظهر السرور به، فذاك غرض حديثه. وإليه قَصْدٌ. وإن سَكَتَ، فلم يكن في الحديث ما يُلْهِمُهُ وَيُطْرِبُهُ أَوْ يَسْتَفِيدُ مِنْهُ فَائِدَةٌ، كان قد سَلِمَ من العيب، إذ لم يضحك ولم يعجب.



عدم إعادة الحديث مرين على الملك

ومن حقَّ الملك أن لا يُعَادَ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ مَرَّتَيْنِ. وإن طَالَ بَيْنَهُمَا الدَّهْرُ وَغَبَرَتْ بَيْنَهُمَا الْأَيَّامُ، إِلَّا أَنْ يَذْكُرَهُ الْمَلِكُ. فإن ذَكَرَهُ، فَهُوَ إِذْنٌ مِنْهُ فِي إِعَادَتِهِ.

١٧
كلمة روح بن زنباع في المعنى

وكان رَوْحُ بْنُ زَنْبَاعٍ يَقُولُ: أَقَمْتُ مَعَ عَبْدِ الْمَلِكِ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً مِنْ أَيَّامِهِ، مَا أَعَدْتُ عَلَيْهِ حَدِيثًا.

(١) أنظر الحاشية ١ صفحة ٦٠ و ١١٧ و ١٣٠ من هذا الكتاب.

- كلمة الشعبي في المعنى (١) وكان الشعبي يقول: ما حدثتُ بحديثٍ مرَّتين لرجلٍ بعينه قطُّ.
- كلمة السفاح (٢) وكان أبو العباس يقول: ما رأيتُ أحداً أغزرَ علماً من أبي بكرٍ الهذليّ، ولم يُعَدَّ تليّ حديثاً قطُّ.
- كلمة ابن عياش في المعنى (٣) وكان ابن عياش يقول: حدثتُ المنصورَ أكثرَ من عشرة آلاف حديثٍ. فقال لي ليلةً، وقد حدثته عن يومٍ ذى قارٍ: قد اضطُررتُ إلى التكرارِ، يا ابنَ عياش! قلتُ: ما هذا منها، يا أمير المؤمنين. قال: أمّا تذكرُ ليلةَ الرعدِ والأمطارِ، وأنتَ تتحدثُ عن يومٍ ذى قارٍ، فقلتُ لك: ما يومُ ذى قارٍ بأصعبَ من هذه الليلة؟ (٤) (٥)

- (١) هو فقيه العراق وأشهر من أن يذكر .
- (٢) يعنى السفاح رأس الدولة العباسية .
- (٣) أنظر حاشية ٣ صفحة ٥٩ من هذا الكتاب .
- (٤) ذوقار هو اسم ماء لبنى بكر بن وائل ، القرد من الكوفة . حدثت فيه معركة هائلة بين الدريب والعجم قبل البعثة النبوية ، وقيل بين غزو قتيّ بدر وأحُد . انتصر فيها العرب على العجم أنصاراً باهراً نتجَّ به شعراؤهم وتحدثت به أخبار يومهم . ويسمى هذا اليوم أيضاً بيوم الحيو ، ويوم حنودى قار ، ويوم حنودى القرائر . ويوم بطحاء ذى قار ، ويوم قرائر ، ويوم الجبابات . ويوم ذات العجموم . وكان من مواضع حول ذى قار . ولكنه الأشهر والأكثر في الاستعمال .
- (٥) القار (بتخفيف الراء) هو في لغة العرب هذا الأسود (الرمث) الذى تُطلُّ به السفن ، وهو شجر مرّ أيضاً (عن تاج العروس) . وفي لغة الفرس يدل على البياض وعلى السواد (لأنه عندهم من أسماء الأعداد) ؛ وقد أطلقوه من باب التوسع على الثلج وعلى الزفت بسبب لونيهما . وليس يستمد من الحكاية التى أوردناها إلّا حفظ (مع ملاحظة المنصور على جليسه) أن المعركة وقعت في أيام الشتاء ، ولأنه ربما كان قد سمع يوماً ذى قار يلاطفه بنزول الثلج وأن الموضوع ربما سمي بهذا الاسم لهذه المناسبة . بالحقيقة أن اللفظ عربى صميم لأنه اسم ماء =

موطن إعادة
الحديث على الملوك

وكان الشرقيُّ بنُ الفُطَاميِّ يُعيد الحديث مراراً. وذلك أنَّ أكثرَ أحاديثه مضامحك، وكانت تُعجب المهديَّ فيستعيده.

= ليني بكر بن وائل كما ذكرنا في الحاشية السابقة، ولأن من نظر إلى الخريطة الجغرافية يتبين له أن عرض هذا المكان مما لا يقع فيه الثلج. فوق ذلك فالعلوم التاريخية تدل على أن هذه الحرب وقعت في أيام القبط. يدل على ذلك قول التتلي الذي يريد هلاك بكر بن وائل، حينما استشاره كسرى أبرويز في أمرهم: "أهلهم حتى يبقوا ويتساقطوا على ذى قار، تساقط القراش في النار. فتأخذهم كيف شئت" (ابن الأثير ج ١ ص ٣٥٧). ويؤيد ذلك ويوضحه ما رواه صاحب المقد الفريد (ج ٣ ص ١١٣) فقد أورد حديث التتلي مع كسرى هكذا:

"ياخير الملوك! ألا أدلك على غرة بكر؟"

— بل!

— أقرها، وأظهر الإضراب عنها حتى يجليها القبط ويدينها منك. فإنهم لو قاتلوا، تساقطوا عليك بما لم في راد يقال له ذو قار، تساقط القراش في النار. وإنما الذي أشار إليه المنصور هو اشتداد الأمر وخرج الحال وأصطلام الحرب، كما كانت ليلة شديدة بعدها ومطرها.

(أنظر التمهيل عن تلك الواقعة وسببها في معجم البلدان ج ٤ ص ١٠ — ١٢؛ "والأغاني" ج ٢٠ ص ١٣١ — ١٤٠؛ "بالمقد الفريد" ج ٣ ص ١١٣ — ١١٦؛ "وآين الأثير" ج ١ ص ٣٥٢ — ٣٥٨؛ وأنظر "صبح الأعشى" ج ١ ص ٢٣٦؛ "وتاج العروس" في ق و ر.)

(١) سماه في القاموس شرق بن القطامي. وفي شرحه عن بعض أهل اللغة أنه بفتح الراء. والقطامي بفتح القاف في لغة قيس وعند سائر العرب بالضم.

وهو الوليد بن الحصين الكلبي. والشرقي لقبه، كما أن القطامي لقب أبيه. كوفي وأخر الصلح والادب؛ واشتهر بمعرفة الأنساب ورواية الأخبار والدواوين. ولكنه في الحديث معدود من الضعفاء. كان =

وكان ابن دأب^(١) إذا حدث موسى أمير المؤمنين بالحديث، أعاده عليه في القابلة حتى يحفظه.

ويقال إنه لم يسامر الخلفاء أحد كان أنبل من عيسى بن دأب، ولا أتم صنعة ولا أحسن ألفاظا ولا أفكح مجنسا ولا أعظم أبهة وقدرًا منه. وكان عيسى بن دأب يتكلم في مجلس أمير المؤمنين.

== صاحب ستمز. أقدمه أبو جعفر المنصور ليعلم ولده المهدي. وقد سأله: "علّام يوق المرء؟" فقال: "أصلح الله الخليفة!" على معروف قدسلف، أو مثله يؤتلف، أو قدیم شرف، أو يعلم مطرف. "ضمه المنصور إلى المهدي حين خلقه بالرقي، وله معه هناك حديث ظريف عن النريين (سأله في "مرروج الذهب" ج ٦ ص ٢٥١ - ٢٥٦، وأورده ياقوت برواية أخرى في "معجم البلدان" ج ٣ ص ٧٩١ - ٧٩٢). وله كتب في التاريخ والأنساب. روى عنها المسعودي وياقوت والبلاذري. وله تصنيعة في الغريب. سأله رجل ذات يوم عما كانت تقرأه العرب في صلاتها على موتها. فقال: لا أدري. فقال له الرجل: كانوا يقرؤون:

ما كنت ركوا كما ولا بزوتك * رويدك حتى يبعث الخلق ناعته

لحدث بذلك في المقصورة يوم الجمعة. (انظر "كتاب الفهرست" ص ٩٠ و ١٧٠ و ٣٠٦؛ و "نزهة الألباء" ص ٢٤٣ - ٢٤٤؛ وأن تتيبة في "المعارف" ص ٢٦٨. وقد صححت البيت عن "لسان العرب" في مادتي زتك، ولك).
(١) هو عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب، ويكنى أبا الوليد. (ودأب مأخوذ من قولهم: ما زال هذا دأبه رديده وعادته ودينه أي فعله الذي لا يفارقه). كان هو وأبوه وأخوه من البلباء بأخبار العرب وأخبارهم. وكان عيسى شاعرا فوق ذلك. وكان يضح بالمدينة الشعر وأحاديث السمر وكلاما ينسب إلى العرب. وكان أكثر أهل الجباز بل ومعاصريه أدبا وعلما وعدوبة لفظ ومعرفة بأخبار الناس وأيامهم؛ وكان لذيذ المفاكهة، طيب المسامرة، كثير النادرة، جيد الشعر، حسن المزاج له. وهو من نقلة الأخبار ونقاد الأشعار.
حفظ عند الهادي حظوة لم تكن لأحد قبله. وبلغ من تبه على الخليفة أنه كان ياديه ولا يتفدى معه. فقيل له في ذلك، فقال: أنا لا أتفدى في مكان لا أغسل يدي فيه. فقال له الهادي: فتند! فكان الناس إذا تغدوا تنحوا لفسل أيديهم، وابن دأب يفسل يديه بحضرة الخليفة. وبلغ من تبه ودأله عليه أيضا أن الخليفة كان يدعو له بما يتكلم عليه في مجلسه (وما كان يفعل ذلك بغيره ولم يكن عنده أحد يطلع منه بذلك). =

ولم يكن هذا لأحد. غير أنه يُحكى أن رَوْح بن زَيْبَاع مَرِيض فكان يدعو له
عبدُ الملك بن مروان بِمُتَّكَا.^(١)



وعلى المحدث لَّلك أن لا يعجلَ في كلامه، وأن يُدبج ألفاظه، ولا يُشير بيده،
الادب في تحديث
الملك

= وكان يقول له: "ما أسطلت بك يوما ولا ليلا، ولا غبتَ عن عيني إلا تمنيتُ أن لا أرى غيرَكَ".
أمر له مرة بثلاثين ألف دينار. فما كنه الحاجب في قبضها، فتركها. ثم رآه الهادي، وليس معه إلا غلام
واحد، فأخذ عليه عدم ظهور النعمة فيه. فلما دخل إليه عرض له بذلك وقال له: "أرى ثوبك ضيلا، وهذا
شئنا يحتاج إلى الجديد". فقال: يا عي قصير. فقال: وكيف، وقد صرفنا إليك ما فيه صلاح شأنك؟ فقال:
ما وصل إلَيَّ. فعدا صاحب بيت المال واستحضر الثلاثين ألف دينار وحملها بين يديه.

وكان كثيرا ما يدعو ويأله إنشاد الأبيات من أشعر ما قالت العرب. وكان يروى له الأخبار (منها حديث عن
غلام سسندى مع مولاه، ساقه المسعودي في ج ٦ ص ٢٦٤ - ٢٦٥ وصاحب "الحاسن والمساوي"
(ص ٦١٣ - ٦١٤)، والأبشهي في "المستطرف" (ج ٢ ص ٦٥)، وصاحب "تنبيه الملوك والمكابد"
(ص ١١٦ - ١١٧). ومنها حديث عن عيوب مصر وفضائل البصرة والكوفة، ساقه المسعودي أيضا
في الجزء السادس (ص ٢٧٠ إلى ٢٧٧). وقد أخذ عليه خلف الأحمر هفوة فقال فيه: "العجب

من أن دأب! والله لقد طمع في الخلافة حين ظن أن هذا يُقبل منه". وقد هجاه ابن منذر الشاعر الفصيح
المقدم في العلم باللغة، لأنه قال فيه قولاً قبيحاً. وكان حلف الأحمر ينسب إليه الكذب. وقالوا إنه كان يتشيع
يرضع أخباراً لبني هاشم. (أنظر "كتاب الفهرست" (ص ٩١)؛ و"الأغانى" (ج ٥ ص ١٥٨ و ١٥٩ و ١٠٤

و ١٠٦ و ١١٠ و ١١٦ و ١١٧ و ١٢٤ و ١٢٥ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٣ و ١٣٤ و ١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ و ١٣٨ و ١٣٩ و ١٤٠ و ١٤١ و ١٤٢ و ١٤٣ و ١٤٤ و ١٤٥ و ١٤٦ و ١٤٧ و ١٤٨ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥١ و ١٥٢ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و ١٥٨ و ١٥٩ و ١٦٠ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ و ١٦٥ و ١٦٦ و ١٦٧ و ١٦٨ و ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٤ و ١٧٥ و ١٧٦ و ١٧٧ و ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٠ و ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤ و ١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ و ١٨٨ و ١٨٩ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٢ و ١٩٣ و ١٩٤ و ١٩٥ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٨ و ١٩٩ و ٢٠٠ و ٢٠١ و ٢٠٢ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢١٠ و ٢١١ و ٢١٢ و ٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ و ٢١٦ و ٢١٧ و ٢١٨ و ٢١٩ و ٢٢٠ و ٢٢١ و ٢٢٢ و ٢٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٥ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣١ و ٢٣٢ و ٢٣٣ و ٢٣٤ و ٢٣٥ و ٢٣٦ و ٢٣٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩ و ٢٤٠ و ٢٤١ و ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٤ و ٢٤٥ و ٢٤٦ و ٢٤٧ و ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٠ و ٢٥١ و ٢٥٢ و ٢٥٣ و ٢٥٤ و ٢٥٥ و ٢٥٦ و ٢٥٧ و ٢٥٨ و ٢٥٩ و ٢٦٠ و ٢٦١ و ٢٦٢ و ٢٦٣ و ٢٦٤ و ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ و ٢٦٨ و ٢٦٩ و ٢٧٠ و ٢٧١ و ٢٧٢ و ٢٧٣ و ٢٧٤ و ٢٧٥ و ٢٧٦ و ٢٧٧ و ٢٧٨ و ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٢ و ٢٨٣ و ٢٨٤ و ٢٨٥ و ٢٨٦ و ٢٨٧ و ٢٨٨ و ٢٨٩ و ٢٩٠ و ٢٩١ و ٢٩٢ و ٢٩٣ و ٢٩٤ و ٢٩٥ و ٢٩٦ و ٢٩٧ و ٢٩٨ و ٢٩٩ و ٣٠٠ و ٣٠١ و ٣٠٢ و ٣٠٣ و ٣٠٤ و ٣٠٥ و ٣٠٦ و ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣٠٩ و ٣١٠ و ٣١١ و ٣١٢ و ٣١٣ و ٣١٤ و ٣١٥ و ٣١٦ و ٣١٧ و ٣١٨ و ٣١٩ و ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٢ و ٣٢٣ و ٣٢٤ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٢٧ و ٣٢٨ و ٣٢٩ و ٣٣٠ و ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٥ و ٣٣٦ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٣٩ و ٣٤٠ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٣٤٣ و ٣٤٤ و ٣٤٥ و ٣٤٦ و ٣٤٧ و ٣٤٨ و ٣٤٩ و ٣٥٠ و ٣٥١ و ٣٥٢ و ٣٥٣ و ٣٥٤ و ٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٥٧ و ٣٥٨ و ٣٥٩ و ٣٦٠ و ٣٦١ و ٣٦٢ و ٣٦٣ و ٣٦٤ و ٣٦٥ و ٣٦٦ و ٣٦٧ و ٣٦٨ و ٣٦٩ و ٣٧٠ و ٣٧١ و ٣٧٢ و ٣٧٣ و ٣٧٤ و ٣٧٥ و ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٣٧٨ و ٣٧٩ و ٣٨٠ و ٣٨١ و ٣٨٢ و ٣٨٣ و ٣٨٤ و ٣٨٥ و ٣٨٦ و ٣٨٧ و ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠ و ٣٩١ و ٣٩٢ و ٣٩٣ و ٣٩٤ و ٣٩٥ و ٣٩٦ و ٣٩٧ و ٣٩٨ و ٣٩٩ و ٤٠٠ و ٤٠١ و ٤٠٢ و ٤٠٣ و ٤٠٤ و ٤٠٥ و ٤٠٦ و ٤٠٧ و ٤٠٨ و ٤٠٩ و ٤١٠ و ٤١١ و ٤١٢ و ٤١٣ و ٤١٤ و ٤١٥ و ٤١٦ و ٤١٧ و ٤١٨ و ٤١٩ و ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٢ و ٤٢٣ و ٤٢٤ و ٤٢٥ و ٤٢٦ و ٤٢٧ و ٤٢٨ و ٤٢٩ و ٤٣٠ و ٤٣١ و ٤٣٢ و ٤٣٣ و ٤٣٤ و ٤٣٥ و ٤٣٦ و ٤٣٧ و ٤٣٨ و ٤٣٩ و ٤٤٠ و ٤٤١ و ٤٤٢ و ٤٤٣ و ٤٤٤ و ٤٤٥ و ٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٨ و ٤٤٩ و ٤٥٠ و ٤٥١ و ٤٥٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٥ و ٤٥٦ و ٤٥٧ و ٤٥٨ و ٤٥٩ و ٤٦٠ و ٤٦١ و ٤٦٢ و ٤٦٣ و ٤٦٤ و ٤٦٥ و ٤٦٦ و ٤٦٧ و ٤٦٨ و ٤٦٩ و ٤٧٠ و ٤٧١ و ٤٧٢ و ٤٧٣ و ٤٧٤ و ٤٧٥ و ٤٧٦ و ٤٧٧ و ٤٧٨ و ٤٧٩ و ٤٨٠ و ٤٨١ و ٤٨٢ و ٤٨٣ و ٤٨٤ و ٤٨٥ و ٤٨٦ و ٤٨٧ و ٤٨٨ و ٤٨٩ و ٤٩٠ و ٤٩١ و ٤٩٢ و ٤٩٣ و ٤٩٤ و ٤٩٥ و ٤٩٦ و ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩ و ٥٠٠ و ٥٠١ و ٥٠٢ و ٥٠٣ و ٥٠٤ و ٥٠٥ و ٥٠٦ و ٥٠٧ و ٥٠٨ و ٥٠٩ و ٥١٠ و ٥١١ و ٥١٢ و ٥١٣ و ٥١٤ و ٥١٥ و ٥١٦ و ٥١٧ و ٥١٨ و ٥١٩ و ٥٢٠ و ٥٢١ و ٥٢٢ و ٥٢٣ و ٥٢٤ و ٥٢٥ و ٥٢٦ و ٥٢٧ و ٥٢٨ و ٥٢٩ و ٥٣٠ و ٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٣ و ٥٣٤ و ٥٣٥ و ٥٣٦ و ٥٣٧ و ٥٣٨ و ٥٣٩ و ٥٤٠ و ٥٤١ و ٥٤٢ و ٥٤٣ و ٥٤٤ و ٥٤٥ و ٥٤٦ و ٥٤٧ و ٥٤٨ و ٥٤٩ و ٥٥٠ و ٥٥١ و ٥٥٢ و ٥٥٣ و ٥٥٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ و ٥٥٧ و ٥٥٨ و ٥٥٩ و ٥٦٠ و ٥٦١ و ٥٦٢ و ٥٦٣ و ٥٦٤ و ٥٦٥ و ٥٦٦ و ٥٦٧ و ٥٦٨ و ٥٦٩ و ٥٧٠ و ٥٧١ و ٥٧٢ و ٥٧٣ و ٥٧٤ و ٥٧٥ و ٥٧٦ و ٥٧٧ و ٥٧٨ و ٥٧٩ و ٥٨٠ و ٥٨١ و ٥٨٢ و ٥٨٣ و ٥٨٤ و ٥٨٥ و ٥٨٦ و ٥٨٧ و ٥٨٨ و ٥٨٩ و ٥٩٠ و ٥٩١ و ٥٩٢ و ٥٩٣ و ٥٩٤ و ٥٩٥ و ٥٩٦ و ٥٩٧ و ٥٩٨ و ٥٩٩ و ٦٠٠ و ٦٠١ و ٦٠٢ و ٦٠٣ و ٦٠٤ و ٦٠٥ و ٦٠٦ و ٦٠٧ و ٦٠٨ و ٦٠٩ و ٦١٠ و ٦١١ و ٦١٢ و ٦١٣ و ٦١٤ و ٦١٥ و ٦١٦ و ٦١٧ و ٦١٨ و ٦١٩ و ٦٢٠ و ٦٢١ و ٦٢٢ و ٦٢٣ و ٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٢٦ و ٦٢٧ و ٦٢٨ و ٦٢٩ و ٦٣٠ و ٦٣١ و ٦٣٢ و ٦٣٣ و ٦٣٤ و ٦٣٥ و ٦٣٦ و ٦٣٧ و ٦٣٨ و ٦٣٩ و ٦٤٠ و ٦٤١ و ٦٤٢ و ٦٤٣ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و ٦٤٧ و ٦٤٨ و ٦٤٩ و ٦٥٠ و ٦٥١ و ٦٥٢ و ٦٥٣ و ٦٥٤ و ٦٥٥ و ٦٥٦ و ٦٥٧ و ٦٥٨ و ٦٥٩ و ٦٦٠ و ٦٦١ و ٦٦٢ و ٦٦٣ و ٦٦٤ و ٦٦٥ و ٦٦٦ و ٦٦٧ و ٦٦٨ و ٦٦٩ و ٦٧٠ و ٦٧١ و ٦٧٢ و ٦٧٣ و ٦٧٤ و ٦٧٥ و ٦٧٦ و ٦٧٧ و ٦٧٨ و ٦٧٩ و ٦٨٠ و ٦٨١ و ٦٨٢ و ٦٨٣ و ٦٨٤ و ٦٨٥ و ٦٨٦ و ٦٨٧ و ٦٨٨ و ٦٨٩ و ٦٩٠ و ٦٩١ و ٦٩٢ و ٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٥ و ٦٩٦ و ٦٩٧ و ٦٩٨ و ٦٩٩ و ٧٠٠ و ٧٠١ و ٧٠٢ و ٧٠٣ و ٧٠٤ و ٧٠٥ و ٧٠٦ و ٧٠٧ و ٧٠٨ و ٧٠٩ و ٧١٠ و ٧١١ و ٧١٢ و ٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ و ٧١٦ و ٧١٧ و ٧١٨ و ٧١٩ و ٧٢٠ و ٧٢١ و ٧٢٢ و ٧٢٣ و ٧٢٤ و ٧٢٥ و ٧٢٦ و ٧٢٧ و ٧٢٨ و ٧٢٩ و ٧٣٠ و ٧٣١ و ٧٣٢ و ٧٣٣ و ٧٣٤ و ٧٣٥ و ٧٣٦ و ٧٣٧ و ٧٣٨ و ٧٣٩ و ٧٤٠ و ٧٤١ و ٧٤٢ و ٧٤٣ و ٧٤٤ و ٧٤٥ و ٧٤٦ و ٧٤٧ و ٧٤٨ و ٧٤٩ و ٧٥٠ و ٧٥١ و ٧٥٢ و ٧٥٣ و ٧٥٤ و ٧٥٥ و ٧٥٦ و ٧٥٧ و ٧٥٨ و ٧٥٩ و ٧٦٠ و ٧٦١ و ٧٦٢ و ٧٦٣ و ٧٦٤ و ٧٦٥ و ٧٦٦ و ٧٦٧ و ٧٦٨ و ٧٦٩ و ٧٧٠ و ٧٧١ و ٧٧٢ و ٧٧٣ و ٧٧٤ و ٧٧٥ و ٧٧٦ و ٧٧٧ و ٧٧٨ و ٧٧٩ و ٧٨٠ و ٧٨١ و ٧٨٢ و ٧٨٣ و ٧٨٤ و ٧٨٥ و ٧٨٦ و ٧٨٧ و ٧٨٨ و ٧٨٩ و ٧٩٠ و ٧٩١ و ٧٩٢ و ٧٩٣ و ٧٩٤ و ٧٩٥ و ٧٩٦ و ٧٩٧ و ٧٩٨ و ٧٩٩ و ٨٠٠ و ٨٠١ و ٨٠٢ و ٨٠٣ و ٨٠٤ و ٨٠٥ و ٨٠٦ و ٨٠٧ و ٨٠٨ و ٨٠٩ و ٨١٠ و ٨١١ و ٨١٢ و ٨١٣ و ٨١٤ و ٨١٥ و ٨١٦ و ٨١٧ و ٨١٨ و ٨١٩ و ٨٢٠ و ٨٢١ و ٨٢٢ و ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢٥ و ٨٢٦ و ٨٢٧ و ٨٢٨ و ٨٢٩ و ٨٣٠ و ٨٣١ و ٨٣٢ و ٨٣٣ و ٨٣٤ و ٨٣٥ و ٨٣٦ و ٨٣٧ و ٨٣٨ و ٨٣٩ و ٨٤٠ و ٨٤١ و ٨٤٢ و ٨٤٣ و ٨٤٤ و ٨٤٥ و ٨٤٦ و ٨٤٧ و ٨٤٨ و ٨٤٩ و ٨٥٠ و ٨٥١ و ٨٥٢ و ٨٥٣ و ٨٥٤ و ٨٥٥ و ٨٥٦ و ٨٥٧ و ٨٥٨ و ٨٥٩ و ٨٦٠ و ٨٦١ و ٨٦٢ و ٨٦٣ و ٨٦٤ و ٨٦٥ و ٨٦٦ و ٨٦٧ و ٨٦٨ و ٨٦٩ و ٨٧٠ و ٨٧١ و ٨٧٢ و ٨٧٣ و ٨٧٤ و ٨٧٥ و ٨٧٦ و ٨٧٧ و ٨٧٨ و ٨٧٩ و ٨٨٠ و ٨٨١ و ٨٨٢ و ٨٨٣ و ٨٨٤ و ٨٨٥ و ٨٨٦ و ٨٨٧ و ٨٨٨ و ٨٨٩ و ٨٩٠ و ٨٩١ و ٨٩٢ و ٨٩٣ و ٨٩٤ و ٨٩٥ و ٨٩٦ و ٨٩٧ و ٨٩٨ و ٨٩٩ و ٩٠٠ و ٩٠١ و ٩٠٢ و ٩٠٣ و ٩٠٤ و ٩٠٥ و ٩٠٦ و ٩٠٧ و ٩٠٨ و ٩٠٩ و ٩١٠ و ٩١١ و ٩١٢ و ٩١٣ و ٩١٤ و ٩١٥ و ٩١٦ و ٩١٧ و ٩١٨ و ٩١٩ و ٩٢٠ و ٩٢١ و ٩٢٢ و ٩٢٣ و ٩٢٤ و ٩٢٥ و ٩٢٦ و ٩٢٧ و ٩٢٨ و ٩٢٩ و ٩٣٠ و ٩٣١ و ٩٣٢ و ٩٣٣ و ٩٣٤ و ٩٣٥ و ٩٣٦ و ٩٣٧ و ٩٣٨ و ٩٣٩ و ٩٤٠ و ٩٤١ و ٩٤٢ و ٩٤٣ و ٩٤٤ و ٩٤٥ و ٩٤٦ و ٩٤٧ و ٩٤٨ و ٩٤٩ و ٩٥٠ و ٩٥١ و ٩٥٢ و ٩٥٣ و ٩٥٤ و ٩٥٥ و ٩٥٦ و ٩٥٧ و ٩٥٨ و ٩٥٩ و ٩٦٠ و ٩٦١ و ٩٦٢ و ٩٦٣ و ٩٦٤ و ٩٦٥ و ٩٦٦ و ٩٦٧ و ٩٦٨ و ٩٦٩ و ٩٧٠ و ٩٧١ و ٩٧٢ و ٩٧٣ و ٩٧٤ و ٩٧٥ و ٩٧٦ و ٩٧٧ و ٩٧٨ و ٩٧٩ و ٩٨٠ و ٩٨١ و ٩٨٢ و ٩٨٣ و ٩٨٤ و ٩٨٥ و ٩٨٦ و ٩٨٧ و ٩٨٨ و ٩٨٩ و ٩٩٠ و ٩٩١ و ٩٩٢ و ٩٩٣ و ٩٩٤ و ٩٩٥ و ٩٩٦ و ٩٩٧ و ٩٩٨ و ٩٩٩ و ١٠٠٠ و ١٠٠١ و ١٠٠٢ و ١٠٠٣ و ١٠٠٤ و ١٠٠٥ و ١٠٠٦ و ١٠٠٧ و ١٠٠٨ و ١٠٠٩ و ١٠١٠ و ١٠١١ و ١٠١٢ و ١٠١٣ و ١٠١٤ و ١٠١٥ و ١٠١٦ و ١٠١٧ و ١٠١٨ و ١٠١٩ و ١٠٢٠ و ١٠٢١ و ١٠٢٢ و ١٠٢٣ و ١٠٢٤ و ١٠٢٥ و ١٠٢٦ و ١٠٢٧ و ١٠٢٨ و ١٠٢٩ و ١٠٣٠ و ١٠٣١ و ١٠٣٢ و ١٠٣٣ و ١٠٣٤ و ١٠٣٥ و ١٠٣٦ و ١٠٣٧ و ١٠٣٨ و ١٠٣٩ و ١٠٤٠ و ١٠٤١ و ١٠٤٢ و ١٠٤٣ و ١٠٤٤ و ١٠٤٥ و ١٠٤٦ و ١٠٤٧ و ١٠٤٨ و ١٠٤٩ و ١٠٥٠ و ١٠٥١ و ١٠٥٢ و ١٠٥٣ و ١٠٥٤ و ١٠٥٥ و ١٠٥٦ و ١٠٥٧ و ١٠٥٨ و ١٠٥٩ و ١٠٦٠ و ١٠٦١ و ١٠٦٢ و ١٠٦٣ و ١٠٦٤ و ١٠٦٥ و ١٠٦٦ و ١٠٦٧ و ١٠٦٨ و ١٠٦٩ و ١٠٧٠ و ١٠٧١ و ١٠٧٢ و ١٠٧٣ و ١٠٧٤ و ١٠٧٥ و ١٠٧٦ و ١٠٧٧ و ١٠٧٨ و ١٠٧٩ و ١٠٨٠ و ١٠٨١ و ١٠٨٢ و ١٠٨٣ و ١٠٨٤ و ١٠٨٥ و ١٠٨٦ و ١٠٨٧ و ١٠٨٨ و ١٠٨٩ و ١٠٩٠ و ١٠٩١ و ١٠٩٢ و ١٠٩٣ و ١٠٩٤ و ١٠٩٥ و ١٠٩٦ و ١٠٩٧ و ١٠٩٨ و ١٠٩٩ و ١١٠٠ و ١١٠١ و ١١٠٢ و ١١٠٣ و ١١٠٤ و ١١٠٥ و ١١٠٦ و ١١٠٧ و ١١٠٨ و ١١٠٩ و ١١١٠ و ١١١١ و ١١١٢ و ١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥ و ١١١٦ و ١١١٧ و ١١١٨ و ١١١٩ و ١١٢٠ و ١١٢١ و ١١٢٢ و ١١٢٣ و ١١٢٤ و ١١٢٥ و ١١٢٦ و ١١٢٧ و ١١٢٨ و ١١٢٩ و ١١٣٠ و ١١٣١ و ١١٣٢ و ١١٣٣ و ١١٣٤ و ١١٣٥ و ١١٣٦ و ١١٣٧ و ١١٣٨ و ١١٣٩ و ١١٤٠ و ١١٤١ و ١١٤٢ و ١١٤٣ و ١١٤٤ و ١١٤٥ و ١١٤٦ و ١١٤٧ و ١١٤٨ و ١١٤٩ و ١١٥٠ و ١١٥١ و ١١٥٢ و ١١٥٣ و ١١٥٤ و ١١٥٥ و ١١٥٦ و ١١٥٧ و ١١٥٨ و ١١٥٩ و ١١٦٠ و ١١٦١ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٤ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٦٧ و ١١٦٨ و ١١٦٩ و ١١٧٠ و ١١٧١ و ١١٧٢ و ١١٧٣ و ١١٧٤ و ١١٧٥ و ١١٧٦ و ١١٧٧ و ١١٧٨ و ١١٧٩ و ١١٨٠ و ١١٨١ و ١١٨٢ و ١١٨٣ و ١١٨٤ و ١١٨٥ و ١١٨٦ و ١١٨٧ و ١١٨٨ و ١١٨٩ و ١١٩٠ و ١١٩١ و ١١٩٢ و ١١٩٣ و ١١٩٤ و ١١٩٥ و ١١٩٦ و ١١٩٧ و ١١٩٨ و ١١٩٩ و ١٢٠٠ و ١٢٠١ و ١٢٠٢ و ١٢٠٣ و ١٢٠٤ و ١٢٠٥ و ١٢٠٦ و ١٢٠٧ و ١٢٠٨ و ١٢٠٩ و ١٢١٠ و ١٢١١ و ١٢١٢ و ١٢١٣ و ١٢١٤ و ١٢١٥ و ١٢١٦ و ١٢١٧ و ١٢١٨ و ١٢١٩ و ١٢٢٠ و ١٢٢١ و ١٢٢٢ و ١٢٢٣ و ١٢٢٤ و ١٢٢٥ و ١٢٢٦ و ١٢٢٧ و ١٢٢٨ و ١٢٢٩ و ١٢٣٠ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ١٢٣٣ و ١٢٣٤ و ١٢٣٥ و ١٢٣٦ و ١٢٣٧ و ١٢٣٨ و ١٢٣٩ و ١٢٤٠ و ١٢٤١ و ١٢٤٢ و ١٢٤٣ و ١٢٤٤ و ١٢٤٥ و ١٢٤٦ و ١٢٤٧ و ١٢٤٨ و ١٢٤٩ و ١٢٥٠ و ١٢٥١ و ١٢٥٢ و ١٢٥٣ و ١٢٥٤ و ١٢٥٥ و ١٢٥٦ و ١٢٥٧ و ١٢٥٨ و ١٢٥٩ و ١٢٦٠ و ١٢٦١ و ١٢٦٢ و ١٢٦٣ و ١٢٦٤ و ١٢٦٥ و ١٢٦٦ و ١٢٦٧ و ١٢٦٨ و ١٢٦٩ و ١٢٧٠ و ١٢٧١ و ١٢٧٢ و ١٢٧٣ و ١٢٧٤ و ١٢٧٥ و ١٢٧٦ و ١٢٧٧ و ١٢٧٨ و ١٢٧٩ و ١٢٨٠ و ١٢٨١ و ١٢٨٢ و ١٢٨٣ و ١٢٨٤ و ١٢٨٥ و ١٢٨٦ و ١٢٨٧ و ١٢٨٨ و ١٢٨٩ و ١٢٩٠ و ١٢٩١ و ١٢٩٢ و ١٢٩٣ و ١٢٩٤ و ١٢٩٥ و ١٢٩٦ و ١٢٩٧ و ١٢٩٨ و ١٢٩٩ و ١٣٠٠ و ١٣٠١ و ١٣٠٢ و ١٣٠٣ و ١٣٠٤ و ١٣٠٥ و ١٣٠٦ و ١٣٠٧ و ١٣٠٨ و ١٣٠٩ و ١٣١٠ و ١٣١١ و ١٣١٢ و ١٣١٣ و ١٣١٤ و ١٣١٥ و ١٣١٦ و ١٣١٧ و ١٣١٨ و ١٣١٩ و ١٣٢٠ و ١٣٢١ و ١٣٢٢ و ١٣٢٣ و ١٣٢٤ و ١٣٢٥ و ١٣٢٦ و ١٣٢٧ و ١٣٢٨ و ١٣٢٩ و ١٣٣٠ و ١٣٣١ و ١٣٣٢ و ١٣٣٣ و ١٣٣٤ و ١٣٣٥ و ١٣٣٦ و ١٣٣٧ و ١٣٣٨ و ١٣٣٩ و ١٣٤٠ و ١٣٤١ و ١٣٤٢ و ١٣٤٣ و ١٣٤٤ و ١٣٤٥ و ١٣٤٦ و ١٣٤٧ و ١٣٤٨ و ١٣٤٩ و ١٣٥٠ و ١٣٥١ و ١٣٥٢ و ١٣٥٣ و ١٣٥٤ و ١٣٥٥ و ١٣٥٦ و ١٣٥٧ و ١٣٥٨ و ١٣٥٩ و ١٣٦٠ و ١٣٦١ و ١٣٦٢ و ١٣٦٣ و ١٣٦٤ و ١٣٦٥ و ١٣٦٦ و ١٣٦٧ و ١٣٦٨ و ١٣٦٩ و ١٣٧٠ و ١٣٧١ و ١٣٧٢ و ١٣٧٣ و ١٣٧٤ و ١٣٧٥ و ١٣٧٦ و ١٣٧٧ و ١٣٧٨ و ١٣٧٩ و ١٣٨٠ و ١٣٨١ و ١٣٨٢ و ١٣٨٣ و ١٣٨٤ و ١٣٨٥ و ١٣٨٦ و ١٣٨٧ و ١٣٨٨ و ١٣٨٩ و ١٣٩٠ و ١٣٩١ و ١٣٩٢ و ١٣٩٣ و ١٣٩٤ و ١٣٩٥ و ١٣٩٦ و ١٣٩٧ و ١٣٩٨ و ١٣٩٩ و ١٤٠٠ و ١٤٠١ و ١٤٠٢ و ١٤٠٣ و ١٤٠٤ و ١٤٠٥ و ١٤٠٦ و ١٤٠٧ و ١٤٠٨ و ١٤٠٩ و ١٤١٠ و ١٤١١ و ١٤١٢ و ١٤١٣ و ١٤١٤ و ١٤١٥ و ١٤١٦ و ١٤١٧ و ١٤١٨ و ١٤١٩ و ١٤٢٠ و ١٤٢١ و ١٤٢٢ و ١٤٢٣ و ١٤٢٤ و ١٤٢٥ و ١٤٢٦ و ١٤٢٧ و ١٤٢٨ و ١٤٢٩ و ١٤٣٠ و ١٤٣١ و ١٤٣٢ و ١٤٣٣ و ١٤٣٤ و ١٤٣٥ و ١٤٣٦ و ١٤٣٧ و ١٤٣٨ و ١٤٣٩ و ١٤

ولا يُحرّك رأسه، ولا يزحف من مجلسه، ولا يُراوح بين قعدته، ولا يرفع صوته، ولا يلتفت يميناً ولا شمالاً، ولا يُقبل على غير الملك بملاحظته، ولا يكون غرضه أن يسمع حديثه أو يفهم عنه سواه.

✦✦

- ومن حقّ الملك - إذا تشاءب أو ألقى المروحة أو مدّ رجله أو تمطّى أو أتكا أو كان في حال فصار إلى غيرها مما يدلّ على كسله أو وقت قيامه - أن يقوم كلّ من حضره. وكان أردشير بن بابك إذا تمطّى، قام مُسمّاره. وكان الأزدوان الأحرار وقت من الليل وساعات تُحصى. فإذا مضت، جاء الغلام بنعله، فقام من حضره.

أمارات الملوك
للجساء بالانصراف

- وكان يُستاسف إذا ذلك عييه، قام من حضره. وكان يزدجرد الأثيم إذا قال: "شَبَّ بُسْدٌ" ^(١)، قام مُسمّاره. وكان بهرام جور إذا قال: "نُحْمٌ خُفْتَارٌ" ^(٢)، قام مُسمّاره. وكان قباد إذا رفع رأسه إلى السماء، قام مُسمّاره. ^(٣) وكان سابور إذا قال: "خسبك يا إنسان!"، قام مُسمّاره.

❦

(١) ص: كله. (بمعنى كلاله)

(٢) لعل الصواب: "الاصنر". [رأى نظر الحاشية ٦ من صفحة ٢٩ و صفحة ١٥١ من هذا الكتاب]

(٣) جملة فارسية معناها: صار الليل. وفي هامش ص: يقول ذهب الليل.

(٤) جملة فارسية معناها: نام مسروراً ^(٥)

(٥) هذه الفقرات الأربع المحصورة بين النجمتين * مقولة عن ص.

وكان أنوشروان إذا قال: "تَوَتُّ أَعْيُنَكُمْ!"^(١) قام سُمَّارُه.
وكان عمر بن الخطَّاب إذا قال: "الْفُضْلَةُ!"^(٢) قام سُمَّارُه، وكان ينهى غن السَّمَرِ
بعد صلاة العشاء.

وكان عثمان إذا قال: "العِزَّةُ لله!" قام سُمَّارُه.
وكان معاوية إذا قال: "ذهب الليل!" قام سُمَّارُه وَمَنْ حضره.^(٣)
وكان عبد الملك إذا ألقى المِخْصَرَةَ، قام مَنْ حضره.^(٤)
* وكان الوليد إذا قال: "أستودعكم الله!" قام مَنْ حضره.^(٥)
وكان الهادي إذا قال: "سلام عليكم!" قام مَنْ حضره.
وكان الرشيد إذا قال: "سبحانك اللهم وبحمدك!" قام سُمَّارُه.^(٦)

- ١٠ (١) وكان كيشاسف يدلك عينه؛ فزيد جرد يقول: شب بشد (أي مضى الليل)؛ وبهرام يقول: خرم
خوش باد (أي كُنْ مسروراً)؛ وأبرويزيمد رجله؛ وقباز يرفع رأسه إلى السماء. (عن "محاضرات الراغب"
ج ١ ص ١٢١. والتفسير العربي الأول عن المرحوم محمد طارف باشا في حاشية "المحاضرات")
(٢) إذا قال قامت الصلاة. (في "محاضرات الراغب" ج ١ ص ١٢١)
(٣) قال أصحابنا: إنا ربما جلسنا عندك فوق مقدار شهرتك، فنريد أن تجعل لنا علامة نعرف
بها ذلك. قال: علامة ذلك أن أقول "إذا شتمت!" وقيل ذلك ليزيد، فقال: إذا قلت "على بركة الله!"
١٥ وقيل ذلك لعبد الملك بن مروان فقال: إذا وضعت الخيزرانة. ("العقد الفريد" ج ١ ص ١٦٦ و ٢٨٨)
(٤) قضيب كالسوط، وكل ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا ونحوها. وذلك من شعار الملوك.
(٥) في المسعودي (ج ٥ ص ٢٥٧) وفي الراغب في الموضع السابق بيانه، أنه كان يقول: "إذا شتمت"
وكانت سادات العرب يقولون بليليتهم: "إذا شتمت فقم!" وهذه الجملة استعملها مصعب بن الزبير، كما
٢٠ في الأغاني. (ج ٢ ص ١٣٨)
(٦) هذه العبارة المحصورة بين نجمتين منقولة عن ص.
(٧) سبحان الله (الراغب ج ١ ص ١٢١)

وكان المعتصم إذا نظر إلى صاحب النعل، قام من حضره.

وكان الواثق إذا مس عارضيه وشتاب، قام سُمَّارُه.

وكان المأمون إذا استلق على فراشه، قام من حضره.^(١)

غير أن بعض من ذكرنا كان ربما قام يجلس آخر من الإشارة والكلام، وإنما أضفنا إلى كل واحد منهم أغلب أفعاله كانت عليه.



ومن حق الملك أن لا يُعَابَ عنده أحدٌ، صَغُرَ أو كَبُرَ.

غير أن من أخلاقها التحريش بين اثنين، والإغراء بينهما.

عدم ذكر أحد
بالعيب في حضرة
الملك
تحريش الملك بين
رجاله

فمن الملوك من يُدَبِّرُ في هذا تدبيراً يجب في السياسة. وذلك أنه يقال: قلّ آثان
أستويا في منزلة عند الملك والجاه والتبّع والعزّ والحفوة عند السلطان فأتفقا، إلا كان
ذلك الاتفاق وهناً على الملكة والملك، وفساداً في تدبيره. وذلك أنهما إذا اتفقا، وهما
وزيرا الملك، كانا - متى شاآ أن ينقضا - أهرم الملك ويحلّ ما عقد ويوهباً ما أكد -
قدراً على ذلك للاتفاق والمجامعة. ومتى انفصلا حتى يتباينا أو يتحارنا كان تباينهما

(١) هذه العبارة غير واردة في ص - . وإذا كانت صحيحة فكانها بعد الكلام عن الرشيد، أي قبل هذا

الموضع بسطرين .

(٢) في "مطالع البدور في منازل السرور" (ج ١ ص ١٨٤) أن أول من جعل لندمائه أمانة ينصرفون
بها من مجلسه إذا أراد، كسرى. وهو أن يمدّ رجله، فيعرفون أنه يريد قيامهم، فينصرفون. وتبعه الملوك.
فكان فيروز الأصغر يدلك عينيه، وكان بهرام يرفع رأسه إلى السماء. وكان في ملوك الإسلام معاوية يقول:
الغزة لله!، وعبد الملك يلقى المروحة من يده. وحدث بهذا الحديث عند بعض البحلاء، وسئل ما أمارته، فقال:
إذا قلت "يا غلام، هات الطعام!"، وأنظر أيضاً "محاضرات الراغب" (ج ١ ص ١٢١)

أُثِنَتْ في نظام الملك وأؤكد في عزِّ المملكة. وكان متى أراد هذا شيئا، أراد الآخر خلافاً. فإذا تباينا في ذات أنفسهما، اجتمعما على نصيحة الملك، شاء أم أبى. وآثرها كل واحد منهما على هوى نفسه، وانتظم لملك تديره وتم له أمره^(١).

ومن الملوك من لا يقصد إلى هذا ولا يكون غرضه الإغراء بين وزرائه وبطانته لهذه العلة، بل ليعرف معايب كل واحد منهما. فإن معرفة ذلك تقطع الوزير عن الانبساط في محوالبه والتسحب على ملكه.



أدب الصغير

ومن الحق على الملك أن يكون رسوله صحيح العطرة والمزاج، ذا بيان وعِبارة، بهيئاً يخرج الكلام وأجوبته، مؤدياً لألفاظ الملك ومعانيها، صدوق اللهجة، لا يميل إلى طمع ولا طبع^(٢)، حافظاً لما حُمِّل.

وعلى الملك أن يمتحن رسوله بحنة طويلة، قبل أن يجعله رسولا.

(١) كاد السقاج، إذا تعادى رجلان من أصحابه وبطانته، لم يسمع من أحدهما في الآخر شيئا ولم يقبله، وإن كان القائل عنده عدل في شهادته. وإذا أصطلح الرجلان لم يقبل شهادة واحد منهما لصاحبه ولا عليه. ويقول إن الصغية القديمة تولد العداوة المحضة وتحمّل على إظهار المسألة وتحمّل الأذى التي إذا استمكنت لم تبق. (شذرات الذهب ج ١ ص ٢١٦)

(٢) الطبع: الشين والعيب. ومن الحديث: "استعينوا بالله من طبع يهدي إلى طمع". أخذه عمرو بن أذينة شاعر قريش فقال:

لا خير في طمع يهدي إلى طمع * وعة من قوام العيش تكفيني.

(عز: تاج العروس)

والغمة البلية من العيش.

سنة ملوك العجم
في أخبار السفير

وكانت ملوك الأعاجم - إذا آثرت أن تختار من رعيتهما من تجمله رسولا إلى بعض ملوك الأمم - تتمخذه أولا، بأن توجهه رسولا إلى بعض خاضة الملك ومن في قرار داره في رسائلها. ثم تقدم عينا عليه يحضر رسالته ويكتب كلامه؛ فإذا رجع الرسول بالرسالة، جاء العين بما كتب من ألفاظه وأجوبته. فقابل بها الملك ألفاظ الرسول. فإن آنفتت أو آنفتت معانيها، عرف الملك صحة عقله وصدق لهجته. ثم جعله الملك رسولا إلى عدوه، وجعل عليه عينا يحفظ ألفاظه ويكتبها، ثم رفعها إلى الملك. فإن آنفق كلام الرسول وكلام عين الملك وعلم أن رسوله قد صدقه عن عدوه ولم يتردد عليه للعداوة بينهما، جعله رسوله إلى ملوك الأمم، ووثق به. ثم كان بعد ذلك يقيم خبره مقام الحجّة.

وكان أردشير بن بابك يقول: "سَمَ من دَمٍ قد منقحه الرسول بغير حلة! وكَم من جيوش قد قُتِلَتْ وعساكر قد هُزِمَتْ وحُرْمَةٌ قد أَتَهَكَتْ ومالٍ قد أَتَهَبَّ وعهد قد نُقِصَ بخيانة الرسول وأكاذيبه!"

كلمة أردشير
في حق السفير

وكان يقول: على الملك، إذا وجه رسولا إلى ملك آخر، أن يردفه بآخر. وإن وجه رسولين، أتبعهما بأثنين. وإن أمكنه أن لا يجمع بين رسولين في طريق ولا ملاقة ولا يتعارفان فيتواطأ، [فَلَّ]. ثم عليه، إن أتاه رسوله بكتاب أو رسالة من ملك في خير أو شر، أن لا يحدث في ذلك خيرا أو شرا، حتى يكتب إليه مع رسول آخر يحكي له ما في كتابة الأول حرقا، ومعنى معنى: فإن الرسول ربما حرم بعضنا أمل، فافتعل الكتب وحرص المرسل على المرسل إليه، فأغواه به وكذب عليه.

كلمة ثانية له

(١) أورد القلقشندي هذه الجملة في الجزء الأول (ص ٧٣) من "صبح الأعشى" ببعض تصرف في الألفاظ. وقد أورد هذه الحكاية صاحب "نتية الملوك" (ص ٨٩). وكذلك صاحب "المحاسن والمساوي" (ص ١٦٨ - ١٦٩).

ما فعله الإسكندر
بسفير كذب عابه

ويقال إن الإسكندر وجه رسولا إلى بعض ملوك الشرق . بغناه برسالة شك في حرف منها : فقال له الإسكندر : ويلك ! إن الملوك لا تخلو من مقوم ومستند ، إذا مالت : وقد جئتني برسالة صحيحة الألفاظ بينة العبارة ، غير أنت فيها حرفا ينقضها . أفعل ! يقين أنت من هذا الحرف أم شك فيه ؟ فقال الرسول : بل على يقين أنه قاله . فأمر الإسكندر أن تكتب ألفاظه حرفا حرفا ويُعاد إلى الملك مع رسول آخر ، فيقرأ عليه ويُترجم له . فلما قرئ الكتاب على الملك فتر بذلك الحرف ، أنكره . فقال للترجم : ضع يدي على هذا الحرف . فوضعها . فأمر أن يُقطع ذلك الحرف بسكين^(١) ، فُقطع من الكتاب . وكتب إلى الإسكندر : إن رأس الملكة ^(٢) صحة فطرة الملك ، ورأس الملك صدق لهجة رسوله ، إذ كان عن لسانه ينطق ^(٣) وإلى أذنه يؤدى . وقد قطعت بسكيتي ما لم يكن من كلامي ، إذ لم أجد إلى قطع لسان رسولك سبيلا . فلما جاء الرسول بهذا إلى الإسكندر ، دعا الرسول الأول ، فقال : ما حملك على كلمة أردت بها فساد ملكين ؟ فأقر الرسول أن ذلك كان لتقصير رآه من الوجه إليه . فقال الإسكندر : فأراك لنفسك سعت ، لالنا ! فلما فاتك بعض ما أملت ، جعلت ذلك نارا في الأنفوس الخطيرة الرفيعة ! فأمر بلسانه فترع من قفاه .

١٠٤

(١) المدة يسميها العرب سكيناً وسكينة . والأسم الأول أشهر وأكثر شيوعاً ، والسكين يذكرون ويؤث ؛ وقال بعضهم إن السكينة خطأ ، وليس كذلك . فقد جاء في شرح الفصيح أنها لغة قوم من بني أبيعة ، وأوردها الفراء وابن سيده . قال الشاعر :
سكينة من طبع سيف عمرو * نصايها من قريب تيس برى .

وفي الحديث : قال الملك لما شق بطنه : إئتني بالسكينة (أنظر "تاج العروس" في سلك ن ، "وشفاء الغليل" صفحة ١٢٣) . وقد استعمل الجاحظ كلا من اللفظين أحدهما هنا والثاني في صفحة ١٠٠ من هذا الكتاب .

(٢) سه : أس .

(٣) انظر الحاشية ١ من الصفحة السابقة . وقد أورد هذه الحكاية صاحب "محاسن الملوك" (ص ٦١) وأكمل ألفاظ الجاحظ نفسها .

١٥

٢٠



ومن أخلاق الملك أن لا يكون لنامته في ليل ولا نهار موضع يُعرف به، ولا حايٍ يقصد إليه. إذ كانت أنفُسُ الملوك هي المطلوب غريتها، والموكل ببيعها سِتْنِها وساعة غفلتها.

احتياط الملك
في نامته ومقبله

ويقال إن ملوك آل ساسان لم يُعرف مبيت أحد منهم قط ولا مقبله.

- فاما أردشير بن بابك وسابور وبهرام ويزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان، فكان يفرش للملك منهم أربعون فراشا [في أربعين موضعا] (٤). ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الأنفراد لا يشك أنه فراش الملك خاصة [وأنه نائم فيه] (٥). ولعله أن لا يكون على واحد منها. بل لعله ينام على مجلس رقيق. وربما توسد ذراعه، فنام.

سنة ملوك الفرس
في النوم

- ولو لم يجب على ملوكنا حفظ منامهم وصيانتهم عن كل عين تطرف وأذن تسمع إلا أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعله - وهو من الله بمكانه المخصوص من كَلَامَتِهِ ١٠ إياه وحراسة الروح الأمين له - لقد كان يحق عليهم أن يقتدوا به ويمثلوا فعله. وقد كان المشركون هموا بقتله، فأخبره جبريل (صلى الله عليهما) عن الله (جل ثناؤه) بذلك، فدعا على بن أبي طالب (عليه السلام) فأنامه على فراشه، ونام هو (صلى الله عليه وسلم) بمكان آخر. فلما جاء المشركون إلى فراشه، فنهض منه على، أنصرفوا عنه.

السنة النبوية
في النوم



(١) في ص ٥٠، س ٥: "حوى" [وأخترت الحوى لأنه من اصطلاحات الفلسفة بمعنى الحيز]

(٢) ص ٥٠، مزتها.

(٣) ضبطه في س ٥: "ستتها" وهو سبق قلم.

(٤) الزيادة عن "محاسن الملوك".

(٥) س ٥: إلا ومن ورائه من بعيد على الأنفراد فراش لا يشك الخ.

ففي هذا الحكم الأدلة وأوضح المجبة على ما ذكرنا. إذ كانت أنفُسُ الملوك هي الأُنفس الخطيرة الرفيعة التي تؤزن بنفوس كل من أظَلَّت الخضراء وأقَلَّت الغبراء.^(١)^(٢)

إطلاع الوالد بن
فقط على منام الملك

وكانت الأعاجم تقول: لا ينبغي للملك أن يَطْلَعَ على موضع منامه إلا الوالدان فقط، فأما من دُونهما، فالوحشة منه وترك الثقة به أبلغ في باب الخزم، وأؤكد في سياسة الملك، وأوجب في الشريعة، وأوقع في الهوينا.^(٣)^(٤)^(٥)

+

ومن حق الملك أن يُعَامِلَه أبْنُه كما يُعَامِلُه عِبْدُه، وأن لا يدخل مَدَاخِلَه إلا عن إذنه، وأن يكون الحجاب عليه أغلظ منه على من هو دُونه من بطانة الملك وخدمه، لئلا تجعله الدالة على غير ميزان الحق.^(٦)

مافعله يزدجرد مع
ابنه بهرام

فإنه يُقال: يزدجرد رأى بهرام أبْنَه بموضع لم يكن له، فقال: مررت بالحاجب؟ قال: نعم. قال: وعلم بدخولك؟ قال: نعم. قال: فأتخرج إليه وأضربه ثلاثين سوطاً، ونحبه عن السَّتر، ووكَّل بالحجابة أَرَادَ مَرْدَ^(٧) ففعل ذلك بهرام وهو إذ ذاك ابن ثلاث عشرة. ولم يعلم الحاجب فيم غضب الملك عليه، فلما جاء بهرام بعد ذلك ليدخل،

❦

(١) السماء.

(٢) الأرض.

(٣) نقل هذه الأحكام صاحب "محاسن الملوك" باختصار مع استعمال ألفاظ الجاحظ (ص ٩٣)

(٤) سه: وأرفع.

(٥) التودة والرفق.

(٦) سه: مراد.

(٧) لم أعر على شيء يتعلق بهذا الحاجب، ولم أجد هذه الحكاية في غير الجاحظ. وفي "محاسن الملوك"

سماء "فلاناً".

دفع أراد مِرْدُ في صدره دَفْعَةً وَقَدْهُ ^(١) منها، وقال: إن رأيتك بهذا الموضع ثانية، ضربتُك ستين سوطاً، ثلاثين منها لجنائتك على الساجب بالأمس، وثلاثين لثلاث تطمَع في الجناية على. فبلغ ذلك يَزْدَجِرْدُ، فدعا أراد مِرْدُ، فخلج عليه وأحسن إليه: ^(٢)

ويقال إن يزيد بن معاوية كان بينه وبين أبيه باب. فكان إذا أراد الدخول عليه قال: يا جارية! أنظري هل تحرك أمير المؤمنين؟ بفجاعت الجارية [مرة] حتى فتحت الباب. فإذا معاوية قاعد، وفي حجره مَصْحَفٌ، وبين يديه جارية تصفح عليه. فأخبرت يزيد بذلك. فجاء يزيد فدخل على معاوية. فقال له: أى بُنى! إنما جعلتُ بيني وبينك باباً، كما بيني وبين العاتكة. فهل ترى أحداً يدخل من الباب إلا بإذن؟ قال: لا. قال: فكذلك فليكن بابك! فإذا قُرِعَ عليك فهو إذنتك. ^(٣)

ما فعله معاوية مع
أبيه يزيد

وهكذا ذكّرنا أن موسى الهادي دخل على أمير المؤمنين المهدي ^(٤) فزبره وقال: ^(٥) إياك أن تعود إلى مثلها إلا أن يُفْتَحَ بابك!

ما فعله المهدي مع
أبيه الهادي

وذكرنا أن المأمون لما استعمر به ^(٦) الوجع، سأل بعض بني الحاجب أن يدخله عليه ليراه. فقال: لا والله! ما إلى ذلك سبيل؛ ولكن إن شئت أن تراه من ^(٧)

ما فعله الحاجب
بولد المأمون

(١) أى أوجعته وآلمته كثيراً. والوقد شدة الضرب. وفي "محاسن الملوك": فدعه دفعة أوقعه بها

(٢) فى "محاسن الملوك": وثلاثين على استمرارجنائتك.

(٣) روى هذه الحكاية بتلخيص خفيف صاحب "محاسن الملوك" (ص ٨٦ - ٨٧)

(٤) إتهره.

(٥) نقلها فى "محاسن الملوك" (ص ٨٧).

(٦) أى أشد عليه، تشبيهاً بأسبغ النار. وفى صمد: استغفره. [ولعل جواب الرواية: استمر]

وفى "محاسن المساوى": اشتد.

جِئْتُ لَأِيرَاكَ، فَأُطْلِعَ عَلَيْهِ مِنْ تُهَيْبٍ فِي ذَلِكَ الْبَابِ. فَنَاءَ حَتَّى أَطْلَعَ عَلَيْهِ وَتَأَمَّلُوهُ^١ ثُمَّ أَنْصَرَفَ.

وذكر لنا أن إيتاخ بصّر بالوائق في حياة المعتصم واقفاً في موضع لم يكن له أن يقف فيه، فزّبره وقال: تنحّ! فوالله لولا أني لم أتقدم إليك في ذلك، لضربتكَ مائة عَصاً^(٢).
وليس لأبن الملك من الملك إلا ما لعبد من الإستيكانة والخضوع والخشوع، ولا^(٣) له أن يُظهر دالة الأبوة وموضع الوراثة. فإن هذا إنما يجوز في التمثيل الأوسط من الناس ثم الذين يلونهم. فاما الملوك فترقى عن كل شيء يمت به^(٤).

وليس لأبن الملك أن يسفك دمًا، وإن أوجبت الشريعة سفكه وجاءت الملة

(١) قد يرد هذا الاسم بتقديم التاء على الياء (إيتاخ) كما في سمر وكما في بعض نسخ "كتاب الفهرست". ولكن الصواب تقديم الياء التحتية - ومعناه في اللغة الفارسية الغازي والفاضل، كما في "برهان قاطع". كان أصل هذا الرجل طبّاخاً ثم ترقى به الأحوال إلى أن صار مقدّم الجيوش وكبير الدولة وصاحب مصر في أيام المعتصم. ولذلك قال بابك إن المعتصم لم يبق لديه أحد إلا وجهه به إليه، حتى طبّاه. ويعدّ بذلك المعنى إلى ملك الروم، يُفريه بالخليفة حينما ضايقه وأخذ بخنائه، وكتب له: "فإن أردت الخروج إليه، فليس في وجهك أحد يمنعك". وقد تولى إيتاخ أمر اليمن والكوفة والحجاز وتهامة ومكة والمدينة ودعى له على المنابر. وأتتهى أمره بأن خاله المتوكل راعى الحيلة في القبض عليه وإماتته عطشا. وأخذ له من الذهب ألف ألف دينار. كانت وفاته سنة ٢٣٤. (أنظر "النجوم الزاهرة" وأبن الأثير في فهارسهما، و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٥٠٠)

(٢) سمر: أني أتقدم.

(٣) الآداب والحكايات الواردة في هذه الصفحة وفي التي قبلها منقولة بالحرف الواحد وبهذا الترتيب في "الحاسن والمساوي" (ص ١٧٠ - ١٧٢).

(٤) ص: الجنوح.

(٥) في سمر: "تمت". وأملت هو التوسل والتوصل بقراءة أرسومة أردالة أو نحو ذلك. وفي ص: قرق من كل شيء يمت إليه.

به ، ألا عن إذن الملك ورأيه . لأنه - متى تفرد بذلك - كان هو الحاكم دون الملك .
وفي هذا وهنٌ على الملك وضعفٌ في المملكة .^(١)

وكذلك أيضا ليس له أن يحكم في الحلال والحرام والفروج والأحكام ، وإن كان
ولى عهد الملك والمقلد إرث أبيه والمحكوم له بالطاعة ، إلا عن أمره ورأيه .

وليس له - إذا جمعته والملك دار واحدة^(٢) - أن يأكل إلا بأكل الملك ولا [أن] .
يشرب إلا بشربه ولا [أن] ينأى إلا بمنأيه .

وكذا يجب عليه في كل شيء من أموره الساترة والضاربة أن يكون له تابعا وحركته
تاليا .

وليس هذا على [من] دون ابن الملك من بطانته وسائر رعيته ، لأن ابن الملك عضو
من أعضائه وجزء من أجزائه ، والملك أصل والآب فرع ، والفرع تابع للأصل ؛
والأصل مستغن عن الفرع .

وليس لابن الملك أن يرضى عن سخط عليه الملك ، وإن كان المسخوط عليه
لاذنب له عنده . لأن من العدل والحق عليه أن يوالى من والى الملك ، ويعادى
من عاداه ، ولا ينظر في هذا إلى حفظ نفسه وإرادة طبعه ، حتى يبلغ من حق الملك
ما إن وجد إلى غيابه سبيلا أن يقتله . وعلى هذا ينبغي أن يكون نظام العامة لملكها .^(٣)

(١) صه : وضعة .

(٢) الواو هنا واء المعية .

(٣) الضير هنا يعود على المسخوط عليه . وفي صه : حيلته .



وقد تحدث في أخلاق الملك مَلَالَةً لشهوة الاستبدال^(١) . فليس لصاحب الملك، إذا أحدث الملك خُلُقًا، أن يعارضه بمثله؛ ولا إذا رأى نبوة وأزورارة، أن يُحدث مثله . فإنه متى فعل ذلك فسدت نيته . ومن فسدت نيته، عادت طاعته معصيةً وولايته عداوةً . ومن عادى الملك، فنفسه عادى وإياها أهان .



ولكن عليه، إذا أحدث الملك الخُلُقَ الذي عليه بنية أكثر الملوك، أن يحتال في صرف قلبه إليه . والحيلة في ذلك يسيرة : إنما هو أن يطلب خلوته فيلبيه بنادرة مضحكة أو ضرب مثل نادر أو خبر كان عنه مغطى، فيكشفه له .

كما فعل بعض سمار ملوك الأعاجم . أظهر الملك له جفوة المَلَالَةِ فقط، فلما رأى ذلك، تعلم نباح الكلاب وعواء الذئاب ونهيق الحير وصياح الديوك^(٢) وشيخ البغال وصهيل الخيل . ثم احتال حتى دخل موضعا يقرب من مجلس الملك وفراشه يخفى أمره . فنجح نباح الكلاب، فلم يشك الملك أنه كلب وأبى كلب، فقال : أنظروا ما هذا ! فعوى عواء الذئاب، فنزل الملك عن سريره . فنهق نهيق الحمار، ومر الملك هاربًا . وجاء غلمانهم يتبعون الصوت . فكلما دَنَوْا منه، أحدث معنى آخر، فأجمعوا عنه . ثم اجتمعوا فأقتحموا عليه، فأخرجوه وهو عريان مختبئ . فلما نظروا إليه، قالوا للملك

(١) سمه : الاستبدال .

(٢) في المسعودي طبع باريس : "رقاء" ؛ وفي طبعة بولاق : "زقا"، وهذا هو الصواب، ومعناه صياح الديك . (أنظر القاموس وشرحه)

(٣) في المسعودي : "وأخفى أثره" ولعل الأقرب للصواب "وأخفى أمره" . وفي صم : من مجلس الملك وموضع منامه .

هذا ما زيار المضحك! فضحك الملك حتى تبسط وقال: ويلك! ما حملك على هذا؟^(١)
قال: إن الله مسخني كلبا وذببا وحمارا، لما غضب علي الملك. فأمر أن يُخلع عليه^(٢)
ويُرَدَّ إلى موضعه.^(٣)

وهذا لا يفعله إلا أهل الطبقة السفلى. فأما الأشراف، فلهم حيل غير هذه،
مما يُشبه أقدارهم.

* كما فعل رّوح بن زنباع، وكان أحد دُعاة العرب. رأى من عبد الملك بن مروان
نبوة وإعراضا، فقال للولد: ألا ترى ما أنا فيه من إعراض أمير المؤمنين عني
بوجهه، حتى لقد فغرت السباع أفواهها نحوي، وأهوت بمخالبها إلى وجهي؟ فقال له
الولد: احتل في حديث يضحكه! فقال رّوح: إذا أطمأنت بنا المجلس، فسأني عن
عبد الله بن عمر، هل كان يمزح أو يسمع مزاحا؟ فقال الولد: أفعل.

وتقدم فسبقه بالدخول وتبعه رّوح. فلما أطمأنت بهم المجلس، قال الولد لروح:
هل كان ابن عمر يسمع المزاح؟ قال: لا. حتى ابن أبي عتيق أن أمرأته جاتكة بنت
عبد الرحمن هجته، فقالت:

(١) سماه في المسعودي: "مرزبان" وكرره.

(٢) ص: ويحك.

(٣) قل المسعودي هذه الحكاية - (مروج الذهب ج ٥ ص ٢٨٣)

(٤) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب. وورعه وتقواه أشهر من نار على علم. (وتريحنته في "الطبقات
الكبرى" لابن سعد. وفي "أسد الغابة" وغيرهما من الكتب الكثيرة الخاصة بالصعابة)

(٥) هو عبد الله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق بن أبي قحافة. كان من نساء قريش وطرفاتهم
بل قد بذهن ظرفا. وله أخبار كثيرة. في الخلاصة بغير رقت وفي المجهول تفسير فسوق. وقد غلبت عليه
الدعابة وأشهر بها. (أنظر "المقدريد" ج ٣ ص ٢٣٨؛ وراجع "كامل" المبرد و"الأغانى"
و"الكامل" لابن الأثير - بمقتضى فهرسها)

ذهب إليه بما تعيش به * وقمرت ليلك أيما قسراً
أنفقت ماله غير محتشم * في كل زانية وفي الخمر

قال: وكان ابن أبي عتيق صاحب غزل وفكاهة، فأخذ هذين البيتين - وهما
في رقعة - فخرج بهما. فإذا هو بعبد الله بن عمر، فقال: يا أبا عبد الرحمن! أنظر في هذه
الرقعة، وأشر على رأيك فيها. فلما قرأها، أسترجع عبد الله. فقال: ما ترى فيمن هجاني
بهذا؟ قال عبد الله: أرى أن تعفوا وتصفح! قال، والله يا أبا عبد الرحمن، لئن لقيتُ
قائلها لأني لئن نيلاً جيداً! فأخذ ابن عمر أفكلاً^(٢)، وأربد لونه وقال: ويلك! أما
تستحي أن تعصى الله؟ قال: هو والله ما قلت لك.

وأقترقا. فلما كان بعد ذلك بأيام، لقيه. فأعرض ابن عمر بوجهه، فقال: بالتبر ومن
فيه، إلا ما سمعت كلامي! فتحوّب عبد الله، فوقف وأعرض عنه بوجهه. فقال:
علست يا أبا عبد الرحمن أنى لقيتُ قائل ذلك الشعر فنلت؟ فصيح ابن عمر وليط به.
فلما رأى ما حلّ به، دنا من أذنه فقال: إنها أمرأتى! فقام ابن عمر فقيل ما بين عيني.
فضحك عبد الملك حتى فخص برجله وقال: قاتلك الله ياروْح! ما أطيب حديثك!
ومد إليه يديه فقام روْح فأكب عليه وقبل أطرافه وقال: يا أمير المؤمنين، الذنب فأعزيرُ

(١) أنظر الحاشية ٢ ص ٧٩ من هذا الكتاب.

(٢) الأفكل الرعدة. وفي المسعودي: "أفكل ورعدة"، من باب عطف التفسير.

(٣) أقسم عليه بالبرصة الشريفة وبالمدينون فيها وهو النبي صل الله عليه وسلم. فتحوّب أى بجدة في عدم
الوقوف إثمًا، فوقف ولكن مرضاً عنه بوجهه.

أم لملالة فأرجو عاقبتها. قال: لا والله! ماذا من شيء نكرهه. ثم عاد له أحسن حالاً^(١)
 ونحو هذا يُحكى عن جرير بن الحطفي^(٢)، حين دخل على عبد الملك، وقد أوفده
 إليه الججاج بن يوسف. فدخل محمد بن الججاج وقال لجرير: كن في آخر من يدخل.
 فلما دخل جرير، قال محمد: يا أمير المؤمنين هذا جرير بن الحطفي، مادحك وشاعرك!
 قال: بل مادح الججاج وشاعره. قال جرير: فقلت: إن رأيت أمير المؤمنين أن يأذن
 لي في إنشاد مديحه؟ قال هات بالججاج! قال: فقلت: بل بك يا أمير المؤمنين! قال:
 هات في الججاج! فأنشدته قولي في الججاج:

صبرت النفس يا ابن أبي عُقيل * مُحَافَظَةً، فكيف ترى الثوبا؟
 ولو لم تُرض ربك، لم يُنزل * مع النصير الملائكة الغضا با.
 إذا سحر الخليفة نار حرب، * رأى الججاج أُنقَبها شهاباً.

١٠

فقال: صدقت، هو كذلك! ثم قال للأخطل^(٣)، وهو خلفي وأنا لا أراه: قُم فهات

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * متقولة عن صه. وقد نقل صاحب "محاسن الملوك"
 هذه الحكاية بالحرف الواحد تقريباً (ص ٧٦ - ٧٧). أما المسعودي فقد أوردتها بالفاظ أخرى وزيادة
 وقصر في المعنى (ج ٥ ص ٢٨٤ - ٢٨٦)، وكذلك النويري في "نهاية الأرب في فنون الأدب"
 (في الباب الثالث من القسم الثالث من الفن الثاني في المجون والنوادر والفكاهات والملح). ولكن عبارتهم
 كلهم فيها خالية من حسن الديباجة وجمال التصریف الذي تراه في عبارة الجاحظ.

(٢) سماه في "الصحيح" الخَطْفِي. واللفظان معناهما واحد، وهو السريع. وهما مأخوذان من الخطف وهو
 الاستلاب. وهو لقب جده، لبيت قاله في شعره. ولكن الاسم المخفف الذي استعمله الجاحظ هو الأكثر
 شيوعاً، وقد ورد في شعر الأخطل. (أنظر "تاج العروس"، "كتاب الاشتقاق"، لابن دريد (ص ١٤١)،
 "ديوان الأخطل" الذي نشره الأب الفاضل أنطون صالحاني (ص ٢٢٤)؛ وغيرها من دواوين الأدب).

(٣) سبب تسمية الأخطل أن اثنين تما كإليه فأقسم أنهما لثيان، هما وأمهما وهو نفسه أيضاً. فقبل له إن هذا
 لخطل من قولك. فسمي الأخطل. (أما القائل ج ٢ ص ٢٣٤)

مديحنا! فقام فأنشده فأجاد وأبلغ. فقال: أنت شاعرنا وأت ماديحنا. ثم فارَّكبه! قال: فالتقى النصراني ثوبه، وقال: جَبَّ! يَأْبَنَ الْمَرَاعَةُ. قال: وساء ذلك من حضر من المضربة، وقالوا: يا أمير المؤمنين، لأبركت الحنيف المسلم، ولا يظهر عليه. فاستحيا عبد الملك، وقال: دَعُهُ! قال: فأنصرفت أخرى خلق الله حالاً، لما رأيت من إعراض أمير المؤمنين عني، وإقباله على عدوي. حتى إذا كان يوم الرواح للوداع، دخلت لأودعه، فكننت آخر من دخل عليه. فقال له محمد بن الحجاج: يا أمير المؤمنين، هذا جرير، وله مديح في أمير المؤمنين. فقال: لا، هذا شاعر الحجاج! قلت: وشاعرك يا أمير المؤمنين! قال: لا. فلما رأيت سوء رأيه، أنشأت أقول:

أصبحوا أم فؤادك غير صالح؟ ...

فقال: ذاك فؤادك!

ثم أنشدته حتى بلغت البيت الذي سره، وهو قولي:

أَلَسْتُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ۖ وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاجٍ؟

فأستوى جالساً، وكان متكئاً، فقال: بلى نحن كذلك، أعيد! فأعدت. فأسفر لونه

(١) أمره بوضع يديه على ركبتيه أو على الأرض ليتكئ من ركوبه. و"جَبَّ" فعل أمر من التجبية بمعنى الانحناء. قال في "لسان العرب" في مادة ج ب ي مانعه: وجبى الرجل وضع يديه على ركبتيه في الصلاة أو على الأرض. وهو أيضاً أنكبأه على وجهه. "والعامة في مصر تقول الآن في مثل هذا المقام: "طاعى البصلة" ويعنون بالبصلة الرأس. وذلك في حال ما يريد أحدهم ركوب الآخر.

(٢) هذا شاعر جرير. وقيل إن الفرزدق والأحطل سبها كذلك في هجاء كل منهما له. وقيل إن ذلك تعبير له يعني كليب لأنهم أصحاب حمير. وروى جرير على عبد الملك المذكور في كثير من كتب الأدب مثل "الأنغني" و"العقد الحريري" (ج ١ ص ١٥١). ولكن رواية الجاحظ هي أرفى وأحسن ما رأيت.



وذهب ما كان في قلبه، ثم ألتفت إلى محمد [بن الجحاج] فقال: ترى أم حزرة تُرويهما مائة من الإبل؟ قلت: نعم يلا أمير المؤمنين! إن كانت من فرائض كلب فلم تُروها، فلا أروها الله! قال: فأمرني بمائة فريضة. ومددت يدي - وبين يديه صحائف أربع من فضة قد أُهديت إليه - فقلت: الحلب، يا أمير المؤمنين! فأخذت منها واحدة. فقال: خذها، لا بُورك لك فيها! قلت: كل ما أخذت من أمير المؤمنين مبارك لي فيه. ^(٤)

* وهكذا فعل بالأمس عبد الملك بن مهلهل الهمداني، وكان سليمان بن أبي جعفر ^(٥) قد جفاه. فاتاه يوماً في قائم الظهيرة، والهجرة تقد. فاستأذن، فقال له الحاجب: ليس هذا بوقت إذن على الأمير. فقال له: أعلمه بمكاني. فدخل عليه فأعلمه، فقال له: مرة يُسلم قائماً ويخفف! فخرج الحاجب فأذن له وأمره بالتخفيف. فدخل فسلم قائماً ثم قال: أصلح الله الأمير! إني آنصرفت بالأمس نحو منزلي، و[قد]

(١) حزرة هي بنت جرير. وكان يكنى بها. قال في "تاج العروس" ما نصه: "وأبو حزرة كنية سيدنا جرير رضى الله عنه". ولا أدري لماذا لقبه بالسيادة ثم رضى عنه (؟!) ويظهر أنه فهم أنها كنية جرير بن عبد الله البجلي الصعابي، وليس كذلك.

(٢) ص: كلاب.

(٣) ص: رواها.

١٥

(٤) روى صاحب "الأنف" هذه القصة باختلاف فيه زيادة وفيه نقص (جزء ٧ ص ٦٦ و ٦٧). وأظهر القصة بعينها مروية بتفاصيل وافية في "ذيل أمالي القسالي" (ص ٤٣ - ٤٦) ورواها باختصار ألقاظ الجلاظ في "المحاسن والمساوي" (ص ٢٣٠ - ٢٣١).

(٥) ص: عبد الملك بن هلال الهامى. وقد صححت حسبما في المسعودي طبع باريس وبولاق

(٦) هوسليان بن أبي جعفر المنصور، وكان من قواد موسى الهادي. (مروج الذهب ج ٦ ص ٢٦٦)

(٧) أى كانت شدة الحر تتوقد. وفي مروج الذهب: وأحتمد الهجير.

(٨) ص: "أعلمه موضعى". وقد اخترت رواية المسعودي.

٢٠

أَسْنَيْتُ : فِينَا أَنَا فِي الطَّرِيقِ ، إِذَا بِمُؤَذِّنٍ قَدْ تَوَبَّ بِصَلَاةِ الْمَغْرِبِ عَلَى فُسْتَجْدٍ مَغْلَقٍ .^(١)
 فَصَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ ثُمَّ صَعِدْتُ . . . قَالَ سَلِيَانُ : قَبِلْتَ السَّمَاءَ ، لَكَانَ مَاذَا ؟ قَالَ :
 فَتَقَدَّمَ إِنْسَانٌ ، إِمَّا كَرَّيْحِي وَإِمَّا سَيْدِي وَإِمَّا طُمَطَانِي^(٣) . فَأَمَّ الْقَوْمَ فَقَرَأَ بِكَلَامٍ لَمْ أَفْهَمْهُ
 [وَلُغَةٍ مَا أَعْرِفُهَا] ، فَقَالَ : ”وَيْلٌ لِكُلِّ هَرَّةٍ زَمًّا مَالًا وَعَدْدَهُ“ . يَرِيدُ ”وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ
 لُمَزَةٍ الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدْدَهُ“ . قَالَ : وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ سَكَرَانٌ مَا يَعْقِلُ سُكْرًا ، فَلَمَّا سَمِعَ
 قِرَاءَتَهُ ضَرَبَ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَجَعَلَ يَقُولُ ”إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي ! إِيرَعِكِي !
 فِي حَرِيمٍ قَارِيكَ !“ فَضَحَكَ سَلِيَانُ ثُمَّ تَمَرَّغَ عَلَى فِرَاشِهِ ، وَقَالَ : أَدْنُ مِنِّي يَا [أَبَا] مُحَمَّدَ ،
 فَأَنْتَ أَطِيبُ أُمَّةٍ مُجِدِّ ! ثُمَّ دَعَا لَهُ بِخُلْعَةٍ وَقَالَ : ”إِلْزِمِ الْبَابَ وَأَعِذْ فِي كُلِّ يَوْمٍ .“
 وَعَادَ إِلَيَّ أَحْسَنَ حَالَاتِهِ عِنْدَهُ *^(٥)

وهذه أخلاق الملوك لمن فهمها . وليس بعَجَبٍ أَنْ تَتَلَوْنَ أَخْلَاقَهُمْ ، إِذْ كُنَّا نَرَى
 أَخْلَاقَ الْقَرِينِ الْمَسَاوِي وَالشَّرِيكِ وَالْإِلَافِ نَتَلَوْنَ وَلَا تَسْتَوِي ، وَلَعَلَّهُ يَجِدُ عَنْ إِلْفِهِ

(١ - ٢) تَوَبَّ : دَعَا إِلَى الصَّلَاةِ . [وَفِي الْمَسْعُودِيِّ طَبِيعُ بَارِيسَ وَبُولَاقَ : ”فَلَدَنُوتُ ثُمَّ ضَعُدُ إِلَى مَسْجِدِ
 مَغْلَقٍ“ . وَظَاهِرٌ أَنَّ رَوَايَةَ صَـ أَوْقَعَ وَأَقْعَدُ رَأَيْتُمْ] .

(٣) فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبِيعُ بَارِيسَ ”إِمَّا كَرْدِي وَإِمَّا طُمَطَانِي“ وَفِي طَبِيعِ بُولَاقَ : ”إِمَّا كَرْدِي أَوْ طُمَطَانِي“
 (٤) أَنْظَرَ الرِّوَايَاتِ الْآخَرَى فِي الْمَسْعُودِيِّ طَبِيعُ بَارِيسَ وَبُولَاقَ . وَكُلُّهَا مُحَرَّفَةٌ مِنَ النَّسَاجِينَ كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ

وَقَدْ نَبِهَ عَلَى ذَلِكَ مُتَرَجِّمُ الْمَسْعُودِيِّ . [وَأَنْظُرْ خَاشِيَةً ٤ صُلْفَةً ٧٥ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ]

(٥) هَذِهِ الْفَقْرَةُ الْمَحْصُورَةُ بَيْنَ نَجْمَتَيْنِ * مَنْقُولَةٌ عَنْ صَـ . وَالْحِكَايَةُ أَوْرَدَهَا الْمَسْعُودِيُّ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ

تَقْرِيْبًا عَنِ الْجَاحِظِ دُونَ أَنْ يَشِيرَ إِلَيْهِ (رَاجِعْ ”مَرْوَجُ الذَّهَبِ“ طَبِيعُ بَارِيسَ ج ٥ ص ٢٨٦ - ٢٨٨ ،
 وَطَبِيعُ بُولَاقَ ج ٢ ص ١٠٣)

(٦) صَـ : إِنْ فَهَمْتَهَا : ٢٠

(١) وقرينه وشكله مندوحة . فكيف بمن مَلَكَ الشرق والغرب ، والأسود والأبيض ،
والحر والعبد ، والشريف والوضيع ، والعزيز والذليل ؟



ثمرات
التأديب بالحقوة

وعلى أنه ربما كانت جَفْوَةُ الْمَلِكِ أَصْلَحَ فِي تَأْدِيبِ الصَّاحِبِ مِنْ اتِّصَالِهِ بِالْأَنْسِ ،
وإن كان ذلك لا يقع بموافقة الجَفْوِ . لأن فيها فراغَ الجَفْوِ لنفسه وتخلُّصه لأمره (٢)
ولما كان لا يمكنه الفراغ له من مُهمِّ أمره . وفيها أيضا أنه إن كان الجَفْوُ من
أهل السُّمَرِ وأصحاب الفُكاهات ، فبالْحَرَى أَنْ يَسْتَفِيدَ بِتِلْكَ الْحَقْوَةِ علما طريقا مُحَدَّثًا
له بالكتب ودراستها له بالمشاهدة والملاقة ، وربما كان لا يمكنه قبل ذلك ، وهو
في شغله . ومنها أن جَفْوَةَ الْمَلِكِ ربما أدَّتِ الصَّاحِبَ الْأَدَبَ الْكَبِيرَ . وذلك أنه
كُلُّ مَنْ أَتَقَسَّ الْمَلِكُ مَجْلِسَهُ وَطَالَ مَعَهُ قَعُودُهُ وَبِهِ أَنْسُهُ ، تَمَتَّى الْفَرَاغُ وَطَلَبَتْ مِنْهُ
نَفْسُهُ التَّخَلُّصَ وَالرَّاحَةَ وَالْخُلُوءَ لِإِرَادَةِ نَفْسِهِ . كما أنه مَنْ كَثُرَ قَرَاغُهُ وَقَلَّ أَنْسُهُ ، جُنِيَ
وَأُطْرِحَ ، وَطَلَبَ الشُّغْلَ وَالْأَنْسَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

فهذه الأخلاق رُكِبَتْ الْفِطْرُ وَجِيلَتْ النُّفُوسُ .

فإذا جاء الفراغ الذي كان يطلبه ويتمناه من الجهة التي لم يقدرها ، طلبت نفسه
الموضع الذي يملُّه والشُّغْلَ الذي كان يهرب منه .

١٥

(١) سم : الآخر .

(٢) سم : وتخلص أمره عليه . صم : وخاص أمره عليه . وقد صححت بحسب السياق .

(٣) بمعنى أن الملك يجد مجلسه وجالوسه معه نفيسا . وفي سم ، صم : "تقس" . [ولامعنى لها . ولذلك

صححت المتن بما وصل إليه أجتهدى .]

ومنها أنه كان في عِزٍّ ومَنَعَةٍ وأمرٍ ونهيٍّ، وكان مرغوباً إليه مرغوباً منه، ثم [لما] حدثت جفوة الملك، أنكر ما كان يعرف، وعصاه من كان له مطيعاً، وجفاه من كان به برّاً.

ومنها أن جفوة الملك تُحدثُ رقةً ^(١) على العامة ورافة بهم، وتُحدثُ للجفوق حُسْنَ نِيَّةٍ.

ومنها أن الرضا، إذا كان يعقب الجفوة، وَجَبَ على المجفوق شكر الله تعالى على ما ألهمه الملك فيه فتصنّف وأعطى وصام وصلّى.

فكلُّ شئٍ من أمر الملك حَسَنٌ في الرضا والسُّخْطِ، والأخذ والمنع، والبذل والإعطاء، والسرّاء والضراء، غير أنه يجب على الحكيم التميّز أن يجهّد بكلِّ وسع طاقته أن يكون من الملك بالمتزلة بين المتزلّتين. فإنها أحرى المنازل بدوام النعمة، واستقامة الحال، وقلة التنافس ومصارعة أهل الحسد والوشاة.



وليس من أخلاق الملك أن يُدْنيَ من عَظُم قدره وأَتسِع علمه وطاب مرّجبه، صفات المقربين، أو ظهرت أمانته أو كَلَّتْ آدابه.

(١) أي رجمة.

(٢) في سه: "مسارعة". وفي صه: "مشاغبة".

(٣) كذلك في سه، صه. نعم إن بقية الكلام بما تنفي النقي، ولكن قوله بعد ذلك إن الملك يحتاج إلى هذه الطبقة ضرورة يدلُّ على أن تفرّجهم ليس من طباع الملوك ولكن من حاجتهم إليهم. ويؤكد ذلك ختام كلامه بأن التفرّج للقرناء والمحدثين كائناً من كانوا ومن حيث كانوا.

وهذه الصفات هي جلست أنحر يحتاج الملك إلى أصحابه ضرورة: لحاجته من
القضاة إلى الفقه والأمانة، وحاجته من الطبيب إلى الحسّدق بالصناعة والرّكّانة^(١)،
وحاجته من الكاتب إلى تحبير الألفاظ ومعرفة مخارج الكلام والإيجاز في الكُتب،
وما أشبه ذلك. فأما القُرّاء والمُحدثون وأصحاب الملاهي ومن أشبههم، فكلّ من دنا
منهم من الملك وعلّق به: كائنًا من كان ومن حيث كان.

﴿١٣﴾

وكذا وجدنا في كُتب الأعاجم وملوكها.

وفيما يُذكر عن أنوشروان أنه قال: "صانخبك من علق بشوبك."

كلمة أنوشروان،
وأمثلة كلية
ودنة

وكذا وجدنا في أمثال "كَلِيلَة ودِنَة" أن الملك "مِثْل الكَرَم الذي لا يتعلّق بأكرم
الشجر، إنما يتعلّق بما دنا منه". وقد نجد مصداق ذلك عينا في كلّ دهر وأخبار
كلّ زمان.

١٠

(١) الرّكّانة، على ما في "تاج العروس" هي السكون إلى الشيء والأطمئنان به. وربما كانت الأصوب
"الرّكّانة" وهي الظن الذي يكون بمنزلة اليقين.

(٢) ص: فأما الغرباء والمُحدثون.

(٣) قلت هذه العبارة عن أقدم نسخة معروفة للآن من كتاب "كليلة ودنة" وهي التي طبعها الأب

الفاضل لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٥ (صفحة ٥٧) وأصلحت لفظة "بمن" بلفظة "بما". وقد
وردت هذه العبارة في النسخة التي طبعها العلامة البارون دوساسي الفرنسي سنة ١٨١٦ هكذا: "مثل عجم
الكرم الذي لا يعلّق إلا بأكرم الشجر" (ص ٨٥). وفي كذلك في النسخة المطبوعة في بولاق قبلها
سنة ١٢٨٥. وهذه الرواية متبورة وصغيرة جدا، ورواية النسخة القديمة متينة ومعقولة، فليها رواية
الملاحظ وإن كان الذي نسفها قد مسحتها. فهي في ص: "كالشجرة ليس يتعلّق بأكرم الأشجار، ولكن
بالأقرب منها". وفي ص: "كالشجرة ليس يتعلّق بأكرم الأشجار، إنما يتعلّق بما قرب منها".

٢٠

منها.
الملك ورجله

♦♦

(١) ومن أخلاق الملك السخاء والحياء.

فهما قرينا كل ملك كان على وجه الأرض. ولو قال قائل إنهما رُكِّبَا في الملوك
كتركيب الأعضاء والجوارح، كان له أن يقول. إذ كما لم نشاهد ولم يُلَفْنَا عن
مضئ من الملوك، ملوك العجم ومن كان قبلهم، وملوك الطوائف وغيرهم، القِصَّة والبخل.
فأما السخاء فلو لم يكن أحد طبائع الملوك، كان يجب أن يكون باكتساب، إن كان
الملك من أهل التمييز. وذلك أنه يُقيد^(٢) أكثر ما يُنفق. فإذا كانت هذه صفة كل
ملك، فما عليه من اتِّخاذ الصنائع وعمِّ المنِّ والإحسان إلى من نأى عنه أودنا منه
من أوليائه، والرحمة للفقير والمسكين، والعائدة على أهل الحاجة.

وأما الحياء فهو من أجناس الرحمة.^(٤)

وَحَقِيقُ لِلْكَ (إِذَا كَانَ الرَّاعِي) أَنْ يَرْحَمَ رَعِيَّتَهُ، (وَإِذَا كَانَ الْإِمَامُ) أَنْ يَرْقَّ عَلَى الْمُؤْتَمِّ^(١)
بِهِ، (وَإِذَا كَانَ الْمَوْلَى) أَنْ يَرْحَمَ عَبْدَهُ.

فَقَدْ تَخِطَّى الْعَامَّةُ وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَاصَّةِ فِي الْمُلُوكِ حَتَّى يُسَمُّوهُمْ بِغَيْرِ أَسْمَائِهِمْ
وَيَصِفُونَهُمْ بِغَيْرِ صِفَاتِهِمْ وَيَتَحَلَّوْنَهُمُ الْبَخْلَ وَالْإِمْسَالَ، إِذَا رَأَوْا الْمَلِكَ عَلَى سَنَنِ مِنْ

(١) ص: الملك الكرم والسخاء. ودرواية سمح. لأن الكلام التالي مقسم إلى موضوع السخاء وإلى
موضوع الحياء. ولذلك اعتمدتها في المتن.

(٢) أفاده وأستفاده وتقيدته بمعنى واحد. (من القاموس)

(٣) ص: وتقسيم.

(٤) زاد في سمع هنا: "للفقير والمسكين والعائدة على أهل الحاجة". وقد سبقت هذه الجملة في الموضوع
المتناسب لها في السطر السابق، فلا حاجة لتكرارها.

(٥) ص: إلا يجال.

القصْد وعَدْلٍ من حدِّ الإنفاق، وَيَقُولُونَ عَمَّا أَدَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ نَبِيَهُ (صلى الله عليه وسلم) بقوله عز وجل: "وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ"، وبمدحه الصالحين من عباده بالقصد في ذات أيديهم، بعلمهم أن أرضى الأحوال عنده مَادْخَل في باب الاقتصاد، بقوله: "وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا".

وقد ذكر بعض مَنْ لَا يَعْلَم (في كتاب ألفه في البخلاء من الملوك) ^(١) أن هشام بن عبد الملك بن مروان ومروان بن محمد وأبا جعفر المنصور وغيره، منهم . ولولا أنا

الرد على من وصف
المنصور بالبخل

- (١) هو غير الكتاب الذي ألفه الجاحظ في البخلاء عاثة ، وقد طبعه في لندن سنة ١٩٠٠ المشرق الهولندي فان فولتن Van Volten ، ثم قلده المتأخرات على سرقة المطبوعات في مصر . وقد روى الجاحظ فيه (ص ١٦٣) أن هشاماً هذا "دخل حائطاً ببستاناً له فيه فاكهة وأشجار وثمار ومعه أصحابه . بفعلوا ياكلون ويدعون بالبركة . فقال هشام : يا غلام ! إقاع هذا ، وأغرس مكانه الزيتون . فذلك يدل على أنه أراد تحقيق دعوة أصحابه ، لأن الزيتون هو الشجرة المباركة . ويدل أيضاً على بخله ، حتى إذا جاء حائطاه مرة أخرى لم يجد أصحابه سبيلاً إلى الإتيان على فاكهته وثمراته . روى صاحب "شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٨١) هذه الحكاية بما يدل على بخل هشام ، وختمها بقول هشام لقيم البستان : "إقاع شجرة وأغرس فيه زيتونا حتى لا يأكل أحد منه شيئاً" . ولم يذكر الجاحظ شيئاً من هذا القيل عن المنصور في كتابه في البخلاء .

- (٢) من الغريب أن صاحب "محاسن الملوك" نقل كثيراً عن الجاحظ بالحرف الواحد أو بالأختصار ولكنه لم يسته ولم يشر إلى كتابه ، فكان مثله كمثل المسعودي وقر كثير من المؤرخين والمتأدبين . ولكنه حينما جاء إلى ذكر المنصور وتبجيله ذكر اسم الجاحظ ، فقال في صفحة ١٠٢ مانصه : "قال الجاحظ : ربما وصف الأغنياء بالمنصور بالبخل ، وليس الأمر كذلك . فإنه لم يسمع عن أحد من الخلفاء والملوك أنه وهب لرجل واحد ألف ألف غيره . وقرئ على أهل بيته في ليلة واحدة ألف ألف . " ثم روى القصة الآتية عن زيد مولى عيسى بن نبيك باختصار وختمها بهذه العبارة : "قال الجاحظ : فهل يجوز أن يُعدَّ من فعل هذا الفعل بخيلاً؟"

أَحْتَجُّنَا إِلَى الْإِخْبَارِ عَنْ جَهْلِ هَذَا ، لَمْ يَكُنْ لِدِكْرِهِ مَعْنَى وَلَا لِلتَّشَاغُلِ بِالرَّدِّ عَلَيْهِ . وَكَيْفَ
 (١٧) يَكُونُ الْمَنْصُورُ مِمَّنْ دَخَلَ فِي جُمْلَةِ هَذَا الْقَوْلِ ، وَلَا يُعْلَمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ خُلَفَاءِ الْإِسْلَامِ
 وَلَا مُلُوكِ الْأُمَمِ وَصَلَ بِالْفِ أَلْفٍ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ غَيْرُهُ (٢) وَلَقَدْ فُزِقَ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ
 بَيْتِهِ عَشْرَةَ آلَافٍ أَلْفٍ دِرْهَمٍ . ذَكَرَ ذَلِكَ الْهَيْثَمُ بْنُ عَدِيٍّ وَالْمَدَائِنِيُّ . وَحَدَّثَنِي بَعْضُ
 أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِيهِ عَنْ زَيْدِ مَوْلَى عَيْسَى بْنِ نَهْيَكٍ (٣) قَالَ : دَعَانِي الْمَنْصُورُ بَعْدَ مَوْتِ مَوْلَايَ

(١) ص : ولواحتجنا .

(٢) الْمَنْصُورُ هُوَ أَوَّلُ خَلِيفَةِ أَعْطَى أَلْفَ أَلْفٍ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْ عَمُوَيْتِهِ الْأَرْبَعَةِ (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)
 وَمَا يَدْخُلُ فِي مَكَارِمِ الْمَنْصُورِ أَنَّ الشُّعْرَاءَ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَأَنشَدُوهُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ، فَاسْتَحْسِنَ أَقْوَالَ بَعْضِهِمْ ، فَأَمَرَ بِرَفْعِ
 الْحِجَابِ وَظَهَرُوا لَهُمْ وَأَمَرَ لِأَحَدِهِمْ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِينَارٍ وَأَعْطَى الْبَاقِينَ أَلْفَيْنِ أَلْفَيْنِ (ذِيلُ الْأُمَالِ لِلْقَالِ ص ٤١) .
 وَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ فَأَعْجَبَهُ كَلَامُهُ فَقَالَ : يَا بَيْعَ لَا يَصْرَفُ مِنْ مَقَامِهِ إِلَّا بِمِائَةِ أَلْفٍ دِرْهَمٍ ،
 فَخَلَسْتُ مَعَهُ (ذِيلُ الْأُمَالِ لِلْقَالِ ص ٢٢٨) .

وَدَخَلَ عَلَيْهِ قَتِيبُ بْنُ حَرَمٍ فَذَكَرَ لَهُ مَا نَعَلَهُ بَنُو أُمَيَّةَ بِقَوْمِهِ وَأَنشَدَهُ شُعْرًا لِلْأَحْصَى كَانَ سَبِيحًا فِي حُرْمَانِهِمْ مِنْ
 أُمَوَاهِمٍ مِثْلَ سِتِينَ سَنَةٍ . فَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ ، ثُمَّ كَتَبَ إِلَى عَمَالِهِ بِرَدِّ ضِيَاعِ آلِ حَزْمٍ عَلَيْهِمْ وَإِعْطَائِهِمْ قَلَاتِهِمْ .
 فِي كُلِّ سَنَةٍ مِنْ ضِيَاعِ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَتَقْسِيمِ أُمَوَاهِمِ بَيْنَهُمْ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ عَلَى التَّوَسُّعِ ، وَبَنِي مَاتَ مِنْهُمْ وَفُتِرَ عَلَى وَرَثَتِهِ .
 فَانْصَرَفَ الْقَتِيبُ بِمَا لَمْ يَنْصَرَفْ بِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ . (طَبَرِي سُلْسَلَةٌ ٣ ص ٤٢١)

(٣) سَمَاءُ فِي مُحَاسِنِ الْمُلُوكِ "يَزِيدُ" .

(٤) كَانَ الْأَمِيرُ عُمَانُ بْنُ نَهْيَكٍ عَلَى حَرَسِ الْمَنْصُورِ . فَلَمَّا مَاتَ سَنَةَ ١٤٠ فِي فِتْنَةِ الرَّائِدِيَّةِ ، اسْتَعْمَلَ
 الْخَلِيفَةُ أَخَاهُ عَيْسَى هَذَا عَلَى حَرَسِهِ . وَكَانَ ذَلِكَ بِالْهَاشِمِيَّةِ . وَهَذَا الَّذِي بَرَأَ نَهْيَكُ أَخْرَأَ اسْتَعْمَلَهُ الْمَهْدِيُّ وَأَمْرُهُ بِضَرْبِ
 بَشَارِ بْنِ بَرْدٍ حَتَّى قَتَلَهُ . وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ بْنُ عُمَانَ بْنِ نَهْيَكٍ فَقَدْ قَتَلَهُ الرَّشِيدُ لِأَنَّهُ كَانَ يَبْكِي عَلَى قَتْلِ جَعْفَرِ الْبَرْمَكِيِّ =

فقال: يا زيد! قلت: لبيك يا أمير المؤمنين! قال: كم خلف أبو زيد من المال؟ قلت: ألف دينار أو نحوها. قال: فإين هي؟ قلت: أنفقتها الجيرة في مأتمه^(١). قال: فاستعظم ذلك، وقال: أنفقت في مأتمه ألف دينار! يا أنجب هذا! ثم قال: كم خلف من البنات؟ قلت: ستاً. فاطرق ملياً ثم رفع رأسه وقال: أغد إلى باب المهدي، فغدوت قليل لي: معك بغال؟ فقلت: لم أومر بإحضار بغل ولا غيره، ولا أدري لِمَ دُعيت. قال: فأعطيت ثمانين ومائة ألف دينار، وأمرت أن أدفع لكل واحدة من بنات عيسى ثلاثين ألف دينار. ففعلت، ثم دعاني المنصور فقال: قبضت ما أمرنا به لبنات أبي زيد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين! قال: أغد على باكتائهن حتى أزوجهن

١١٨

== وحل ما وقع للبرامكة. فكان إذا أخذته الشراب، يقول لقلامه: هايت سيفي! فيسله ويصيح: واجعفر! ثم يقول: لا تجذّن ثأرك، ولا تقتل قاتلك! ثم عليه أبه عثمان الفضل بن الربيع فأخبر الرشيد، فكان ذلك سبب قتله. (ان الأثيرج ٥ ص ٣٨٤ و"شذرات الذهب" ج ١ ص ٢٣٠ و"النجوم الزاهرة" ج ١ ص ٥٢٤) وروى صاحب "الحاسن والمساوي" رواية أخرى في رشاية الزهراء بآية الرشيد (ص ٥٩٢). وأما لفظ "نبيك" فهو "مشتق من النباكة وهي الجرأة والإقدام يقال: انتبكت فلان فلانا إذا نال من حرمته وشتمه. ومنه: آتباك المحارم، ونبتكت الخمر إذا أخزرت به، وأنبتك عقوبة إذا أوجعه ضرباً." (الأشعياق لأبن دُرَيْد ص ١٢٨)

١٥

(١) هذا اللقب كان يُعطى عادة في أيام الدولة الأموية والعباسية لنساء الأمراء والأشراف والسادات والأكابر. فلما تغلبت الدولة التركية في العراق، وفي مصر خصوصاً، صار لقب نساء الملوك "خونده" "خاتون"، "آدر (جمع دار)" وهذا اللقب الأخير كان خاصاً بمصر في زمان المماليك. وفي عصرنا هذا نقول: "تحم"، "هائم"، وهما لقبان يطلقان على نساء الأكابر. (أنظر ص ١٢١ من: كتاب "زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والممالك" المطبوع في باريس)

٢٠

منهم . قال : فغدوتُ عليه بثلاثة من وَلَدِ الْعَتَكِيِّ ^(١) وثلاثة من آلِ تَهْلِيكٍ من بني عَمَّانٍ .
فزوج كلَّ واحدةٍ منهم على ثلاثين ألفَ درهمٍ ، وأمر أن يُجْعَلَ صدأُ قَهْنٍ من ماله ،
وأمرني أن أشتريَ بها أمرَ لَهْنٍ ضياعًا يكونَ معاشهم منها . ^(٢)

فهل سَمِعَ هذا الجاهلُ الخائنُ ^(٣) بمثل هذه المكارمِ لعربيٍّ أو عجميٍّ ؟ ولو أردنا أن
نذكرَ محاسنَ المنصورِ على التفضيلِ والتقصيِّ لَطالَ بها الكتابُ وكثُرَتْ فيه الأخبارُ .

وقلِّمَ استعمالاتِ العامةِ وكثيرٌ من الخاصةِ التمييزَ ، إيثارًا للتقليدِ ، إذ كانَ أقلُّ
في الشُّغلِ وأدَلَّ على الجهلِ وأخَفَّ في المؤونةِ . وحسبك من جهلِ العامةِ أنها تُفَضِّلُ
السمينَ على النحيفِ ، وإن كانَ السمينُ مَأْفُونًا ^(٤) والنحيفُ ذا فضائلٍ ؛ وتُفَضِّلُ الطويلَ
على القصيرِ ، لا للطولِ ولكن لشيءٍ آخرَ لا ندرى ماهو ؛ وتُفَضِّلُ راكبَ الدابةِ على
راكبِ البغلِ وراكبِ البُئْلِ على راکبِ الحمارِ ، اقتصارًا على التقليدِ إذ كانَ أسهلَّ
في المأْتى وأهونَ في الاختيارِ .



ومن حقِّ الملكِ - إذا اعتلَّ - أن لا تَطْلُبَ خاصَّتهِ الدخولَ عليه في ليلٍ ولا نهارٍ ،
حتى يكونَ هو الذي يأمرُ بالإذنِ لِمَنْ حَضَرَ ؛ وأن لا يَرَفَعَ إليه الحاجبُ أسماءهم

الآداب
في اعتلال الملك
ونظام التشریفات

(١) الظاهر أن الْعَتَكِيَّ المذكور هنا هو مقاتل بن حَكَمٍ الْعَتَكِيُّ الذي استغلفه المنصور على حرَّان ؛ وقد حاصره

بها عبد الله بن علي عم المنصور ثم قتله . فهو إذن من أولياء المنصور . (أنظر الطبري سلسلة ٣ ص ٩٣ و ٩٤)

(٢) روى الطبري هذه الحكاية حرفًا . (سلسلة ٣ ص ٤٢٠)

(٣) لعل الصواب : المسائن ، بمعنى الكاذب .

(٤) صه : آثرنا .

(٥) المأفون الضعيف الرأي والعقل . وفي صه : مؤفوا . [أي ذا آفة وطامة] .

مبتدئاً حتى يأذن له . فإذا أذن له بالدخول ، فمن حقه أن لا تدخل عليه الطبقة العالية مع التي دونها ، ولا يدخل عليه من هذه الطبقة جماعة ، ومن غيرها جماعة . ولكن على الحاجب أن يحضر الطبقات الثلاث كلها أو من حضر منها ، ثم يأذن للعليا جملة . فإذا دخلت ، قامت بحيث مراتبها ^(١) ، فلم تسلم عليه فتخرجته إلى رد السلام ، فإذا علمت أنه قد لاحظها ، دعت له دعاء يسيراً موبحاً ، ثم خرجت . ودخلت التي تليها ، فقامت على مراتبها أقل من قيام الأولى ، ودعت دعاء أقل من دعاء الأولى . ثم دخلت بعدهما الثالثة ، فكان حظها أن يراها فقط . وليس من عادة الملوك وقوف هذه الطبقة الثالثة لتأمل الملك وتدعوله وتتنظر إليه . وإنما مراتبها أن يراها فقط .

ومن حق الملك أن لا ينصرف أحد من هذه الطبقات إلى رحله إلا في اليوم الذي كان فيه ينصرف في صحة الملك . وبالحري ينبغى أن لا يبرح ^(٢) فناء سيده ومالكة ،
انتظاراً لإفاقة من علته وفحصاً عن ساعات مرضه .



ومن الحق على الملك تعهد بطائفة وخاصته بجوائزهم وصلاتهم ، إن كان ذلك يكون مشاهرة أو مساناة .

جوائز
البطانة وصلاتهم

ومن أخلاق الملك أن يوكل بأدكاره صلاتهم ، ولا يخرج أحداً منهم إلى رفع رعدة أو إذر كار أو تعريض . فإن هذا ليس من أخلاق المتيقظ من الملوك .

(١) صه : بجنب .

(٢) راجع الحاشية ١ صفحة ٢٢ من هذا الكتاب عن لفظ "برج" .

(٣) صه : رمحى .

سنة ملوك
ساسان في الجوائز

وكانت ملوك آل ساسان يفعلون في هذا فعلاً بقي لهم ذكره إلى هذه الغاية وإلى انقضاء مدة العالم.

فكان الملك منهم يُقدّر للرجل من خاصّته ويطانته تقديرًا وسَطًا بين الإسراف والاقتصاد في مؤنّه كُلّها، وحوائجه خاصّها وعامّها . فإذا كان انتقديراً - على الجهة التي وصفنا به - عشرة آلاف درهم في الشهر، وكانت للرجل ضيعة^(١)، أمر أن يُدفع إليه في كل ثلاثين ليلة عشرة آلاف درهم، لأنزاله^(٢) ونفقاته وحوائجه . ويقول له الملك: "قد علمنا أنّ الضيعة التي أفدتها هي مما تقدّم من صلاتنا لك وقد تسلفنا شكر تلك النعمة منك؛ وليس من العدل أن تكون في خدمتنا، وتكون نفقتك من شيء أفدته^(٣) بشكرٍ قد تقدّم وحرمة قد تأكّدت. فليكن ما أثمرت لك ضيعتك ظهرياً لنواب الزمان وتخرّم الأيام وأنقلاب الدُّول وحوادث الموت. ولتكن مؤنك^(٤) وكُلّك^(٥) على خاصّ اموالنا."

وكذلك الطبقات على هذا النظام والإحكام . فيمضى على أحدهم عشرون سنة لا يفتح فاه بطلب درهم ولا غيره، منبسطة لزمانه مبتهجا ينعم ملكه مسروراً بما يكفي عن التذكار وشكوى الحال.

(١) الأنزال (جمع نزل) : القوم النازلون على الإنسان ، أو ماهي للضيف أن يزل عليه ، كافي تاج العروس .

(٢) صه : أخذتها .

(٣) صه : أخذته .

(٤) سه : وحوادث الأيام والموت . صه : وحوادث المؤن .

(٥) صه : وكُلّك .

(٦) في صه : "ستشطا" . وليس لها معنى في اللغة يوافق هذا المقام ، لذلك أصلحناها بما اقتضاه الحال . وهي من الكلمات التي تفرّد بها صه .

(٧) صه : بما كفى من التذكار وشكر الحال .



ومن حقّ الملك هدايا المهرجان والتّيروز^(١).

هدايا المهرجان
والتّيروز من
الملك وله

والعلة في ذلك أنّهما فصلًا سنة.

فالمهرجان دخولُ الشتاء وفصلُ البرد؛ والتّيروز إذنٌ بدخول فصل الحرّ. إلا أن في التّيروز أحوالًا ليست في المهرجان، فمنها استقبال السنة وافتتاح الخراج وتولية العمال والاستبدال وضرب الدراهم واندناير وتذكية بيوت النيران وصب الماء وتقريب القربان وإشادة البنيان^(٣) وما أشبه ذلك^(٤).
فهذه فضيلة التّيروز على المهرجان.

ومن حقّ الملك أن يُهدى إليه الخاصة والحامة.



والسنة في ذلك عندهم أن يُهدى الرجل ما يُحب من ملكه، إذا كان في الطبقة العالية. فإن كان يُحب المسك، أُهدى مسكًا لا غيره؛ وإن كان يحب العنبر،

(١) كلمتان فارسيّتان معناهما محبة الروح.

(٢) كلمتان فارسيّتان معناهما اليوم الجديد أى رأس السنة.

(٣) ص: والأخذ بالاسفند. [والذى فى المعجم الفارسى العربى الإنكليزى لرشاردصن أن الإسفند هو اسم اليوم الثالث من خمسة الأيام التى يضيفها الفرس لآخر الشهر الثانى عشر من السنة. ولما كان الشهر عندهم ثلاثين يومًا فهم يضنون خمسة أيام على آخر الشهر من السنة ليجعلوها معادلة السنة الشمسية. وربما كان الجاحظ يشير إلى حفلة خاصة بالقرس فى ذلك اليوم بتقريب القربان].

(٤) كل هذه رسوم فارسية قلها الجاحظ عن آيينهم، بنير ملاحظة لما أخذ المسلمون أو تركوا منها.

(٥) هذا وما يليه يؤيد ما أشرنا إليه فى الحاشية السابقة

أهدى عنبراً، وإن كان صاحب يزة وليسة^(١)، أهدى كسوة وثياباً، وإن كان الرجل من الشجعاء والفرسان، فالسنة أن يهدى فرساً أو رجلاً أو سيفاً، وإن كان رامياً، فالسنة أن يهدى ثياباً، وإن كان من أصحاب الأموال، فالسنة أن يهدى ذهباً أو فضة، وإن كان من عمال الملك، وكانت عليه موانيد للسنة الماضية، جمعها وجعلها في يد حريز صفي^(٢) وشرحات فضة وخيوط إبريسم وخوايم عنبر ثم وجهها.

(١) ص: صاحب كسوة وثياب.

(٢) ص: "أصحاب المال"، [ولعلها أصحاب الأعمال].

(٣) وردت هذه الكلمة مهمة في ص:، ص: هكذا (مواصلة)، فوجدناها في شفاء الفليل (بعد مراجعة غيره من كتب اللغة) هكذا: "موانيد" وفسرها بقوله "بقايا في شعر الفرزدق". "مرب". (ص ٢٠٨) ولكن النسخ أو الطابع جعلها بالناء المثناة القوية بدلاً من النون. وهي واردة على مصححها في كتاب "المرب من الكلام الأجمي" للإمام الجواليقي (طبع العلامة الألمانى بمخار مدينة ليسك سنة ١٨٦٧ في صفحة ١٤٣) وقد استشهد عليها بقول الفرزدق.

"نراج موانيد عليهم كثيرة * شذلتها أيديهم بالعراقي".

وقد رأيت هذا البيت في نسخة طويلة في مدح عمر بن حيرة القزاري، ضمن ديوان الفرزدق الذي طبعه باللغة العربية وترجمه إلى الفرنسية العلامة المستشرق المسير بوشيه (R. Boucher) في باريس سنة ١٨٧٠. (أنظر صفحة ٢٣٨ من القسم العربي و ٧١٧ من القسم الفرنسي). وقد ظن هذا العالم أن الكلمة ربما كان الأصح في كتابها الدال المهملة بدلاً من المعجمة، وظن أنها تعريب كلمة "مانده" الفارسية. وأقول إن العرب يجعلون الدال ذالاً عند التعريب (مثل أستاذ، تلميذ، فالودج، فولاذ، بغداد، كلواز، مروالروذ الخ). وأما الأصل الفارسي فهو "مانده" من مصدر "مانیدن" بمعنى البقاء. وجمعوا الكلمة بعد تعريبها على "موانيد" يجعل الدال ذالاً جراً على عاداتهم في التعريب.

(٤) ص: بيت.

وكذلك، إنما كان يفعل من العَمَال مَنْ أراد أن يترين بفضل نفقاته أو بفضل عَمَلته
أو أداء أمانته.

وكان يُهدى الشاعرُ الشعرَ، والخطيبُ الخطبةَ، والنديمُ التحفةَ والطرفةَ والبالكورةُ
من الخَضِرَاوات.

- ٥ وعلى خاصة نساء الملك وجواريه أن يهدين إلى الملك ما يُؤثرنه ويُفضله كما قدمنا
في الرجال. غير أنه يجب على المرأة من نساء الملك - إن كانت عندها جارية تُعلم
أن الملك يهواها ويُسرُّ بها - أن تُهديها إليه بأكل حالاتها وأفضل زيتها وأحسن
حياتها. فإذا فعلت ذلك، فمن حقها على الملك أن يُقدِّمها على نسائه ويخصَّها بالمتزلة
ويزيدها في الكرامة، ويعلم أنها قد آثرته على نفسها وبذلت له ما لا تجود النفس به
وخصَّته بما ليس في وسع النساء - إلا القليل منهن - الجود به.
- ١٠ ومن حق البطانة والخاصة على الملك في هذه الهدايا أن تُعرض عليه وتقوم
قيمةً عَظِيمَةً.

- فإذا كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أثبتت في ديوان الخاصة. فإن كان صاحبها
من يرغب في الفضل ويذهب إلى الرمح ثم نابتة نائبة من مُصيبة يُعصاب بها أو بناء
يتخذها أو مأدبة يادها أو عرس يكون من تزويج آبن أو إهداء آبنة إلى بعلها، نُظِرَ إلى
١٥ ما له في الديوان (وقد وكل بذلك رجلٌ يرعى هذا وما أشبهه ويتعهده)، فإذا
كانت قيمة الهدية عشرة آلاف، أُضِيفَتْ له ليستعين بها على نائبته.

(١) ص: يؤثر به وبفضله.

(٢) ص: يجده.

(٣) في ص: يجدها. وليس في ص.

١٢٤

وإن كان الرجل من أهدي نُسابة أو درهما أو تُفاحة أو أترجة، فإن تلك الهدية إنما قدمها لتُثبت له في الديوان، ويُخبر الملك إن نأبته نائبة. فعلى الملك إعانتته عليها، إذا كان من أساورته وبطانته أو محدثيه. فإذا رفع للملك أن له في الديوان نُسابة أو درهما أو أترجة أو تُفاحة، أمر الملك أن يأخذ أترجة فتُملاً دنانير منظومة ويوجه بها إليه. وكان لا يعطى صاحب التُّفاحة إلا كما يعطى صاحب الأترجة. وأما صاحب النُسابة فكانت تخرج نُسابته من الخزانة وعليها اسمه، فتُنصب ويوضع بإزائها من كسوة الملك ومن سائر الكساء. فإذا ارتفعت حتى توازي نعل النُسابة، دُعِيَ صاحبها فدُفعت إليه تلك الكسوة.

وكان من تقدمت له هدية في النيروز والمهرجان (صُفرت أم كبرت، كُثرت أم قُلت)، ثم لم يخرج له من الملك صلة عند نائبة تنوبه أو حق يلزمه، فعليه أن يأتى ديوان الملك ويُذكر بنفسه، وأن لا يغفل عن إحياء السنة ولزوم الشريعة. وإن غفل عن أمره بعارض يَحُلُّ، فإن ترك ذلك على عمد، فمن سنة الملك أن يحرمه أرزاقه ستة أشهر، وأن يدفعها إلى عدو، إن كان له. إذا أتى شيئاً فيه شين على الملك وضعة في المملكة.

١٢٥

وكان أردشير بن بابك وبهرام جور وأنوشروان يأمرون بإخراج ما في خزائهم في المهرجان والنيروز من الكسبي فتفرق كلها على بطانة الملك وخاصته، ثم على بطانة البطانة، ثم على سائر الناس، على مراتبهم.

وكانوا يقولون: إن الملك يستغنى عن كسوة الصيف في الشتاء، وعن كسوة الشتاء في الصيف، وليس من أخلاق الملوك أن تُحبأ كسوتها في خزائنها، فتساوى العامة في فعلها.

٥

١٠

١٥

٢٠

فكان يلبس في يوم المهرجان الحديد من الخرز والوشى والملحم. ثم تفرق كسوة الصيف على ما ذكرنا.

فإذا كان يوم النيروز، لبس خفيف الثياب ورقيقها، وأمر بكسوة الشتاء كلها ففترقت.

- ولا نعلم أن أحدا بعدهم آتفى آثارهم، إلا عبد الله بن طاهر، فإن سمعت من محمد بن الحسن بن مضعب يذكر أنه كان يفعل ذلك في النيروز والمهرجان، حتى لا يترك في خزائنه ثوبا واحدا إلا كساه. وهذا من أحسن ما حكى لنا من فضائله.

مير مسلم اقتدى
الفرس في تفرق
كسوته



ومن أخلاق الملوك اللهو.

- غير أن أسعدهم من جعل للهو وقتا واحدا، وأخذ نفسه بذلك. فإنه إذا فعل ذلك، استطاب اللهو والهزل والمفاكهة. وإذا أذمن ذلك، خرج به اللهو من إبه حتى يجعله جدا لا هزل فيه، وحقا لا باطل معه، وخلقا لا يمكنه الانصراف عنه.

لهو الملوك



وليس هذا صفة الملك السعيد.

- ومن أذمن شيئا من ملاذ الدنيا، لم يجد له من اللذة وجود القريم النهم المشتاق. وهذا قد نراه عيانا. وذلك أن ألد الطعام وأطيه ما كان على جوع شديد؛ وألد الجماع وأطيه، إذا اشتد الشبق وطالت العزبة؛ وألد النوم وأهنأه ما كان يعقب التعب والسهر.

ترك الإدمان
في الملاذ

(١) ص: ثياب سابور.

(٢) راجع حاشية ٢ من ص ٧٤ من هذا الكتاب وقد أورد أسم الأب هنا بلفظ "الحسن" على صحة.

(٣) ص: اللذة وجودة العلم وجودة النوم.

(٤) ص: العزبة.

وعلى هذا جميع ملاذ الدنيا.

فالملوك الماضية إنما جعلت للملاذ وقتاً واحداً من اليوم والليل، لهذه الفضيلة التي فيها.

فعلى الملك السعيد أن يقسم يومه أقساماً. فأوله لذكر الله تعالى وتعظيمه وتهليله، وصدره لرعاياه وإصلاح أمرها، ووسطه لأكله ومنامه، وطرّفه للهوى وشغله. وأن لا يتأثر على إدمان الشغل في كل يوم. وإن طالت هذه الأقسام بمواضعها، فلا يجد للهول لذهته، ولا للنعيم موضعه الذي هو به.



١٢٩
سيرة الملوك
والخلفاء في الشرب

وكانت الملوك الماضية من الأكاسرة تشرب في كل ثلاثة أيام يوماً، إلا بهرام جور والأردوان الأحمر وسابور. فانهم كانوا يذمنون الشرب في كل يوم. ^(١)

وكان ملوك العرب (كالتيمان) وملوك الحيرة وملوك الطوائف، أكثرها يشرب في كل يوم وليلة مرة. ^(٢)

وكان من ملوك الإسلام، من يذمن على شربه، يزيد بن معاوية. وكان لا يمتنع إلا سكراً، ولا يصبح إلا مخموراً.

وكان عبد الملك بن مروان يسكر في كل شهر مرة حتى لا يعقل في السماء هو ^(٣)

(١) لعل الصواب: الأصغر. (أنظر حاشية ٦ صفحة ٢٩، وصفحة ١١٨ من هذا الكتاب).

(٢) ص: في كل جمعة يوماً وليلة

(٣) ص: عبد الله.

(١) أو في الماء، ويقول: "لَمَّا أَقْصَدَ فِي هَذَا إِلَى إِشْرَاقِ الْعَقْلِ، وَتَقْوِيَةِ مُنَّةِ الْحِفْظِ، وَتَصْفِيَةِ مَوْضِعِ الْفِكْرِ." (٢) غير أنه كان إذا بلغ آخر هذا السكر، أفرغ ما كان في بدنه حتى لا يبقى في أعضائه منه شيء. فَيُصْبِحُ خَفِيفَ الْبَدَنِ، ذَكِيَّ الْعَقْلِ وَالذَّهْنِ، نَشِيطَ النَّفْسِ، قَوِيَّ الْمُنَّةِ.

وكان الوليد بن عبد الملك يشرب يوماً ويدع يوماً

وكان سليمان [بن عبد الملك] يشرب في كل ثلاث ليال ليلة.

ولم يشرب عمر بن عبد العزيز منذ أفضت إليه الخلافة إلى أن فارق الدنيا، ولا سَمِعَ غِنَاءً.

(٤) وكان هشام يسكر في كل جمعة.

وكان يزيد بن الوليد والوليد بن يزيد يذمتان اللهو والشرب. (٤) فاما يزيد بن الوليد، فكان دهره بين حالين، بين سُكْرٍ وَنَحَارٍ، وَلَا يُوجَدُ أَبَدًا إِلَّا وَحْدَهُ إِحْدَى هَاتَيْنِ.

وكان مروان بن محمد يشرب ليلة الثلاثاء وليلة السبت.

(٥) وكان أبو العباس [السفاح] يشرب عَشِيَّةَ الثَّلَاثَاءِ وَحْدَهَا، دُونَ السَّبْتِ.

(١) ص: الأرض.

(٢) ص: وتقوية وتصفية.

(٣) ص: آخر حة السكر.

(٤) هاتان الجملتان المحصورتان بين نجمتين * منقولتان عن ص.

(٥) ص: وحدها في كل جمعة.

* وكان المهدى والهادى يشربان يوماً، ويدعان يوماً.

وكان الرشيد يشرب في كل جمعة مرتين، وربما قدم أيامه وأبهرها. على أنه لم يره أحد قط يشرب ظاهراً، إلا أنه كان يقعد هذين اليومين لندمائه.^(٢)

وكان المؤمنون في أول أيامه يشرب الثلاثة والجمعة، ثم أدمن الشرب عند خروجه إلى الشام في سنة خمس عشرة [ومائتين] إلى أن توفى.

وكان المعتصم لا يشرب يوم الخميس ولا يوم الجمعة.

وكان الواقف ربما أدمن الشرب وتابته، غير أنه لم يكن يشرب في ليلة الجمعة ولا يومها.*



لبس الملوك

١٠ وأخلاق الملوك تختلف في اللبسة والطيب.

فمن الملوك من كان لا يلبس القميص إلا يوماً واحداً أو ساعة واحدة، فإذا نزع لم يعد إلى لبسه.

ومنهم من كان يلبس القميص والجبة أياماً، فإذا ذهب روثقه رمى به فلم يلبسه بعد.^(٣)

١٥ فاما أردشير بن بابك ويزدجرد وبهرام وكسرى أبرويز وكسرى أنوشروان

(١) هذه الفقرات الخمس المحصورة بين نجمتين * متقولة عن صه.

(٢) وأنظر حاشية ٥ ص ٣٧ من هذا الكتاب.

(٣) صه : روثقه. وبعض مائه رمى. [ولعله : وبعض بهائه رمى]

وَقَبَازٌ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ وَيُغْسَلُ لَهُمْ ثُمَّ يَلْبَسُونَهُ وَيُغْسَلُ لَهُمْ . فَإِذَا غُسِلَ
ثَلَاثَ عَرَكَاتٍ ^(١) لَمْ يُغْسَلْ بَعْدَهَا، وَجُعِلَ فِي الْخَلْعِ الَّتِي تُخْلَعُ عَلَى الْوَلَدِ وَالْقَرَابَاتِ وَالْعَمِّ
وَأَبْنِ الْعَمِّ وَالْأَخِ وَأَبْنِ الْأَخِ . وَلَمْ يَكُونُوا يَخْلَعُونَ مَا قَدْ لَبَسُوهُ إِلَّا عَلَى الْقَرَابَاتِ مِنْ
أَهْلِ بَيْتِ الْمَلِكَةِ خَاصَّةً، لَا يُحَاوِزُونَهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ . فَأَمَّا الْخَلْعُ الَّتِي تُقَطَّعُ وَتُخَذُّ
لِلطَّبَقَاتِ وَسَائِرِ النَّاسِ، فَتُكَبَّرُ أَنْتَرُ .

وَكَانَ مَلُوكُ الْعَرَبِ مِنْهُمْ مَنْ يَلْبَسُ الْقَمِيصَ مَرَارًا وَيُغْسَلُ لَهُ غَسَلَاتٍ : مَعَاوِيَةُ (١٢٤)
وَعَبْدُ الْمَلِكِ وَسَلِيحُ بْنُ عَمْرِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَهَشَامُ بْنُ مُرْوَانَ بْنِ عُمَرَ وَأَبُو الْعَبَّاسِ
وَأَبُو جَعْفَرٍ وَالْمَأْمُونُ .

فَأَمَّا يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ . وَالْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ . وَيَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ . وَالْمُهَدِيَّ . وَالْهَادِيَّ
وَالرَّشِيدَ . وَالْمُعْتَصِمَ . وَالْوَالِيَّ فَإِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَلْبَسُونَ الْقَمِيصَ إِلَّا لَبْسَةً وَاحِدَةً ،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ الثَّوبُ نَادِرًا مُعْجَبًا غَرِيْبًا .

فَأَمَّا الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ، فَلَمْ تَزَلْ الْمُلُوكُ تَلْبَسُهَا السَّنَةَ أَوْ أَكْثَرَ أَيَّامِ السَّنَةِ . وَمِنْهُمْ
مَنْ كَانَ يَلْبَسُ الْجُبَّةَ وَالْمِطْرَفَ السَّنَتَيْنِ الْكَثِيرَةَ . وَلَيْسَ الْجُبَابُ وَالْأُرْدِيَّةُ كَالْقَمِيصِ
وَالسَّرَاوِيلِ . لِأَنَّ الْقَمِيصَ وَالسَّرَاوِيلَ هُمَا الشَّعَارُ، وَبِئْسَ الثِّيَابُ الدَّائِرُ . وَلِذَلِكَ كَرِهَ
مَنْ كَرِهَ إِعَارَةَ لُبْسِهَا ^(٣)

(١) أَيْ مَرَّاتٍ . وَالْعَرَكَةُ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ . وَفِي صَدِّهِ : مَرَّاتٍ .

(٢) هُوَ رَدَاءٌ مِنْ خَزْمٍ مَرْتَبَعٍ لَهُ أَعْلَامٌ . وَلَمْ يَذْكُرْهُ دَوْزِي Dozy فِي "مَعْجَمِ أَسْمَاءِ الثِّيَابِ عِنْدَ الْعَرَبِ" .

(٣) سَمَهُ : إِعَادَةً .



تطيب الملوكة

وأخلاق الملوكة في العطر ومسّ الطيب وتغلّ بالغالية تختلف^(١).

فمن الملوكة من إذا مسّ الطيب وتغلّ بالغالية لم يعد إلى مسّ طيب ما دام عبّقها في ثوبه.

ومن الملوكة من كان إذا مسّ الطيب وتغلّ بالغالية فتضوّعت منه وعلقت بثيابه، أمر بصبّ ماء الورد على رأسه حتى يسيل، فإذا كان من غد، فعل مثل ذلك.

❦

فأما من كان لا يمسّ طيباً مادام يحقد عبق الطيب في ثيابه: فأردشير بن بابك وقباد [بن فيروز] بن يزدجرد وكسرى أبريز وكسرى أنوشروان؛ ومن ملوك العرب: معاوية وعبدك والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام ومروان [بن محمد]؛ ومن خلفاء: العباس: أبو العباس وأبو جعفر والمأمون.

وكان المعتصم قلماً يمسّ الطيب. وكان يذهب في ذلك إلى تقوية بدنه وإعائته على شدة البطش والأيد. وأما في أيام حروبه، فكان من دنا منه وجد رائحة صدا السلاح والحديد من جسمه.

(١) في حاشية ص: "أبو نصر: سألت الأصمعي هل يجوز تغلّ من الغالية؟ قال: إن أردت أنك أدخلتها في لحيتك أو شاربك، بخاراً. وكذلك غلّت بها لحيّ؛ شدد للكثرة. صحيح.

(٢) في تاج العروس: غلّ الدهن في رأسه أدخله في أصول شعره، وغلّ شعره بالطيب أدخله فيه." [وأنظر صفحة ٦٧ من هذا الكتاب والحاشية ٢ منها].

(٣) ص: الماورد. [وقد استعمل الكتاب هذا التركيب إلى حدّ ونسبوا إليه فقالوا: الماوردي].

زيارة الملوك
تكراما لرحالهم،
وأأنواعها



ومن أخلاق الملوك الزيارة لمن حُصَّ بالترجمة منهم وآثروه المنزلة ورفع المرتبة .
وزيارة الملك على أربعة أقسام : فمنها الزيارة للطاعمة والمنادمة ، ومنها الزيارة
للعيادة ، ومنها الزيارة للتعزية في المصيبة^(١) ، ومنها الزيارة للتعظيم فقط .

وأكبر هذه الأقسام وأرفعها ذكراً الزيارة للتعظيم .

لأن هذه الأقسام الثلاثة أكثر ماتع وتتفق بسؤال المزور الملك وتلطّفه في ذلك .^(٢)



- (١) من هذا القليل ما تفضل به مولانا الخديو المعظم الحاجّ عباس حلمي الثاني على المأسوف عليه
بطرس غال باشا رئيس مجلس النظار وناظر الخارجية سابقاً ، بعد أن أختالته يد أئمة في ١٠ صفر سنة ١٣٢٨
(٢٠ فبراير سنة ١٩١٠) . فقد يمّ المستشفئ (حفظه الله) بموكبه الجليل في يوم إصابته ، ثم تنازل بالتوجه إلى
دار الفقيد بالقبالة في القاهرة ، عقب مماته في ١٢ صفر (٢٢ فبراير) وراسى بنفسه أولاد القتل وقرابته .
١٠ تخفف بذلك مصابهم الجلل ، وأعرب عن جميل عنايته بجميع صنوف رعيته .

- ولقد آتفق مثل هذا الصنيع الجليل ، في حادث من هذا القليل ، لأحد الساقين من ملوك النيل ، وهو السلطان
الملك الناصر حسن صاحب الجامع الأشهر القريب من القلعة . وذلك أنه في يوم الاثنين ١١ شعبان سنة ٥٧٨ هـ
حاول أحد المالِك أختيال رئيس الحكومة وصاحب الحل والعقد في ديار مصر ، وأعني به الأتابكي سيف الدين
شيخو العمرى (وهو أول من تلقب باسم أمير كبير ، وكانت وظيفته إذ ذاك تعادل رئاسة مجلس النظار في أياما
١٥ هذه) ، فضر به وهو في الإيوان في يوم الموكب بالسيف في وجهه ثلاث ضربات . فوقع الأتابكي إلى الأرض
منشياً عليه . فحملوه إلى بيته وبه بعض رمق . وهناك صمدوا جراحاته . فنزل السلطان من القلعة في اليوم التالي
وذهب بموكبه إلى داره وترجل عن فرسه وراسى رئيس حكومته . ولكن الأتابكي مات في يوم الجمعة ١٦
ذي القعدة من السنة المذكورة . فاحتفل السلطان بجهازته وحضرها بعسه وصلى عليه قبل دفنه . (راجع ابن

وربما رفع الملكُ مرتبةَ الوزير وخصَّه وقدمه على سائرِ بطانته، فيكون من حيلِ الوزير أن يتعالل فيعوده الملكُ، فيُظهر للعامة منزلته عنده وتكريمه إياه وإيثاره له .
وأيضاً، قَلَّ مَلِكٌ سألَه وزيرُه أو صاحبُ جيشه أو أحدُ عظمائه زيارةً إلا أجابه إلى ذلك، و[لا] سِماً إذا علم أن غرضه في ذلك الزيادةُ في المرتبة والتنويهُ بالذكر .
فإذا كانت الزيارةُ من الملكِ على أحد هذه الأقسام الثلاثة، فهي منزلةٌ كان صاحبها يحاولها فبلغها، وأمنيةٌ طلبها فأدركها .

فأما الزيارةُ للتعظيم، فإنها لا تقع بسؤال ولا بإرادة المزور . إذ كان ليس من أخلاق وزير ولا شريف أن يقولَ للملك : زُرْنِي لتعظمتني ، ولترفعَ في الناس من ذكري وقدري .

فإذا كان ذلك من الملكِ ابتداءً، فقد علمنا أن تلك أرفعُ مراتبِ الوزراء ، وأفضلُ درجاتِ الأشراف .

(١) سه : وقربه .

(٢) [أنظر الحاشية ٣ ص ٤٥ من هذا الكتاب] .

(٣) سه : بأملها .

(٤) يدخل في هذا الباب ما تكرم به أيضا الخديو المعظم الحاج عباس حلمي الثاني على عبده وصنيعته ، وغرس نعيمه ، وخادم دولته ، محمد سعيد باشا رئيس مجلس النظار وناظر الداخلية الحالي . فقد زاره بمنزله في رمل الإسكندرية في ١٥ رمضان سنة ١٣٢٩ (٨ سبتمبر سنة ١٩١١) . وقد جمعت هذه الزيارة مزيَّتين في آن واحد : منزلة التكرم ومنزلة العيادة اللتين أشار إليهما الجاحظ . ولقد كانت هذه الزيارة على غير انتظار البتة .

وكنْتُ حاضراً ليلتها في دار الوزير ، وهو لا يعلم بذلك . لأنه قبل تشريف المليك بهنية ، كان بملابس نومه . فإهو إلا أن فاجأنا الخبر بالتلفون ، مبشراً بهذه الزيارة الجليلة . وقد كانت بعد ذلك بدقائق .

وذلك لعسرى يشابه كثيراً من الأيادي البيضاء التي أسداها الخلفاء والولاة في مصر إلى رجال دولتهم . أكتفى بذكر مثال واحد يضارع هذه الأكرامة . وذلك أن السلطان قايتباي الشهير بمآثره الجليلة في خدمة العلم والأدب والفنون الجليلة نزل من قصره بالقلعة في شهر رمضان سنة ٨٧٣ هـ لزيارة الأمير يشك الدوادار الكبير ، بمناسبة التوكل الذي حصل في جسده . وكان هذا الأمير قد جمع في يده أكبر وظائف الدولة على ذلك العهد ، وهي : الاستادارية ، والدوادارية ، والوزارة ، وكدوفية الكشف . وقد عظم أمره جداً حتى قال فيه آبن إلياس : " ما أظن أن هذه الوظائف قد جمعت لأحد من الأمراء قبله . " (أنظر "بدائع الزهور في وقائع الدهور" ج ٢ ص ١٠٧-١٠٨)

وكان أردشير وأنوشروان إذا زارا وزيراً من وزرائهما أو عظمياً من عظمائهما
للتعظيم لالفير، أترخت الفرس تلك الزيارة، ونحيت بذلك التاريخ كتبهم إلى الآفاق
والأطراف .

وكانت سنة من زاره الملك للتعظيم أن ^(١)توغر ضياعه وتوسم خيله ودوابه لثلاث
أسفر، ولا تمتن ^(٢). ويأتيه خليفة صاحب الشرطة في كل يوم مع ثلاثمائة راكب ومائة
راجل، يكون يسابه إلى غروب الشمس. فإن ركب كانت الرجال مشاة أمامه،
والركبان من خلفه، ولا يحبس أحد من حامته وخاصته بلخاية جناها، ولا يحكم على أحد
من عبيده بحكم، وإن وجب على أحد من بطانته حد، وجه به إليه ليرى فيه رأيه،
ويؤثر عليه وظيفة ماعليه من نراج أرضه حتى يكون هو الحامل له، وتقدم هداياه
في النيروز والمهرجانات على كل هدية وتعرض على الملك، ويكون أول من يأذن له
الحاجب، ويكون من الملك إذا ركب عن يمينه منزويًا، وتكون مرتبته إذا قعد
عن يمينه، وإذا خرج من دار المملكة، لم يقعد بعده أحد.

(١) في سه : "توغر"، وفي صه : "يوغر". يقال أوغر الملك الرجل الأرمس : جعله من غير
نراج، أو هو أن يؤدى النراج إلى السلطان الأكر فراراً من المال (قاموس). وهذا المعنى الثاني هو الذى أراد
الملاحظ، لقوله بعد ذلك بحسب أسطر : "ويؤثر عليه وظيفة ماعليه من نراج أرضه حتى يكون هو الحامل له".

(٢) صه : ولا تمتن .

(٣) صه : الزجال .

(٤) سه : وعامته .

* وكانت ملوك آل ساسان لا تزور أحدًا لعلّة من هذه العلل التي قدّمنا ذكرها،
 فينصرف ^(١) بخلعة أو طيب أو تحفة أو هدية من جارية أو غلام. غير أنه كان إذا نزل
 الملك، وطأ لرجله فرسًا راعيًا بسرج مذهب وأداة تأمة، فقدم إليه إذا أراد الانصراف.
 فكان الأمر كذلك، حتى ملك بهرام بن يزدجرد. فكان ينادم الأساورة من أبناء أهل
 الشرف، فيخلع عليه في كلّ ساعة خلعة مجددة، ويشتهي الزامرة والمغنية والرقاصة
 فيأخذها. وكان أول من أطلق يده في ذلك، لغلبة اللهو عليه وإيثاره هواه.
 فأما من كان من ملوكهم قبله، فعلى الأمر الذي ذكرنا والحكاية التي أدّينا ^(٤) *



استقبال الناس
 في الأعياد

ومن أخلاق الملك القعود للعامة يومًا في المهرجان، ويومًا في النيروز. ولا يُحجَّب ^(٥)
 عنه أحدٌ في هذين اليومين من صغير ولا كبير، ولا جاهل ولا شريف. ١٠



وكان الملك يأمر بالنداء قبل قعوده بأيام، ليتأهبّ الناس لذلك. فيهيئ الرجلُ
 القصة، ويهيئ ^{ورثته} الآخر الحجة في مظالمه، ويصالح الآخر صاحبه إذا علم أن خصمه

(١) لعلّه: فتصرف. وبقية الكلام يدلّ على أن الضمير هنا يرجع للوك ولعل الفاعل مقدر ويكون

المعنى: فينصرف الملك منهم.

(٢) أى: وطأ المزور لرجل الملك الزائر.

(٣) أى الأسوار المزورة.

(٤) هذه الفقرة المحصورة بين نجمتين * متقولة عن ص.

(٥) وهذا أيضًا من مقولات الملاحظ عن آيين الفرس.

يتظلم منه إلى الملك. فيأمر الموبد أن يوكل رجلا من ثقات أصحابه فيقفون بباب العائمة، فلا يمنع أحد من الدخول على الملك. وينادي مناديه: "مَنْ حَسَّ رَجُلًا عن رفع مظلمته، فقد عصي الله وخالف سنة الملك؛ ومن عصي الله، فقد أذن بحرب منه ومن الملك."

- ثم يؤذن للناس وتؤخذ رقايعهم، فينظر فيها. فإن كان فيها شيء يتظلم فيه من الملك، يدي به أولا، وقدم على كل مظلمة. ويحضّر الملك الموبد الكبير والديربذ ورأس سدنة بيوت النار، ثم يقوم المنادي فينادي: "ليعتزل كل من تظلم من الملك!" فيمتازون. ويقوم الملك مع خصومه حتى يحنّوا بين يدي الموبد فيقول له: "أيها الموبد، إنه ما من ذنب أعظم عند الله من ذنب الملوك! وإنما خوطب الله تعالى رعاياها لتدفع عنها الظلم وتذهب عن بيضة الملك جور الجائرين وظلم الظالمين. فإذا كانت هي الظلمة الجائرة، فحق لمن دونها هدم بيوت النيران، وسلب ما في النواويس من الأكفان. ويجلسي هذا منك - وأنا عبد ذليل - يشبه مجلسك من الله غدا. فإن آثرت الله آثرك، وإن آثرت الملك عذبك." فيقول له الموبد: "إن الله إذا أراد سعادة عباده، اختار لهم خيرا أهل أرضه. فإذا أراد أن يعرفهم قدره عنده، أجرى على لسانه ما أجرى على لسانك." ثم ينظر في أمره وأمر خصمه بالحق والعدل. فإن صح على الملك،

التظلم من الملك إلى القاضي

١٢٤

(١) سمه، صمه: الدرديد. [بأنظر صفحة ٧٧ من هذا الكتاب وحاشية ٢ منها، و صفحة ١٧٣

منه أيضا.]

(٢) في "محاسن الملوك" أن الخضم هو الذي يقول ذلك الكلام للقاضي، لا الملك. (ص ٣٩)

شئ أخذ به؛ وإلا حبس من آدعى عليه باطلاً، ونكّل به. وتودى عليه: "هذا جزء

- (١) في تواريخ الإسلام غرر كثيرة من هذا القبيل - فالخلفاء وآل بيتهم والملوك ووزرائهم كانوا يساون أقل الخصوم في مجلس القاضي ويجري عليهم الحكم الشرعي كما يجري على سائر الناس. فقد تحاكم علي بن أبي طالب أمام عمر بن الخطاب (مستطرف ج ١ ص ١١٨)، ثم تحاكم وهو خليفة مع ذي - أمام القاضي شريح (ابن خلكان في ترجمة شريح)؛ وتحاكم هشام الأموي مع صاحب حرسه أمام القاضي في دار الخلافة (ابن عبد ربه ج ٢ ص ٢٣٩)؛ وخاصم رجل من حلوان مصر الخليفة عمر بن العزيز وتوجها معا إلى مجلس القاضي فساوى بينهما في كل شئ، وقضى للرجل عليه (المحاسن والمساوي ص ٥٢٥، وفيها وفيها يلها وقائع أخرى من هذا القبيل لعمر بن الخطاب)؛ وتحاكم المأمون بن يدى القاضي يحيى بن أكثم "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٤ و"المحاسن والمساوي" ص ٣٢ و"المستطرف" ج ١ ص ١١٩؛ وتحاكم إبراهيم بن المهدي مع مجتبي شوع الطيب عند القاضي أحمد بن أبي ذؤاد "المقد الفريد" ج ١ ص ٣٣؛ وتحاكم الوزير ابن الزيات في مجلس القضاء، وفي دار الوزارة "محاضرات" الراغب ج ١ ص ١٢٣ و ١٢٤؛ وتحاكم الأشعث عند شريح القاضي "المقد الفريد" ج ١ ص ٣٤. والأمرا أشهر من أن يذكر، والوقائع أكثر من أن تحصر. وأبدع من ذلك كله ما جرى بالقاهرة في أيام الأيوبيين فقد روى السيوطي أنه في سنة ٦٣٩ للهجرة تولى عبد العزيز المعروف بهز الدين بن عبد السلام المشهور بسلطان العلماء قضاء مصر والوجه القليل. وكان قدم في هذه السنة من دمشق بسبب أن سلطانها الصالح إسماعيل استعان بالفرنج وأعطاهم مدينة صيدا وقلعة الشقيب، فأنكر عليه الشيخ عز الدين وترك الدعاء له في الخطبة، وساعده في ذلك الشيخ جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب المالكي. فغضب السلطان منهما، فخرجا إلى الديار المصرية، فأرسل السلطان إلى الشيخ عز الدين (وهو في الطريق) قاصداً يتلطف به في العود إلى دمشق. فأجتماع به ولأينه، وقال له: ما تريد منك شيئاً إلا أن تنكسر للسلطان وتقبل يده لا غير. فقال الشيخ له: يا مسكين! "ما أرضاه يقبل يدي فضلاً عن أن أقبل يده! يا قوم، أتم في وادٍ وأنا في وادٍ! والحمد لله الذي طاقا ما آبتلاكم به!" فلما وصل إلى مصر، تلقاه سلطانها الصالح نجم الدين أيوب وأكرمه وولاه قضاء مصر. فاتفق أن أستاذ داره نحر الدين عثمان بن شيخ الشيخ (وهو الذي كان إليه أمر الملكة) عمداً إلى مسجد بمصر، فعمل على ظهره =

(١)
مَنْ أَرَادَ شَيْنَ الْمَلِكِ، وَقَدَحَ فِي الْمَلِكَةِ!*

- بناءً على طبعنا، وحببت تضرب هناك. فلما ثبت هذا عند الشيخ عز الدين، حكم يهدم ذلك البناء، وأسقط نحر الدين، وعزل نفسه من القضاء. ولم تسقط بذلك منزلة الشيخ عند السلطان. وظن نحر الدين وغيره أن هذا الحكم لا يتأثر به في الخارج. فاتفق أن يجهز السلطان رسولا من عنده إلى الخليفة المستنصر ببغداد. فلما وصل الرسول إلى الديوان، ووقف بين يدي الخليفة وأدى الرسالة له، خرج إليه رساله: هل سمعت هذه الرسالة من السلطان؟ فقال: لا، ولكن حملتها عن السلطان نحر الدين ابن شيخ الشيوخ، أستاذ داره. فقال الخليفة: إن المذكور أسقطه ابن عبد السلام، فمنعنا لا قبل روايته. فرجع الرسول إلى السلطان حتى شافهه بالرسالة، ثم عاد إلى بغداد وأداها. ولما تولى الشيخ عز الدين القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الأتراك، وذكر أنه لم يثبت عنده أنهم أحرار، وأن حكم الرق مستحب عليهم ليت مال المسلمين. فبلغهم ذلك، فغضبوا، فطلب منهم، وأخضعوا الأمر، والشيخ مصمم لا يصحح لهم بيعا ولا شراء ولا نكاحا. وتعلت مصالحهم لذلك وكان من جملتهم نائب الساطة، فاستشاط غضبا. فاجتمعوا وأرسلوا إليه. فقال: نقد لكم مجلسا، ونأدى عليكم ليت مال المسلمين! فرفعوا الأمر إلى السلطان، فبعث إليه، فلم يرجع. فأرسل إليه نائب الساطة بالملاطفة، فلم يقد فيه. فأنزعج النائب، وقال: كيف ينأى علينا هذا الشيخ، ويديعنا ونحن ملوك الأرض! والله لأضربنه بسيفي هذا! فركب بنفسه في جماعته، وجاء إلى بيت الشيخ، والسيف مسلوق في يده. فطرق الباب. فخرج ولد الشيخ فرأى من نائب الساطة ما رأى، وشرح له الحال. فأكثرت لذلك. وقال: يا ولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله! ثم خرج. فحين وقع بصره على النائب، يست يد النائب وسقط السيف منها، وأرعدت مفاصله. فبكى وسأل الشيخ أن يدمعه، وقال: يا سيدي، إيش تعمل! قال: أنأدى عليكم وأبيحكم! قال: فقيم تصرف ثمتنا؟ قال: في مصالح المسلمين! قال: من يقبضه؟ قال: أنا! قم ما أراد ونأدى على الأمراء واحداً واحداً، وغالي في ثمنهم ولم يعمهم إلا بالثمن الوافي، وقبضه وصرفه في وجوه الخير. ("حسن المحاضرة" ج ٢ ص ٩٨ و ٩٩ من النسخة المطبوعة على الحجر بالقاهرة). وقد روى السبكي هذه الحكاية بتفصيل في ترجمة الشيخ عبد العزيز في "طبقات الشافعية" (ج ٥ ص ٨٠ - ١٠٧) (١) صه: أراد شر الملوك والقذح فيها بالباطل. [اقتطع صاحب "محاسن الملوك" هنا سياق الكلام، وأضاف حاشية نبه على أنها ليست من الخبر، وهذا نصها: "وذكر أن أحد خلفاء العلويين الفاطميين فعل مثل فعل هذا وجلس بين يدي قاضي القضاء محاربا خصم ولم يحرك له القاضي عند حركته للعود بين يديه وحكم القاضي بالحق بينه وبين خصمه فلما ثبت الحكم وقضى به، وشب مقبلا للأرض، جالسا دون مجلس الخليفة. فقال: والله! لو تحرك لي أولا ونجح عن حكم الحق، لضربت عنقه"]

فإذا فرغ الملك من مظالمه في نفسه، قام فحمد الله وبجده طويلاً، ثم وضع التاج، على رأسه وجلس على سرير الملك، وآلقت إلى قرابته وحامته وخاصته وقال: "إني لم أبدأ بنفسى فأُصِفُ منها إلا لئلا يطمع طامعٌ في حَيْفِي. فَمَنْ كَانَ قَبْلَهُ حَقٌّ فَلْيُخْرِجْ إِلَى خَصْمِهِ مِنْهُ، إِمَّا بِصَلَحٍ وَإِمَّا بِغَيْرِهِ."

(١) فكان أقربُ الناس إلى الملك [في الحق] كأبائهم، وأقوامهم كأضعفهم.

فلم يزل الناس على هذا من عهد أردشير بن بابك ثم هلمَّ جرَّاً حتى ملكهم يزدجرد الأثيم، ودبوا الحس النازك^(٢) ففتر سنن آل ساسان وعاث في الأرض وظلم الرعايا وأظهر الجبرية والفساد، وقال: "ليس للرعية أن تنتصف من الراعي، ولا للسوقة أن تتظلم من الملوك، ولا للوضيع أن يساوى الرفيع في حق ولا باطل." (٣)

١٠ فذكرت الأعاجم في كُتُبها وسير ملوكها أنه بينا هو قاعد في الإيوان - والناس على طبقاتهم ومراتبهم - إذ دخل من باب الإيوان فرس مسرج ملجم، لم يرقط شيئاً أحسن منه منظراً، ولا أكل أداة. فاهوى نحو يزدجرد الباركر. فقامت إليه الأساورة

المقوبة الرياه
للك الإيوان

(١) روى صاحب "محاسن الملوك" هذه الآداب كلها في نظم الناس من الملك إلى القاضى وبالخرف الواحد تقريباً عن الجاحظ. (ص ٣٩ - ٤١)

١٥ (٢) هكذا في سـ. والمشهور أنه يسمى يزدجرد المليم الأثيم، ويزدجرد الأثيم كما هو في صفحة ١١٨ من هذا الكتاب. (أنظر غرر أخبار الفرس وسيرهم للنجاشي صفحة ٥٣٩ - ٥٤٩). ولم ترد هذه الكلمات الثلاث في نسخة.

(٣) سـ: يستأدى.

(٤) صـ: يزدجرد الأثيم

(١) (٢) لتدفعه عنه . بفعل لا يدنو منه أحدٌ إلا رَحْمَةً فأرداه . وهو في خلال ذلك يقصد إلى الملك . فقام إليه يزدجرد وقال للأُسَورة : دَعُوهُ ، فإنه إلى يقصد .

فدنا منه حتى أخذ بِمَعْرِقَتِهِ^(٣) ، فذَلَّ له الفَرَسُ وتَطَامَنَ حتى ركبهُ . فلما جال في متنهِ^(٤) ، خَطَا به خُطَاً ، ثم رَدَّه إلى اقرار مجلسه ، فنزل عنه وجعل يمسحه بيده^(٥) ، مُقْبِلًا ومُدِيرًا . حتى إذا وجد الفَرَسُ منه مَمَكًا وَغَفْلَةً ، رَحَّحَهُ فأصاب حَبَّةً قَلْبِهِ ، فقتله . فقالت الفُرسُ : هذا مَلِكٌ من الملائكة ، جعله الله في صورة فرس ، فبعثه لقتل يزدجرد ، لِمَا ظلم الرعية وعاث في الأرض .^(٦)



وكان بهرام جُور بن يزدجرد في حجر النعمان بن المنذر ، مَلِك الحيرة . وضعه أبوه عنده ليتأدب بآداب العرب ويعرف أيامها وأخبارها ولغاتها . فبلغه خبر أبيه ، وأنَّ الفُرسَ مَلَكْتُ عليها رجلاً ليس من أبناء ملوكها . فاستنفض النعمان بن المنذر وأستنجده . وقال : ” إني لي عليك حقاً ، إذ كنتُ أحدَ أولادك . وإنَّ أبي قد مات ومَلَكْتُ

ماصته بهرام جُور
لأخذ ملك أبيه

(١) أى رفسه برجله أو برجليه . يقال ذلك للفرس والبغل والحمار وكل ذى حافر ، وربما استعير لذي

الحنف . (تاج العروس)

(٢) أى فاهلكه . وفي صـ : فأداره .

(٣) صـ : بعرقه .

(٤) صـ : حال .

(٥) صـ : بتوبه .

(٦) قارن ذلك بما أورده الثعالبي (في غرر أخبار الفرس) عن هذه القضية وتفاصيلها مع اختلاف .

(صفحة ٥٥١ - ٥٥٢)

الْفُرسُ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ بَيْتِ الْمُلْكِ . فَإِنْ أَنْتَ خَذَلْتَنِي ، ذَهَبَ مُلْكُ آلِ سَاسَانَ . ”
فَقَالَ لَهُ النِّعْمَانُ : ” مَا أَنَا وَآلُ سَاسَانَ ، وَهُمْ الْمُلُوكُ وَأَنَا رَعِيَّةٌ ؟ وَلَكِنِّي أُنْرِجُ مَعَكَ
فِي جَيْشِي لِتَقْوَى نَيْتِكَ ^(١) وَتَصِحَّ عِزَّتُكَ . هُم أَنْتَ أَوْلَى بِقَوْمِكَ ، وَهُمْ أَوْلَى بِكَ . ” قَالَ :
فَهَذَا أُرِيدُ .

• نَخْرُجُ النِّعْمَانَ مَعَ بَهْرَامٍ حَتَّى صَارَ بِالْمَسْدَايْنِ ، وَبَلَغَ الْفُرسَ قَدُومَهُمَا ^(٢) . فَنَخْرُجُوا إِلَى
بَهْرَامٍ ، فَقَالُوا : مَا تَرِيدُ ؟ فَقَالَ : مُلْكُ أَبِي وَإِرْثُ آلِ سَاسَانَ . قَالُوا : إِنْ أَبَاكَ سَامَنَا
الْعَذَابَ أَيَّامَ مَدَّتِهِ ، فَانْفَرَدَ اللَّهُ بِقَتْلِهِ . فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِي أَحَدٍ مِنْ عَقِيهِ . فَقَالَ بَهْرَامُ :
إِنْ جَوَّرَ أَبِي وَظَلَمَهُ لَا يُلْزِمُنِي لَأُثْمَةٌ ^(٣) ، وَلَا يُكْسِبُنِي ذِمًّا ^(٤) . وَأَنْتُمْ لَمْ تَحْبُرُونِي ، فَيَجِبُ عَلَيَّ
حَمْدُ أَوْدَمٍ . قَالُوا : فَإِنَّا قَدْ أَقْنَأْنَا رَجُلًا نَرْضَاهُ . فَقَالَ : إِنْ هَذَا فَسَادٌ فِي صُلْبِ الْمَمْلَكَةِ أَنْ
يَمْلِكُوا مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . فَإِذَا فَعَلْتُمْ ، فَأَمْتَحِنُونِي وَهَذَا الرَّجُلَ مِحْنَةً تَوْجِبُ الْمَمْلَكَةَ .
قَالُوا : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : تَعْمِدُونَ إِلَى أَسَدَيْنِ ضَارِيَيْنِ فَتَجْمَعُونَهُمَا فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ ،
وَتَضَعُونَ تَاجَ الْمَمْلَكَةِ بَيْنَهُمَا ، وَتَقُولُونَ لِهَذَا الَّذِي مَلَكَتُمُوهُ أَمْرُكُمْ يَأْخُذُهُ مِنْ بَيْنِهِمَا .
فَإِنْ فَعَلَ فَهُوَ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ وَأَوْلَى . وَإِنْ أَبَى أَنْ يَفْعَلَ ، وَفَعَلْتُ أَنَا ذَلِكَ ، كُنْتُ أَحَقُّ
بِالْمُلْكِ مِنْهُ . قَالُوا : نَعْرِضُ عَلَيْهِ هَذَا .

﴿١٧﴾

(١) صه : مُتَّكَ .

(٢) رَوَى التَّمَالِي هَذِهِ الْقِصَّةَ بِعِبَارَةٍ أَكْثَرَ اخْتِصَارًا مِنَ الْمَلْحَظِ . (غُرَرُ أَنْبَاءِ الْفَرَسِ ص ٤٨ هـ) .

(٣) صه : لَا يُلْزِمُنِي لَأُثْمَةٌ .

(٤) صه : ذِمَّتُهُ .

فقالوا ذلك له ، فقال : ما أقدرُ على هذا ، ولكن قولوا له فليفعل . فإن أخذ التاج من بين الأسدين فهو أحقُّ بالملك وأولى .

فأخذوا التاج وعمدوا إلى أسدين فأجاعوهما ثم وضعوا التاج بينهما وقالوا لبهرام : شأئك ! فترك بهرام عن فرسه وأخذ الطبرزين^(١) ومضى نحوهما . ثم بدا له بفعل الطبرزين في متعلّقه . ودنا من الأسدين فأهوى نحوه ، فأخذ برأس أحدهما فأدناه من رأس الآخر ثم نطحه به حتى قتلهما جميعا . وشدَّ على التاج فأخذه من موضعه بفعله على رأسه .

فلتكنه الفرسُ أمرهم ، وأنصرف النعمان إلى الحيرة . وسار بهرام سيرة حسنة

(١) صه : وفدوا .

- (٢) جمه طبرزيات [أنظر البيان والتبيين ج ٢ ص ٧٦] . وهذا اللفظ مأخوذ من كلمة فارسية (تبر ، تبر) ومعناها الفأس . وهي آلة للقتال عبارة عن عمود له حِدَان ، وكانوا يطلقونها في السرج ليستخدمها الفارس في وقت الزوال والبراز . وقد عرّب المشاركة وأهل الأندلس هذا اللفظ الفارسي فيما بعد فجعلوه "طبرزين" . قال في "المعجب في تلخيص أخبار المغرب" للزّاكشي (ص ٩٠) مانعه "تفرج المعتد ويسده الطبرزين ... فعلاه بالطبرزين الذي في يده ولم يزل يضربه به حتى برد" . وقال في "المحاسن والساوى" (ص ٩٣) . "وكان معه طبرزين فضربه به كسرى ... ثم ضربه بالطبرزين حتى مات" .
- (وأنظر أيضا تاج العروس ، وبرهان قاطع ، وشفاء الغليل ، وتكملة المعجمات العربية لدوزي .)

- كذلك كان الشأن عند تاج المشاركة . ولكنهم عادوا فأقتصروا على التعبير بالطبر . قال في صبح الأعشى (ج ١ ص ٣٦٥) مانعه : "الطبر . وهو باللغة الفارسية الفأس . ولذلك يسمى السكر الصلب بالطبرزد" . يعني الذي يكسر بالفأس . وإلى الطبر تنسب الطبردارية . وهم الذين يحملون الاطبار حول السلطان . . .
- وقد بقيت هذه الآلة مستعملة إلى ما بعد اختراع المدافع ثم أُنعدمت بالكلية . وكانت مستعملة بمصر إلى زمن الفتح العثماني . وقد رأيتُ منها روائع كثيرة محفوظة بدار التحف العسكرية بالقسطنطينية . وأشار إليها ابن أبياس في "بدائع الزهور في وقائع الدهور" مرات عديدة منها قوله : "وضربه بطبر كان معه على وجهه فسقط إلى الأرض مغشياً عليه" (ج ١ ص ٢٤٧) ؛ وقوله : "خرج عليهم التركان بالقسي والثنايب والسيوف والاطبار" (ج ٢ ص ١١٠) ؛ وقوله : "فلما خرجوا بهم قطعهم بالاطبار قطعاً قطعاً" (ج ٣ ص ٢٦٩)

(١)
وَعَدَلَ فِيهِمْ، حَتَّى كَانَ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنْ جَمِيعِ مُلُوكِ آلِ سَاسَانَ.
إِلَّا أَنَّ اللَّهَ وَاللَّعِبَ كَانَ أَغْلَبَ أَحْوَالَهُ عَلَيْهِ.



استقصاء الملك
لأحوال رعيته

وَمِنْ أَخْلَاقِ الْمَلِكِ السَّعِيدِ الْبَحْثُ عَنْ سِرَائِرِ خَاصَّتِهِ وَحَامَتِهِ، وَإِذْكَاءُ الْعِيُونِ
عَلَيْهِمْ خَاصَّةً وَعَلَى الرِّعْيَةِ عَامَّةً.

وَأَمَّا سُمِّيَ الْمَلِكُ رَاعِيًا لِيَفْحَصَ عَنْ دَقَائِقِ أُمُورِ الرِّعْيَةِ وَخَفِيِّ نِيَّاتِهِمْ. وَمَتَى
غَفَلَ الْمَلِكُ عَنْ فَحْصِ أَسْرَارِ رِعْيَتِهِ وَالْبَحْثِ عَنْ أَخْبَارِهَا، فَلَيْسَ لَهُ مِنْ أَسْمِ الرَّاغِي
إِلَّا رَسْمُهُ، وَمِنْ الْمَلِكِ إِلَّا ذِكْرُهُ.

فَأَمَّا الْمَلِكُ السَّعِيدُ، فَمِنْ أَخْلَاقِهِ الْبَحْثُ عَنْ كُلِّ خَفِيٍّ وَدَفِينٍ حَتَّى يَعْرِفَهُ مَعْرِفَةً
نَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ، وَأَنْ لَا يَكُونَ شَيْءٌ أَهَمُّ وَلَا أَكْبَرَ فِي سِيَاسَتِهِ وَنِظَامِ مُلْكِهِ مِنْ
الْفَحْصِ غَمًّا قَدَمْنَا ذِكْرَهُ.

الملوك والخلفاء
الذين اشتهروا
بذلك

وَلَمْ يَرْمَلِكْ قَطُّ كَانَ أُعْجِبَ فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابَك. وَيُقَالُ إِنَّهُ كَانَ
يُصْبِحُ فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ بَاتَ عَلَيْهِ مِنْ كَانَ فِي قَصَبَةِ دَارِ مَمْلَكَتِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ،
وَيُمْسِي فَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ أَصْبَحُوا عَلَيْهِ. فَكَانَ مَتَى شَاءَ قَالَ لِأَرْفَعِيهِمْ وَأَوْضَعِيهِمْ: كَانَ



(١) روى ابن خَلْفَرُوهَ هذه الحكاية والتي قبلها بطول كبير وتفصيل كثير. (أنظر "سلوان المطاع في عدوان
الأتباع" المطبوع على الحجر بالقاهرة سنة ١٢٠٨ هـ من صفحة ١٠٠ إلى صفحة ١٠٤؛ وأنظر ترجمته إلى
الإنكليزية للعلامة ميشال أماري الطلياني Michel Amari، طبع لوندرد سنة ١٨٥٢ ج ٢ ص ١٥٤-١٦٥).

(٢) ص: ودقيق.

(٣) ص: معرفة نفه.

عندك في هذه الليلة كُتِبَتْ وَكُتِبَتْ^(١) . ثم يحدثه بكل ما كان فيه إلى أن أصبح .
 فيقال إن بعضهم كان يقول إنه كان يأتيه ملك من السماء فيُخبره^(٢) . وما كان ذلك
 إلا لتيقظه وكثرة تعهده لأُمور رعيته^(٣) .

ثم كان فيمن نأى من أهل مملكته على مثل هذه الحال .
 فيقال إن الأُمم كلها، أولها وآخرها، وقديمها وحديثها، لم تخف أحدا من ملوكها
 خوفاً أردشير بن بابك من ملوك الأعاجم ومن كان قبلهم، وعم بن الخطار من
 خلفاء الإسلام^(٤) .

فإن عُمر كان علمه بمن نأى عنه من عُمَّاله ورعيته كالأمة بمنزلة بات . به في مهاد
 واحد، وعلى وساد واحد . فلم يكن له في قطير من الأقطار .^{١٠} النواحي
 عامل ولا أمير جيش إلا وعليه له عين لا يفارقه ما وجدته . فكانت ألقاؤه من المشرق
 والمغرب عنده في كل مُنْسى ومُصْبَح . وأنت ترى ذلك في كُتْبِهِ إلى عُمَّاله وعُمَّالهم

(١) بهتج التاء، وبكسرهما أى كذا وكذا .

(٢) أنظر التمهيد الذى أورده الألبانى في "المستطرف" (ج ١ ص ١٠٨) .

(٣) ورد هذا الخبر في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٣ . وكان كسرى أنوشروان أشد الناس تطلعا
 في خفايا الأمور وأعظم خلق الله تعالى في زمانه تمحضا وبحثا عن أسرار الصدور . وكان يثبت العيون على
 الرعايا، والجواسيس في البلاد ليقف على حقائق الأحوال ويطلع على غوامض القضايا . فيعلم المفسد فيقال
 بالتأديب، والمصلح فيجازيه بالإحسان . ويقول : متى غفل الملك عن تعرف ذلك، فليس له من الملك إلا
 اسمه وسقطت من القلوب هيئته . (مستطرف ج ٢ ص ١١٤)

(٤) روى ذلك في "المحاسن والمساوى" ص ١٥٣

١٤٥

حتى كان العامل منهم لبيتهم أقرب الخلق إليه وأخصهم به . فساس الرعية سياسة
(١) (٢)
أردشير بن بابك في الفحص عن أسرارها خاصة .

ثم آتفتى معاوية فعله وطلب أثره ، فانتظم له أمره وطالت له مدته .
(٣) (٢)

وكذا كان زياد ابن أبيه يمتدنى فعل معاوية كاحتذاء معاوية فعل عمر . وفيما يحكى
عنه أن رجلاً كلمه في حاجة له ، فتعترف إليه - وهو يظن أنه لا يعرفه - فقال : أصاح
الله الأمير ! أنا فلان بن فلان . فتبسم زياد وقال : تتعرف إلى ، وأنا أعرف بك منك
بأبيك ؟ والله إني لأعرفك وأعرف أباك وجدك وأمك وجدتك ، وأعرف هذا البرد
الذي عليك ، وهو لفلان بن فلان . فبهت الرجل وأرعب حتى أُرعد^(٤) [وكاد يُغشي عليه]^(٢) .
(٥) (٣)
وعلى هذا كان عبد الملك بن مروان ، والمجّاج بن يوسف .

ثم لم يكن بعد هؤلاء أحد في مثل هذه السياسة حتى ملك المنصور . فكان أكثر
الأمور عنده معرفة أحوال الناس ، حتى عَرَفَ الوليَّ من العدو والمُداجي من المُسلم^(٦) .
فساس الرعية وليسها ، وهو من معرفتها على مثل وَصَحَ النهار^(٧) .
(٨)

(١) وأنظر ما وقع له مع نفر الذين كانوا يشربون الزرغفة مع المرأة التي جاءها الخاض ،
في "المستطرف" ج ١ ص ١٠٨ رج ٢ ص ١١٤ و ١١٥

(٢) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٣) أنظر ما جاء في المستطرف (ج ٢ ص ١١٥)

(٤) روى صاحب "المستطرف" الحكاية التي أوردها الجاحظ (ج ٢ ص ١١٥ رج ١ ص ١٠٨)

(٥) "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥)

(٦) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٤ .

(٧) لبسها أي تملأ بها دهرًا طويلاً .

(٨) أنظر التفصيل الذي أوردته في "المستطرف" (ج ٢ ص ١١٥ - ١١٧)



ثم دَرَسَتْ هذه السياسةُ حتى مَلَكَ الرَّشِيدُ. فكان أَشدَّ الملوكَ بحثًا عن أسرار رعيته وأكثَرهم بها عنايةً وأحزمهم فيها أمرًا.

وعلى نحو هذا كان المأمونُ أيامه. والدليل على ما قلنا فيه ما شاهدنا من رسالته إلى إسحاق بن إبراهيم في الفقهاء وأصحاب الحديث، وهو بالشَّام. ^(١) خبر فيها عن عيب واحدٍ ^(٢) واحدٍ، وعن حالته وأُموره التي خَفِيَتْ - أو أكثرها - عن القريب والبعيد.

ثم ما عَلِمْتُ أَنَّ أحَدًا ممن كان دون السلطان الأعظم في دهرنا هذا، كان أَشدَّ على الأسرار بحثًا وأكثر لها فحَصًا حتى بلغ من هذا المجلس أقصى حدّه ^(٣) وأتَرَ نهايته ^(٤) وأبعد مداه، وجَعَلَهُ أكثر سُغْلَه في ليله ونهاره، إلا إسحاق بن إبراهيم. فحدثني موسى بن صالح بن شيخ، قال: ^(٥) كُتِبَتْ في امرأةٍ من بعض أهلنا وسألته النظر لها.

١٠

(١) ص: حصر.

(٢) كان للأُموي ألف عجز وسبعائة. يتفقَد بين أحوال الناس من الأَشقياء ومن يُحِبُّه ويُغضه ومن يُقصد حرم المسلمين، وكان لا يجلس إلى دار الخلافة حتى تأتيه كلها. وكان يدور ليلا ونهارا مستترا. (محاضرات الأوائل)

١٥

(٣) ص: عليها. [وأهل هذه الكلمة في "المحاسن والمساوي" واستعمل صيغة مطلقه فقال: ولم يكن أحد من كان أَلَحَّ. ولكنه نسي ذلك فعاد وقال حدثني موسى بن صالح وهي من كلام الجاحظ كما تراه بعد كلمات.]

(٤) هو المصعبي أمير بغداد.

(٥) روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٦) هو موسى بن صالح بن شيخ (بالشين المعجمة والياء المتناة التحتية والخاء المعجمة) ابن عميرة الأنسدي. كان من نداء الأمير إسحاق بن إبراهيم المصعبي أمير بغداد.

٢٠

وأنظر أيضا القصة التي رواها صاحب "الأعاني" في ج ٥ ص ٨٤ و ٨٥ وفيها إشارة إليه؛ وكذلك الحكاية التي رواها المسعودي عن هذا النديم في "مروج الذهب" (ج ٧ ص ٢١١ و ٢١٢). وكانت وفاته في سنة ٢٥٧ في خلافة المعتز على الله، وقد نيف على التسعين. وقُبِضَ أبْنُه بعد أن عمر ٩٩ سنة. ("مروج الذهب" ج ٨ ص ٢١٠)

فقال: يا أبا محمد! من قصة هذه المرأة ومن حالها ومن فعلها. قال: فوالله! لم يزل يصفها ويصف أحوالها حتى بهت.^(٢)

[وحدث أبو البرق الشاعر قال: كان يُجرى على أرزاقا فدخلت عليه، فقال بعد أن أشدته: "كم عيالك؟" تحتاج في كل شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا. "فاخبرني بشيء من أمر منزلي مما جهلت بعضه وعلمه كله."]

وحدثني بعض من كان في ناحيته، قال: رفعت إليه رُقعةً أسأله فيها إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فزدت في العدد. فقال: كذبت! فبهت وقلت في نفسي: يا نفس من أين علم أني كذبت! فاقت سنة لا أجترئ على كلامه. ثم رفعت إليه رُقعة أخرى في إجراء أرزاق. فقال: كم عيالك؟ فقلت: أربعة. فقال: صدقت. فوقع في حاشية رقتي: يُجرى على عياله كذا وكذا.

ولولا أن يطول كتابنا في إسحاق وذكره، لحكىنا عنه أخباراً كثيرة. وهي من هذا المجلس، وفيما ذكرناه كفاية.

التمييز بين
الأولياء والأعا

فعلى الملك أن يميز بين أوليائه وأعدائه بالفحص عن أسرارهم ودقيق أخبارهم، حتى إن أمكنه أن يعرف مبيت أحدهم ومقبيله وما أحدث فيهما، ففعل.

١٥ (١) يعني: من قصتها كبت وكبت. وقد ترك المؤلف الخبر لأنه معلوم. وهذه عادة شائعة بين أكابر الكتاب.

(٢) هذه الكلمة مضبوطة في سبب: بهت. [وهو خطأ ظاهر من النسخ. وقد روى الأبشهي هذه القصة ونسبها لأمون. (المستطرف ج ١ ص ١٠٨)] روى ذلك في "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٣) هذه الزيادة من "المحاسن والمساوي" ص ١٥٥.

(٤) رجع صاحب "المحاسن والمساوي" هنا إلى صيغة المطلق فقال: حدث بعض من كان الخ. وذكر

٢٠ القصة بتمامها وبجرونها. (ص ١٥٥)

فإن الرعية لا تسكن قلوبها جلاله ملكها - ولو عبده الجن والإنس ودانت له
ملوك الأمم كلها - حتى يكون أشد إشرافاً عليها وأكثر بحثاً عن سرائرها، من أم الفريد
عن حركته وسكونه.



وأيضاً فإنه يُقال في بعض كُتب الأوائل في مواعظ الملوك وآدابها :

بماذا تطول مدة
الملك

”إن الملك تطول مدته إذا كانت فيه أربع خصال :

إحداها، أنه لا يرضى لرعيته إلا ما يرضاه لنفسه ؛

والأخرى، أن لا يسوّف عملاً يخاف عاقبته ؛

والأخرى، أن يجعل وليّ عهده من ترضاه وتختاره رعاياه لا من تهواه نفسه ؛



والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية، فخص المُرّض عن منام رضيعها .“

وقد نجد مصداق هذا القول ونشهد به . وذلك أنا لم نرمدة طالّت لملك عربيّ
ولا عجميّ قط إلا لمن فحّص عن الأسرار، وبحث عن خفيّ الأخبار، حتى يكون
في أمر رعيته على منلٍ ومُحّ النهار.

(١) في سه : إشراف .

(٢) في سه : ”سرائرها في الفريد“ . ولما لم يكن للجملة معنى أرغضه فقد صمّمها على ما هو في المتن ليكون
المعنى ”أن الملك يجب أن تكون عنايته بهذه الأمور أكثر من عناية الأم بحركة ولدها الوحيد الفريد
وبسكونه .“ وبذلك يستقيم المعنى وينسجم الكلام . [يؤيد هذا التخرّيج قول الملاحظ بعد ذلك بستة سطور :
”والرابعة أن يفحص عن أسرار الرعية فخص المُرّض عن منام رضيعها .“]

(٣) في سه : الكتب .



واجبات الملوك
عند الأحداث
الخطيرة

ومن أخلاق الملك، إذا دهمته أمرٌ جليلٌ من فتىٍ تفر أو قتلٍ صاحب جيش
أظهر عُدُوَّ يدعو إلى خلافِ الملة أو قوةٍ مناوئٍ، أن يترك الساعات التي فيها طُهوهُ
ويجعلها وسائر الساعات في تدبير مكيدة عدوه وتجهيز جنوده وجيوشه، وأن يصرف
في ذلك شُغله وفكره وفراغه (على مثل ما فعل من مضى من ملوك الأعاجم وغيرها)
ولا يجعل للتسويق والتمنى وحسن الظن بالأيام نصيباً.

فإن هذا عجز من الملك ووهن يدخل على الملك.

سنة الأعاجم
إذا دهمتهم
الكوارث والمطامير

وكانت ملوك الأعاجم، إذا حز بها مثل هذا، أمرت بالموائد التي كانت توضع في كل
يوم أن تُرفع وظائفها، واقتصرَتْ على مائدة لطيفة تُقرب من الملك ويحضرها ثلاثة:
أحدهم مُوبدان موبد^(١) والديربذ ورأس الأساورة. فلا يُوضع عليها إلا الخبز والملح
والبقل^(٢)، فيأخذ منه شيئاً هو ومن معه، ثم يأتيه الخباز بالزماورد^(٣) فيطبق. فيأكل كلُّ

(١) في سـ: والدسوبذ. وفي صـ: الربر. | وأظن الحاشية ٢ صفحة ٧٧ وصفحة ١٦٠ من هذا الكتاب.

(٢) الخباز (هنا وفي كتب المسعودي وفي كتاب الأغاني) معناه خادم المائدة، لا بمعنى الذي يصنع الخبز. وذلك هو الذي نسميه الآن بالسمرهجي.

(٣) قال عاصم أفندي في ترجمة المعجم الفارسي "برهان قاطع" إلى اللغة التركية ما معناه "بزماورد هو طعام يسمى لقمة القاضى، ولقمة الخليفة. وهو مصنوع من اللحم المقل بالزبد والبيض. ويقال فيه أيضاً بزماورد بالراء المهملة". وقال الشهاب الخفاجي في "شفاء الغليل" ما نصه: "بزماورد، والعامة تقول بزماورد. كلمة فارسية أسعملها العرب للرقاق الملفوف باللحم. كذا في حواشي الكشف. وفي القاموس: الزماورد، اللحم من البض واللحم. وفي كتب الأدب: طعام يقال له لقمة القاضى ولقمة الخليفة. ويسمى =

- (١) منه لُقمة. ثم يرفع المائدة ويتشغل بتدبير حربه وتجهيز عساكره. ولا تزال هذه حاله حتى يأتيه عن ذلك الفتى ما يرقه، وعن ذلك العدو ما يحب. فإذا أتاه، أمر أن يُتخذ له طعامٌ مثل طعامه الأول، وأمر الخاصة والعامة بالحضور. وقامت الخطباء أولاً بالتهنئة له والتحميد لله تعالى بالفتح عليه والنصر له. ثم قام الموبد فتكلم، ثم الوزراء بخير من كلام الخطباء. ثم مد الناس أيديهم إلى الأظعمة على مراتبهم. فإذا فرغوا، بسط للعامة في ظهر الإيوان، وللخاصة في صحته بحضرة الملك. وقعد صاحب الشرطة للعامة، كعمود الملك للخاصة، ثم دعا بالمنقذين وأصحاب الملاحى.
- وكانوا يقولون: إن حق شكر النعمة أن يرى أثرها.

- بحرسان، نواله؛ ويسمى زجس المائدة ويسرومها. "والذي في شرح القاموس في مادة (ورد) يماثل هذا الكلام، ولكنه قال في مادة (زم رد) إن الزمارد دواء معروف، ووعده بشرحه في مادة (ورد) ولم يفعل. ١٠ ويتلخص من هذا البيان أن الباء أصلية في بنية الكلمة كما يشهد به صاحب "برهان قاطع" وكما يدل عليه استعمال الجاحظ. وربما رأى العرب التخفيف لحذفوا الباء من أول الكلمة. ولكن ذلك لا يجوز مع القول بأن برمارد من كلام العامة. ويكون هذا الطعام عبارة عما نسميه الآن (الكفتة). وأما لقمة القاضي فهي الآن في مصر عبارة عن صنف من الحلوى يُتخذ من الدقيق معجوناً بالسنن والسكر ثم يُقل ذلك المخلوط على أقراص مستديرة لها حوصلة رُبما تكون فوقها قطعة من القشدة. ورأيت في "كتاب مبادئ اللغة" لأبن ١٥ الخطيب الإسكافي المتوفى سنة ٤٢١ هـ ما نصه: "البرمارد هو المهنأ والميسر. وقال بعض المتأخرين: أكل الميسر من رأسين، يأسكني، * لا يستطاع ولا سيفان في غمد." وقد ذكر صاحب "الأعاني" هذا الطعام. (ج ٤ ص ١٥٤)

(١) في سمة: لقماً.

- (٢) روى ذلك صاحب "محاسن الملوك" باختصار ووقف عند هذا المكان، ثم زاد أن ملوك الفرس كانوا يقولون: "أسعد الملوك من قلب عدوه بالحيلة." (ص ١٠٥)

[وكانت الخلفاء والأمراء إذا دهمهم أمرٌ - فزعوا إلى المنابر وحرّضوا الناس على الطاعة ولزوم الجماعة.]^(١)

ما فعله معاوية
أيام صفين

وفيما يذكر عن معاوية أنه قال: ما دُفِّتْ أيامَ صفينَ حمًا ولا شعثًا ولا حلًا ولا حامضًا، ما كان إلا الخبزُ والخبزُ وخشِنُ الملح [إلى أن تم لي ما أردته].^(٢)

ما فعله عبد الملك
عند خروج ابن
الأشعث عليه

ويحكى عن عبد الملك بن مروان أن صاحب إفريقية أهدى إليه جاريةً تامة المحاسن، شبيهة المتأمل. قال: فلما أن دخلت على عبد الملك بن مروان، نظر إليها وفي يده قضيب خيزران، فصعد ببصره إليها وصوبه، ثم رمى بالقضيب. وقال: ردّيه عليّ، فوالت. فنظر إليها مقبلة ومُدبرة. فقال: أنت والله أمنيّة المتمنّي. قالت: فما يمتنعك يا أمير المؤمنين، إذ كانت هذه صفى عندك؟ قال: بيتُ قاله الأخطلُ: قوم إذا حاربوا، شدوا ما زرعهم * دون النساء، ولو باتت بأطهار.^(٣)

وكان هذا في خروج عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. ثم أمر بها أن تُصان وتُخدم. فلما فُتِحَ عليه، كانت أول جارية دعا بها.^(٣)

ما فعله مروان
ابن محمد عند ظه
العباسيين

ويحكى عن مروان بن محمد الجعدي أنه أقام ثلاثين شهرًا لم يظأ جارية إلى أن قُتِلَ. وكان إذا استهدفت إليه الجارية قال: إليك عني! فوالله لا دنوت من أنثى.^(٤)

(١) هذه الزيادة عن "محاسن الملوك" (ص ١١٠).

(٢) أورد صاحب "محاسن الملوك" هذا الخبر باختصار قليل وأضاف عليه الجملة التي زدها في المتن. (ص ١٠٥ - ١٠٦)

(٣) أورد هذا صاحب "محاسن الملوك" في صفحة ١٠٦

(٤) آخر خلفاء بني أمية [وانظر حاشية ٣ صفحة ١٠٦ من هذا الكتاب].

وَلَا حَالَتْ لَهَا عَقْدَ حَبَوَى، وَنُحْرَاسَانُ تَرْجُفُ بَنَصِيرٍ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ^(٤)!

(١) ترجف بنصر أي تضطرب به . وهو نصر بن سيار القدي ولأه هشام بن عبد الملك لإقليم نخراسان فلم يزل واليا عليه حتى وقعت الفتنة بظهور العباسيين وطلبهم الخلافة على يد صاحب الدعوة أبي مسلم الخراساني . وكتب نصر إلى مروان الجعدي آخر الخلفاء الأمويين يستنجد به بالأبيات المشهورة ، وهي :

أَرَى خَلْسَ الرَّمَادِ وَبَيْضَ نَارٍ * وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَامُ .
فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودَيْنِ تُذَكَّى * وَإِنَّ الْحَرْبَ أَوْطَى الْكَلَامُ .
فَإِنْ لَمْ تَهْلِفُوهُمَا ، تَجِبْ حَرْبًا * مُشْرِقَةً يَشِيبُ لَهَا الْفَلَامُ .
أَقُولُ مِنَ التَّعَجُّبِ : لَيْتَ شِعْرِي ! * أَلَا يَحَاطُّ أُمَيْيَّةٌ أَمْ نِيَامُ ؟
فَإِنْ يَكُ قَوْمُنَا أَصْحَا نِيَامًا ، * قُلْ : قَوْمُوا ، قَدْ حَانَ الْقِيَامُ !
فَقَرِّئْ مِنْ رِجَالِكَ ثُمَّ قُلْ : * عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ !

وأخباره معروفة ، تراها في "مروج الذهب" و"معارف" و"أبن قتيبة" و"وفيات الأعيان" و"فتوح البلدان" وأبي الفداء و"الأخاني" و"أبن خلدون" و"معجم البلدان" .

(٣) في سبه : "أبو مخزوم" . وهو تحريف من الناسخ . والإشارة هنا إلى أبي مسلم الخراساني الذي كان قد ضيق الخناق على نصر بن سيار المذكور في الحاشية السابقة . وقد لقيه مروان بأبي مجرم بدلا من أبي مسلم بمعنى أبي الذئب والإجرام . وقد بقي له هذا التبر في الدولة العباسية . فإن المنصور خاطبه بعد أن قطعه بقوله :

زَعَمْتَ أَنْ الدِّينَ لَا يُقْتَضَى ؟ * فَاسْتَوْفِ بِالْكَيْلِ ، أَبَا مُجْرِمٍ !
اشْرَبْ بِكَأْسٍ كُنْتَ تَسْقِي بِهَا ، * أَمْرٌ فِي الْخَلْقِ مِنَ الْقَلَمِ !
وَقَالَ أَبُو دُلَامَةَ : مَا غَيَّرَ اللَّهُ نِعْمَةً * عَلَى عَبْدِهِ حَتَّى يَغْيَرَهَا الْعَدُو !
أَفِي دَوْلَةِ الْمَنْصُورِ حَاطَلَتْ غَدَرَةٌ ؟ * أَلَا إِنَّ أَهْلَ الْغَدْرِ آبَاؤُكَ الْكُذُ !
أَبَا مُسْلِمَ خَوْفَنِي الْقَتْلَ فَأَتَمَّنِي * عَلَيْكَ بِمَا خَوْفَنِي الْأَسَدُ الْوَرْدُ !

وأظن أن خلكان في ترجمته ، و"شذرات الذهب" (ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩) [وأظن ص ٨٢ من هذا الكتاب] . وأظن "البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥٥" .

(٤) تلخص ذلك صاحب "معجم الملوك" (ص ١٠٦) . وقد أورد المسمودي هذه الحكاية ، فقال :
"وأقام مروان أكثر أيامه لا يدنو من النساء إلى أن قُتِلَ . وتراءت له جارية من جواربه ، فقال لها : والله لا أدنو منك ، ولا حَلَلْتُ لَكَ عَقْدَةً ، ونُحْرَاسَانُ تَرْجُفُ وَبَنَصِيرٌ بِنَصِيرٍ ، وَأَبُو مُجْرِمٍ قَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِالْمُخْتَقِ" .
("مروج الذهب" ج ٦ ص ٦٣ و ٦٤ طبع أوروبا ؛ ج ٢ ص ١٥٩ طبع بولاق)



مكايدة الملوك
في الحروب

ومن أخلاق الملوك المكايدة في حروبها .

ولذلك كان يقال ينبغي للملك السعيد أن يعمل المحاربة آخِرَ حِيلِهِ . فإن النفقة في كلِّ شيء إنما هي من الأموال ، والنفقة في الحروب إنما هي من الأنفس . فإن كان للحيل محمودُ عاقبة ، فذلك بسعادة الملك ، إذ رَجَحَ مَالَهُ وَحَقَّنَ دَمَاءَ جِيُوشِهِ . وإن أُعْيِتِ الحِيلُ والمكايدة ، كانت المحاربة من وراء ذلك .

فأسعدُ الملوك مَنْ غَلَبَ عَدُوَّهُ بالحيلة والمكر والخديعة .

وقد روينا عن نبينا (صلى الله عليه وسلم) ما يُحَقِّقُ هذا ويؤكدُه بقوله : "الحَرْبُ خِدْعَةٌ" .

١٠ وليس لأحدٍ من الخدع ما للملوك الأعاجم . والأخبارُ في ذلك عنهم كثيرة . ولنكتفي بقتصرٍ من ذلك على حديثٍ أو حديثين .

١٥ فمن ذلك ما يُذكر عن بهرام جور أنه لما ملك بعد أبيه يزدجرد ، بلغه أن ناحية من نواحي أطرافه قد أُخِذَتْ ، وغَلَبَ عليها العدو . فاستخفَّ بها وأظهر الاستهانة به حتى قَوِيَ أمرُ ذلك العدو واشتلت شوكتُه ، فكان إذا أُخِرَ بحاله ، استخفَّ بأمره وصغُرَ من شأنه ، حتى قيل إنه قد زَحَفَ إليك ووجه جيوشه إلى قراردارك . فقال : دَعُوهُ فليس أمره بشيء . فلما رأى وزراؤه تهاونه وتراخيه عن أمرِ عدوه وأستهانتَه به ، اجتمعوا إليه فقالوا : إن تراخى الملك عن عدوه ليس من سياسة الملك ولا تدبير المملكة ، وقد قَرُبَ هذا العدو من قراردار الملك ، وأمره كلُّ يوم في عُلُوٍّ . فقال بهرام : دَعُوهُ ، فإنا أعلمُ بضعفه وصغُر شأنه منكم . وأقبل على اللهو واللعب ، وترك

- (١) ما يَجِبُ عليه من الصَّمد لعدوه والقصد له ، فلما دنا عدوه منه وأشرف عليه وخاف (٢)
- الوزراء ورؤساء أهل المملكة اجتياحه ، اجتمعوا فتأمروا بينهم على توبيخ الملك وتعنيفه وإعلامه ما قد أشرفوا عليه من البوار والمملكة . وبلغه الخبر . فأمر مائتي جارية من جواريه ، فليسن الثياب المصبغة المختلفة الألوان ، ووضعن على رؤوسهن أكاليل الرِّيحان ، وركبن القصب . وفعل بهرام كما فعلن . فليسن من ثيابهن المصبوغة ، وركبن قصبته . وأذن للوزراء ، فدخلوا عليه . فلما رأهم ، صاح بالحواري . فمررن يخطرن ، وبهرام خلفهن يغني ، وهن يغنين معه ، ويصحن ويلعن . فلما رأى ذلك وزراؤه جلسوا منه واجتمعوا على خلعه . وبلغه الخبر . فدعا جارية من خاص جواريه ، وقال : لك الويل إن علم أحد من أهل المملكة ما أريد أن أفعل ! ثم أمرها أن تحلق رأسه ، فحلقته . ودعا بمدرعة صوف فتدرعها ، ونخرج في جوف الليل ومعه قوسه ونشابه .
- ١٠ وتقدم إلى الجارية أن تخفي أمره وتظهر أنه عليل إلى رجوعه إليها . ومضى وحده حتى انتهى إلى طلائع العدو . فكن في منار على ظهر الطريق . بفعل لا يمر به طائر في السماء ولا وحش في البر ، إلا وضع سهمه منه حيث أحب . وجعل يجمع كل ما صاد من ذلك ، بجمعه بين يديه حتى صار كالشيء العظيم . قال : فتربه صاحب طليعة العدو ، فنظر إلى أمر بهت له . فأخذه وقال : ويلك ! ما أنت ومن أنت ومن أين أنت ؟ قال : إن أعطيتني الأمان ، أخبرتك ! قال : فلك الأمان ! قال : أنا غلام سائس ، وإن مولاي غضب علي - وكان لي محسنا - فأوجعني ضرباً ونزع ثيابي وعلق رأسي وألبسني هذه المدرعة وأجاعني . وإن طلبت عقله ، فخرجت أطلب شيئاً أصيده

(١) الصمد هو القصد كما فسره المؤلف بعده براء العطف .

(٢) في سه "رحاق" وقد أعيدت رواية صه .

فأكله . فلما أعجبنى كثرة ما صيدت ، أردت أن أرمى بكل ما معى من هذه السهام ، ثم أنصرفت .

فأخذه حملة إلى الملك فأخبره بقصته . فقال له الملك : أرم بين يدي ! فرمى بين يديه . فكان لا يضع سهمه في طائر ولا غيره إلا أصابه حيث أراد . فبهت الملك ، وطال تعجبه . فقال : ويلك ! في هذه الملكة من يرمى رميتك ؟ فضحك بهرام ، وقال : أيها الملك ! أنا أخسهم رمية وأحقهم قدراً . وعندى جنس آخر من الثفافة . قال : وما هو ؟ قال : أدع لي يابري . فدعاه بها . فأخذ إبرة فرمى بها على عشرة أذرع ، ثم أتبعها بأخرى فشكها ، ثم أتبعها بأخرى فشكها كذلك ، حتى جعلها سلسلة قد تعلق بعضها ببعض .

فبهت الملك وملئ قلبه رعباً . فقال له : ويلك ! ملككم هذا جاهل ! أما يعلم أنى قد قرئت من قرار داره ؟ فضحك بهرام ، وقال : إن أعطاني الملك الأمان ، نصحتته . قال : قد أعطيتك الأمان . قال : إن ملكاً إنما ترك استهانة بأمره ، وتصغيراً لشأنك ، وعلماً بأنك لا تخرج من قبضته . وذلك أنى أخس من في دار مملكته وأخلمهم ذكراً . فإذا كنت - وأنا بهذه الحال - أقتل بألف سهم ألف رجل ، فما ظنك بالملك ، وله مائة ألف عبد في قرار داره ، أصغرهم شأنًا أكبر مني ؟ فقال له الملك : صدقتني فيما قلت ! ولقد خبرت عن بهرام من تصغيره لشأني واستخفافه بأمرى ما طابق خبرك . وما تركنى أبلغ هذا الموضع من ملكي إلا لما ذكرت .

فأمر عظيم جيشه أن يتجمل من ساعته . ونادى في الناس بالرحيل . ثم خرج لا يلوى على شيء ، وأطلق بهرام . فانصرف بعد ثالثة حتى دخل داره ليلاً . فلما أصبح ،

قَعَدَ لِلنَّاسِ وَدَخَلَ عَلَيْهِ الْوُزَرَاءُ وَالْعُظَمَاءُ . فَقَالَ : مَا عِنْدَكُمْ مِنْ خَبَرٍ عَدُونَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرُوهُ
بَانْصِرَافِهِ عَنْهُمْ . فَقَالَ : قَدْ كُنْتُ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ صَغِيرُ الشَّأْنِ ، ضَعِيفُ الْمُنَّةِ ^(١) .
وَلَمْ يَعْلَمْ أَحَدٌ مِنْهُمْ مَا كَانَتِ الْعِلَّةُ فِي أَنْصِرَافِهِ ^(٢) .

وَكَانَ كَسْرَى أَبَرْوِيزَ ، بَعْدَ بَهْرَامِ جُورَ ، صَاحِبَ مَكَايِدَ وَيَخْدَعُ فِي الْحُرُوبِ وَنِكَايَةِ
فِي الْعَدُوِّ ^(٣) .

مكاييد أبروير

وَكَانَ قَدْ وَجَّهَ شَهْرَ بَرَّازَ لِمَحَارَبَةِ مَلِكِ الرُّومِ ، وَكَانَ مُقَدِّمًا عِنْدَهُ فِي الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ ^(٤) .

(٥)

(١) أَى الْقُوَّة .

(٢) نَقَلَ هَذِهِ الْحِكَايَةَ بِالْحَرْفِ صَاحِبُ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ" (ص ٣٤ - ٣٨) ، وَنَلَّصَهَا صَاحِبُ "مُحَاسِنِ
الْمُلُوكِ" (ص ١٠٧) .

(٣) الْحِكَايَةُ الْآتِيَةُ تَقْلِّهَا أَيْضًا صَاحِبُ كِتَابِ "تَنْبِيهِ الْمُلُوكِ وَالْمَكَايِدِ" الْمُنَسُوبُ لِلْجَاحِظِ ، وَفِيهَا تَحْرِيفٌ
كَثِيرٌ وَسَقَطٌ مُتَوَالٍ وَأَضْطِرَابٌ فِي التَّعْيِيرِ (ص ٢٢ - ٢٦) .

(٤) فِي سَمِّهِ : شَهْرُ يَزَادَ . وَهُوَ تَصْحِيفٌ مِنَ النَّاسِخِ ، وَفِي صَمِّهِ : شَهْرُ يَارُوقَ . وَهَذَا تَصْحِيفُ ابْنِ الْأَثِيرِ
هَذَا الْأَسْمَ بِمُحَلُّوهِ شَهْرِ يَزَادَ وَشَهْرِ يَزَادَ ، كَمَا صَحَّفُوهُ فِي نَسْخِ "مَرْوَجِ الذَّهَبِ" بِمُحَلُّوهِ مِثْلِ صَمِّهِ شَهْرُ يَارُوقَ
(وَقَدْ صَحِّحَهُ الْعَلَامَةُ بَارْبِيئَةُ دُومِينَارُ فِي تَرْجُمَتِهِ بِمُحَلُّهِ شَهْرِ يَارُوقَ مِطَابَقًا لِلأَسْمِ الْوَارِدِ فِي تَوَارِيخِ الرُّومِ) .
وَأَمَّا الصَّحِيحُ فَهُوَ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ . (أَنْظُرْ جَمِيعَ الْمُؤَرِّخِينَ وَخُصُوصًا الثَّمَالِيَّ فِي "غُرَرِ أَخْبَارِ مُلُوكِ الْفَرَسِ" ^(٥)
(ص ٧٠١ حَيْثُ أُورِدَ هَذِهِ الْقِصَّةُ) . وَأَنْظُرْ ابْنَ الْأَثِيرِ . (ج ١ ص ٣٤٦ - ٣٤٩) وَقَدْ أُورِدَ قِصَّةُ
أُخْرَى فِي سَبَبِ انْتِقَاضِ شَهْرِ بَرَّازَ فِي الْخَلْدِيَّةِ الَّتِي اسْتَعْمَلَهَا أَرْوِزُ لِهَيْلَةِ مَلِكِ الرُّومِ عَنْهُ . (وَأَنْظُرْ "التَّنْبِيهِ
وَالْإِشْرَافَ" ص ١٥٦ وَ ١٥٧) .

وَقَدْ أُورِدَ هَذِهِ الْقِصَّةُ بِرَوَايَةِ أُخْرَى فِي "مُحَاسِنِ وَالْمَسَاوِي" ص ١٣٦ - ١٣٧ . وَهِيَ الْفَائِدَةُ "شَهْرُ بَرَّازَ"
عَلَى الْوَجْهِ الصَّحِيحِ الَّذِي اعْتَمَدْنَاهُ فِي الْمَتْنِ .

٢٠

(٥) فِي سَمِّهِ : نَكَاتٌ .

والسالة ويمن النقية، فكان شهر براز قد ضيق على ملك [الروم] أقرار داره وأخذ بمُخَنِّقِهِ
 حتى هم بمُهادننه ومَلَّ محاربتَه وطلَبَ الكَفَّ عنه. فابى ذلك عليه شهر براز.
 واستعد له ملك الروم بأفضل عُدَّة وأتم آلة وأخذ شوكة. وتأهب للقائه في البحر
 بجاءه في جمع لا تُحصى عِدته. قد أعد في البحر كل ما يحتاج إليه من مالٍ وسلاح
 وكرّاج وآلة وطعام وغير ذلك، والسفن مشحونة موقرة. فبينما هو كذلك إذ عصفت
 ريح في تلك الليالي فقلعت أوتاد تلك السفن كلها وحملتْها إلى جانب شهر براز،
 فصارت في ملكه. وأصبح ملك الروم، قد ذهب أكثر ما كان يملك من الأموال
 والخزائن والعدد والسلاح. فوجه شهر براز بتلك الخزائن والأموال إلى أبرويز. فلما
 رأى أبرويز ما وجه به شهر براز، كبر في عينه وعظم في قلبه. وقال: ما نفْسُ أحقَّ يطيب
 الشاء ورفيع الدعاء والشكر على الفعل الظاهر من شهر براز! جاد لنا بما لا نسُخو به
 النفوس ولا تطيب به القلوب! بجمع وزراءه وأمر بتلك الأموال والخزائن فوضعت
 نُصبَ عينيه، ثم قال لوزرائه: هل تعلمون أحدا أعظم خطراً وأمانةً. وأحرى بالشكر
 من شهر براز؟ فقامت الوزراء فتكلم كل واحد منهم، بعد أن حمد الله وشكره ومجده،
 وأنفى على الملك وهناه، ثم ذكر ما خصَّ الله به الملك من يمن نقيية شهر براز وعفاهه
 وطهارته وتبلة وعظيم عنايته. حتى إذا فرغوا، أمر بإحصاء تلك الأموال والخزائن.
 ثم قام أبرويز فدخل إلى نساائه. وكان لللك غلام يُقال له رُسْتَه، وكان سيِّء الرأي
 في شهر براز. فقال: أيها الملك! قد ملأ قلبك قليل من كثير، وصغير من كبير، وتافه
 من عظيم، خانتك فيه شهر براز وآثر به نفسه. ولن كان الملك، مع رأيه الثاقب
 وحزمه الكامل، يظن أن شهر براز أدنى الأمانة، لقد بعد ظنه من الحق وخس

(١٥٢)

(١) نصيبه . فوقع [في] نفس أبرويز ما قال رُستَه ، فقال له : ما أَطُنُّكَ إِلَّا صادقًا . فما
الرأيُ عندك ؟ قال : تَكْتُبُ إليه بالقدم وتُوهِّمُهُ أَنَّ بك حاجةٌ إلى مناظرته ومشاورته
في أمرٍ لم تُجْزِ الكتابة به . فإنه إذا قَدِمَ ، لم يُخَلِّفْ ما يَلِيكَ وراءه ، إذ كان لا يدرى
أيرجعُ إلى ما هناك أم لا . فيكون كلُّ ما يَقَامُ به نُصَبَ عينيك .

فكتب أبرويز إلى شهر براز يأمره بالقدم عليه لمناظرته ومشاورته في أمرٍ يَدِقُّ
عن الكتاب والمراسلة .

فلما مضى الرسول ، أرفده برسولٍ آخر . وكتب إليه : "إني قد كنتُ كتبتُ إليك
أمرَك بالقدم لأناظرك في مُهِمٍّ من أمرى . ثم علمتُ أَنَّ مقامك هناك أقدمُ في
عدوك وأنكى له وأصلحُ للكل وأوفرُ على المملكة . فأقيم وكن من عدوك على حذر ،
ومن يغزته على تيقُّظ . فإنه مَنْ ذهب ماله ، حمل نفسه على التلف أو الفلج (٢)
والسلام !"

وقال للرسول الثانى : إن قَدِمْتَ فرأيتَه قد تأهبَ للخروج إلى وظهر ذلك
في عسكره ، فادفعْ إليه هذا الكتاب . وكتبَ : "أما بعد ، فإني كتبتُ إليك وقد
استبطلتُ جوابَ قدومك وحركتك . وعلمتُ أَنَّ ذلك لأمرٍ تُصلحه من أمر نفسك
أو مكيدهِ عدوك . فإذا أتاك كتابي هذا خلَّفْ أخاك على عَمَلِك وأغِذْ السير ولا تُعْرج
على مُهِمٍّ ولا غيره . إن شاء الله !" . وإن لم تره استعدَّ للخروج ولا تأهب له ، فادفع
إليه الكتاب الأول .

(١) في سمه : "نفسه" . ولعل الصواب : "نصيبه" . قال في القاموس : "نَحَسَّ نصيبه جعله خسيسا

دنيا حقيقا" . ولم ترد هذه الكلمة ولا التي قبلها في صـ

(٢) في سمه : الفتح ، وفي صـ : الحذف . وقد صححتُ بما في المتن ليكون المعنى أن الذى يذهب ماله
يركبُ أختن المراتب فإما أن يتلف وإما أن يظفر وينجح . لأنه : "يؤن في حالة يأس يحمل على المارة"

فقدِمَ الرسولُ الثاني، وليس لشهر براز في الخروج عزمٌ ولا خاطرٌ، ولا همٌّ به. فندفع إليه الكتاب الأول. فقال شهر براز: أولُ كلِّ قِتْلَةٍ حِيلةٌ. وكان خليفة شهر براز بيباب الملك قد كتب إليه ما كان من قول رُسْتَةِ للملك وما كان من جواب الملك له. ثم تازعت أبرويزَ نفسُه ودعاه شَرُهْبُهُ إلى إعادة الكتاب إلى شهر براز بالقدوم عليه.

فلما قرأ شهر براز كتابه الثالث قال: كان الأمر قبل اليوم باطنًا، فأما اليوم فقد ظهر. فلما علم أبرويز أن نية شهر براز قد قَسَدَتْ وأنه لا يقدم عليه، كتب إلى أنخى شهر براز: "إني قد وليتُكَ أمرَ ذلك الجليش ومحاربة ملك الروم. فإن سَلِمَ لك شهر براز ما وليتُكَ، وإلا فخاريته!"

فلما أتاه كتابه أظهره وبعث إلى شهر براز يخبره أن الملك قد ولّاه موضعه، وأمره بحاربته إن أبى أن يُسَلِّمَ إليه ما ولّاه. فقال له شهر براز: أنا أعلم بأبرويز منك. هو صاحب حِيلٍ ومكايد، وقد قَسَدَتْ نيته لي ولك. فإن قَتَلَنِي اليوم، قَتَلَكَ غداً؛ وإن قَتَلَكَ اليوم، كان على قَتْلِي غداً أقوى^(١).

ثم إن شهر براز صاحمَ ملك الروم، لما خاف أبرويز. وتوثق كلُّ واحدٍ منهما من صاحبه. واجتمعا على محاربة أبرويز. فقال له شهر براز: دعني أتولى محاربته، فأنتي

(١) هذه رواية ص ٥. وأما سه فروايتها: بقدر

(٢) رواية آبن الأثير في هذا الموضوع أحسن وأمتن. ومعملها أن شهر براز لما امتنع عن إجابة كسرى، بعد طلبه ثلاث مرّات، أهر الملك بعزله وبتولية أخيه فرخان الذي كان معه، وأمره بقتله. فلما أراد فرخان أن يقتله، قال له شهر براز: أمهلني حتى أكتب وصيقي. ثم أحضر درجاً وأخرج ثلاثة كتب من كسرى بأمره فيها بقتله، وأطلعها عليها، وقال له: أنا راجعتُ فيك أربع مرّات ولم أقتلك، وأنت تقتلني في مرة واحدة. فاعتذر فرخان إليه وأعادته إلى الإمارة. وأتقنا على موافقة ملك الروم على كسرى. (ج ٢ ص ٣٤٨)

أَبْصُرْ بِمَكَائِدِهِ وَعَوْرَاتِهِ ^(١) . فَأَبَى عَلَيْهِ مَلِكُ الرُّومِ ، وَقَالَ : بَلْ أَقِمُّ فِي دَارِ مَمْلَكَتِي حَتَّى أَتَوَلَّى أَنَا مُحَارِبَتَهُ بِنَفْسِي . فَقَالَ شَهْرَبَرَّازُ : أَمَّا إِذَا آتَيْتَ عَلَى فُلَانٍ مَصُورًا لَكَ صُورَةً ، فَأَعْمَلْ بِمَا فِيهَا وَامْتِثِلْهَا .

ثُمَّ صَوَّرَ لَهُ كُلَّ مَنْزِلٍ يَنْزِلُهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَبْرُويزَ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، وَأَيُّ الْمَنَازِلِ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَقِيمَ فِيهِ ، وَأَيُّهَا يَجْعَلُهَا طَرِيقًا وَسَيْرًا مَاضِيًا حَتَّى إِذَا أَقَامَهُ مِنْ طَرِيقِهِ كُلِّهِ عَلَى مِثْلِ وَصَحِّحِ النَّهَارَ ، قَالَ لَهُ : فَإِذَا صَرْتَ بِالنَّهْرَوَانِ ، فَأَقِمْ ذُوْنَهُ وَلَا تَقْطَعْهُ إِلَيْهِ ، وَاجْعَلْهُ مَنْزِلَكَ وَجَهْزُ جِيُوشِكَ وَعَسَاكَرِكَ إِلَيْهِ .

فَمَضَى مَلِكُ الرُّومِ نَحْوَهُ . وَبَلَغَ أَبْرُويزَ الْخَبْرُ فَضَاقَ بِهِ ذَرْعَهُ ، وَأَرْبَحَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ . فَكَانَ أَكْثَرُ جُنُودِهِ قَدْ تَفَرَّقُوا لَطَلَبِ الْمَعَاشِ ، لِقَطْعِهِ عَنْهُمْ مَا كَانَ يَجِبُ لَهُمْ مِنْ إِقْطَاعَاتِهِمْ وَأَرْزَاقِهِمْ . فَبَقِيَ فِي جُنْدٍ كَالْيَتَامَى أَكْثَرُهُمْ هَزَلًا ^(٢) (١٥٦)

وَكَانَ مَلِكُ الرُّومِ يَعْمَلُ عَلَى مَا صَوَّرَهُ لَهُ شَهْرَبَرَّازُ فِي طَرِيقِهِ كُلِّهِ ، حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ عَلَى النَّهْرَوَانِ ، عَسَكَرَ هُنَاكَ وَاسْتَعَدَّ لِلْقَاءِ أَبْرُويزَ . وَقَدْ بَلَغَهُ قَلَّةُ جُمُوعِهِ وَتَفَرُّقُ جُنُودِهِ وَسُوءُ حَالِ مَنْ بَقِيَ مَعَهُ . وَكَانَ فِي أَرْبَعِمِائَةِ أَلْفٍ ، قَدْ ضَاقَتْ بِهِمُ الْفِجَاجُ وَالْمَسَالِكُ ، فَطَمِعَ فِي قَتْلِ أَبْرُويزَ وَلَمْ يَسْكُ فِي الظَّنِّ بِهِ .

فَدَعَا أَبْرُويزَ رُجُلًا مِنَ النَّصَارَى ، كَانَ جَدُّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَى جَدِّ النَّصْرَانِيِّ وَأَسْتَنْقَذَهُ ^(٣) مِنْ الْقَتْلِ أَيَّامَ قَتْلِ مَائِي ، وَكَانَ مِنْ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ آسَنَجَابُوا لَهُ . فَقَالَ لَهُ أَبْرُويزُ : قَدْ عَلِمْتُ مَا تَقْدُمُ مِنْ أَيْادِينَا عَنْدَكُمْ ، أَهْلَ الْبَيْتِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا . قَالَ : أَجَلُ أَيُّهَا الْمَلِكُ ! وَإِنِّي لَشَاكِرٌ ذَلِكَ لَكَ وَلَا بَأْسَكَ . قَالَ : نَخَذُ هَذِهِ الْعَصَا وَآمِضُ بِهَا إِلَى شَهْرَبَرَّازَ ، فَأَتِيهِ فِي قَرَارِ

(١) ضمه : وعوراته .

(٢) أى اضطرب .

(٣) أى مهزولون مَرَضَى . [والذى فى سمه : مهزلا وضرا] .

مَلِكُ الرُّومِ، فَأَدْفَعَهَا إِلَيْهِ مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِهِ . وَعَمِدَ إِلَى عَصَا مَثْقُوبَةٍ، فَأَدْخَلَ فِيهَا كِتَابًا صَغِيرًا مِنْهُ إِلَى شَهْرِ بَرَّازٍ: "أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا وَأَسْتَوْدَعُكَ الْعَصَا . فَإِذَا جِئَكَ، فَخَرِّقْ دَارَ مَمْلَكَةِ الرُّومِ، وَأَقْتُلِ الْمُقَاتِلَةَ، وَأَسْبِ الْبَذْرِيَّةَ، وَأَنْهَبِ الْأَمْوَالَ، وَلَا تَرُكَنَّ عَيْنًا تَطْرِفُ وَلَا أُذُنًا تَسْمَعُ وَلَا قَلْبًا يَعِي، إِلَّا كَانَ لَكَ فِيهِ حُكْمٌ . وَأَعْلَمُ أَنِّي وَائِبٌ بِمَلِكِ الرُّومِ يَوْمَ كُنَّا وَكُنَّا . فَلْيَكُنْ هَذَا وَقْتُكَ الَّذِي تَعْمَلُ فِيهِ مَا أَمَرْتُكَ ."

(١٥٧)

قَالَ: وَأَمَرَ لِلنَّصْرَانِيِّ بِمَالٍ وَجَهَّزَهُ، وَقَالَ: لَا تُعَرِّجَنَّ عَلَى شَيْءٍ وَلَا تُقِيمَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا . وَإِيَّاكَ ثُمَّ إِيَّاكَ أَنْ تَدْفَعَ الْعَصَا إِلَّا إِلَى شَهْرِ بَرَّازٍ، مِنْ يَدِكَ إِلَى يَدِهِ!

ثُمَّ وَدَّعَهُ وَمَضَى النَّصْرَانِيُّ . فَلَمَّا عَبَّرَ النَّهْرَ وَأَنَّ، أَتَفَقَّ أَنْ كَانَ عُبُورُهُ مَعَ وَقْتِ ضَرْبِ النَّوَاقِيسِ . فَسَمِعَ قَرَعَ عَشْرَةِ آلَافِ نَاقُوسٍ أَوْ أَكْثَرَ . فَأَنْهَمَلَتْ عَيْنَاهُ وَقَالَ: يَبْنَؤُ الرَّجُلُ أَنَا، إِنْ أَعْنَتْ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ وَأَطَعْتُ أَمْرَ هَذَا الْجَبَّارِ الظَّالِمِ!

١٠

فَأَتَى بَابَ مَلِكِ الرُّومِ، فَاسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَأَذِنَ لَهُ . فَأَخْبَرَهُ بِقِصَّةِ أَبْرُويزَ حَرْقًا . ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِ الْعَصَا، فَأَخَذَهَا وَنَظَرَ فِيهَا . ثُمَّ اسْتَخْرَجَ الْكِتَابَ مِنْهَا فَقَرَأَ عَلَيْهِ . فَخَرَّ، وَقَالَ: خَدَعَنِي شَهْرُ بَرَّازٍ! وَلَئِنْ وَقَعْتُ عَيْنِي عَلَيْهِ، لَا أَقْتُلَنَّهُ!

وَأَمَرَ فُقُوزَ بْنَ بَيْتَهِ مِنْ سَاعَتِهِ، وَنَادَى فِي النَّاسِ بِالرَّحِيلِ . وَخَرَجَ مَا يَلُوى عَلَى أَحَدٍ.

١٥

وَوَجَّهَ أَبْرُويزَ عَيْنًا لَهُ يَحِيثُ بِهِ بَخْبَرُهُ . فَانْتَصَرَفَ إِلَيْهِ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ الْمَلِكَ قَدْ مَضَى مَا يَلْتَفِتُ لَفْتَةً . فَضَحِكَ أَبْرُويزُ، وَقَالَ: إِنَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً هَزَمَتْ أَرْبَعًا أَلْفَ جَلِيلٍ قَدَرُهَا وَرَفِيعٌ ذِكْرُهَا^(١)!

(١٥٨)

(١) والعرب تقول: أَفْقَدُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، كَلِمَةً خَفِيَّةً. ("العقد الفريد" ج ١ ص ١٦٥)

الكتاب

وإذ قد آتينا إلى هذا الموضع من كتابنا هذا، وأخبرنا بأخلاق الملوك في أنفسها، وما يجب على رعاياها لها، بقدر وسع طاقتنا، فلنختم كتابنا بهذا ذكر من بعثنا على نظمها، وكان مفتاحا لتأليفه-وجمعه.

ولنقل أنا لم ترفى صدر هذه الدولة المباركة العباسية ولا في تاريخها وأيامها إلى هذه الغاية فتي اجتمعت له فضائل الملوك وآدابها ومكارمها ومناقبها، فجاز الولاية من هاشم والخليفة من خلفاء بني العباس الطيبين، والتبني من المعتصم بالله وإخوته الأبرار من أئمة المؤمنين وورثة خاتم النبيين، عدا الأمير الفتح بن خاقان مؤلى أمير المؤمنين.

فلتهنئه هذه النعمة المهداة! وبارك له واهبها، وزاده إليها الدأب عليها حتى يبلغ به أرفع يفاعها وأسنى ذروتها وأعلى درجاتها، في طول من العمر وسلامة من عوادي الزمان وغيره ونكباته وعثراته! فإنه رحيم كريم!

في آخر النسخة السلطانية ما نصه:

تم الكتاب المبارك بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه. والحمد لله وحده!

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا!

حسبنا الله ونعم الوكيل!

١٥

تكميل للروايات

و

تصحیحات مطبعية

تكميل

لبعض الروايات والملاحظات الانتقادية التي وضعتها في حواشي هذا الكتاب .
والقصد من هذا التكميل أن تزداد فوائده لمن يعينهم استيفاء بحث خاص أو التوسع
في مطلب مما جرى به قلمُ الجاحظ .

صفحة ١١ (حاشية ١)

١ - ورد اسم "ميسرة" في كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٢٨) ولكن الجاحظ نمت فيه بلقب
"القياس" ووصف مقداراً كله ، وما ذا كانت يصنع إذا أجهده الكتلة . كذلك أين أبي الحديد
(ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) تكلم عن هذا الأكل وأعطاه لقباً آخر وهو "الرأس" بدلاً من
"التراس" أو "البراش" . ولا شك أن هذه الألفاظ كلها محرقة من لقب واحد من مادة واحدة . ولو اعتبرنا
كتابتها فجددناها متقاربة في الشكل والصورة . وهذه التحريفات مصدرها إهمال النساخين المأخوذ .

٢ - أورد الجاحظ ذكر "قاسم الثمار" وبعدها عبه والعبت به في كتبه . وقد وصفه بطول العتب ،
وأشار إلى بعض فوائده وأحواله ، هو وأبنة ، الذي كان شرسية بآية .

ويستفاد من كلام الجاحظ أنه كان معاصراً له .

أظهر كتاب "التربيع والدوير" (ص ٨٩ و ١٠١) ؛ وكتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٣
وخصوصاً ص ١٦١) ؛ وكتاب "الحيوان" (ج ٥ ص ٦١) ؛ وكتاب "البغلاء" (ص ٢١٥ و ٢١٦)
بأكلمها ؛ و"الحاسن والأضداد" (ص ٩ حيث سماه : القاسم الثمار) .

٣ - ذكر الجاحظ "أبا همام السنوط" في كتاب "البغلاء" (ص ٢٢٨) ، وسماه السنوط ،
وصفه بالأكل . وقد ذكره أيضاً في كتاب "الحيوان" (ج ١ ص ٥٥) .

٤ - مما يجب بيانه في موضوع المشهورين بكثرة الأكل في الإسلام أن ابن أبي الحديد نص (في شرح نهج البلاغة ، ج ٤ ص ٣٢٤ - ٣٢٦) على أن الذي منهم هو "أبو الحسن بن أبي بكر الحسن بن علي ابن العلاف" أي ابن الشاعر الشهير بابن العلاف . وقد ورد ذكر هذا الابن عرضا في "وفيات الأعيان" لابن خلكان فقال عنه : "وهو الأكل الملقب في الأكل ، في مجالس الرؤساء والملوك" . ثم قال عنه في موضع آخر : "وهو المشهور بكثرة الأكل" (ج ١ ص ١٩٤ ، ٣١٠ طبعة بولاق سنة ١٢٧٥ أي في ترجمة أبيه الحسن بن العلاف ، ثم في ترجمة علي بن العرات) .

٥ - ذكر ابن أبي الحديد أيضا "هلال بن أشعر" وهو نفس الذي سميناه "هلال بن الأسمر" . لأن حصة اسمه بالسین المهملة . (أنظر "تاج العروس" في مادة - س ع ر - وفي مادة - ر زم - وأنظر ترجمته في "الوفاء بالوفيات") . وهو هو الذي سميناه في حاشية صفحة ١١ من التاج : "هلال ابن مسعر" والغلط من الكتب التي نقلنا عنها وأشرنا إليها في تلك الحاشية .

٦ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسما جديدا يجب ضمه إلى إخوانه وهو "عنبسة بن زياد" إن لم يكن هو "عبيد الله بن زياد بن أبيه" رجلا واحدا . فإن تحريف "عيد" إلى "عنبسة" ليس ببعيد .

٧ - أضاف ابن أبي الحديد لنا اسما جديدا آخر ، وهو "أبو خارجة" الذي روى لنا الجاحظ أخباره وقال عنه إنه يضرب به المثل . (أنظر "الحيوان" ج ٥ ص ١٤٧) .

٨ - هذا وأنا أعتقد أن "مزودا" الذي ذكرته في ضمن أسماء الأكلة في تلك الحاشية إنما هو "مزرد" وهو لقب ضراد بن الشاخ . والتحريف راجع إلى تلك الكتب التي نقلت اسمه عنها . وأنظر "تاج العروس" في مادة - زرد - وإن كان لم يخبرنا بأنه من الأكلة .

٩ - وقد نقل ابن أبي الحديد عن كتاب "الأكلة" لـ داين - الذي ذكرناه في آخر تلك الحاشية - أحوالا وأخبارا تراها في الجزء الرابع من "شرح نهج البلاغة" (ص ٣٢٤ - ٣٢٦) .

صفحة ١٢ (حاشية ١)

عرفنا الملاحظ إبراهيم بن السدي بن شاهك ، فقال في رسالة "مناقب الترك وعامة جُند الخلافة" إنه "كان عالماً بالدولة شديداً لحب لأبناء الدعوة وكان نظم المعاني ، ونظم الألقاظ . لو قلت : لسانه كان أرد على هذا الملك من عشرة آلاف سيف شهر وسمان طرير ، لكان ذلك قولاً ومذهباً" .
وعرف به الملاحظ أيضاً في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٩) بقوله :

كان رجلاً لا نظير له ، وكان خطيباً ، وكان ناسباً ، وكان قصباً ، وكان عروضياً وحافظاً للحديث ، وروية للشعر ، شاعراً . وكان نظم الألقاظ ، شريف المعاني . وكان كاتب القلم ، كاتب العمل . وكان يتكلم بكلام وُزْبة ، ويعمل في الخراج يعمل زاذان فروخ الأعور . وكان منبجاً ، طيباً . وكان من رؤساء المتكلمين ، وعالماً بالدولة وبرجال الدعوة . وكان أحفظ الناس لما سمع ، وأقلهم نوماً ، وأصبرهم على السهر .

صفحة ١٦ (حاشية ١)

أضف على البيانات التي أوردتها فيها عن استعمال لفظة "الاستكفاء" بمعنى التولية وتقليد المناصب قول الملاحظ نفسه :

قال يزيد بن معاوية لسلم بن زياد حين ولاه على خراسان : إن أباك كفى أخاه عظيماً ، وقد استكفيتك صغيراً . فلا تتكلن على عذر مني لك ، فقد أتكتلت على كفاية منك . وإياك مني ، قبل أن أقول : إياي منك . فإن الفلن إذا أخلف منك ، أخلف مني فيك . وأنت في أدنى حفظك ، فأطلب أقصاه . وقد أتميتك أبوك ، فلا تريحن نفسك . وكفى لنفسك ، تكن لك . وأذكر في يومك أحاديث غلك ، تسعد . إن شاء الله !
(البيان والتبيين ج ١ ص ١٤٩ ثم ص ٢٠٤) .

صفحة ١٦ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن ابن أبي الحديد رأى في "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ٣٨٠) نصه
الرجل الذي أراد ما يورث أن يمتعه قبل أن يؤثمه قضاء للقضاء .

صفحة ١٩ (حاشية ٢)

أضف على ما أورده من البيانات بخصوص الآتين أن الجاحظ نفسه قد استعمل هذا اللفظ ثلاث مرات
في كتاب "البخلاء" طبع ليدن فقال :

١ - الآتين فيأمنن فيه أن تكون إذا كنت أنا الجالس وأنت المأرأ أن تبدأ أنت قسماً فأقول أنا حينئذ
مجيئاً لك : وطيبكم السلام . (ص ٢٧) .

٢ - وإن كنت آكل ، فهما آتين آخر . وهو أن أبدأ أنا فأقول هلم ! وتجب أنت فضول : هيناً !
فيكون كلام بكلام . فإنا كلاماً بفعال ، وقولاً بآكل ، فهذا ليس من الإنصاف . (ص ٢٨) .

٣ - لحضار الجندى إنما هو شئ . من آتين الموائد الرفيعة . وإنما جعل كالعاقبة والخاتمة ، وكالعلامة
للسر والفراخ ، وأنه لم يحضر للتزويق والتخريب . (ص ١٠٣) .

هذا وقد ذكر ياقوت في الجزء الثاني من معجم الأدباء (ص ٥٩) قولا من الفهرست أن أحمد بن محمد
ابن نصر الجيهاني ألف "كتاب آتين" و"كتاب الزيادات في كتاب آتين في المقالات" .

صفحة ٢٠

الحكاية الواردة في متن هذه الصفحة قد أوردها الجاحظ بنصها ونفسها مع زيادة كلمتين فقط
في "اليان والتبيين" (ج ١ ص ٢٣٣) . ثم أوردها أيضاً في كتاب "البخلاء" (ص ١٩٣) :

ورعه نقلها ابن عبد ربه في "المقد الفريد" . بدليل نقله أيضاً للكلام الذي عقب به الجاحظ في موضوع
آخر من باب الاستطراد .

صفحة ٢٠ (حاشية ١)

أضف إلى ما كتبته عن بلال بن أبي بردة ما ذكره لنا المباحظ من أنه خطب بالبصرة يوماً ، فرأى الناس
 أنه استحسنوا كلامه ، فقال لهم : " لا يمتكم سوء ما تطلبون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون منا " .

(البيان والتبيين ج ١ ص ٢٠٨)

وقد ذكره المباحظ في مواضع كثيرة من كتاب " البخلاء " (ص ٧٥ و ١٦٢ و خصوصاً ص ١٦٩)
 حيث أورد له كلمة ضافية في المقارنة بين البخل والكرم ، وتفضيل الكرم .

صفحة ٢٠ (حاشية ٢)

كان الجارود بن أبي سبرة - ويكنى أبا مفضل - من أئمة الناس وأحسنهم حديثاً . وكان راية علامة ،
 شاعراً مفلحاً . وكان من رجال الشيعة . ولما استنطقه الجهاج قال : ما ظننت أن بالعراق مثل هذا .
 وكان يقول : ما أمكنني وال من أذنه إلا غلبت عليه ، ما خلا هذا اليهودي (يعني بلال بن أبي بردة) .
 وكان عليه متعابلاً . فلما بلغه أنه (أي الجهاج) رفقه (أي بلالاً) حتى رقت سانه وجعل الورق خصيه
 أنشأ يقول :

لقد قرصني أن ساقيه رقا * وأن قوى الأوتار في البيضة اليسرى

بطلت وراجعت الخيانة والحقا * فيسرك الله المقدس المسرى

فاجذع سوء نرب الدوس جوفه * يعالجسه التجار يبرئ كما تسرى

(إنما ذكر الخصية اليسرى ، لأن العامة تقول إن الولد منها يكون .

(البيان والتبيين ج ١ ص ١٢٦ و ١٢٧)

صفحة ٢٤ (حاشية ١)

الشائع عند العرب استعمالهم "الأساورة" بصيغة الجمع . ولكنهم كانوا يستعملون المفرد أيضا . والامثلة كثيرة ، نختار منها ما أورده الجاسق في كتاب " الحيوان " (ج ٦ ص ١١٤) حيث قال " بصُرْتُ بفهد على قاذب ظلوة ، فسميتُ إليه ، وأنا أسواركا تملون . فوالله ! ما أخطأتُ حاقَ لِهْزِيهِ حَتَّى رَزَقَ اللهُ عليه الظفر " .

صفحة ٤٣ (سطر ٨)

ما يجب تعليقه على ما رواه الجاسق بخصوص تهاون الأمين إبّان محاصرة الجيوش له في بغداد ، أن صاحب "بدائع البدائنه" رأى القصة الآتية (في صفحة ٦٨) وهي :

خرج كوثر ، خادم الأمين ، لينظر الحرب أيام محاصرة طاهر بن الحسين وهرثمة بن أعين لبغداد ، فأصابه سهم غرب ، ففرحه . فدخل على الأمين يبكي لألم الجراحة . فلم يتالك الأمين أن جعل يمسح عنه الدم ويقول :

ضربوا قرّة عيني ، * ومن أجلى ضربوه !
أخذ الله قلبي * من أناس أوجعوه ...

ثم أرتج عليه . فاستدعى الفضل بن الربيع وأمره بإحضار شاعر يُجيزُ البيتين . فاستدعى لذلك عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي وأنشدهما له فقال :

ما لئن أهوى شبيه ، * فبه الدنيا تنه !
وصله حلوه ، ولكن * هجره مر كرية !
من رأى الناس له الفضل عليهم ، حسدوه !
مثل ما قد حسد القا * ثم بالملك أخوه .

فأمر الأمين له بوتر ثلاثة أبغل دراهم .

صفحة ٤٣ (حاشية ٣)

أضف على ما أوردته في هذه الحاشية شرحاً للفظ "أور" ما أوردته الجاحظ في "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٢٧) وهو :

قال جعدة بن هيرة :

أي من بني مخزوم، إن كنت سائلاً، * ومن هاشم أمي، نسيب قليل !
فن ذا الذي "يأي" على بحاله، * وغالى على، ذو الدنى، وعقبيل ؟

صفحة ٤٤ (حاشية ١)

الشجرة المعروفة عند العرب باسم "المرحة" تكلم عنها علماء النبات من الإفريق مثل العلامة "فورسكال" قديماً، والأستاذ "شويقرت" الموجود الآن .

قال الأول : CADABA farinosa ; foliis ovatis, oblongis, farinosis.
Descr. Folia alterna, semipollicaria, farinosa-tomentosa, plana, integra, obtusa, alterna. Pedunculi racemi ramorum terminales. Rami recentes tomentoso-farinosi. Nectarium album, parvum lingua tubo angustiore revoluta. Petala 4, undulata. Stamina inserta pedicello germinis in fr. medium.

Arab. ʿasal. alīʿ Korrah vel Saerah سرح Usus antitoxicus : dum rami recentes & minores masticantur ; vel pulveris forma eduntur.

(P. Forskal, *Descriptiones plantarum flora Aegyptiaco-Arabicae* : pp. 68)

Sserahh. Saerah سرح 140 Cadaba c) farinosa Forsk. : وقال الثاني مانعه :
(Schweinfürth G., *Arabische Pflanzennamen aus Aegypten, Algerien und Jemen* : p.p. 117)

ولكن شرح هذين العالمين ينطبق على نعيم أي شجيرة، مع أن المفهوم من كتب اللغة العربية أنها شجرة كبيرة .

صفحة ٤٧ (حاشية ٤)

أضف على ما بها من المعلومات أن الملاحظ أورد البيانات الخاصة بأبي أحيحة وعمامته (في "اليان والتبيين" ج ٢ ، ص ٧٧٠) فقال مانعته : " وكان أبو أحيحة سعيد بن العاص إذا أعتِم بمكة لم يتمّ معه أحد . هكذا في الشعر . ولعلّ ذلك أن يكون مقصورا في بني عبد شمس . وقال أبو قيس بن الأسلت :

وكان أبو أحيحة ، قد علمتم ، * بمكة غير مهتمّ ذميم .
إذا شدّ العصابة ذات يوم * وقام إلى المجالس والنصوم ،
فقد حرمت على من كان يمشي * بمكة غير مدخل سقيم .
وكان البنديريّ غداة جمع ^(١) * يدافعهم بلقمان الحكيم .
هو البيت الذي بُنيت عليه * قرين السّر في الرمن القديم .
وسطت ذوائب الفرعين منهم ، * فانت لباب سرهم الصميم ! ^(٢)

صفحة ٤٨ (حاشية ٦)

أضف ما أفادناه صاحب كتاب "الفهرست" عن أبي حسان الزبدي أنه . كان "فاضيا فاضلا ، أدبيا ناسبا ، جوادا كريما يعمل الكتب وأكمل له ، وكانت له خبرة حسنة كبيرة ... ومات ... سنة ٢٤٣ ، وله سبع ومائة سنة وأشهر . وله من الكتب : كتاب مغازي عروة بن الزبير ، كتاب طبقات الشعراء ، كتاب ألقاب الشعراء ، كتاب الآباء والأهات . (عن كتاب "الفهرست" ص ١١٠) .

(*) يذلل كتيه من ناجي الكتب وطابعها فيقولون " العاصي " في هذا الرجل وفي عمرو بن العاص وعيرهما من أبناء هذا البيت . والحقيقة أنه من "العوص" لا من "العصيان" . ولذلك يقال لهم "الأعياص" (راجع "الأشتقاق" لأبن دربد و"لسان العرب" وغيرهما من كتب الأنساب واللغة والأدب) .

(١) السّميّ الحسن المشي والحسم . (أنظر اللسان ج ٥ مادة - ب ح ت ر -) .

(٢) أي توسّطت فكنته أنت الواسطة بين الفرعين .

هذا ، وقد أوهمني عبارة أبي المحاسن عند كلامه على السنة الثانية من ولاية عبدة بن إسحاق على مصر
أن التكرار قلأ أبا حسان الزيادي هذا قضاء الشرقية ، أن المقصود هو إقليم الشرقية بدار مصر . ذلك خاطئ
سبق إلى رمي ، وأنا أبرأ إلى الله منه . لأن الشرقية التي تولت قضائها أبو حسان الزيادي هي أحد شق
بغداد . وقد وصفها اليعقوبي (أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب) فقال : " وإنما سميت الشرقية
لأنها قد روت مدينة الهدى قبل أن يعزم [أبو جعفر المنصور] على أن يكون نزول الهدى في الجانب الشرقي
من دجلة . فسُميت الشرقية ؛ وبها المسجد الكبير ، وكان يُجمع فيه يوم الجمعة ، وفيه منبر . وهو المسجد
الذي يجلس فيه قاضي الشرقية " . (أنظر كتاب البلدان لليعقوبي طبع لندن سنة ١٨٦٠ صفحة ١٧) .

صفحة ٥٢ (حاشية ٢)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ قد شرح لنا " التايغ " بقوله : فالتايغ ، لا يشبه زبر وليس له غاية
دون التاف . (كتاب " البغلاء " ص ١٨٣) .

صفحة ٥٣ (سطر ١٤)

أورده الجاحظ " في البيان والتبيين " أيضا (ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٤ (سطر ١ - ٢ من المتن)

روى الجاحظ مقولة الشعبي في " البيان والتبيين " (ج ١ ص ١٦٦) . ولكن طابعه أورده " تناهدا " .
بدلاً من " تناهدا " التي في طبعتنا قلاعن ص . والظاهر أن هذه الثانية أفضل ، لأن السياق يدل عليها .

صفحة ٥٤ (سطر ٣ - ٧ من المتر)

روى الجاحظ أيضا في "البيان والتبيين" الحديث الذي كان بين المأمون وبين سمويه بن سلم بشأن استحسان الخليفة له فيما يديه من "حسن الإفهام وحسن الفهم". (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦ ، وفيها اختلاف طفيف في بعض الألفاظ مما لا عبرة به) .

صفحة ٥٤ (حاشية ١)

أضف إلى الرواية التي أشرنا إليها أن الجاحظ روى كلمة عمرو بن العاص أيضا في "البيان والتبيين" برواية ثانية فيها اختلاف في اللفظ لا المعنى ، وهي مغايرة لرواية المبرد التي أشرنا إليها في تلك الحاشية . (أنظر "البيان والتبيين" ج ١ ص ١٦٦) .

صفحة ٥٦ (حاشية ٤)

في "المخصص" لأبن سيده شرح "المهم الطائر، والمهم القرب" (ج ٦ ص ٧٦) . [وأنظر عن "المهم القرب" ما أورده في صفحة ١٩٤ عن تكميل مبدعة ٤٣ ص ١٠] .

صفحة ٥٨ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبها على أبي بكر الهذلي ما قاله الجاحظ عنه في "البيان والتبيين" (ج ١ ص ١٣٦) أنه كان قاصا وعالمًا يثنا وعالمًا بالأخبار والآثار . وقد سواه (ج ٢ ص ١٢٠) "سلي" ونقل عنه هذه الكلمة : "إذا جمع الطعام أربعة ، فقد بكل ؛ إذا كان حلالا ، وكثرت عليه الأيدي ، وسمى الله على أوله ، حُمِدَ على آخره" . ف على ذلك ما قاله الجاحظ . ذلك الكتاب أيضا (ج ١ ص ١٣٦) من أنه كان خطيبا قاصا وعالمًا بالأخبار والآثار ؛ وأنه لما ناظر أهل الكوفة قال : "لنا الساج والساح

والله يابج والخراج والنهر العجاج“ . وقد روى الجاحظ هذه الكلمة في كتاب “الحيوان” (ج ٧ ص ٧٢) على هذا المثال : “نحن أكثر منكم عابجا وساجا وديابجا وخراجا” ، ونسبها للأحنف بن قيس فيما نغربه على أهل الكوفة ، ثم قال الجاحظ : ويقال إنها من كلام خالد بن صفوان أو من كلام أبي بكر الهذلي . وقد أورد الجاحظ هذه الكلمة في كتاب “البيان والتبيين” (ج ١ ص ١٨٤) ولكنه اقتصر على نسبتها للهذلي هذا ، دون غيره .

صفحة ٦٠ (حاشية ١)

أضف على الخلاصة التي كتبناها عن رزق بن زباج ما رواه الجاحظ من أن عارية هم به فقال له رزق : “لا تُسَيِّئَنَّ بِي عَدُوًّا أَنْتَ وَقَمْتَهُ^(*) ، وَلَا تُسَوِّأَنَّ بِي صَدِيقًا أَنْتَ سَرَّيْتَهُ ، وَلَا تَهْدِمَنَّ مَنْ رَكَا أَنْتَ بَنِيَّتَهُ ! هَلَّا أَقْبَى حَلِكَ عَلَى جَهْلِي وَإِسَاءَتِي ؟” (البيان والتبيين ج ١ ص ١٣٧) . . . التي استمال بها الناس لمباينة مروان بن الحكم بالخلافة (في الكتاب المذكور ص ١٤٧) . . . التبيين“ (ج ١ ص ١٨٠) كلمة عبد الملك بن مروان التي قلناها عن “المقد الفريد” في تلك الحاشية . فلا بد أن يكون ابن عبد ربه قد أخذها عن الجاحظ .

صفحة ٦٠ (حاشية ٣)

أضف على ما ذكرته عن أسماء بن خزيمة الفزاري أن الجاحظ بن يوسف الثقفى لما بلغه موته ، قال : “هل سمعتم بالذي عاش ما شاء ثم مات حين شاء ؟” (البيان والتبيين ج ١ ص ١٠٣ ، ١٧٧) .

(*) وقمته أى قهرته وأذلك . [حاشية عن طابع “البيان والتبيين”] .

صفحة ٦١ (حاشية ١)

أضف عليها ما أورده الجاحظ في كتاب "الحيوان" حيث قال :

١ - المقرب تقع في يد السور، فيلب بها ساعة من الليل، وهي في ذلك مسترخية "مستخذية" لا تضربه (ج ٤ ص ٧٢) .

٢ - ولولا أن الأبت [هو هو البثاق] على حال يعلم أن الصقر... قد أعطى في سلاحه وكفه فضل قوة، لما "استخذى" له ولما أطمعه فيه بهربه (ج ٦ ص ١٠٣) .

٣ - ولولا أن الهرمين في الحرب خاية الإيمان ثم لحقت [الهرة]، لقطعت وهو "مستخذى" (ج ٧ ص ٤٧) .

(صفحة ٦٢ - ٦٥)

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن آتشان أنوشروان لمن خانه في حربه . والبارتان يكاد لفظهما يكون واحدا . على أن النص الوارد في روايتنا قد استوفى نصيبه من التصحيح والتحقيق (أنظر كتاب المحاسن والأضداد طبع العلامة نانفلوتز ص ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٦٥ (حاشية ٣)

أولا - ورد اسم خالد بن يزيد في أثناء الكلام . وقد رأيت من الواجب زيادة التعريف به لأنه من السابقين إلى إدخال علوم الفلسفة في اللغة العربية . فقد روى لنا عنه صاحب "كتاب الفهرست" بعض الشيء ووصفه بأنه "حكيم بن أمية" . ولكن المعلومات التي أوردها عنه تدل على أنه كان منقطعا إلى الكيمياء . أما الجاحظ فقد أظهر لنا فضله الكبير في خدمة الأدب والعلم ، فقال : إنه "كان خطيبا شاعرا ، فصيحيا جامعا ، جيد الرأي كثير الأدب . وكان أول من ترجم كتب النجوم والطب والكيمياء . " (اليان والتبيين ج ١ ص ١٢٦) .

وأنا أزد على ذلك أن هذا الأمير كان مرثىا لثلاثة ، فلما حرمها أقطع لخدمة العلم والأدب ، فأبقى لنفسه
نحرا باقيا على مدى الأبد .

وليت امرء الشرق في هذا العصر يقتدون به ، لينفعوا أنفسهم ووطنهم وأمتهم !!!

ثانيا - أنظر أيضا مكاتبات عبد الملك بن مروان ومروان بن - سيد الأشدق (في "اليان والبيان"
ج ٢ ص ١٨٥) ، وتلقيب سيد بطيم الشيطان (ج ١ ص ١٥٢ و ١٨٤) ، وأسبابا لطيفة في تسميته
بالأشدق (ج ١ ص ١٩١) .

ثالثا - ذكرت في هذه الحاشية قول ابن الزبير "إن أبا ذئبان قتل لعليم الشيطان" . وأعلم أن
"أبا ذئبان" هو كما في "لسان العرب" (لقب غلب على عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي ، لفساد
كان في فقه . والعرب تكنى الأبخر "أبا ذباب" وبعضهم يكتبه "أبا ذبان" . قال الشاعر مشبرا إلى هشام
أمن عبد الملك بن مروان :

لَمَّا لَبَّيْتُ مَالَتِ بِيَ الرِّيحُ مِيلَةً * عَلَى ابْنِ أَبِي الدُّبَّانِ ، أَنْ يَتَدَمَّأَ .

وقال الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٣ ص ١١٨) : "يقال لكل أبخر : أبو ذئبان . وكانت -
فيما زعموا - كنية عبد الملك بن مروان . وأئنه قول ابن خرابة :^(١)

أَمْسَى أَبُو ذُبَّانٍ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ * خَلَعَ عَنَانُ قَادِحٍ مِنَ الرَّسَنِ .

وقد صفت يعتنا لأبن الحسن" .

هذا ، وقد أورد الجاحظ في كتاب الحيوان معلومات عن "لعليم الشيطان" (ج ٦ ص ٥٥) ، كما أن بافوت
ذكر في "معجم الأدباء" أن لوط بن مخنف له كتاب في مقتل عمرو بن سعيد بن العاص ، المعروف بالأشدق
وبطيم الشيطان . (ج ٦ ص ٢٢١) .

(١) هكذا بالنسخة المطبوعة ، والتعريف فيها كثير . وصحة أسم هذا الشاعر هو "أبو خرابة"
(بالهاء المهملة ثم الزاي المعجمة) فإنه من الذين نرجوا مع آمن الأشعث على الخليفة عبد الملك بن مروان
(أنظر "الأغان" ج ١٩ ص ١٥٢ ؛ وأنظر "المشتبه" للذهبي طبع ليدن ، ص ١٦٠) .

وقد روى الجاحظ في كتاب "الحيوان" (ج ٦ ص ١٠٣) أن بعض بني مروان قال في قتل عبد الملك
عمر بن سعيد :

كأن بني مروان إذ يقتلونه * بغاث من الطير أجمعين على صقر!
[أى إن هذا من العجب] .

صفحة ٦٧ (حاشية ٣)

أضف على البيانات التي أوردتها عن "البان" أن أحد الشعراء المتأخرين قد وصفه بما يدلنا على هيئته
وشكله ، فقال :

لله بستانٌ حللنا دوحه * في جنّةٍ قد فتحت أبرابها !
والبانٌ تحسبه بستانياً رأته * قاضي القضاة ، فنفت أذنانها !
(بدائع الزهور لابن إلياس ج ١ ص ١٢٩)

صفحة ٧٥ (حاشية ٢)

أضف على الشواهد التي أوردتها ما قاله صاحب "لسان العرب" في مادة - رهن - وهذا نصه :
الرهيّة الرهن ، والماء للبالغة ، كالشئمة والنشم ، ثم استعملا بمعنى المرهون .

صفحة ٧٨ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاحظ نفسه تكفل بشرح "تحصن الفرس" ، فقال في كتاب "الحيوان"
(ج ٢ ص ٥٠) مانعه : "فما قول في فرس تحصن تحت صاحبه - وهو في وسط موكبه - وغبار الموكب
قد حال بين أسنانه بعضهم لبعض ، وليس في الموكب يجز ولا رمكة ، فيلتفت صاحب الحصان فيرى يجزاً
أو رمكة على قاب عرض أو عرضين أو غلوة أو علوتين ؟ حدثني : كيف شتم هذا الفرس تلك الفرس الأثني ؟".
ففي ذلك تأكيد تام لما توهمته بطريق التخمين عند شرحى كلمته هناك . وكأنني كنت أنظر بنور الله إلى
هذا الشرح حيناً أوردت حكاية قايقي ، سلطان مصر .

صفحة ٨١ (حاشية ٤)

روى الجاحظ أيضا مسامرة سعيد بن سلم للحليفة الهادي بنفس ألقاها التي أوردتها في "الناج" وقال : إن الحليفة نَعَسَهُ بـ "الخان" (البيان والتبيين ج ٢ ص ١٥) .
فأنت ترى أن جميع الروايات قد تطابقت على هذا التمت ، دون غيره .

صفحة ٨٩ (حاشية ١)

أورد الجاحظ في كتاب "الحيوان" أيضا ما قاله طُوَيْسُ المُنَنَّى لبعض ولد عثمان بن عفان (أعنى هو سعيد آمن عثمان بن عفان) ثم عقب عليه بقوله : ولو قال شهدت زفاف أمك الطيبة إلى أبيك المبارك ، لم يحسن ذلك . [وأنظر مقدمة هذا الكلام في الجزء الرابع ص ١٩] .

صفحة ٩٥ - ٩٧

أورد في كتاب "المحاسن والأضداد" المنسوب إلى الجاحظ ما رواه الجاحظ عن أمتهان أبرويز لرداله في حفظ الحرم . والبارتان تكادان تكونان بلفظ واحد ، غير أن التي عندنا قد أخذت حظها من العناية في التصحيح .
(أنظر "المحاسن والأضداد" طبع العلامة فان فلوتن بمدينة ليدن صفحة ٢٧٧ - ٢٨٠) .

صفحة ٩٩ (حاشية ١)

أحلت القارئ على بعض المراءن التي يرى فيها تفاصيل شافية عن بيت النار المعروف باسم "النو بهار" .
وأزيد على ذلك أن ابن فضل الله الممرى تكلم عنه في "مسالك الأبصار في ممالك الأمصار" (ج ١ ص ١٦٦ ، ج ٢ ص ١٥٥ و ١٥٦ من النسخة المحفوظة بدار الكتب الخديوية التي نقلها بالفتوغرافية عن نسخة السلطان المؤيد شيخ ، الموجودة الآن بخزانة طوب قوبر بالقسطنطينية) .

صفحة ١٠٢ (سطر ٨) وصفحة ١٠٣ (سطر ٦)

لجاسط شرح لطيف على قولهم : " المخبون لا محمود ولا مأجور " . (أنظره في كتاب " البغلاء " ص ٢٧ و ٢٠٣) .

صفحة ١٠٧ (حاشية ٣)

أوردت في آخر هذه الحاشية التي اتصلت بصفحة ١٠٨ معلومات عن الجعد بن درهم بحسب ما وصل إليّ
أجتهدى بعد مراجعة كثير من الكتب ، وذكرت المصنفات التي عثرت فيها على شيء من هذا القليل . ثم رأيت
ترجمته في " شرح العميون " لأبن نباته (ص ١٥٩) فأحييت لفظ النظر إلى ذلك ، وإن كان في الحقيقة
لا يحنو على شيء ، يذكر أكثر مما أتيت عليه .

صفحة ١٠٨ (حاشية ٢)

أوردت في المتن اسم " سلم بن مجالد " اعتماداً على رواية حماد ، وأشرت في الحاشية إلى أن صاحب
" المحاسن والمساوي " قد أورد القصة . ولكن فاتني أن أقول إنه سماه " سليمان بن مجالد " . وأنا أضيف
الآن أن ابن أبي الحديد روى هذه القصة أيضاً في " شرح نهج البلاغة " وسماه مثل صاحب " المحاسن
والمساوي " أي " سليمان " وقال إنه " مولى بن زهرة وكانت له من السفاح منزلة عظيمة " (وأورد تفصيلات
أوفى . أنظرها في ج ٢ ص ٢٠٧) .

وقد أوردته في النسخة الحالية لكتاب " التاج " صحيحاً : " سليمان بن مجالد " .

صفحة ١٠٩ (حاشية ١)

أضف على هذه الحاشية أن الجاسط نفسه روى بعض المكاتبات التي دارت بين معاوية وبين قيس
ابن سعد بن عباد أمير مصر من قبل علي بن أبي طالب (في " البيان والتبيين " ج ١ ص ٨٢) ، وكذلك
ابن أبي الحديد (في " شرح نهج البلاغة " ج ٢ ص ٢٣ - ٢٤) .

صفحة ١٠٩ (حاشية ٣)

أضف على هذه الحاشية: "ومن خطبة أبي حمزة الخارجي: وأما بنو أمية، فقرة ضلالة، وبطشهم بطش جبرية. يأخذون بالظن، ويقضون بالهوى، ويقطون على الغضب، ويحكمون بالشفاعة، ويأخذون الفريضة من غير موضعها ويضعونها في غير أهلها." (عن "اليان والتبيين" ج ١ ص ١٩٥) :
وقال أيضا: آثار الإمامة على ملك الجبرية. (من كتاب فضائل الترك، ص ٤١)

صفحة ١١٠ (حاشية ٣)

أضف على الخلاصة التي أوردتها عن صباح بن خاقان رأى الجاحظ فيه أنه "كان ذا علم وبيان، ومعرفة وشدة عارضة، وكثرة رواية مع سخاء واحتمال وصبر على الحق ونصرة للصديق وقيام بحق الجار". ("اليان والتبيين" ج ١ ص ٣٦).

صفحة ١١٦ (حاشية ١)

أضف على المعلومات التي أوردتها عن "أبن دأب" ما رواه الجاحظ في "اليان والتبيين" (ج ١ ص ١٢٤، ١٢٥).

صفحة ١١٨ - ١٢٠

أضف إلى الحواشي التي كتبها عن علامات الانصراف ما أورده الجاحظ في "اليان والتبيين" (ج ٢ ص ٦٠).

صفحة ١١٩ (حاشية ٤)

أضف إلى شرح لكلمة "محصرة" قول ابن سيده: "المحصرة ما يشير به الملك إذا خطب" (عن المخصص ج ١١ ص ١٨) . وأما الجاحظ نفسه فقد وثق هذا الموضوع حقه في "كتاب العسا" الذي أدمجه في كتاب "البيان والتبيين" وقال فيه (ج ١ ص ١٣٩) مانعه: "كانت المحاصر لا تفارق أيدي الملوك في مجالسها، ولذلك قال الشاعر:

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رِجَالٍ رِيحُهَا عَيْقٌ * يَكْفُ أَرْوَغَ فِي عِرْزِيهِ قَتِيمٌ^(١).

وأنظر بقية الأبيات هناك . وقد أورد الجاحظ هذا البيت في "الحيوان" (ج ٣ ص ١٥٢) وعلق عليه بقوله: لأن الملك لا يختصر إلا بهويته لئلا يضيع.

وأنظر أيضا كتاب "العسا" لأسامة بن منقذ، وقد طبعه العلامة هرتويغ دونبرغ Hartwig Derenbourg في ضمن كتابه على أسامة بن منقذ Ousâma Ibn Mou'kidh, un émir syrien aux premiers siècles des croisades.

صفحة ١٢١ (حاشية ٢)

ذكرت في هذه الحاشية شاعر قريش "عمرو بن أذينة" . وما يجب التنبيه إليه أن هناك رجلا آخر اسمه "عمرو بن أذينة" . وقد علط صاحب القاموس فوصفه بأنه "شاعر" . وترتب على ذلك أن الشارح وقع في التخليط مع أن شبهه عرف الصواب فنص على (أن الصحيح أنه "ابن أذينة" تصغير أذن) . ولكن الشارح رد على ذلك بأن الصاغاني نسب هذا القول إلى العامة . (أنظر "تاج العروس" ج ١٠ ص ٣) . والتحقيق أن "عمرو بن أذينة" منسوب إلى جدته "أذينة" . وأما أبوه فهو حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة . وقد قتله زياد بن أبيه في أيام معاوية (أنظر "الكامل" للبرد طبعة ليبسك ص ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٩٢، ٥٩٣) .

أما "عمرو بن أذينة الشاعر" ، شاعر قريش ، فقد عاش إلى أيام الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان . ونسبه وأخباره وأشعاره كثيرة جدا تراها في "الأغاني" خصوصا في الجزء ٢١ ص ١٦٢ - ١٧١ (وأنظر فهرسه أيضا) .

(١) الأروع: الذي يروعك ويعجبك لحسه أو شجاعته .

صفحة ١٢٣ (حاشية ١)

أضف على ما أوردته عن استعمال "السكينة" أن صاحب بدائع البدائ (ص ٢٢٧) قد أشد لأبن قلاؤس الإسكندري مرتجلا :

أنا الفقيه يعطيه * وسكينة قد أجودت صفالا ،
فقط بالبرق بدر الدجى * وناول كل هلال هلالا .

صفحة ١٢٤ (س ١ من المتن ، ثم ح ١)

إنفقت النسخ على التعبير بلفظ "الحوى" عن المكان الذى قد ينأى فيه الملك . وكنت أثرت استعمال "الحاوى" لأنه من اصطلاحات الفلاسفة . والآن أرى أن الرجوع إلى اللفظ الأول أفضل . لأنه وارد فى جميع النسخ الثلاث ، ولأن اللغة لا تمنع من ذلك .

صفحة ١٢٩ (س ٢)

شرح الجاحظ الملال وشهوة الاستبدال فى كتاب "البيان والتبيين" . (ج ٢ ص ١٥٨) .

صفحة ١٣١ (حاشية ٥)

ترى تعريفًا لطيفا عن ابن أبي عتيق فى الجزء الثانى من كتاب "الحيوان" (ص ٢٨) .

صفحة ١٤٣ (سطر ٦ وما يليه)

قارن ما كتبه الجاحظ فى "التاج" عن رأى الناس فى المشهور المتداول بما أورد فى كتاب "الحيوان" (ج ٢ ص ٣٦) مما يدخل تحت هذه الباب ويندج فى ذلك المعنى .

صفحة ١٥٥ (حاشية ١ و ٢)

أضف على هاتين الحاشيتين أن الجاحظ يقول إن الموسوس غلفاء بن الحارث "كان يتغلف" ويغلف أصحابه بالغالية، فُسِّمَ "غلفاء" بذلك "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ١٦١).
قال في الصحاح "وتغلف الرجل بالغالية وتغلف بها لحية غلفاً، ومعد يكرب بن الحرث بن عمرو أخو شريحيل بن الحارث يُلقَّبُ بالغلفاء لأنه أول من غلف بالمسك، زعموا". ونحوه في "اللسان".
(ج ١١ مادة غ ل ف).

صفحة ١٦١ (حاشية ١).

يضاف على السطر الثالث منها أن ابن أبي الحديد روى محاكمة علي بن أبي طالب مع خصمه أمام عمر بن الخطاب "شرح نهج البلاغة" (ج ٤ ص ١٣٣).
هذا، وقد صنف أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري كتاباً خاصاً في هذا الموضوع سماه "كتاب من أحكم من الخلفاء إلى القضاة". [ذكره ياقوت الحموي في ص ١٣٧ من القسم الأول من الجزء الثالث من "معجم الأدباء".]

وقد سهوت عن ذكر شيء مما وقع من هذا القليل بالأندلس، مع علم الخاص والعام بغرام هذا القطر وعن كانوا فيه. فرأيت أن أتلأ في الآن ذلك الإهمال بالإحالة على ما حصل من قاضي قضاة قرطبة محمد بن بشير (المصري الأصل) مع الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ومع عمه ووزيره (وأنظر التفصيل الوافي في تقع الطيب، ج ١ ص ٣٩٥ طبعة بولاق، ج ١ ص ٥٥٥ طبعة لندن؛ وفي كتاب بنية المتنس للضي طبعة مدريد، ص ٥١؛ وفي كتاب التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار، طبعة مدريد، ص ٩٠؛ وفي كتاب المدارك للقاضي عياض، التي أشار إليه صاحب تقع الطيب). ومثل ذلك ما وقع أيضاً لمنذر بن سعيد البلوطي مع الخليفة الأكبر عبد الرحمن الناصر (وأخبار هذا القاضي مشهورة تجدد المعجب والمطرب منها في الكتب المذكورة - بمراجعة فهارسها) وأنظر على الخصوص تقع الطيب طبعة أوروبا (ج ١ ص ٤٧٠) وما يليها.

صفحة ١٦٦ (سطر ٣ - ٧)

أنظر ما رواه الجاحظ في كتاب "الحيوان" عن مهارة يهرام وفروسيته في صيد الخمار والوحشي .
(ج ١ ص ٩٤) .

صفحة ١٦٦ (حاشية ٢)

أضف على المعلومات التي أوردتها من "الطير" و"الطيروزين" :

١ - أن أمين جرير الطبري الشهير ذهب إلى أبي حاتم السجستاني ليأخذ عنه حديثاً في القياس . فأعاده أبو حاتم ، ثم سأله عن بلده ، فقال : طبرستان . وسأله عن سبب هذه التسمية ، قال : لا أدري . فقال أبو حاتم : إن المسلمين بعد أن فتحوا هذا الإقليم شرعوا في بناء المدينة . وكانت أرضاً ذات شجر ، فاتمسوا ما يقطعون به الشجر . فلهذا زعم بهذا الطير الذي يقطع به الشجر ، فسمى الموضع به . (أنظر "معجم الأدباء" لياقوت ج ٦ ص ٢٨٤) . وقد ذكر الجاحظ "الطيروزين" و"الطيرويات" في كتاب "البيان والتبيين" (ج ٢ ص ٧٦) وفي كتاب "الحيوان" (ج ٧ ص ٥٣) .

٢ - أن أهل مصر توسعوا في القرن الثامن للهجرة فأطلقوا لفظة "طبر" على السلاح جملة . يدل على ذلك قول تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب السبكي في كتاب "معيد العم ومبيد النقم" (ص ٥٠ من طبعة لوندرة سنة ١٩٠٨) : الطبردار وهو الذي يحمل السلاح بين يدي السلاطن لأجل حفظ نفسه .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٢)

يظهر من كلام الجاحظ نفسه أن التبايز عندهم كان هو الطاهي والطباخ ، وأنه هو الذي كان يقدم الطعام للخدم .

فإن ما ذكره في صفحة ١٧٣ من كتاب "التاج" بما ذكره قبل ذلك في صفحة ٢٠ . وأعتبر كلامه في "الحيوان" (ج ٤ ص ٢٦) حيث قال : إن "العرب تقول للرجل الصانع ... حَبَّازاً . إذا كان يبلخ ويعجن" . وقد قال في الجزء الخامس من : (ص ١٣٦) : "ولذلك صار الحَبَّازون المَدَّاق قد تركوا

الضأن ، لأن المعزيين شحمه ولحمه فيصلح أن يُسمَّ مرأت ، فيكون أربع لأصحاب العرس . وأنظر في الجزء السادس منه (ص ١٦٦ - ١٦٧) قصة الطباخ السدي الذي اشتراه ثمامة [بر أشرس] ثم قال عنه للمحافظ :
 ”إنه أحسن الناس خبزا وأطبخهم قدرا“ .

ورود في كتاب ”البحلاء“ للمحافظ :

- ١ — إنك لتغالي بالخباز والطباخ والشواء والخباص [أى الذى يصنع الحبيصة] (ص ٧٠) .
 - ٢ — قرب خباز أسد بن عبد الله — وهو على خراسان — شواء قد نضجه نضجا ، وكان يعجمه ما رطب من الشواء ، فقال لخبازه : أتظن أن صنيعك يخفى على ؟ (ص ١٦٠) .
 - ٣ — جاء الخبازون مرفعوا الطعام (ص ١٦٤) .
- فكل هذه النصوص تؤيد ما قلناه من أن الخباز عندهم كان هو القائم بخدمة الآكلين ، وأنه كان فوق ذلك قد يصنع بعض ألوان الطعام .

صفحة ١٧٣ (حاشية ٣)

ذكر المحافظ البرمورد في كتاب ”الحيوان“ فقال : والدجاج أكثر اللحوم تصرفا ، لأنها تطيب شواء ، ثم حارًا وباردًا ، ثم تطيب في البرمورد (ج ١ ص ٩١) . ثم قال في موضع آخر : إن ”أهل خراسان يحبون بآخذ البرمورد من فراخ الزناير ، ويعافون أذئاب الجراد الأعرابي السمين .“ (ج ٤ ص ١٥) . ثم أورد في الجزء السادس منه (ص ٢٨) أن الفضل بن يحيى استظرف برمورد الزناير حينما كان واليا على خراسان . فلما عاد إلى بغداد كان يشتهيها ، فتطلب له من كل مكان . وحكى حكاية رجل بدوى تناول الطعام على مائدة الأمير ، وقد عيره الدماء بأكل الجراد الأعرابي . ثم مالبث الرجل أن رأى القوم أحضروا على المائدة صحفة ملاءة من فراخ الزناير ليتخذوا منها برموردا للأمر . فخرج البدوى وهماهم بأبيات ، تراها هناك .

صفحة ١٧٦ (حاشية ٣)

أنظر أيضاً التفصيل الذي أورده الجاحظ عن قتل المنصور لأبي مسم الخراساني في "البيان والتبيين"
(ج ٢ ص ٥٥) .

صفحة ١٨٤ (سطر ١٥)

مانى الثنوى هو القائل بالنور والظلام . والطالب يرى ترجمته في "سراج الميوت" (ص ١٥٥) .
والقائلون بملذه يسمون "مانينة" و"مانوية" . وأسمه عند الفرنسيين Maniché, Manès
وأسم أصحابه Manichéens . وكان مولده باليمن حينما كانت تابعة للفرس .

تصحیحات

لأغلاط مطعية طفيفة وردت في المتن وبعض الحواشي ، رأيت وجوب استدراسها ليكون الكتاب آية في الكمال بقدر الإمكان .

صفحة	سطر	خطأ	مساب
١١	١٤	أبو الحسن بن بكر	أبو الحسن بن أبي بكر
٢٠	٨	ويتسع ، ويقصر ويجتهد	ويتسع ، ويقصر ويجتهد
٢٤	١٠	بخطبة ...	بخطبة ...
٣٣	١٤	بهرام جور	بهرام جور
٤٠	١١	وجاؤا ...	وجاؤا ...
٤٧	٨	حتى ...	حتى ...
٤٧	١٩	ص ٢٠ من طبعتنا	ص ٢٥ من طبعتنا
٤٨	٢١	قضاء مديرية الشرقية بمصر	قضاء الشرقية ببغداد
٧٠	١٤	حالات ...	حالات ...
٧٨	١٤	تنب ... تكون ...	تنب ... يكون ...
٧٨	١٥	قدّامها ...	قدّامه ...
٩٨	١١	خلوّاً ، تذاكروا	خلوّاً ، تذاكروا
٩٩	١٥	الأطلاع	الأطلاع
١٠٢	٩	للسفلة ...	للسفلة ...
١١١	١	الرويدة	الزريدة (١)
١١٦	١٢	يفرّون ...	يفرّون ...
١٢١	٩	بمخرج ...	بمخرج ...
١٢٥	١٢	أراد مرد	آزاد مرد (٢)
١٢٦	٣٤١		
١٣١	٣	عزل ...	هزل (٣)

(١) هذا التصحيح عن النسخة الحلبية . ولعله قريب من الصواب . ويكون الواجب تصحيح رواية سه ، صـ بمقتضاه ، أي نحمل بدل " الرويدة " لفظة " الزريدة " بطريق التفسير والتحقيق لكلمة " الزيدة " (كما فعل في صفحة ١٣٥ ص ٣) .

(٢) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . والفرس يسمون بهذا الاسم ، ومعناه " الرجل الحر " .

(٣) هذا التصحيح عن الحلبية أيضا . وهو وجيه جدًا ومتحمّ يقضى به السياق .

استدراك^(١)

للمهم من الاختلافات في رواية النسخة الحلبية ، وخصوصا للزيادات
التي انفردت بها دون نسختي س ، ص .

(الكلمات الزائدة في الحلية أدجنها في الرواية بحرف كبير ، تميزا لها وتنبها على موقعها)

ص ٢ س ٩ "هو الذي جعلكم خلائف في الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات" [والآية التي
في آخر سورة "الأنعام" (آية ١٦٥ سورة ٦ من مصحف المحافظ عثمان) ليس فيها
لفظ "في" والذي أوجب الخلط على ناسخ الحلية قوله تعالى في سورة "فاطر" :
"هو الذي جعلكم خلائف في الأرض فمن كفر فعليه كفره" . (آية ٣٩ سورة ٣٥)
وهي غير الآية التي يريدنا بالمحافظ ، وليس فيها عمل الشاهد الذي توخاه .
ص ٤ س ٤ "أى لبناء" بدلا من "قال كتيبة" . [وما أعتمدناه هو الصواب كما تراه في تفسير
الرازي وغيره] .

ص ٥ جميع الوارد في هذه الصفحة ناقص في س وهو موجود في الحلية مثل ما هو في ص ،
مع بعض اختلاف وقع من الناسخ الحلي .
ص ٧ س ١ إقتصار صاحب الحلية على ترجمة الباب بقوله "في الدخول على الملوك" ثم ابتدأ الكلام
بقوله : "قال رحمه الله : مما يجب للكل إن كان الرجل من الأشراف والطبقة العالية أن
يقف" . [وعندي أن ذلك الترتيب أفضل من روايتنا ولذلك أمتدته في ذلك المضافين] .
ص ١٣ س ١ "عبد الرحيم" [مثل س] بدلا من "عبد الرحمن" [الذي أعتمدناه عن ص] .
ص ١٣ س ١ "الملك" بدلا من "إسماع" . [فكان ناسخ الحلية أتفق مع ناسخ س إلا في وضعه لفظة
"الملك" في موضع اليأس الذي تركه صاحب س ، وأنظر حاشية ٣ من ص ١٣] .

(١) أنظر صفحة ٦٢ من التصدير .

- ص ٤٥ س ٧ "و[لا] سيماء" فقد توافقتنا مع الحلبة في إضافة أداة النفي. ولكن الحلبة عادت فأملت أداة النفي في موضع آخر. فأوردت "سيماء" في الموضع الذي أشرنا إليه في صفحة ١٥٧ من طبعتنا. وهذا الموضع قد آتفتت فيه النسخ الثلاث على إهمال أداة النفي [وأنظر الحاشية رقم ٣ ص ٤٥ والحاشية ٤ ثم ص ٤ ص ١٥٧].
- ص ٤٦ س ٨ لا يمسا طيا يتطبيب به الملك دونهم ... [وهذه الزيادة في الحلبة جميلة لتخصيصها نوع الطبيب الذي يستعمله الملك].
- ص ٤٧ س ٢ "مثله وإلا لم يكن بين الملوك والسوقة فرق".
- ص ٤٨ س ٢٠١ "وإبراهيم بن المهدي" وقد دخل عليه ابن أبي دؤاد "بدلا من" وهذا إبراهيم بن المهدي بالأمس دخل على ابن أبي دؤاد. [فاتفق سه وصح على أن الداحل هو إبراهيم ابن المهدي بخلاف ما جاء في الحلبة. وعندى أن روايتهما هي أقرب إلى الصواب لأن إبراهيم بن بنت الخلافة، بل إنه أتى عليه حين من الدهر تبوأ فيه مقعدها وقام بأمرها. ولا شك أنه تخوف دسيسة من ابن أبي دؤاد حينما انتقد عليه لبسة هي خاصة بالخليفة].
- ص ٤٩ س ٩ "في الشرب إذا كان الملك يسكر وان" ...
- ص ٤٩ س ١١ "تجاوز حدّ العدل على الخاصة" بدلا من "تجاوز حق العدل على الخاصة" ... [ورواية الحلبة أحسن وأمتن].
- ص ٥٠ س ١٠ "هذه الخصال منه" بدلا من "هاتان منه" ... [وعندى أن رواية الحلبة أكثر حسنا وأتم بيانا].
- ص ٥٠ س ١٣ "ولا يته اللهم إلا أن" ... [وعندى أن هذه الزيادة في الحلبة في غاية الجمال].
- ص ٥١ س ٩ "ومن أخلاق الملك السعيد الكامل العقل والأدب أن لا يعاقب" ...
- ص ٥١ س ١١ "الأمة" بدلا من "الملة". [وعندى أن كلمة "الأمة" مصحفة عن "الأئمة" الواردة في سه. وقد استحسننت "الملة" الواردة في سه من أجل المجانسة مع الشريعة الواردة في جميع النسخ].

- ص ٥٢ س ١ "غیره" بدلا من "السوة" "العالم" بدلا من "الحاكم" . [وهاتان الروايتان أحسن مما أعتدناهما من سـه وصـه] .
- ص ٥٣ س ١٣ و ١٢ "والحديث عنها أقوم منهم إلى فوائد" بدلا من "والحديث عنهم أقرم وأشهى منها إلى فوائد" . [ولا شك أن رواية الحلبة محرقة وصوابها "أقرم وأنهم إلى فوائد" . وأنظر الحاشية رقم ٢] .
- ص ٥٨ س ٣ "فأرتاع من حضر" بدلا من "فأرتاع ومن حضره" .
- ص ٦١ س ٩ "يق" بدلا من "يتق" .
- ص ٦٤ س ١٠ "الجواميس" بدلا من "الجواسيس" . [ومثل هذه السفافات كثيرة في الحلبة] .
- ص ٧٢ س ١٠ "(باب في الخلال التي تساوى الندماء فيها الملوك : قال صاحب الكتاب رحمه الله تعالى : ينبغي أن يكون لندماء الملك وبطانته" . [وهو تقسيم وجيه لطيف ، ويجب اعتياده في طبعتنا] .
- ص ٨١ س ٧ "عبد الله بن حسين" بدلا من "عبد الله بن حسن" .
- ص ٨٧ س ٢ "باسم غير اسمه أو أسم أبيه" بدلا من "باسم أبيه" . [ورواية الحلبة أكل] .
- ص ٩٥ س ٢ "أن لا" بدلا من "أن لا" . [فكانت زبادتنا لحرف التي موافقة لما في الحلبة] .
- ص ٩٥ س ١٥ "التبالة" بدلا من "التأله" . [وهذا التصحيف فيه تبالة من الناسخ] .
- ص ٩٦ س ٣ "فأمتن بعض الملوك" ... [وهذه الزيادة سخيفة ، وهي توجد في سـه أيضا . والرواية المتبعة هي الواردة في صـه ، وهي التي أعتدناها في الطبع] .
- ص ٩٦ س ١٧ "إلى نساء اللواتي" بدلا من "إلى بستانه الذي" .
- ص ٩٨ س ٢ "التبالة" بدلا من "التأله" ... [وهو تبالة ثان من ناسخ الحلبة] .
- ص ٩٩ س ٩ "بيته لعله يصلح بخلافها ومن فسدت نيته لفيرمة" ... [ورواية الحلبة رجحية جدًا وواجبة . فينبى اعتيادها في طبعتنا] .

- ص ١٠١ س ١٣ "دراهم" بدلا من "دنانير".
- ص ١٠٣ س ١ "أكثرنا التغافل" بدلا من "السرو التغافل". [وروايتنا هي الصحيحة].
- ص ١٠٤ س ٢ ولا كرامة لك ...
- ص ١٠٦ س ٥ ثم قال : نعم هذا ...
- ص ١٠٦ س ٥ "وجاؤوا بالراس فوضع بين يديه . فقال لمن حضره : فيكم من يعرف هذا الرأس ؟ قدام ... " [وهذه الزيادة يقتضيها السياق . فلتند في طعننا].
- ص ١٠٧ س ١ رحمه الله : وعاد إلى مجلسه فقعده فوثب ... [» » » »] .
- ص ١٠٨ س ٧ "فقال : أما والله" ...
- ص ١٢٠ س ١٠ "والخطوة والسلطان" بدلا من "والخطوة عند السلطان" . [ولعل رواية الحلبة أفضل . ويكون السلطان فيها بمعنى السلطة ، وأما في رواية سـ ، صـ فغناء الملك الأعظم].
- ص ١٢٢ س ١٥ "فيتواطآن على كذب" بدلا من "فيتواطآن".
- ص ١٢٤ س ٧ "ليس منها فراش إلا ومن رواه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه" بدلا من "ليس منها فراش إلا ومن رآه من بعيد على الأفراد لا يشك أنه" ...
- ص ١٣٠ س ٧ "أما ترى" بدلا من "ألا ترى" . [ورواية الحلبة حسنة جدا].
- ص ١٣٤ س ٦ "هلل الحمداني" بدلا من "مهمل الحمداني" . [وروايتنا هي الصواب].
- ص ١٣٤ س ١٠ "وقد" بدلا من "وقد" . [فتصحبتنا جاء مراقبا في الحلبة].
- ص ١٣٥ س ٣ "كردى" بدلا من "كربى" . [ورواية الحلبة أقرب للصواب وإنما ينقصها التصغير للتحضير].
- ص ١٣٥ س ١١ "ولله لا يجد" ... [وزيادة أداة النفي هنا وجبة ومتحتمة].
- ص ١٣٦ س ١٠ "كل من قرب من نفس الملك" بدلا من "كل من أفس الملك" . [ورواية الحلبة جيدة والاصح اعتمادها . ويكون المعنى : كل من جعله الملك قريبا عنده ^٢

- ص ١٤١ س ٥ "عيسى بن برمك" بدلا من "عيسى بن نبيك". [ورواية الخلية مغلطة في هذا المقام ولكنها صحيحة في بقية الكلام لأنها عادت فسته عيسى بن نبيك].
- ص ١٤٣ س ٩ "لشيء هو فيه لم ندر" بدلا من "لشيء آخر لا ندرى" ...
- ص ١٤٤ س ١٤ "مشاهدة أو مشافهة" بدلا من "مشاهدة أو مساناة". [وربما الخلية ظاهرة].
- ص ١٤٥ س ١٠ "حوادث الدهر والموت" بدلا من "حوادث المؤن".
- ص ١٤٧ س ٤ "موانيد" بدلا من "موايلد".
- ص ١٤٨ س ١٥ "يُجَلِّدُهُ ... يجلدها" بدلا من "يُخَلِّدُهُ ... يأديها".
- ص ١٥٠ س ١٤ "وجود أنهم المشاق" بدلا من "وجود القرم النهم المشتاق".
- ص ١٥٠ س ١٥ "لذة الطعام وطيبته" بدلا من "لذة الطعام وأطيبه". [ورواية الخلية أطيب].
- ص ١٥١ س ١٢ "جمعة يوما وليلة" بدلا من "يوم وليلة مرة". [ورواية الخلية أحسن].
- ص ١٥٣ س ٦ "الجمعة وربما لم يشرب في بعض البواقي من أيام الجمعة . فأما هذان اليومان فلم يكن يشرب فيهما برة" ... [ورواية الخلية أجود وأكمل].
- ص ١٥٣ س ١٣ "فإذا ذهب رونقه وبعض ما به رى" ... [ولعل الصواب "وبعض مائه" كما في نسخة ص . والماء هنا بمعنى الرقيق والهاء كما يقال في الجواهر الكريمة والأحجار الثمينة . وحينئذ فلا يكون هنالك وجه لما أوردناه في حاشية تلك الصفحة من الظن بأحتمال أن "مائه" محركة عن "بهائه"].
- ص ١٥٤ س ١١ نادرا معجزا معجبا غريبا ... [ولا معنى لوضع "معجرا" في هذا المقام بل هي زيادة من النسخ تدل على مجزه].
- ص ١٥٥ س ٢ "اختلاف الملوك" بدلا من "أخلاق الملوك".
- ص ١٥٥ س ٣ "فن الملوك من كان إذا" ... [وزيادة "كان" واجبة].
- ص ١٥٩ س ٤ "من أبناء الملوك وأهل الشرف" ...

- ص ١٥٩ س ٧ "من ملوكهم قبله وبعده" ...
- ص ١٦٢ س ١ في الملكة بالباطل ...
- ص ١٦٣ س ٧ "النحس الكبير" بدلا من "النحس الدارمك". [ورواية الحلبية ربما لا تزال الإيهام].
- ص ١٦٥ س ٣ "لتقوى منك" بدلا من "لتقوى نيك".
- ص ١٦٦ س ٣ "فاخذ التاج" بدلا من "فاخذوا التاج".
- ص ١٧١ س ٢ "وحدثني أبو الترب الشاعر: كان يُجْرى على أرزاقا فدخلت عليه"
- "يوما. فقال، بعد أن أنشدته وسألني عن عيالي: تحتاج عيالك في كل"
- "شهر من الدقيق إلى كذا ومن الحطب إلى كذا ومن كذا إلى كذا".
- "فاخبرني بشيء من أمر منزلي جهلت بعضه وعلمت كله".
- [وقد وضعت هذه الزيادة في طبقي قلا عن "المحاسن والمساوي" لليبي . وليس
- بين رواية الحلبية وبين رواية الليبي خلاف كبير إلا في أسم الشاعر وليست أدري صحته
- أهو أبو البرق أم أبو الترب ؟ وأما العبارة التي أوردتها في طبقي فهي أصح وأوجه].
- ص ١٧١ س ١٢ "وفيما ذكرناه كناية والله أعلم بالصواب". [وهنا وقفت الحلبية مبتورة].

التعريف بكتاب ”تنبيه الملوك والمكاييد“

المنسوب للجاحظ

ذكرتُ هذا الكتاب في ”التصدير“ وأكثرُ من الإشارة إليه في الحواشي التي
حليت بها ”التاج“ .

فلا بد أن يكون القارئ قد تشوف إلى الإلمام بشيء عنه . فلذلك رأيت
أن التعريف به قد تكون فيه فائدة .

عثرُ على النسخة الأصلية - وهي الوحيدة فيما أعلم - بخزانة الكوبرلي
بالقسطنطينية تحت رقم ^(١) ١٠١٥ .

وقد وضع بعضهم فوق حرف الباء من لفظة ”كتاب“ عبارة بخط حادث هذا
نصها . ”تأليف أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ“ . ثم جاء رجل آخر فأيد هذه الرواية
إذ كتب تحت العنوان سطرا ثالثا بخط جديد أيضا يغير خط النسخة من أولها إلى
آخرها ، وهي ”للجاحظ رحمة الله عليه“ .

ظننتُ أنني ظفرتُ بذرة يتيمة من تلك الدرر التي تفرّد بها الجاحظ . فأنشأتُ
أتصفّح الكتاب ، ولكنني ماقرأتُ منه سطرين حتى نقضتُ الحكم ورجعتُ عن
الضلال الذي أوقعني فيه ذاك الجاهلان المجهولان .

(١) نقلت بالتصوير الشئ نسخة من هذا الكتاب ، هي الآن محفوظة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

بل هذه مقدمة الكتاب بنصها وفصها :

”بسم الله الرحمن الرحيم : الحمد لله الذي أفتح بالحمد كتابا ، وفتح للسدد إذا رافى إليه بابا ، قسم بين خلقه فطُوروا أطوارا وتحربوا أحزابا . أفض عليهم سببه ، وأمضى فيهم حكمه ، وجعل لكل شئ أسبابا . فهم دائرون في دائرة إرادته لا يستطيعون عنها انقلابا . داهشون في بدائع حكمته ، ومشيتة وإرادته ، يُعزَم من يشاء ، ويُبدل من يشاء ، ويرزق من يشاء ، ولم يزل كريما وهابا . نحمده على ما أولى وأنعم ، ونصل على نبيه المبعوث إلى العرب والعجم ، صلى الله عليه وعلى آله وشرف وكرم ! (أما بعد) فهذا كتاب يشتمل على ذكر تنبيه الملوك والمكاييد ، ليحصل عند مطالعته الاحتراز من كل مديق ورفيق وما تحت نيبه من البُغض والنحاسد . فنعوذ بالله من ذلك ، ونستعين بالله ، ونتوكل على الله ، ومن يتوكل على الله وَوَحَّسَهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ ، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا “ .

فهذه المقدمة وحدها تنادى بلسان الحال أن الجاحظ لا يمكن أن يكون هو المؤلف لهذا الكتاب .

تعالى الجاحظ أن يجرى قلمه بمثل هذا السجع المرصع أو بمثل هذه العبارات المنمقة ! فهو أعلى كعبا وأرسخ قدما من أن يتنازل لافتتاح أحد كتبه بمثل هذا الكلام . هذا الحكم يؤيده الكتاب نفسه . ففي تضاعيفه أحوال كثيرة عن خلفاء وملوك ورجالات لم يخلقهم الله إلا بعد وفاة الجاحظ بسنين وأعوام . مات الجاحظ في سنة ٢٥٥ للهجرة ، فكيف يصبح في الأذهان أنه يسرد في صفحة ٣٠٥ بعض الحوادث التي وقعت في سنة ٢٦٨ ؟ ثم كيف يعود في صفحة ٤٣٠ فيفصل الوقائع التي حصلت في سنة ٣٥٨ ؟ ويا بعد ما بين ابن طوان وكافور الأخشيدي والمتنبى وبين الجاحظ ! ومع ذلك فقد تضمن الكتاب لمعاً من أخبار هؤلاء الرجال !!!

حيث لم يبق لدينا أدنى شبهة في أن المؤلف كان متأخرا عن الجاحظ بزمان مديد .
وكيف لا وقد أفاض في شرح المكاييد والحوادث التي وقعت بعد وفاة الجاحظ ،
شرحا يدل على أن المؤلف كان محيطا بأحوال عصره ، واقفا على ما جرى دهره ؟
نعم إن المؤلف سطا على كثير من الحوادث التي رواها الجاحظ في كتاب "التاج"
فأوردها في النصف الأول من كتابه ، وقد وضعنا جدولا للسراقات^(١) تراه في غير هذا
المكان .

ولكن هذا السطو الجزئي هل يكون مبررا للسطو الكلي ، فيجعل لبعض المتأخرين
المتأخرين مساغا في نسبة الكتاب برمنه إلى الجاحظ ؟ كلا لعمري !

هذا . والكتاب في حد نفسه وفي بابيه مفيد ، وجامع للغرض الذي توخاه المؤلف ،
وجدير بأن يظهر في عالم المطبوعات العربية . وهو يقع في ٤٣٨ صفحة في كل صفحة
١٥ سطرا . ولكنه يحتاج لعناية في التصحيح والتهذيب .
أما موضوعات هذا المؤلف فتتخصر في أربعة أقسام :

(١) مكاييد الفرس وملوكهم (من صفحة ٣ - ٤٩) .

(٢) » الهند (» ٤٩ - ٥٤) .

(٣) » الروم (» ٥٥ - ٦٣) .

وما بقي من الكتاب ، قصّره على أخبار العرب في مكاييدها سواء كان في أيام الجاهلية
أم في صدر الإسلام أم بعده . واسهب الكلام في المكاييد التي وقعت من خلفاء

(١) أنظر جدول السراقات في صفحة ٦٩ من التصدير الذي وضعناه في أثر هذا الكتاب .

الإسلام أو من رجالاتهم في أيام الخلفاء الراشدين وبني أمية والعباسيين، ثم في زمن أحمد بن طولون وكافور الأخشيدي . وقد ختم كتابه بقوله في صفحة ٤٣٠ :

” فهذا ما قصد إيداعه في هذا الكتاب ! وليعلم أن كل ما يصنع من هذه المكاييد نصراً لكلمة الدين وإقامة لعمود الملك فهو حسنٌ عقلاً وشرطاً : لأن في المكاييد سلامة الأولياء من المخاطرة بالمهيج ، ولهذا صار أمني الفتوح ما بلغ بالمكاييد فيه الغرض المقصود . فإن قصي بن كلاب إنما غلبت على أهل مكة حيث أترعها بالمكيدة التي استعملتها . وكذلك أردشير مؤسس ملك آبن ساسان المرتجع له من أيدي الذين آقتسموه من ملوك الطوائف ، إنما وصل إلى ما وصل إليه من جمع المملكة كلها له بما استعمله من المكاييد . قال النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله أجمعين ” الحربُ خدعة “ . وقد أكد عليه السلام من ذلك بأفعاله التي كان يستعملها في محاربة أعداء الدين من التورية عن مقصده عند مسيره في غزواته ، وتخصوصاً ما استعمله في فتح مكة “ .

ثم قال في صفحة ٤٣٨ :

فقد بان أن الشرع والعقل يحدان المكاييد إذا صرفت على الوجه الذي يمز به الدين وينتفع به المسلمون . وأرتفع بهذا وجه اللوم في جميع هذه المكاييد في هذا الكتاب .

نحو الكتاب ” تنبيه الملوك “ .

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ، في ” سلخ ربيع الآخر سنة أربعين وستائة “ .

أما المؤلف في ذاته فلم أتوصل إلى معرفته مع إناعام النظر في كتابه . وغاية ما توقفنا إليه أنه عرفنا بنفسه عن نفسه تعريفاً مبهماً مجهولاً نستنتج منه أنه من الشيعة ، كما أنه آكتفى بتسمية نفسه مرتين بأسم ” جامع الأخبار “ .

روى ” جامع الأخبار “^(١) أنه سهر لیسلة عاشوراء بخندق الموالي القصيرية وأطال التفكير فيما عرض لأهل النبوة ومعدن الرسالة والإمامة من استيلاء أعدائهم عليهم

حتى تلاعبت به الظنون في وجه الحكمة والعدل في ذلك . فاستولى عليه النوم ورأى الإمام علياً في صفة الساخط عليه لا اعتراضه . وما زال المؤلف يستعطفه حتى حطى بنعمة الرضوان . ثم استيقظ وكان بجانبه قاضى "الناحية المذكورة" فاستعلم منه عن سبب انزعاجه وقلقه فشرح له الأمر . فقبل القاضى يده ، لأنها ليست يد الإمام "دلى" . ففى ذلك دليل على أن المؤلف كان موجوداً بالقاهرة في أيام الفاطميين ، وأنه كان من الشيعة .

ثم عاد المؤلف (في صفحة ٣٥١) إلى تسمية نفسه بجامع الأخبار فقال :

" هذا الكتاب بين فضل المجلس العالى السيدى الصالحى " خلد الله ملكه الذى ينزه بأن يندفع بمثل هذه المحاولات ولهذا يقول في بعض قصائده .

ولا خدعتنا منه قط ملامس * تسدى بأصناف المحال وتعلم .
فأضعفها ما كانت فيه رواية * وأسقمها الخط الذى هو أقدم .

فهذا القول ، أعنى "المجلس العالى السيدى" لا ينصرف بحسب الاصطلاح الرسمى المقر فى ديوان الإنشاء إلا لصاحب الوزارة الكبرى في أيام المماليك أو الأيوبيين أو القواطم ، كما يشهد بذلك ابن فضل الله فى "التعريف بالمصطلح الشريف" والقلقشندي فى "صبح الأعشى" .

أما المماليك ، فلا شأن لهم هنا . لأن دولتهم إنما كان مبدؤها فى سنة ٦٥٥ أى بعد ١٥ سنة من تاريخ نسخ هذا المخطوط فى سنة ٦٤٠ .

وأما الأيوبيون ، فقد قضوا قضاءً مبرماً على مذهب الشيعة بديار مصر . فلا يمكن أن يكتب أحد المؤلفين فى أيامهم شيئاً مثل العبارة الأولى التى نقلناها عن وجود

صاحبنا بين القصرين . وفضلا عن ذلك ، فإن صلاح الدين هدم القصرين ،
وعبارة مؤلفنا تدلنا على تمام العمران بهذه الخطة حيث كان لها قاض خاص بها
في أيامه .

فلم يبق لدينا أدنى شبهة في أن التأليف إنما ظهر في أيام الفواطم باسم أحد
وزرائهم الأكابر .

فلننظر من هو هذا الوزير حتى نتمكن من تعيين تاريخ التأليف بغاية ما يمكن من
التقريب والتحقيق .

أشار المؤلف إلى هذا الرجل باسم "الصالح" وأنشد له شعرا . فهذا النعت
لا ينصرف إلا إلى الصالح طلائع بن رزّيك ، خصوصا وقد شهد ابن خلكان بأنه
ممن كانوا ينظمون الشعر الجيد ، وأورد لنا غمرا من أقواله ، وعرفنا بأنه رأى
ديوانه في جزأين .

فهذا الوزير تولى الأحكام على عهد الفاتر الفاطمي ، وأستقل بالأمور وتدير
أحوال الدولة ، وكانت ولايته في ١٩ ربيع الأول سنة ٥٤٩ . وبعد وفاة الفاتر ،
استمر الصالح على وزارته وزادت حرمة وتزوج العاضد الفاطمي أبنته . ثم دس
العاضد عليه من قتله . فكانت وفاته في ١٩ رمضان سنة ٥٥٦ .^(١)

وحينئذ يتعين القول بأن مؤلف كتاب "تنبيه الملوك والمكايد" قد أخرج
كتابه للناس في أنحرىات الدولة الفاطمية بمصر ، وأن تأليفه كان في أواخر النصف
الثاني من القرن السادس للهجرة .

(١) أنظر ترجمته في ابن خلكان ، في حرف الطاء .

التعريف بكتاب ”محاسن الملوك“ لبعض الفضلاء

هذا تعريفٌ وجيزٌ عن ذلك الكتاب الذي أشرتُ إليه كثيراً في ”التصدير“ وفي الحواشي . كُتِبَتْه ليكون القارئ محيطاً بجميع العيون والمستندات التي لها علاقة بكتاب ”التاج“ .

صُحِرَتْ على النسخة الأصلية لكتاب ”محاسن الملوك“ في خزانة طوب قيو بالقسطنطينية ، تحت رقم ٣٠٥٢ . وهو عبارة عن القسم الأول من مجموعة تشتمل أيضاً على كتاب آخر يتعلق برسل الملوك وسفرائهم^(١) .

فأما ”محاسن الملوك“ فيقع في ١٢١ صفحة ، وفي كل صفحة منها ١٥ سطراً . وعلى طُرْزِهِ أنه ”جمعه بعض الفضلاء“ . وقد آتَبَدَأ مؤلفه بعد البسملة بقوله :

”الحمد لله المتعزّل بالعوارف ، المميز بالمعارف . وجاعل الملوك قائمين في الأرض بالوظائف التي على الخلّاق ؛ الأمر بإعظام السطان لقيامه بأعباء الإيالة ، وأنصافه للخلق بالكفالة ؛ وتقلده ما تنظم به أحوال العالم في المعاش الذي هو وسيلة مآدهم ، وسبب إحرازهم لأصل الخير وأزدياده . أحمد على نعمه“

ثم تَوَه بالملك الذي أُلِفَ له هذا الكتاب وسمّاه ”مولانا السلطان الملك العزيز“ . وقد نعت المؤلف نفسه ”بالمملوك“ . ثم ختم الكتاب بالدعوات لهذا السلطان ، وكرر في غضونها التنويه به إذ قال : ”ولا زال مولانا العزيز“ .

(١) وقد قلت نسخة من كل من مذهب الكتّابين بالتصوير الشّمسى وأحضرتهما إلى دار الكتب المتديوية بالقاهرة .

وقد تصفحنا الكتاب فلم نجد أثرا آخر يدلنا على المؤلف أو عصره . فبحثنا نمن هو "السلطان الملك العزيز" هذا .

فرأينا أن هذا الاسم لم يكن إلا لثلاثة من ملوك الإسلام : إثنان منهما من بني أيوب، والثالث من سلاطين المالك .

فهذا الثالث هو الملك العزيز بن برسباي . تولى سلطنة مصر في سنة ٨٤١ هجرية، ولكنه لم يجلس على سررها سوى ٣ شهور فقط . فلا يكون حينئذ هو المعنى بالتعظيم والتعظيم الذي أورده المؤلف، خصوصا أن الكتاب منسوخ في سنة ٧٩٥ هجرية، أى قبل أن يأتى هذا السلطان إلى الوجود بنصف قرن تقريبا .

أما السلطان الثانى المسمى "بالمالك العزيز" فهو ابن الملك الظاهر غياث الدين غازى الأيوبي . تملك حلب في سنة ٦١٣ ، بعد وفاة أبيه غياث الدين .

وكان هذا السلطان صبغيا فآتزع عمه الأفضل المملك منه في سنة ٦٣٤ . ثم صارت حلب لعمه العادل . وتوفى الملك العزيز هذا في سنة خلعه، أى ٦٣٤ . فتكون مدة حكمه ٢١ سنة . وقد كان يكون القول بأن الكتاب مؤلف له وباسمه وجبها وصحيفا، لولا شهادة التاريخ بأنه تولى الملك وهو في سن الطولة مما جعل عمه يتزع العرش منه . وفوق ذلك فإن الأوصاف الملوكانية والتموت السلطانية الواردة في أول الكتاب وآخره لا تطلق مطلقا على صاحب حلب، ولا يمكن أن تنطبق على غير سلطان مصر، فإنه هو الذى كان متفردا بلقب "السلطان الملك" . وأما من عداه من أولياء الأمر في الأصقاع الأخرى مثل حلب وحماة وغيرهما فإنما كان لقبهم الوحيد هو "الملك فلان" أو "فلان صاحب حلب أو صاحب حماة" لا غير، دون إضافة لقب "السلطان"

على أسمهم مهما كانت الأحوال . تشهد بذلك الكتب المؤلفة لهم والتاريخ يؤيد هذه الشهادة التي تستفاد بالصرحة وبالبداهة من اصطلاح القوم في تلك الأيام ، على ما تراه في ” التعريف بالمصطلح الشريف “ لأبن فضل الله العمري ، وفي ”صبح الأعشى“ للقلقشندي .

لذلك لم يبق لنا سوى القول بأن الكتاب مؤلف باسم ثالث الملوك المعروفين ”بالمملك العزيز“ وهو الملك العزيز آبن السلطان صلاح الدين الأيوبي . ذلك الذي جلس على عرش مصر بالنيابة عن أبيه في حياته ، ثم أستقل بملكها من سنة ٥٨٩ إلى سنة وفاته وهي سنة ٥٩٥ ، أي إن مدة حكمه كانت ست سنين .

وقد جرت عادة المؤلفين في الأيام المتقدمة أن يُسمّى الواحد منهم نفسه ”الملوك“ إذا خدم بتأليفه أحد الأكابر وخصوصا أحد الملوك أو السلاطين . وهذا الاصطلاح كان متفشيا بمصر خصوصا في عصر المماليك ، وعلى الأخص في أيام الأيوبيين من قبلهم .

والمتصفح لهذا الكتاب يرى من أسلوبه ومن عباراته أنه مصوغ على الطريقة المألوفة في أيام الأيوبيين بمصر . ولا يمكن القول - كما قد يستفاد من عبارة الختام - بأن تأليف هذا الكتاب كان في ”شهر المحرم أول سنة ٧٩٥“ . لأن هذه السنة لم يكن فيها رجل من الملوك في العالم الإسلامي يسمى ”بالمملك العزيز“ . فوجب حينئذ الجزم بأن هذه السنة هي سنة أنتساخ الكتاب ، لاسنة تأليفه . ويكون قد مضى قرنان بين وقت تأليفه وبين وقت أنتساخه .

أما الكتاب ، فهذه موضوعاته :

الأدب في استعطاف الملوك .	أدب الوقوف على باب السلطان .
أدب من أسدى إليه الملك يدا .	أدب الداغل على السلطان .
أدب من رفع الملك قدره .	الأدب في تتجوزعد السلطان .
الأدب في مازحة الملك .	الأدب في تعهد السلطان سخدمه .
أدب الصلاة مع السلطان .	أدب من يجالس السلطان .
الأدب في مساية السلطان .	الأدب في الانصراف عن مجلس السلطان .
أدب يجاب الملك ومجاوبه .	أدب من يخاطب السلطان .
الأدب في الرسول .	أدب من سأل السلطان عن اسمه .
أدب الملك في منامه .	أدب مؤاكلة السلطان .
الأدب في آتخاذ الكاتب .	أدب السلطان في إقامة الحدود والتعزير .
الأدب في استعمال الملك الأناة وترك العجلة .	الأدب في عزاء الملك .
سخاء الملوك .	أدب التنزية بالملوك .
أدب الملوك إذا دهمهم أمر .	الأدب في مسامرة الملوك .
	أدب مناصحة السلطان .

وفى كل هذه الأبواب استطرادات تتعلق بالموضوع ، تملقا قريبا أو بعيدا .

وقد سطا المؤلف على كتاب "التاج" فأخذ منه كل ما يتعلق بهذه الموضوعات
(١) تقريرا وأختصر بعض فصوله اختصارا كلياً أو جزئياً، وأضاف إليه بعض معلومات
ليحلل سرقة أولاً ، وليجعل لنفسه ثانياً حقاً في إسناد التأليف إليه وفي خدمة
سلطان العسيرة .

(١) أنظر جدول السرقات في صفحة ٦٩ من "التصدير" الذي وضعناه في أول هذا الكتاب .

فهارس أبجدية

لكتاب "التاج"

الفهرس الأيجدى الأول^(١)

بأسماء الكتب التى أستخدمتها للمراجعة وتحرير الحواشى

الأصنام لأبن الكلى (نسخة مخطوطة

مخزاة كتي وجار طبعها بتحقيق فى مطبعة
بولاق فى هذا العام)

إعجاز القرآن للقاضى أبى بكر السافلى ،

طبع القاهرة سنة ١٣١٥

الأعلاق النفيسة لأحمد بن عمر بن رسته ،

طبع السلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٨٩١ [وهو السابع من المكتبة

الجغرافية العربية]

الحاسن والأضداد للباحظ طبع العلامة

فان طوتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٨

الأغاني لأبى الفرج الأصفهانى ، فى ٢٠

جزءا طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ ، والجزء

الحادى والعشرون منه طبع الأستاذ

رودلف برونو بمدينة ليدن سنة ١٣٠٥ هـ

فهارس الأغاني للعلامة جويدى وزملائه ، طبع

ليدن سنة ١٨٩٥ - ١٩٠٠

الأمالى (وذيله) لأبى على الفالى ، طبع

بولاق سنة ١٣٢٤ هـ

الأنساب للسماوى ، طبع العلامة

مرجوليوت بمدينة لوندن سنة ١٩١٣



الآثار الباقية عن القرون الخالية لأبى

الريحان البيرونى ، طبع السلامة بخار

المشرق الألمانى بمدينة ليبسك

سنة ١٨٧٨

آثار البلاد وأخبار العباد للزوينى ، طبع

السلامة وستفله بمدينة جوتنجن سنة ١٨٤٨

أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم للقدسى

المعروف بالبشارى ، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٧

[وهو الثالث من المكتبة الجغرافية العربية]

إرشاد الألباء إلى طقات الأدباء =

معهم الأدباء

أساس البلاغة للرمحشرى ، طبع القاهرة

سنة ١٢٩٩

أسد الغابة فى معرفة الصحابة لأبن الأثير ،

طبع القاهرة سنة ١٢٨٠

الاشتقاق لأبن دريد ، طبع العلامة وستفله

بمدينة جوتنجن سنة ١٨٥٤

(١) هذه الفهارس الأيجدية كلها لم يرد فيها شىء من المسميات الواردة فى التصدير . فتنبه لذلك .

﴿ ب ﴾

كتاب البخلاء لمجاظ طبع العلامة فان قوتن
بمدينة ليدن سنة ١٩٠٠

بدائع الزهور في وقائع الدهور لأبن
إياس، طبع بولاق سنة ١٣١١ هـ

برهان قاطع (معجم فارسي قله حاصم
افندى إلى اللغة التركية)، وأسمه
تيان نافع في ترجمة برهان قاطع،
طبع بولاق سنة ١٢٥١ هـ

مختصر كتاب البلدان للهمداني المعروف بأبن الفقيه،

طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن

سنة ١٣٠٢ هـ وسنة ١٨٨٥ م

[وهو الجزء الخامس من المكتبة
الجغرافية العربية]

كتاب البلدان لليقوتى، طبع العلامة جُونُول
بمدينة ليدن سنة ١٨٦٠

البيان والتبيين لمجاظ، طبع القاهرة
سنة ١٣١٣ هـ

﴿ ت ﴾

تاج العروس في شرح القاموس، طبع
القاهرة سنة ١٣٠٧ هـ

تاريخ آبن خلدون = كتاب
العبران

تاريخ الرسل والملوك لأبن جعفر
محمد بن جرير الطبرى، طبع العلامة
ده جويه وزملائه بمدينة ليدن
سنة ١٨٧٩ - ١٩٠١

تاريخ الطبرى = تاريخ الرسل والملوك

تاريخ أبى الفداء = المختصر في أخبار
البشر

التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،
مراتاً

شرح التسهيل (كتاب في النحو) طبع القاهرة،
مراتاً

تقريب التهذيب لمجاظ العسقلاني طبع
الهند سنة ١٢٩٠ هـ

تكملة المعجمات العربية للعلامة دوزى، طبع
ليدن سنة ١٨٨١

التنبيه والإشراف للسعودى، طبع العلامة

ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٩٣ [وهو
الثامن من المكتبة العربية الجغرافية]

تنبيه الملوك والمكايد، مسود لمجاظ.
[ونسخته محفوظة بدار الكتب الخديوية،
منقولة بالتوغرافيا عن مكتبة الكوبرلى
بالقسطنطينية]

﴿ ح ﴾

حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
للسيوطى، طبع حجر بالقاهرة بدون تاريخ
سنة الطبع

الحجاسة (شرحها التبريزى)، طبع العلامة فريتاج
بمدينة بون سنة ١٨٢٨

الحيوان لمجاظ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ

﴿ خ ﴾

خاتمة الأشموتى (كتاب في النحو) طبع
القاهرة، مرارا

نخبة الأدب للبغدادى طبع بولاق سنة ١٢٩٩ هـ

الخطوط للقرنيزى ، طبع بولاق سنة ١٢٧٠ هـ
وطبع فيث بالقاهرة سنة ١٩١١

﴿ د ﴾

ديوان حسان بن ثابت طبع تونس
سنة ١٢٨١ هـ ، طبع القاهرة سنة ١٣٢١
ديوان الفرزدق ، طبع العلامة بوشير ومه
ترجمته له إلى اللغة الفرنسية في باريس
سنة ١٨٧٢ - ٧٥

﴿ ذ ﴾

ذيل الأمالى للقال = الأمال

﴿ ز ﴾

زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك
تخليل بن شاهين الظاهري ، طبع بولس
واريس بمدينة باريس سنة ١٨٩٤

﴿ س ﴾

سلوان المطاع في عدوات الأتباع
لأبن ظفر الصقل طبع الجبر في القاهرة
سنة ١٢٠٨ هـ [وترجمته الإنكليزية
بمعركة العلامة ميشل أمارى الطلياني ، طبع
لوندرة سنة ١٨٥٢]

سيرة ابن هشام ، طبع المرحوم الزبير
رحمت باشا بولاق سنة ١٢٩٥ ، وطبع
العلامة وستفلد بمدينة جوتنجن سنة
١٨٥٦ - ١٨٦٠ م

﴿ ش ﴾

شذرات الذهب في أخبار من ذهب لأب
الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العسكري
المعروف بأبى العباد الحبلى [مخطوط
بدار الكتب الخديوية نمرة ١١١٢ تاريخ]

شرح القاموس = تاج العروس

شرح نهج البلاغة = نهج البلاغة

شفاء الغليل للنفاجى ، طبع القاهرة
سنة ١٢٨٢ هـ

﴿ ص ﴾

صبح الأعشى للناقشندى (الجزء الأول) ، طبع
بولاق سنة ١٩٠٥

الصحاح للجوهري ، طبع بولاق سنة ١٢٨٢
صحيح البخارى ، طبع السلطان عبد الحميد الثانى
بولاق سنة ١٣١١ - ١٣ فى تسعة أجزاء

﴿ ط ﴾

طبقات الشافعية للسبكي ، طبع القاهرة
سنة ١٣٢٤

الطبقات الكبرى لأبن سعد ، طبع العلامة
مختار وزملائه بمدينة لندن من سنة ١٣٢١ هـ
[ولا يزال العمل فيه جاريا إلى الآن ٠]

الفصل فى الملل والنحل لأبن حزم الأندلسى

طبع القاهرة سنة ١٣١٧ - ١٣٢١

كتاب الفهرست لأبن النديم ، طبع العلامة فلوجل

بمدينة ليسيك سنة ١٨٧٠

فوات الوفيات لأبن شاكر الكنى ، طبع بولاق

سنة ١٢٨٣ هـ

﴿ ق ﴾

القاموس للفيروز آبادى ، طبع القاهرة

سنة ١٣١٩ هـ

قاموس الثياب = معجم الثياب عند

العرب

﴿ ك ﴾

الكامل فى الأدب للبرد ، طبع العلامة قريت

المستشرق الإنكليزى بمدينة ليسيك من

سنة ١٨٦٤ - ١٨٨١

الكامل فى التاريخ لأبن الأثير طبع العلامة

تورنبرج بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ - ١٨٧١

الكلمات الطليانية المأخوذة عن اللغة

العربية للدكتور ديا لدى طبع مدينة

نابول سنة ١٩٠٦ م

كليلة ودمنة ، طبع العلامة ده ساسى بمدينة

باريس سنة ١٨١٦

كليلة ودمنة ، طبع بولاق سنة ١٢٨٥ هـ

كليلة ودمنة ، طبع العلامة الأب لريس

شيخو بمدينة بيروت سنة ١٩٠٥

طراز المجالس للمزجى ، طبع القاهرة

سنة ١٢٨٤ هـ

﴿ ع ﴾

كتاب العبروديان المبتدا والخبر فى أيام العرب

والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى

السلطان الأكبر لأبن حلدون ، طبع بولاق

سنة ١٢٨٤ هـ

عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات

للقرنجرى ، طبع العلامة وستفيلد بمدينة

جوتنجن سنة ١٨٤٩

كتاب العصا لأسامة بن منقذ ، طبع باريس

كتاب العصا للمحافظ (فى ضمن كتاب البيان والتبيين)

العقد الفريد لأبن عبد ربّه ، طبع بولاق

سنة ١٢٩٣

عيون الأنبياء فى طبقات الأطباء لأبن

أبى أصبحة ، طبع العلامة أغسطس ملر

فى القاهرة سنة ١٣٠٠ هـ

﴿ غ ﴾

غرر أخبار الفرس وسيرهم للنمالجى ، طبع

العلامة زوتنبرج مع ترجمته له إلى الفرنسية ،

باريس سنة ١٩٠٠

﴿ ف ﴾

فتوح البلدان للبلاذرى ، طبع العلامة ده جويه

بمدينة ليدن سنة ١٨٦٦

الفرق بين الفرق لعبدالقاهر البغدائى ، طبع

القاهرة سنة ١٩١٠

﴿ ل ﴾

لسان العرب لأبن المُكْرَم المعروف أيضا
بأبن منظور، طبع بولاق سنة ١٣٠٠ -
١٣٠٨ هـ

لقب القمّاط في تصحيح ما تستعمله العامة من
العرب والدخيل والمولّد والأغلط، للسيد
حسن متّيق خان صاحب مملكة يويال
بالمند (وطيه هوامش السيد نور الحسن)
طبع، حجر بالمند سنة ١٢٩٦

﴿ م ﴾

مبادئ اللغة لأبن الخطيب الإسكافي طبع
القاهرة حديثا سنة ١٣٢٥ هـ
المحاسن والأضداد، المنسوب للمُلاحظ،
طبع العلامة فانت فلورن بمدينة ليدن
سنة ١٨٩٨

محاسن الملوك ليه بن الفضل، [نسخة محفوظة
بدار الكتب الخديوية نقلا بالفتوغرافية
عن الاصل الم محفوظ بخرقة طوجبو
بالقسطنطينية]

المحاسن والمساوى لإبراهيم بن محمد البين،
طبع العلامة فريد بك شوالى بمدينة جيسن
سنة ١٣٢٠ هـ - ١٩٠٢ م

محاضرات الأدباء للراغب الإصفهاني، طبع
محمد عارف باشا رئيس جمعية المعارف
بالقاهرة سنة ١٢٨٧ هـ

محاضرة الأوائل ومسامرة الأواخر لعل
دده، طبع القاهرة سنة ١٣٠٠
المخصص لأبن سيده، طبع بولاق سنة ١٣١٦
١٣٢١ -

مسالك الممالك لإبراهيم الإسطخرى المعروف
بالقاري، طبع العلامة ده جويه بمدينة
ليدن سنة ١٨٧٠ [وهو الأول من المكتبة
الجغرافية العربية]

كتاب المسالك والممالك لأبن حوقل، طبع العلامة
ده جويه بمدينة ليدن سنة ١٨٧٣ [وهو
الثاني من المكتبة الجغرافية العربية]

المسالك والممالك عن آبن خرداذ به،
طبع العلامة ده جويه بمدينة ليدن
سنة ١٣٠٦ هـ - ١٨٨٩ م [وهو
السادس من المكتبة الجغرافية العربية]

المشتبه في الأسماء للدهي، طبع العلامة
ده يونج بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

مطالع البدور في منازل السرور لعل الدين
حل الهائي الفزولي، طبع القاهرة
سنة ١٢٩٩ - ١٣٠٠

المعارف لأبن قتيبة، طبع العلامة وستنغله بمدينة
جوتنجن سنة ١٢٦٧ هـ - ١٨٥٠ م

المعجب في تلخيص أخبار المغرب، لعل
الواحد المراكشي طبع العلامة درزي
بمدينة ليدن سنة ١٨٨١

معجم الأدباء لساقوت الحموي طبع العلامة
مرجوليوت بالقاهرة، من سنة ١٩٠٧
[ولا يزال العمل جاريا للآن]

﴿ ن ﴾

تقائض جرير والفرزدق طبع العلامة بيثن
بمدينة ليدن سنة ١٩٠٥

النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ،
لأبى المحاسن نثرى بردى ، طبع العلامة
جُونِبُولَ بمدينة ليدن سنة ١٨٥١ -
١٨٦١

النهاية فى غريب الحديث لأبن الأثير ، طبع
القاهرة سنة ١٣١١

نهاية الأرب فى فنون الأدب للنورى ،
[عن النسخ المتقولة بالفتوغرافيا المحفوظة
بدار الكتب الخديوية]

نهج البلاغة (شرح لأبن أبى الحديد ، طبع
القاهرة سنة ١٣٢٩)

﴿ و ﴾

الوسيط فى تراجم أدياء شقيقط للرحوم الشيخ
أحمد الأمين الشنقيطى ، طبع القاهرة
سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م)

وفيات الأعيان لابن خلكان ، طبع بولاق
سنة ١٢٧٥ هـ

معجم الثياب عند العرب للعلامة دوزى
طبع مدينة أمستردام سنة ١٨٤٥

المعجم الفارسى العربى الانكليزى
لرشاردُسن ، طبع لوندرة سنة ١٨٢٩

المعزَّب من الكلام الأجمعى للجوالقى طبع
العلامة سخاو بمدينة ليسيك سنة ١٨٦٧

مُعِيدُ النِّعَمِ وَمُبِيدُ النِّقَمِ للسبكي ، طبع لوندرة

مفاتيح العلوم للفرارزى ، طبع العلامة فان
فولتن بمدينة ليدن سنة ١٨٩٠

مفردات أبى البيطار [الترجمة الفرنسية
للعلامة لوسيان لوكير] طبع باريس
سنة ١٨٧٧ - ١٨٨٣ م

المفضليات ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٤

مقدمة أبى خلدون ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ هـ

الملاهى للضبي [نسخة مخطوطة بدار الكتب
الخديوية تقلا بالفتوغرافيا عن الأصل
المحفوظ بخزانة طوب قوبالقسطنطينية]

مناقب الشافعى لأبى عبد الله محمد بن عمر
الرازى ، طبع حجر بالقاهرة فى ١٧ شوال
سنة ١٢٧٩

الفهرس الأبجدي الثاني
بأسماء المصنفات المذكورة في متن الكتاب أو في حواشيه وتكميله

كتاب الآباء والأمهات لأبي حسان الزياتي	الأغاني (كتاب لإسحاق بن إبراهيم الموصلي . وأصله بما يقال لأبيه وأبن جامع وابن العوراء ، هذبه إسحاق بأمر الخليفة الواثق . وقال أبو الفرج إنه ليس له ، بل هو مصطع عليه . ونسبه المسعودي له)
كتاب آيين لأحمد بن محمد بن نصر الجيهاني (وأنظر كتاب الزيادات في هذا الفهرس)	كتاب آيين الشعراء لأبي حسان الزياتي
آيين الأكاسرة	كتاب البخلاء [يشير إليه الجاحظ في صفحة ١٤٠ وهو غير الذي ألفه هو] بدائع البدائنه لأبن ظافر
آيين الفرس	الجمهرة لأبن دريد
آيين ابن المقفع	درة القواصص للحريري ، طبع الجوانب بالقسطنطينية سنة ١٢٩٩ هـ ، وطبع لبيسك سنة ١٨٧١ م
كتاب أخبار الأكسكة للداي	كتاب الزيادات في كتاب آيين في المقالات لأحمد بن محمد بن نصر الجيهاني (وأنظر كتاب آيين له)
كتاب أخبار زياد بن أبيه للهم بن عدي	شرح العيون لأبن نباته طبع بولاق
أخبار زياد بن أبيه للداي	كتاب طبقات الشعراء لأبي حسان الزياتي
أخبار ولد زياد بن أبيه ودعوته للداي	الكشاف [وحواشيه] تفسير القرآن للرخصي ، طبع مرارا بالقاهرة
أخلاق الفتيان وفضائل أهل البطالة [من كتب الجاحظ]	مسالك الأبصار لأبن فضل الله العمري
الأدب الكبير { لأبن المقفع ، طبع	معجم الشعراء للزياتي [توجد نسخة مخطوطة منه بمكتبة باريس الأهلية]
الأدب الصغير { أحمد زكي باشا	كتاب مغازي عروة بن الزبير لأبي حسان الزياتي
الأغاني (كتاب يشير إليه الجاحظ ، هو غير الذي لأبن الفرج الاصبهاني)	كتاب مقتل عمرو بن سعيد بن العاص
الأغاني (كتاب ذكره المسعودي ، وهو خلاف الذي لأبن العرج)	كتاب من أحكم من الخلفاء إلى القضاة للسكري
الأغاني (كتاب لإبراهيم بن المهدي)	
الأغاني (كتاب لإبراهيم الموصلي وإسماعيل ابن جامع وطلح بن العوراء)	

الفهرس الأبجدي الثالث

بأسماء الرجال المذكورين في "التاج" وحواشيه وتكميل الروايات

(تنبيه : الرقم الكبير يدل على الصفحة من متن الكتاب ؛ والرقم الصغير يدل على الصفحة من حاشية الكتاب ومن تكميل الروايات ؛ والشرطة - تحت الرقم الكبير أو الصغير تدل على تكرار الاسم . وهكذا الشأن في الفهارس التالية)



كسرى أبرويز (ملك الفرس) ٩٤٤٨٢٤٩٠٩	آدم (أبرالبشر) ٣٨
١٠٩٠٩٩ ٠٩٨ ٠٩٧ ٠٩٤ ٠	آزاد مرد (حاجب يزجرد) ١٢٦٦١٢٥
٠ ١٢٤ ٠ ١١٩ ٠ ١١٥ ٠ ١١٠	إبراهيم (إلى) ١٠٧٦٩٠٣
٠ ١٨١ ٠ ١٨٠ ٠ ١٥٥ ٠ ١٥٣	إبراهيم الحناني ٣٦٠٣٦
٢٠٣ ٠ ١٨٥	إبراهيم بن السندی بن شاهك ١٢٦١٢
أحمد بن أبي خالد الأحمول من مشاهير	١٩١٤
الأئمة [١١]	إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن
أحمد بن أبي دؤاد [من مشاهير الأئمة ١١]	علي بن أبي طالب ١١١٦ ١١١٦ ٨١
= ابن أبي دؤاد	إبراهيم بن عثمان بن خبيك ١٤١
أحمد بن الأمين الشنقيطي ٤٤	إبراهيم بن المهدي (وهو المعروف بابن شكة)
أحمد بن سهل = أبو زيد البلخي	١٦١ ٠ ٨٥ ٠ ٤٨ ٠ ٤٣ ٠ ٤٢ ٠ ٣١ ٠ ٢٣
الأمير أحمد بن سهل ٨٩	إبراهيم الموصلي (المنفي) ٣٦٠٣١ ٠ ٢٣
أحمد بن عبد الرحمن الحناني ١٣	٠ ٤١ ٠ ٤٠ ٠ ٣٩ ٠ ٣٩ ٠ ٣٨ ٠ ٣٨
أحمد بن محمد بن نصر الجيهاني ١٩٢	٤٢

﴿ ب ﴾

بَابُكَ الْخُرَيْمِيُّ ١٢٧	بُقَيْلَة = ثعلبة بن سنين
بَابِلُ بْنُ قَيْسِ الْجُدَامِيِّ ٦٠	أبو بكر الصَّدِّيق (الخليفة الراشد) ٨٦
أبو بحر الضمحاك = الأحنف	أبو بكر المُنْطَلِي ١٩٩٦١٩٨٦١١٤٤٥٨
ابن بَحْتِيشُوع (هو جبريل الطيب) ١٦١٤٣٧	بلال بن أبي بُرْدَة [من مشاهير الأئمة ١١]
برصوما الزامر (رأسه إسحاق) ٣٩٦٣٨	ثم ١٩٣٤٢٠٤٢٠
٤١٤٣٩	بندار بن خورشيد ٥٥
أبو البرق الشاعر ١٧١	بهرام جور بن يزيد جرد (ملك القرس) ٢٨
بسرة الأحول [من مشاهير الأئمة] ١١	٦١١٩٦١١٨٦١٠٠٦٣٣٦٣٠
بشار بن بُرْدِ الْأَعْمَى (الشاعر) ٨٦	٦١٤٩٦١٢٥٦١٢٤٦١٢٠
بشر بن عبد الملك بن مَرْوَانَ ٦٠	٦١٦٤٦١٥٩٦١٥٣٦١٥١
بطرس غالي باشا رئيس مجازي النظام وناظر الخارجية كان ١٥٦	٦١٧٨٦١٧٧٦١٦٦٦١٦٥
	٢٠٩٦١٨٠٦١٧٩

﴿ ث ﴾

ثابت بن وقش الأنصاري ١٠٨	ثُمَامَة بن أَشْرَس ٢١٠٦١٩٠
ثعلبة بن سنين المشهور بـ ثُعْلَبَة (ويُسَمَّى أَيْضًا)	
الحارث ٨٢	

﴿ ج ﴾

الجاحظ (في مواضع متفرقة من حواشي الكتاب وتكامل الروايات)	جبريل (الملك) ٢٤
الجارود بن أبي سَبْرَة (ويلقب بأبي مفضل)	جبريل بن بَحْتِيشُوع (الطبيب) ٣٧
١٩٣٤٢٠	جرير بن الخَطَفَنِي (الشاعر) ١١٠٦٨٦
إبن جامع (إسماعيل أبو القاسم) ٣٨٦٣٩٦٢٣	١٣٣٤١٣٢
٤١٤٢٩٦٣٩٦٣٨	إبن جرير الطبري ٢٠٩
	جرير بن عبدالله البجلي الصمغاني ١٣٤

أبو جعفر = المنصور (الخليفة العباسى)	أبو جعفر بن درهم مولد سويد بن غفلة ١٠٧
جمال الدين أبو عمرو بن الحاجب	٢٠٤
المالكى = ابن الحاجب	جعفة بن هبيرة ١٩٥
أبو جندب (اسم محبوب) ٣٨	ابن جعفة ١٠٧٦ = سعيد بن عمرو
أبو الجهم = محمد بن الجهم	ابن جعفة بن هبيرة المخزومى
أبو الجهم العدوى ٨٩	جعفر بن سليمان بن على ١٠٤
	جعفر بن يحيى البرمكى ٤٨ ٦٦٦ ٦٦٦ ٦٦٦ ١٤٢٦ ١٤١

﴿ ح ﴾

أبو حسان الزياتى ٤٨ ٤٨٦ ١٩٤٦ ١٩٦٦	أبو حاتم السجستانى ٢٠٩
١٩٧٦	حاتم الطائى ٤٣
السلطان حسن صاحب الجامع الأشهر بالقرب من قلعة القاهرة ١٥٦	حاتم الكيال [لعله حفص الكيال - وهو من مشاهير الأئمة] ١١
أبو الحسن بن أبى بكر العلاف [من مشاهير الأئمة] ١١ (مات ١٨٩)	ابن الحاجب المالكى ١٦١
الحسن بن سهل ٥١	الحارث = ثعلبة بن سنين
حسن صدق خان (ملك يوبال بالهند) ١٩	الحجاج بن يوسف الثقفى [من مشاهير الأئمة] ١١ ثم ٤٧ ٦٨٩ ٦٣٣
الحسن بن على بن أبى طالب ١٠٣ ١٤٦ ١٤٦	١٩٩ ١٩٣ ١٦٩ ١٣٣
الحسن بن قريش (من أصحاب المأمون) ٤٩٦ ٤٩	أبو حذيفة بن اليمان الصعابى ١٠٨
الحسين بن أبى سعيد (من حجاب المأمون) ٤٩	أبو حزاية (وهو الصواب بدلا من ابن حزاية) ٢٠١
الحصين الكلبى (هو القطامى ، والد الشرق بن القطامى) ١١٥	حرزة (بنت جرير الشاعر) ١٣٤
	أم حرزة (زوجة جرير الشاعر) ١٣٤
	حسان بن ثابت (الصعابى الشاعر) ٨٦

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ٢٠٨	أبو حفص الكيال له حاتم - [من مشاهير الأئمة] ١١٦١١
حمزة (الخارجي) ٢٠٥	حفص بن المغيرة (أحد أزواج أم الخليفة معاوية) ٨٩
حميد بن ثور (الشاعر) ٤٤	
حنين (المنفى العبادي) ٨٤	
حوشب (اسم رجل بني بناء) ٨٢	

﴿ خ ﴾

نخابة ٢٠١ [وصوله : أبو حنيفة]	أبو خارجة [من مشاهير الأئمة] ١٩٠
الخطفى } هو لقب والد جرير الشاعر والخيطفى }	خالد بن صفوان ١٩٩
خلف الأحمر ١١٧	خالد القسري (أمير العراق) ١٠٧
الخيزران (أم الرشيد) ٨٥	خالد بن الوليد (الصحابي) ٨٢
	خالد بن يزيد (المشهور بحكيم بن أمية) ٢٠٠٦٥٠

﴿ د ﴾

درواس [من مشاهير الأئمة] ١١	دأب ١٧، ١١٦، ١١٧، ٢٠٥
دؤاد القاضي ١٦١٥٠٠٤٨	داود (النبي) ٨٨
دورق القصاب [من مشاهير الأئمة] ١١	داود بن أبي داود ٥١

﴿ ذ ﴾

أبو ذبآن = عبد الملك بن مروان

﴿ ر ﴾

رسته (غلام كسرى أبرويز) ١٨١	الربيع بن خيثم ٨٩
١٨٣، ١٨٢	الربيع (حاجب الخليفة المنصور) ١٤١٦، ١٢

الروح الأمين = جبريل	الرشيد (الخليفة العباسى) ٢٣٦٣٧٦٣٧
روح بن زنباع بن روح بن سلامة الجندى	٢٨٦٣٩٦٤٠٤١٤٢٤٣
(وكنيته أبو زُرعة) ٦٠٦٠٦١٣	٦٤٦٥٠٦٥١٦٦٦٦٨٠
١١٧٦١٣٠١٣١٩٩	٨١٦٨٥٨٧٦٩٢٦٩٤
روح بن القاسم (من المحدثين) ٦٠	١١١٦١٩٦١٤١٦١٤٢
الرياسين = الفضل بن سهل	١٥٣٦١٥٤١٧٠
رسول الله = محمد	ذر الرمة (الشاعر) ٢٠٦٢٦
	رؤبة بن العجاج ١٠٦١٩١

﴿ ز ﴾

زهير بن أبى سئى (الشاعر) ٣٨	زاذان فروخ الأعور ١٩١
ابن الزيات (الوزير العباسى) ١٦١	ابن الزبير = عبد الله بن الزبير
زياد ابن أبيه ١٥٦١٥٦١٦٩٢٠٦	الزجاج (النحوى اللغوى) ٨٦
زيد البلخى ٨٩	زردزر (الغنى) ٤٣٤٤٤٤
زيد (مولى عيسى بن نبيك) ١٤٠١٤١٤٢١٤٢	ززل (منصور الضارب بالعود، من آلات الملاهى)
زيد مائة ٣٩	٣٨٤٣٨٤٣٩٦٤٠٤١٤٢
	زهران [من مشاهير الأكلة] ١١

﴿ س ﴾

سعيد بن العاص = أبو أحيحة	سابور ذو الأكتاف (ملك فارس) ١٥٦
سعيد بن عثمان بن عفان ٨٩٢٠٣	١٦٦٧٣٦١٨١١٥١٩٢
سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة	سطيح (الكاهن) ٨٢
المنزوى ١٠٦	سعيد بن سلم (بن قتيبة بن مسلم)
سعيد بن مرة الكندى ٨٧٨٨٤	الباهلى ٥٤٨٠٨٠٨١
	١٩٨٢٠٣٦

سليمان بن أبي جعفر المنصور ١٣٤	سعيد بن وهب البصري (أبو عثمان البصري) ٤١٤٤١
سليمان بن سلامة ٣٩	السفاح (الخليفة العباسي) ٦٣٥٦٣٤٦٣٣٣
سليمان بن عبد الملك الخليفة الأموي [من مشاهير الأئمة ١١] ثم ١٠٣٣٣٣ ١٠٣٣٣٣	٤٨١٤٨١٤٥٩٤٥٨٤٥٨٤٣٧
١٥٥٤١٥٤١٥٤١٥٤١٥٤	٤١٠٨٤١٠٦٤١٠٣٤٩٢٤٨٢
سليمان بن مجالد ٢٠٤٤١٠٨	٤١٥٤٤١٥٢٤١٢١٤١١٤
سليمي (اسم محبوبة) ٣٩	٢٠٤٤١٥٥
أبو السمح = شرحبيل بن السمط	سفيان ٥٦
سفيد (ضارب بالعود، فارسي) ٤٠	سلم بن زياد ١٩١
السيد بن أنس الحميري ٨٨	سلمي ١٩٨ (هو اسم أبي بكر المذلي)
	سلمي (اسم محبوبة) ٣٨
	سلم بن سلام (أبو عبد الله الكوفي) ٣٩
	سلم بن مجالد (صوابه سليمان)

ش

شكلة (هو أم إبراهيم بن الخليفة المهدي) ٢٣	الشافعي (محمد بن إدريس، الإمام) ٥٠
شهر براز (قائد فارسي حارب الروم في أيام كسرى أبريد) ١٨٥٤١٨١٤١٨٠٤١٨٠٤	شاه بود = سابور
شهر يار = شهر براز	شبابه (من دراة الحديث) ٤
شهر يزار (هو محرف من الناصحين لاسم شهر براز)	شربة ٨٤
شوينفرت (علامة ألماني) ١٩٥	أبو شجرة = يزيد بن شجرة الزهاوي
شيخو (الأتاكي سيف الدين العمري، صاحب المسجد المشهور باسمه الآن في القاهرة) ١٥٦	شرحبيل بن الحارث بن عمرو ٢٠٨
شيرويه بن أبريز، (ملك الفرس ويسميه العرب في كتبهم "شيري" أيضا) ٦٩٤٩٠	شرحبيل بن السمط (وكنيته أبو السمح)
١١٠٤١٠٩٤٥٥٤٥٠	أبو يزيد ٧٩
شيري = شيرويه	الشرقي بن القطامي أو شرقي بن القطامي ١١٥٤١١٥
	القاضي شريح ١٦١
	الشعبي ١٩٧٤١١٤٥٥٤

﴿ ص ﴾

صباح بن خافان المَقْرِىّ ١١٠، ١١٠، ٢٠٥	الصالح نجم الدين أيوب = نجم الدين الأيوبى
---	--

﴿ ض ﴾

ضرار بن عمرو (من سادة ضَبَّة) ١١١	الضحاك = الأحنف ضرار بن الشماخ (و يلقب بمزد) ١٩٠
-----------------------------------	---

﴿ ط ﴾

طويس (المُفَيّ) ٢٠٣، ٨٩	طاهر بن الحسين ١٩٤، ٣١ طاهر ذو اليمينين ٧٤
-------------------------	---

﴿ ع ﴾

عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر بن سُكْرِيز القُرَشِيّ ٢٠	عاتكة بنت عبد الرحمن ١٣٠ العادل الأيوبيّ [سلطان مصر، من مشاهير الأَكَّة] ١١
عبد الجبار بن عبد الرحمن (والى خراسان) ٥٩	أبو العالية [من مشاهير الأَكَّة] ١١
عبد الحميد الثانى (سلطان آل عثمان) ٤٢	عائشة أم المؤمنين ٦١
عبد الرحمن الحترانى ١٣	الحاجّ دباس حلى الثانى خديو مصر ١٥٦، ١٥٧
عبد الرحمن بن محمد (الأشعث) ١٧٥، ٥٩	العبّاس بن عبد المطلب (عمّ رسول الله) ٨٨
عبد الرحمن الناصر، أكبر خلفاء الأندلس ٢٠٨	أبو العبّاس = السفاح
عبد الرحمن = عبد الله بن عمر بن الخطاب	أبو العبّاس = عبد الله بن طاهر ٧٥، ٧٤
عبد الظاهر (صاحب كتاب الخطوط الذى يروى عنه المقرئى) ٦٤	أبو العبّاس ٩٢ = عبد الله بن مالك الخزاعىّ
	أبو العبّاس (كنية فرعون موسى) ٤

عبدالله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ٨١٦٨١	عبد الملك بن مهمل الهمداني ١٣٤
عبدالله بن الزبير ٦١٩٨٦٥٦٠٦٥٩	عبد الملك بن يزيد الخراساني الأزدي ٣٥٦٣٤
٢٠١	عبد الملك = مروان بن محمد أبو الجعدي
عبدالله بن طاهر (كنيته أبو العباس) ٦٧٤	١٥٠
١٥٠	عبيد (القوى) ٢٤
عبدالله بن أبي عتيق بن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق = ابن أبي عتيق	عبيدالله بن زياد بن أبيه [من مشاهير الأئمة] ١١ (وأنظر ١٩٠)
عبدالله بن علي الهاشمي (عم الخليفة المصور العباسي) ١٤٣٦٥٩	عُتْبَةُ بن غَرْوَان ١٠٩
عبدالله بن عمر بن الخطاب ١٣٠٦٦٠	٢٠٧٦١٣١٦١٣٠٦١٣٠ عتيق
١٣١٦١٣٠	عثمان بن شيخ الشيوخ (نفر الدين وهو أستاذ دار السلطان نجم الدين الأيوبي وكان إليه أمر المملكة) ١٦١
عبدالله بن مالك الخزازي ٨١٦٨٠	عثمان بن عفان (الخليفة الراشد) ٥٩
٩٣٦٩٢	٢٠٣٦١١٩٦٨٦٦٧٩
عبد الله بن محمد بن أيوب التيمي (شاعر الأمين) ١٩٤	عثمان بن نَهِيك ١٤٢٦١٤١
عبد المسيح بن عمرو بن حيان بن بَقِيلَة الغساني ٨٢	عدي بن زيد (الشاعر العبّادي من أهل الحيرة) ٨٤
أبو عبد الملك = مروان بن محمد الجعدي	عُروَة بن أَدِيَّة (وهو عروة بن حدير أحد بني ربيعة بن حنظلة) ٢٠٦
عبد الملك بن صالح الهاشمي ٨٥٦٤٨	عُروَة بن أَدِيَّة (شاعر فريش) ١٢١
عبد الملك بن مروان (الخليفة الأموي) ٦٠٦٥٩٦٥٠٦٤٧٦٣٦٦٣٢	عز الدين (وهو عبدالعزيز بن عبد السلام المشهور به لطان العلماء) ١٦٢٦١٦١
٦١١٧٦٩١٦٩١٦٥٦٦٥	العزّي (من آله العرب) ١
٦١٣٠٦١٢٠٦١١٩٦١١٩	عقيل ١٩٥
٦١٣٣٦١٣٣٦١٣٢٦١٣١	عُقَيْل ١٣٢
٦١٦٩٦١٥٥٦١٥٤٦١٥١	ابن أبي
٢٠٢٦٢٠١٦٢٠٠٦١٩٩	

عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق ٢٠٢٦٢٠١٦٦٥٦٥٦٥٩	المكى ١٤٣٦١٤٣
عمرو بن العاص ١٩٨٦٧٩٦٥٣	تأليه الأعسر (ومرأبو الحسن على بن عبد الله بن سيف) ٤٤٦٤٣
عمرو بن معد يكرب [من مشاهير الأئمة] ١١	على بن الخليل (الشاعر الذى يقال له الزنديق) ٨٨
عنيسة بن إسحاق (وال مصر) ١٩٧	علي بن أبى طالب ٦٧٩٦٥٩٦٥٥
عنيسة بن زياد (له مصحف من عبيد الله أبن زياد) ١٩٠ (وأظفر ١١)	١٠٩ ٦٢٠٤٤١٦١٦ ١٢٤٦ ٢٠٨
أبو عون = عبد الملك بن يزيد الخراسانى الأزدى	ذو العامة = أبو أحيحة سعيد بن العاص عمر بن الخطاب (الخليفة الراشد) ٨٦٦٤٤٣
أين عياش ١١٤٦٥٩٦٥٩٦٥٨	٨٨٦ ٦١٩٦ ١٦١٦ ١٦١٦ ٦١٦٨ ٢٠٨٦١٩٥٦١٦٩
عيسى بن موسى بن محمد بن على الهاشمى ٨٣٦٨٢٦٨٢	عمر بن عبد العزيز (الخليفة الأموى) ٣٣٣ ١٦١٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٣٦٩١٦
عيسى بن هيك ١٤٢٦١٤١	عمر بن هبيرة الفزارى ١٤٧
عيسى بن يزيد بن بكر بن دأب = أين دأب	أين عمر = عبد الله بن عمر بن الخطاب عمر والغزال ٣٩

﴿ غ ﴾

ذلفاء بن الحارث = الموسوس معد يكرب بن الحارث بن عمرو، أخو شرحبيل بن الحارث.

﴿ ف ﴾

الفراء ١٢٣	أبو	الدمير الفتح بن خاقان (الوزير العباسى، الذى ألف الملاحظ هذا الكتاب باسمه) ١٨٦٦٤
الفرج الأصهبانى (صاحب كتاب الأعانى) ٢٣٦٢٢		
فرخان (أخو شهر براز) ١٨٣		نفر الدين = عثمان بن شيخ الشيوخ

الفضل بن يحيى (مال خراسان) ٢١٠	الفرزدق (الشاعر) ١٤٧٤١٣٣٤١١٠
فُلَيْحُ بن العوراء (المتنّى) ٢٣	فرعون (ملك مصر) ٣
فورسكال (عالم نبات سويدي) ١٩٥	الفضل بن الربيع (من رجالات الرشيد والأمين) ١٩٤٤١٤٢
فيروز الأصغر (ملك الفرس) ١٢٠	الفضل بن سهل (ذوالرياستين) ٤٩٤٤٨

﴿ ق ﴾

القرنين = الإسكندر	قاسم التمار [من مشاهير الأئمة] ١٨٩٤١١
القُطامي = الحصين الكلبي	القاسم (بن هارون الرشيد) ٤٩٤٤٩
قف الملائم [من مشاهير الأئمة] ١١	أبو القاسم الكهبي ٥٨
قلافس الإسكندري ٢٠٧	قاي قباي (سلطان مصر الشهير بمآثره الجليلة في خدمة العلم والأدب والفنون الجميلة) ٧٨٤٧٨
قيس بن الأسلت (الشاعر) ١٩٦	قباذ (ملك الفرس) ١٠٥٤٧٨٤٧٨
قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري	قباذ بن فيروز بن يزدجرد ١٥٥
٢٠٤٤١٠٩	قُثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ٦٦٤٦٦

﴿ ك ﴾

كيشاسف (العلامة ستاسف ملك الفرس) ١١٩	كثير (الشاعر، صاحب عزة) ١٠٨
كيومرث ١٨	كسرى ١٦٦ = كسرى أبريز
	كوثر (خادم الخليفة الأمين) ١٩٤

﴿ ل ﴾

لقمان الحكيم ١٩٦	اللات (من آلهة العرب) ١
لوط بن مخنف ٢٠١	لطم الشيطان = عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق
لويس شيخو اليسوعي ١٢٨	

(۲)

19967067-

المعتصم بن الرشيد (الخليفة العباسي) ١٢٢	مروان الحمار، مروان القرس =
١٢٧٦١٣٠٤٨٦٤٨٤٣١	مروان بن محمد الجعدي
١٨٦٦١٥٥٦١٥٤٦١٥٣٦١٢٧	مروان بن محمد الجعدي (آخر خلفاء بن
المعتصم بن عباد (صاحب إشبيلية بالأندلس)	أمية بالمشرق) ١٠٦٦١٠٦٦٣٢
١٦٦	١٥٥٦١٥٤٦١٥٣٦١٤٠٦١٠٧
المعتصم على الله (الخليفة العباسي) ١٧٠	١٧٦٦١٧٥
معد يركب بن الحارث بن عمرو ٢٠٨	مزود ولله مصحف عن مَرْدَد [من مشاهير
المفسرة ٨٨	الأكلة] ١١ (وأنظر ١٩٠)
مفضل ١٩٣ = الجارود بن أبي سبرة.	المستعصم (آخر الخلفاء العباسيين ببغداد) ١٦٢
مقاتل بن حكيم العنكي ١٤٣ = العنكي	مسرور (خادم الرشيد، وكنيته أبو هاشم)
مقدم (من رواية الحديث) ٤	٦٦٦٦٦
المُقَفَّع ٢٤٦١٩	أبو مسلم الخراساني (صاحب الدعوة العباسية)
مناة (من آله العرب) ١	(واسمه عبد الرحمن، ونبذ أبو مجرم) ٦٣٣
مناذر (الشاعر) ١١٧	٦١٧٦٦١٧٦٦٨٢٦٨٢٦٥٩٦٣٤
منذر بن سعيد البلوطي قاضي فضاة	٢١١
قرطبة ٢٠٨	المستيب بن زهير السبي (من رجالات
المتنصر (الخليفة العباسي) ٩	المنصور العباسي) ١١١٦١١١
المنصور (أبو جعفر الخليفة العباسي، واسمه	مُصْعَب بن الزبير ١١٠١١٩٦
عبد الله بن محمد) ١٢٢ ٦٣٥ ٦٣٤ ٦٣٣	مُعَاذ الطيب (المتن) ٣٦
٦١١٠٦٩٤٦٨٣٦٨١٦٥٩٦٣٧	مُعَاوِيَة بن أبي سفيان الخليفة الأموي [من
٦١١٢٦١١٣٦١١١٦١١١	مشاهير الأكلة ١١] ثم ١٤٦١٥٠١٤٦
٦١١٦٦١١٥٦١١٤٦١١٤	٦٥٦٦٥٥٦٥٥٦٤٦٦٣٣٦١٥
٦١٤١٦١٤١٦١٤٠٦١٤٠	٦٨٩٦٨٨٦٧٩٦٧٩٦٧٠٦٥٧
٦١٥٥٦١٥٤٦١٤٣٦١٤٣	٦١١٩٦١٠٩٦١٠٣٦١٠١
٢١١٦١٩٧٦١٧٦٦١٦٩	٦١٥٥٦١٥٤٦١٣٦٦١٢٠٦١١٩
منصور زلزل = زلزل	٢٠٦٦٢٠٤٦١٩٩٦١٧٥٦١٦٩
منصور الضارب بالعود = زلزل	

المهدي (الخليفة العباسي) ٢٣٤٣٤٣٥٦
٣٧٣٨٤٨١١١١٥٦
١١٦١٢٦١٤٢١٥٣
١٩١٩٧١٩٧
المهلب ٨٩
مهيّار الديلمي (الشاعر) ١٩
الموسوس غفقاء بن الحارث ٢٠٨
موسى (النبي) ٣١٠٧
موسى ٨١ = إلهادي (الخليفة العباسي)

(ن)

<p>٥١ خازم بن نعيم</p> <p>الشمس الزكية = محمد بن عبد الله</p> <p>ابن الحسن الخ</p> <p>نفطويه (النحوي) ٣٨</p> <p>١٤١ نبيك (من رجالات المهدي العباسي)</p> <p>(واقظ عثمان وعيسى، وهما آخران)</p> <p>١٩ نور الحسن</p> <p>١٦٥ نوفل = الجارود</p>	<p>١٣ الناقد</p> <p>الناقص = يزيد بن الوليد الخليفة الاموي</p> <p>النبي، نبينا = محمد</p> <p>نجم الدين الايوبي (سلطان مصر) ١٦١</p> <p>٤٤٤ ابن أبي تيج (من رواة الحديث)</p> <p>نصر بن سيار (صاحب خراسان) ١٧٦، ١٧٧</p> <p>النعمان بن المنذر (ملك الحيرة) ١٦٤، ١٦٥</p>
---	---

(A)

هارون = الرشيد	الحادي (الخليفة العباسي، وآسموسى) ٤١٧
هاشم (ابن ابي الأبرد) ١٣	٤٨١ ٤٨٠ ٤٣٨ ٤٣٦ ٤٣٥ ٤٣١
هاشم = مسرور خادم الرشيد	٤١١ ٤١٧ ٤١٦ ٤١١ ٤٨١
هروينغ درنبرغ ٢٠٦	٢٠٣ ٤١٥ ٤٤٦ ١٥٣ ٤١٣ ٤٤٦ ١٣٦

هزيمة بن أعين ١٩٤
 هشام بن عبد الملك بن مروان (الخليفة
 الاموي) ٣٣ ١٠٦٦ ١٠٧٦
 ١١٢ ١٤٠٦ ١٥٣٦
 ١٥٤ ١٥٥٦ ١٦١٦ ١٩٨٦
 ٢٠٦٢٠١
 هلال بن الأسعر (أو ابن أشعر أو ابن
 مسعر) [من مشاهير الأئمة] ١٩٠-١١١٦
 هلال بن سعد المازني [من مشاهير الأئمة]
 ١١
 هلال بن مسعر التيمي = هلال بن
 الأسعر "زوجه" [من مشاهير الأئمة] ١١
 أبو همام السنوط (أو السنوط) [من مشاهير
 الأئمة] ١٨٩
 الهيثم بن عدي (من أكابر مؤلفي السنين
 في العصر الأول) ١٤١٦١٥



الوليّد بن عبد الملك (الخليفة الأمويّ) ٣٣٣	الواثق الخليفة العبّاسيّ [من مشاهير الأئمة ١١]
٦١٣٠٦١١٩٦٩١٦٩١٦٨٥٦٠	ثم ١٣٠٦٤٨٦٣١٦٢٣٦١٣
١٥٥٦١٥٢	١٥٤٦١٥٣٦١٢٧
الوليّد بن يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأمويّ) ١٥٤٦١٥٣٦٣٢٦٩	أبو وائل ٨٩ ورقاء (من رواة الحديث) ٤
أبو الوليد (كنية فرعون موسى) ٤	الوليّد بن الحُصَيْن الكَلبيّ = الشرق
أبو الوليد = ابن دأب	آبن القطاميّ



يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأموي)	يزيد بن عبد الملك (الخليفة الأموي)
٣٢٦٣٠	٣٢٦٣٠
٥٧٠٥٦٥٥٥٥٥٥	٥٧٠٥٦٥٥٥٥٥٥
يزيد بن شجرة الرهاوي (وكنته أبو شجرة)	يزيد بن شجرة الرهاوي (وكنته أبو شجرة)
٢٨	٢٨

يزيد بن معاوية (الخليفة الأموى) ٩١ ٦	أبو يزيد ١٤٢ = عيسى بن نهيك
١٩١٦١٥٤٦١٥١٦١٢٦٦١١٩	يستاسف ١١٨
يزيد بن الوليد بن عبد الملك (الخليفة	الأمير يشبك الدوادار (الأستادار، الوزير،
الأموى) ٩١٠٦٦١٥٢٦١٥٤٦١٩١٦	كاشف الكشاف بمصر) ١٥٧
أبو يزيد = شرحبيل بن السمط	ذو اليميتين = طاهر

الفهرس الأبجدي الرابع

بأسماء الأمم والقبائل والشعوب والبيوت ونحوها

بكر = بنو بكر	﴿ا﴾
بنو بكر ١١٥٤١١٤	الأتراك = الترك
﴿ت﴾	الأحامرة ٢٤
الترك ٤٢٤١٩	الأساورة ٤٥٥٤٢٨٠٢٥٤٢٤٤٢٤
التركان ١٦٦	٤١٦٤٤١٦٣٤١٥٩٤١٠٩٤٧٧
بنو تميم ٦٩	١٩٤٤١٧٣
﴿ج﴾	الإسبانيون ٢٦
جرهم ٨٣	الأشكانية ٢٩
﴿ح﴾	الأعاجم = العجم
بنو حزم ١٤١	الأكاسرة ١٥١٤٧٧
﴿خ﴾	الأمويون والدولة الأموية = بنو أمية
الخراسانيون ١٠٧	بنو أمية ٢٠٥٤٢٠٠٤٦٠٤٣٢٤٣١
خزاعة ٥٦	أهل الأندلس ١٦٦
الخزرج ٨٠٤٥٤٤٥٤	الأيوبيون ١٦١
﴿ز﴾	﴿ب﴾
الراوندية ١٤١٤١١٤٣٥	البرامكة ١٤٢
بنو ربيعة ١٢٣	بنو بَقِيلَة (وظل من كتب أرتال قبيلة) ٨٢٤٨٢
ربيعة بن حنظلة ٢٠٦	

بنو العباس، العباسيون، الدولة العباسية	الروم ٥٥٥-٦٨٠-٦٨٠-٦٨١
٦١٠٦٤٤٨٤٣٧٤٣٤٤٢٧	١٨٥٤١٨٣
١٨٦٤١٧٦٤١٥٥	الرويدية (لعل سوابه : الرويدية)
بنو عبد شمس ١٩٦	﴿ ز ﴾
آل عبد الملك بن صالح الهاشمي ٧٥	الزنج ١٨
العجم ١٥٤١٥٤١٩٤١٥٤٢٤	بنو زهرة ٢٠٤
٤٥٨٤٣٠٤٣٩٤٣٨٤٢٦٤٣٦	الرويدية ١١١٤١١١
٤١٠٥٤٨٠٤٧٨٤٧٢٤٦٩	﴿ س ﴾
٤١٢٩٤١٢٥٤١٢٢٤١١٤	ساسان (آل ربنو) ٤٤٧٤١٨٤٩٤٥
٤١٦٣٤١٤٦٤١٣٩٤١٣٨	٤١٤٥٤١٣٤٤١٠٩٤٩٤٨٣
٤١٦٨٤١٦٦٤١٦٥٤١٦٤	١٦٧٤١٦٥٤١٦٣٤١٥٩
٢١٠٤١٧٤٤٤١٧٣	بنو سنين ٨٢
العرب ١٥٤١٥٤١٩٤١٥٤٣٠٤٣٦	﴿ ش ﴾
٤١٠٣٤٩٢٤٨٥٤٧٥٤٦٧	شيان ١١٢
٤١١٦٤١١٥٤١١٤٤١٠٨	﴿ ض ﴾
٤١٤٧٤١٣٠٤١٢٣٤١١٧	ضبة ١١١
٢٠٨٤١٧٦٤١٧٤٤١٧٣٤١٥١	ضرار بن عمرو (من سادة ضبة) ١١١
العلويون الفاطميون ١٦٢	﴿ ط ﴾
﴿ ف ﴾	الطبردارية (طائفة بن جيش الماليك بمصر) ١٦٦
الفرس = العجم	الطوائف (ملوك) ١٥١٤١٣٩٤٢٩
الفرنج ١٦١	﴿ ع ﴾
الفرنسيون ١٠١	عاد ٨٣
بنو قزارة ٦٠	

بنو مروان ٢٠٢	﴿ق﴾
المشاركة ١٦٦	قريش ٦١٣٠٦١٢١٦٨٤٤٥٦٦٥٦
المضريّة ١٣٣	٢٠٦٤١٩٦
بنو معاوية ٧٩	أهل القصر (أى أهل بيت الملك فى أيام الفاطميين
المماليك (بمصر) ١٥٦٤١٤٢	بالقاهرة) ٦٤
المنانية = المنويّة	قيس ١١٥
المهاجرون ٥٧	﴿ك﴾
﴿ن﴾	كَلْب ١٣٤
النبط ٢٩	الكرد ١٧٦
﴿ه.﴾	بنو كليب ١٣٣
بنو هاشم ١٩٥٦١١٧٦٤٨	﴿م﴾
الهولنديون ١٠١	المانويّة ٢١٠
	المجوس ٧٧٦١٥
	مخزوم ١٩٥٦٧٥٦٧٤٦٥٦٦٥٦

الفهرس الأبجدى الخامس والأخير
بأسماء البلاد والمدن والمواضع والأماكن ونحوها

بركة زلزل (بغداد) ٣٨	﴿ ا ﴾
البصرة ٦٨٤٦٧٨٦٦٦٥٨٦٢٤٦٢٠	آسيا الصغرى ٥٥
١٩٣٦١١٧	أجنادين ٧٩
بطحاء ذى قار = ذو قار	أحد (بيل) ١١٤٦١٠٨
بغداد ٦٤٩٦٤٨٦٣٨٦٣١٦٢٢	أذربيجان ١٠٦٦٨١
٦١٦٢٦١٤٧٦١٠٤٦٨٤٦٧٨	أرمينية ١٠٦٦٨١٦٨٠
٢٠٩٦١٩٧٦١٩٤٦١٧٠	الأزبكية (مكة بالقاهرة) ٧٨
بلغ ٩٩	إصطخر ١٥
بوشنج ٧٥٦٣١	إفريقية (تونس الآن) ١٧٥
البيت الحرام وبيت الله الحرام = الكعبة	الأنبار ٨٢
بيسان ٧٩	الأندلس ٢٠٨٦٢٦
﴿ ت ﴾	إنواتيل = ذو السرح
تهامة ١٢٧	الإيوان (قنطرة القاهرة) ١٥٦
﴿ ج ﴾	الإيوان (إيوان كبرى) ١٧٤٦١٦٣
جامع آبن طولون (بالقاهرة) ٣٥	﴿ ب ﴾
جامع العسكر (بالقاهرة) ٣٥	بندر ١١٤
جامع الفاكهاني (بالقاهرة) ٦٤	برقة ٣٥

الجبابات = ذوقار
الجزيرة (أي ما بين النهرين) ١٠٧٦١٠٦٦٨٠
(ح)
البحار ١٢٧٦١١٦٦٦٠
حلوان (مدينة بالعراق المسمى) ٧٨
حلوان (مدينة بالقرب من القاهرة) ١٦١٦٧٨
يخص ٧٩
الحنو = ذوقار
حنو ذى قار = ذوقار
حنو القراق = ذوقار
حومل ٢٨
الحيرة ٦١٦٤٦١٥١٦٨٤٦٨٣٦٨٤٦٨٢
١٦٦
(خ)
نجران ٦٥٨٦٤٩٦٣٥٦٣٣٦٣١
٦١٧٤٦١١١٦٨٢٦٧٥٦٧٤٦٥٩
٢١٠٦١٩١٦١٧٦٦١٧٦
(د)
دار السلام = بغداد
دار التحف العسكرية بالقسطنطينية ١٦٦

(۴۵)

الشـم ٦٥٠-٦٧٨٢١٤

شيبي القناطر = شيبين القناطر

التشويق (أحد شقي بغداد) ١٩٧

الشرقية (مديرية بمصر) ٨: (وأنظر ١٩٧)

التَّحْفِيفُ (قُلَّةٌ بِالنَّامِ) ١٦١

21 1-2-34

شبيبت القناطر (مدينة بمديرية القليوبية من

مضر وأسمها الآن شين القناطر) ٧٨

(ص)

۱۷۵۶۵۷

171

(b)

ضریبستان ۲۰۹

(୧)

ذات المسجروم = ذوقار

العزيز ق ١٥٠٦٠٧٨٤٢٦١

بلاد العرب ٦٧٦٤٤

بَادِيَةُ الْعَرَبِ ٢٦

٣٥ (موضع كان بمصر القاهرة)

(c)

بلاد الغرب ٢٦

الغَرْيَانِ ١١٦

(ف)

فارس ۶۹۷۶۶۴۶۴۰۶۲۹۶۱۳۶۹

19

الْفَيْحَالَةُ (بالقاهرة) ١٥٦

فلسطين ٦٠٤٣٥

(ق)

القادسة ٧٩

ذو قار ۱۱۴۶ ۱۱۵۶

القاهرة ١٦١٦٧٨

قراقِر = ذوقار

قوله ٢٠٨

قطر ۳۹

القلعة (بالقاهرة) ١٥٧٦١٥٦

قلعة الشَّيْف = الشَّيْف

(4)

کازرون (مدینه فارس) ۷۸

الكعبة ٩٩٦٩٣٦٦٦٦٦٦

۱۲۷ از ۱۵

الكُفَّة ٤٨٣ ٤٧٨ ٤٦٠ ٤٥٨ ٤٢٤

199619A611V61.76A8

باب کسان (بدمشق) ۳۴

pour ce merveilleux artiste dont il reproduit d'ailleurs plusieurs passages. Il aurait voulu ainsi, en écrivant ses *Mœurs des rois*, enrichir la littérature arabe d'un *Kitâb el Tâdj*, qui ferait en quelque sorte le pendant du monument des Sassanides.

Voilà la raison qui m'a déterminé à donner les deux titres à mon édition, imitant en cela l'exemple du Codex de Sainte Sophie.

* *

A la présente édition, j'ai ajouté des index alphabétiques, aussi soigneusement faits que possible, afin de provoquer chez les orientaux l'habitude de recourir à cet instrument de travail d'une importance capitale, toutes les fois qu'ils essayeront d'éditer un ouvrage arabe d'une certaine valeur.

AHMED ZÉKI PACHA.

Le Caire, Avril 1914.

P.S. — Je dois renvoyer les lecteurs arabisants à mes protégomènes arabes placés d'autre part en tête de la présente édition.

On y trouvera des renseignements détaillés et des notes critiques sur le livre et son auteur, sur les deux manuscrits conservés à Stamboul et sur celui d'Alep, ainsi qu'une dissertation documentée sur les deux titres de cet ouvrage.

Je crois avoir réussi à prouver que Djâhîz est incontestablement l'auteur du livre que je présente aux érudits de l'Orient et de l'orientalisme.

A. Z.

le copiste indiquait son nom, la bibliothèque pour laquelle il l'avait exécuté, dans la ville d'Alep, en l'an 885 de l'Hégire.

Si le texte, d'Alep nous renseigne sur sa date, en revanche il ne porte aucun titre.

On verra dans mes prolégomènes arabes tout le parti que j'ai tiré, quoique tardivement, de ce manuscrit qui venait de tomber entre mes mains d'une façon si inattendue.

Qu'il me suffise ici de remercier M. Sherman qui a eu l'amabilité de mettre son manuscrit à mon entière disposition. J'ai pris les *fac-similés* de la première et de la dernière page, et je les ai ajoutés à ceux que je m'étais déjà procurés d'après les deux manuscrits de Stamboul, les deux seuls connus et dont l'un a été découvert par moi à Top-Kapou.

* *

Les nombreux renseignements que nous trouvons dans le présent volume sont, à n'en pas douter, reproduits par Djâhiz d'après des traités persans consacrés à l'étiquette et au protocole royal. Quelquefois même, comme nous l'avons fait ressortir, Djâhiz nous induit simplement en erreur en reproduisant, comme existant à son époque, un cérémonial qui était à coup sûr tombé en désuétude. Il fait souvent allusion au آیین "Ayīn" des Persans, au "Ayīn" des Cosroés, à leur "Ayīn" au "Ayīn" tout court, livre de l'étiquette sassanide que l'auteur arabe met à contribution.

Nous savons d'autre part qu'il y avait chez les Persans un *Kitâb el Tâdj* qui a été traduit en arabe par Ibn el Moqaffa'. Il est très vraisemblable de supposer que cette version a été mise à profit par Djâhiz qui avait une véritable admiration

que le livre de Top-Kapou n'est pas mentionné dans le soi-disant *catalogue* et que le texte de Djâhiz se trouve dans un volume contenant tout d'abord deux traités d'Ibn el Moqaffa'. Il est encore à remarquer que ce titre d'*El Tâdj* n'est donné par aucun des auteurs qui ont parlé des œuvres de Djâhiz. Tous, comme lui-même d'ailleurs, font mention seulement d'un livre, intitulé : "*Mœurs des rois*."

Par un hasard heureux, il m'a été donné d'utiliser encore une troisième copie, mais seulement à la dernière minute.

Depuis assez longtemps déjà, le texte de Djâhiz avait été imprimé, et lorsque dans les premiers jours de décembre 1913 mes prolégomènes arabes et les additions et index étaient enfin presque sous presse, j'eus la bonne fortune de recevoir au Caire la visite de M. Sherman. Il venait d'acquérir à Constantinople la belle collection des manuscrits orientaux de Khâlis Bey, un des favoris de l'ex-Sultan Abdul Hamîd II. Il me pria d'examiner cette collection et de lui faire le catalogue de la partie arabe. Quelle ne fut pas ma surprise et surtout ma satisfaction lorsque j'y rencontrai une nouvelle copie insoupçonnée de *Kutâb el Tâdj* !

Dépourvu de la moindre indication au sujet du titre même de l'ouvrage, rempli d'autre part d'une foule d'erreurs, souvent grossières, présentant enfin plus d'une lacune, et amputé pour ainsi dire vers sa fin, par le copiste, qui a sauté une quinzaine de feuilles environ, le manuscrit que j'avais sous les yeux présentait cependant pour moi, un intérêt tout particulier.

A l'encontre des codex que j'ai mis à contribution pour ma présente édition le manuscrit contenait un colophon où

* * *

J'ai pris pour base de cette édition le manuscrit conservé à la Bibliothèque de Top-Kapou, que je désigne par la lettre **س**; il porte le titre de *Kitâb el Tâdj* (كتاب التاج).

La seconde copie de cette œuvre, conservée à la Bibliothèque de Sainte Sophie, a pour titre أخلاق الملوك "*Mœurs des rois*." J'en ai obtenu dans la suite une copie photographique qui a servi à la révision de mon édition, où elle est indiquée par la lettre **ص**. Les deux textes, malgré leurs nombreux défauts, se sont complétés, grâce surtout à des recherches patientes et laborieuses que j'ai entreprises dans une foule de documents imprimés et manuscrits.

Le texte de Top-Kapou portait uniquement le titre de *Kitâb el Tâdj*; celui de Sainte Sophie portait écrit de la main originale le titre de *كتاب أخلاق الملوك* *Mœurs des rois*, avec le mot التاج ajouté par une main moderne sur la lettre **ب** du titre. Nul renseignement sur la provenance ou sur la date, de l'une ou de l'autre copie, ni au commencement ni à la fin. Sauf pourtant que le copiste de Sainte Sophie a ajouté à la fin de son manuscrit cette mention: ركان بالأصل سقامة: "L'original qui a servi à cette reproduction était en mauvais état."

La copie de Top-Kapou portait donc formellement le titre *Kitâb el Tâdj* qui était reproduit incidemment en tête de la seconde. Dans quelles conditions cette suscription, évidemment moderne, a-t-elle été écrite sur le manuscrit de Sainte Sophie? Mystère. L'auteur de cette indication l'aurait-il prise dans le manuscrit de Top-Kapou? Rien n'autorise cette hypothèse, puisque nous ne possédons aucun indice à cet égard. D'ailleurs cela est peu probable, étant donné

les Abbassides et nous dépeint les stratagèmes qu'ils employaient pour reconquérir la faveur du monarque ou des grands dignitaires de l'Empire. Il nous décrit le protocole qui régit les rapports des Princes avec le Souverain. Une légende est accréditée en Orient qui dépeint le khalife El Mansour sous les traits d'un avare. Djâhiz combat cette légende avec énergie et produit pour soutenir sa thèse des preuves qu'emploieront ensuite Tabarî et d'autres.

Cérémonial employé lorsque le khalife est malade ; façon dont les persans et arabes se comportent avant et après l'Islam, dans les festivals et les réunions intimes ; visites des souverains aux grands dignitaires ; attitude des khalifes pendant les grandes crises qui ébranlent leurs trônes, etc., etc., tout cela est passé en revue par notre auteur.

Le *Livre de la Couronne* est peut-être l'ouvrage où il y a le plus d'ordre relatif, parmi les productions que nous devons à la plume féconde de Djâhiz. Le souci constant qu'il a de ne pas lasser le lecteur l'entraîne ordinairement en effet à traiter, à tout propos et quelquefois hors de propos, les sujets les plus disparates, les plus variés, comme les plus opposés et même les plus contradictoires.

Il explique d'ailleurs lui-même sa méthode dans son grand traité littéraire et indique les moyens de fixer l'attention du lecteur. "Si le livre, dit-il, est de longue haleine, l'auteur, pour captiver et tenir en éveil l'attention du lecteur, doit recourir à divers subterfuges, pour être toujours en faveur auprès de lui. Il est, par exemple, nécessaire de varier les sujets, sans toutefois dépasser les limites du cadre qu'il s'est imposé. Il faut en un mot le renseigner et l'instruire." (1)

(1) Cf. entre autres, DAYÂN, t. II, p. 154, et HARAWÂN, t. V, pp. 50, 51, 54 et 65.

orientaux, les Abbassides suivaient les règles établies par les Sassanides. Cela s'explique d'ailleurs par la contribution armée que les Persans apportèrent pour mettre les Abbassides sur le trône. Les plus grands personnages de l'Empire, du reste, étaient d'origine persane. Mais Djâhiz n'oublie pas néanmoins de nous renseigner sur l'étiquette purement arabe.

Je me permets d'attirer l'attention du lecteur sur l'*interview* (dans le sens actuel du mot) que Djâhiz prit à l'un de ses plus illustres contemporains, Ishâq Ibn Ibrâhîm el Mawsili. Cette *interview* rappelle les informations de nos plus grands *reporters* modernes. Elle nous initie à la vie intime des khalifes omayyades et abbassides. Nous assistons à leurs divertissements, alors qu'ils boivent en écoutant des chansons. Djâhiz mélange à sa narration ses appréciations personnelles ; il y ajoute des notes complémentaires, d'où résulte une confusion avec les paroles mêmes de l'interviewé que le système de ponctuation nous a permis de dégager et de rendre claires (voir pages 31 à 43 du texte arabe).

Djâhiz nous rapporte tranquillement quelques-unes des particularités de l'étiquette sassanide, alors que ces particularités étaient devenues incompatibles avec l'Islam. Entraîné par son sujet, il oublie même d'attirer le moins du monde l'attention du lecteur sur ce fait.

Il nous renseigne sur la toilette et le costume des souverains ainsi que sur l'usage des parfums qui leur étaient exclusivement réservés. Il nous raconte plusieurs anecdotes et cite des mots historiques. Il nous apprend qu'il ne faut jamais appeler le souverain par son nom, sauf dans la poésie. Il nous donne les raisons de la disgrâce dont furent frappés quelques courtisans sous

bution une foule d'auteurs pour arrêter le texte de façon aussi rigoureuse que possible. Partout où il était nécessaire, pour obvier au défaut de lecture, provoqué par le système graphique de l'alphabet arabe, j'ai mis les points-voyelles pour fixer la prononciation de tel ou tel mot qui présentait une difficulté quelconque. De même pour l'intelligence du texte, j'ai utilisé le nouveau système de ponctuation, adapté par moi à la grammaire arabe, ce qui facilite la lecture en la simplifiant.

Les divisions en paragraphes, destinées à éviter les confusions, ainsi que les manchettes qui jouent un rôle utile pour indiquer les changements de sujet, feront de mon édition, un travail à peu près complet et soigneusement présenté.

Les notes critiques et documentaires, auxquelles s'ajoutent souvent de nombreuses références, permettront au lecteur de trouver facilement tous les détails complémentaires qu'il pourrait souhaiter.

*
* *

J'avais pensé faire une analyse en français du présent ouvrage, mais cela pourrait être un excellent exercice pour un jeune orientaliste qui se trouvera parfaitement en mesure de le faire, grâce aux indications bibliographiques et aux notes explicatives que j'ai semées à profusion à travers tout l'ouvrage.

Je me contenterai donc de dire un mot sur le sujet traité par Djâhiz.

Dans ce livre, l'auteur a voulu nous faire un tableau complet de l'étiquette en usage à la Cour de Bagdad sous les Abbassides, ainsi que du cérémonial adopté par les Omayyades à Damas.

De même que nous voyons aujourd'hui employer l'étiquette européenne, française ou anglaise, à la Cour des Souverains

plus ou moins honnêtes qui lui ont été faits, depuis Tabarî lui-même qui ne le nomme pas une seule fois dans sa vaste compilation historique.

Mass'oudî reproduit souvent des passages entiers du Kitâb El Tâdj, sans indiquer l'auteur ni l'ouvrage. Lorsqu'il est amené à citer une appréciation personnelle de Djâhiz, l'auteur des "Prairies d'Or" se contente d'écrire : *des personnes érudites qui s'occupent de littérature ont dit...*

Cependant Mass'oudî consacre à Djâhiz un article élogieux où il rend hommage à sa profonde érudition et à son talent encyclopédique.

Je ne crois pas utile de citer tous les auteurs postérieurs qui sont dans le même cas, car ils sont légion. Je me suis efforcé d'ailleurs, dans les annotations du présent ouvrage, de relever, dans la mesure du possible, tous les emprunts qui lui ont été faits. Du reste, un tableau de ces emprunts a été ajouté à mes prolégomènes arabes, en tête du présent volume.

La fécondité de Djâhiz est connue de tous ceux qui ont étudié la littérature arabe. L'orientaliste hollandais Van Vloten avait annoncé son intention de dresser la liste des œuvres de Djâhiz, lorsqu'il fut surpris par la mort. Je me suis donné la tâche ardue et délicate de consacrer à ce sujet une monographie détaillée et documentée, qui paraîtra bientôt, je l'espère.

* * *

Quant au livre même que je publie aujourd'hui, étant donné qu'il fait partie des ouvrages qui inaugurent la série de l'œuvre de la **Renaissance des Lettres Arabes**, j'ai essayé d'en faire une véritable édition nationale. J'ai mis à contri-

sentés, ces ouvrages, fussent-ils médiocres à son sens, étaient cependant accueillis avec enthousiasme.

Notre subtil auteur n'ignorait pas les avantages de ce que nous appelons la vogue. Djâhiz mettait à profit cette pensée juste et que devait exprimer malicieusement La Bruyère en écrivant: "Il n'est pas si aisé de se faire un nom par un ouvrage parfait, que d'en faire valoir un médiocre par le nom qu'on s'est déjà acquis."

Djâhiz se plaint d'ailleurs — et cela ne manque pas de piquant — d'avoir été obligé de recourir à cette supercherie. Il déplore que ses ouvrages les plus soignés n'aient eu vis-à-vis des jaloux et des détracteurs d'autre tort que *d'être signés d'un auteur contemporain*.

Le même subterfuge fut employé par des auteurs postérieurs qui voulurent à leur tour exploiter la célébrité que Djâhiz s'était acquise, mais la ruse eut alors moins de succès.

Djâhiz est, d'autre part, le littérateur qui a été le plus pillé par ses successeurs.

De nombreux plagiaires se font un devoir de s'approprier non seulement ses idées mais encore ses expressions et les formules qui caractérisent son style d'une manière si typique. Leur seule préoccupation en cette occurrence, c'est d'éviter soigneusement de le nommer, sauf à de très rares exceptions. C'est à la faveur d'une inadvertance heureuse qu'ils nomment parfois Djâhiz. Quand ils rapportent ses paroles, au lieu de citer son nom, ils écrivent d'habitude : *on a vu, on a rapporté, on a assisté*. Ils ont organisé à son endroit une véritable conspiration du silence.

Je me suis attaché pour le cadre restreint du livre que je présente aujourd'hui au public à faire ressortir les emprunts

ou par qui que ce soit. Ils se recommandent d'eux-mêmes. Réunissant avec un scrupule parfait tous les arguments qui peuvent être invoqués pour soutenir telle ou telle théorie, ils se distinguent en dehors de la solidité du fond par la noblesse du style et par la clarté et la simplicité de l'exposition. Ils sont aussi bien à la portée du vulgaire que de l'aristocratie ; les intelligences les plus simples peuvent en profiter comme les esprits les plus cultivés." (1)

On peut se renseigner complètement sur la doctrine de Djâhiz en consultant le vaste traité littéraire de son disciple, Ibn Abi el Hadîd qui le désigne chaque fois qu'il parle de lui, et il en parle souvent, sous le nom de "Notre maître Abou Osman (شيخنا أبو عثمان)."

La méthode littéraire de Djâhiz, adoptée par plusieurs littérateurs arabes, a pour caractère essentiel le souci constant de tenir en éveil l'attention du lecteur, de ne jamais laisser languir l'intérêt de l'ouvrage. Celui de ses disciples qui l'admirait le plus, au point qu'on peut dire qu'il avait pour Djâhiz un véritable culte, Abou Hayyân Tawhîdî, a, selon moi, réussi à l'égaliser et même à le surpasser quelquefois. Je suis heureux de posséder de ce dernier deux grands ouvrages (2), photographiés d'après les originaux conservés à Stamboul.

Comme on l'a remarqué (entre autres Mr. Van Vloten), Djâhiz, pour répandre ses idées et pour s'assurer l'accueil bienveillant du public a eu recours à un ingénieux subterfuge : il nous avoue franchement qu'il avait publié quelques traités sous le nom du grand écrivain Ibn el Moqaffa'. Ainsi pré-

(1) Cf. BAYÂN. t. II, p. 157.

(2) Le Kitâb الامتاع والمؤانسة de la Bibliothèque de Top-Kapou, et le Kitâb البصائر والنظار de la Bibliothèque de Fâtih.

ou de l'autre cause, Djâhiz sait mettre en valeur et en évidence les mérites des deux tribus concurrentes.

Aussi, ses contemporains n'ont-ils pas manqué de lui reprocher cette dualité d'opinion. Mais ces attaques ne l'effrayaient nullement et il trouve la réponse judicieuse à ces critiques en déclarant "qu'il se borne à exposer les arguments de deux camps opposés, les faisant parler par sa bouche, en *reporter fidèle*, qui rapporte consciencieusement les opinions les plus diverses pour mieux les faire connaître au grand public. Quant à ses idées personnelles, ajoute-t-il, elles sont notoirement connues."⁽¹⁾

Et nous savons qu'il les défend avec tout le talent dont il peut disposer.

Le brillant khalife El Mâmour, qui n'était pas un esprit médiocre, se fit apporter les livres de Djâhiz sur *l'Imamat* (pouvoir spirituel souverain) et les donna à un de ses hommes de confiance, Yazîdî, dont il appréciait le sain jugement, pour qu'il lui en fit un compte-rendu succinct mais exact. Vivement intéressé par ce que lui en dit ce critique éclairé, El Mâmour voulut les lire lui-même et convoqua Djâhiz qu'il félicita en ces termes : "Des personnes dont l'esprit judicieux nous est connu et en qui nous avons la plus grande confiance, nous ont informé que vos livres étaient des ouvrages de valeur. Nous avons pensé néanmoins que la critique pouvait en être trop élogieuse, aussi avons-nous voulu les lire nous-mêmes. Nous avons constaté avec plaisir que vos œuvres méritaient ces éloges et que l'appréciation flatteuse qu'on nous en avait donnée n'était pas exagérée. Examinant ces livres avec le soin le plus méticuleux, nous avons reconnu leur grand intérêt. Ils n'ont pas besoin d'être prônés ou défendus par leur auteur

(1) Voir l'introduction de son grand ouvrage, *Kitâb el Hayarân*.

convaincre ses contradicteurs les images les plus vives et les termes les plus osés, selon ses habitudes littéraires.

Quelqu'un lui demandait un jour comment le Coran avait pu être *créé*, et Djâhiz de répondre: "Comme un homme, comme une femme, comme une vache, en un mot comme tout être quelconque mâle ou femelle."

Cette réponse, qui traduit sa pensée de la manière la plus claire, la plus crue, fut interprétée par ses adversaires de façon malveillante et leur parti-pris en dénatura le sens.

N'imaginèrent-ils pas en effet d'en conclure et de répandre *urbi et orbi* que Djâhiz professait que le Coran pouvait devenir tantôt un homme, tantôt une femme, etc. ?

L'école motazilite de Bassora, dont Djâhiz était un des plus grands représentants, consacrait la préséance d'Abou Bakr, le premier khalife rachidite, à l'encontre notamment de l'école chéïte qui soutenait et soutient encore que la succession de Mahomet au pouvoir pontifical devait être dévolue à son gendre, Aly, le quatrième khalife rachidite. Malgré sa conviction, Djâhiz écrivit cependant un livre à l'intention de cette dernière école, livre dans lequel notre auteur réussit peut-être mieux que les partisans les plus déterminés de Aly à mettre en lumière les mérites de ce khalife et à faire ressortir les titres qui le désignaient en première ligne pour recueillir directement la succession du Prophète.

Quand éclata la grande querelle entre Omayyades et Abbassides, Djâhiz, en brillant avocat, sut exposer avec une égale éloquence et même avec une égale désinvolture, les titres des uns et des autres dans deux traités différents.

S'agit-il de faire ressortir les titres nobiliaires de telle ou telle tribu ? Mieux que n'importe quel partisan convaincu de l'une

ainsi à tout ce que lui inspire sa verve parfois outrancière, et même son extravagance.

Sa plume se complaît à nous retracer des tableaux de mœurs, des scènes de la vie publique ou privée, des incidents, des anecdotes, et il sait, à l'exclusion de la plupart des classiques arabes, trouver la formule la mieux appropriée, le mot juste, l'expression typique. Son amour de la couleur exacte est si vif qu'il ne recule pas au besoin devant l'emploi de termes crus ou grossiers et d'expressions réalistes ou même triviales. Il est en effet le seul parmi les littérateurs arabes, qui sacrifie sans hésiter la noblesse du style à la précision. C'est un réaliste épris de descriptions, et dont la verve inépuisable sait user avec hardiesse de tout ce qui peut servir à donner la note vraie à ses relations. Presque tous les autres classiques s'ingénient au contraire à éviter la moindre vulgarité dans leurs récits même les plus osés, et dans les gauloiseries arabes, s'il est possible de s'exprimer ainsi. En un mot, Djâhiz n'a jamais sacrifié, comme tant d'autres, le fond pour la forme convenue.

*
**

L'influence de Djâhiz s'est manifestée spécialement à deux points de vue différents. Il a fait double école : une école doctrinale de la secte motazilite et une école purement littéraire ; l'une et l'autre portent son nom.

Nombreux sont les adeptes de sa doctrine religieuse très hardie et qui confine à la libre pensée.

Il professait que le Coran est un objet *créé* (مخلوق), combattant ainsi la théorie qui a prévalu par la suite dans l'Islam orthodoxe, et qui soutient que le texte sacré est *incrée* (قديم = غير الموقد).

Il défend très vigoureusement ses idées et emploie pour

PRÉFACE

Djâhiz n'a pas besoin d'être présenté au public. C'est un des rares auteurs parmi les classiques arabes dont les œuvres très populaires en Orient, jouissent d'une faveur particulière auprès des orientalistes européens, qui y trouvent le même intérêt que les Arabes.

Il est dans la littérature arabe, ce que sont dans la littérature française Voltaire et Renan. Qu'il traite les sujets les plus arides, qu'il aborde les questions les plus ardues, il réussit toujours à captiver le lecteur et à retenir son attention. Il parle de toutes choses avec un égal bonheur et sait dire chaque fois tout ce qu'il a à dire. Le lecteur le suit avec plaisir partout où sa fantaisie l'entraîne, sans éprouver en sa compagnie le moindre ennui, la moindre lassitude. L'intérêt ne languit pas un moment dans ses écrits ; c'est un penseur doublé d'un artiste charmant. Son esprit léger, et souvent ironique, lui inspire les boutades malicieuses qui émaillent ses productions.

Il traite avec un rare talent d'exposition les questions les plus délicates et les plus subtiles qui ont divisé les musulmans aux premières heures de l'Islam, touchant le pouvoir spirituel suprême, le Khalifat. Il plaide avec succès une cause et soutient l'opinion contraire avec la même force de persuasion.

Ces tours de force sont, pourrait-on dire, la spécialité de Djâhiz, qui presque dans toutes ses œuvres s'ingénie à vanter les mérites d'un personnage ou d'une idée pour employer, immédiatement après, toute son érudition à en peindre les défauts. Quoiqu'il en soit, il sait toujours charmer le lecteur et l'intéresse

DJÂHIZ

LE LIVRE DE LA COURONNE

(KITAB EL TADJ.)

TEXTE ARABE

PUBLIÉ POUR LA PREMIÈRE FOIS D'APRÈS LES TROIS MANUSCRITS CONNUS,
ACCOMPAGNÉ D'UNE PRÉFACE EN FRANÇAIS
ET ENRICHIE DE NOTES CRITIQUES ET DOCUMENTAIRES

PAR

AHMED ZEKI PACHA

SECRÉTAIRE DU CONSEIL DES MINISTRES,
VICE-PRÉSIDENT DE LA SOCIÉTÉ KHÉDIVIALE DE GÉOGRAPHIE,
MEMBRE DE L'INSTITUT ÉGYPTIEN.



LE CAIRE.

IMPRIMERIE NATIONALE.

1914.

RENAISSANCE DES LETTRES ARABES

SOUS LE PATRONAGE DE

S. A. LE KHÉDIVE ABBAS II.

LE LIVRE DE LA COURONNE

(Kitāb el Tadj.)